شؤون فلسطينية

٨

نيسان (ابريل) ١٩٧٢

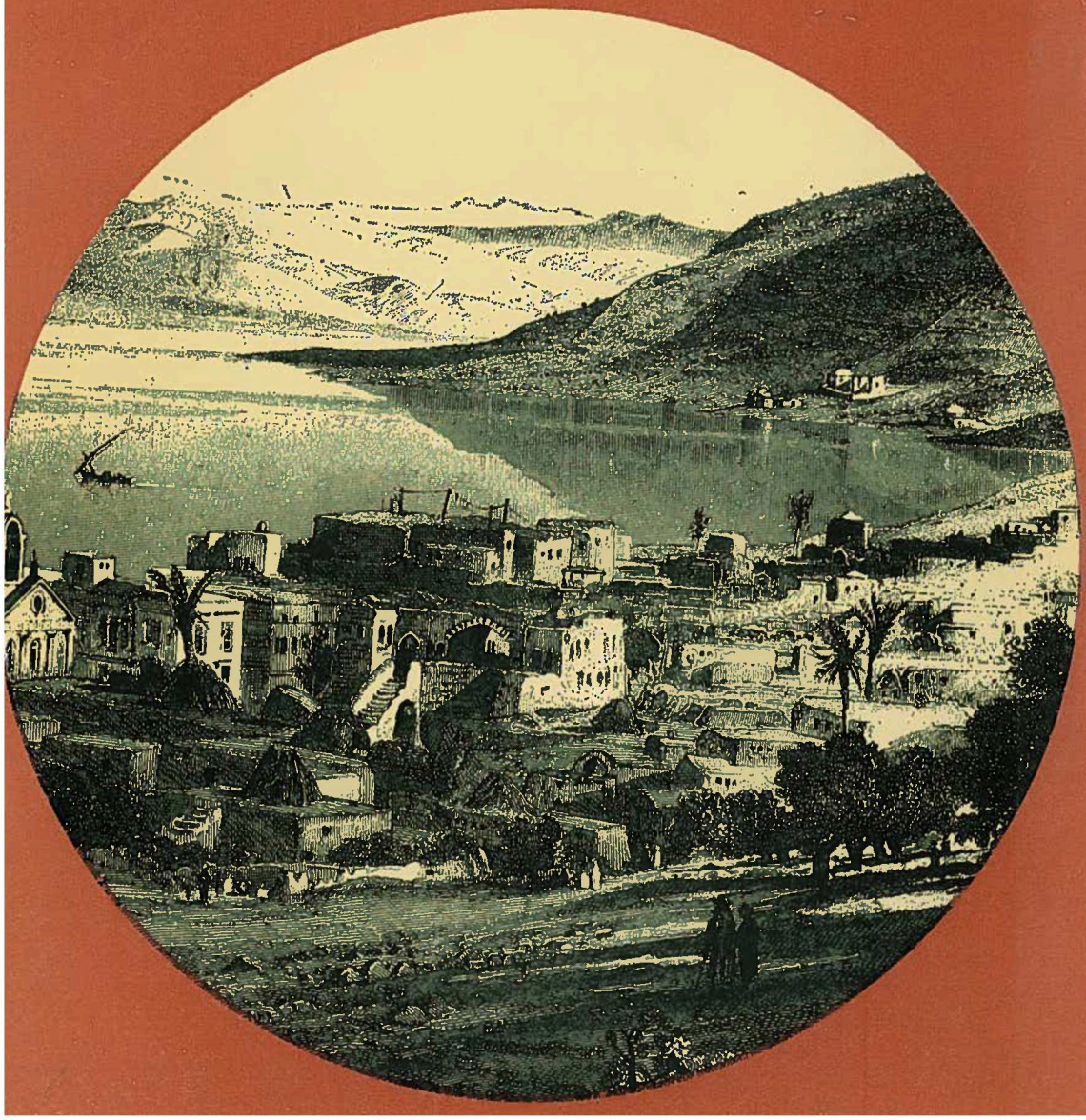

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٨ — نيسان (ابريل) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير الادارة** : جبريل ديب .

هيئة التحرير : د. ابراهيم ابو لغد ، بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب تهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : طبريا ، القرن التاسع عشر .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، د. انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٨ **انتخابات المجالس البلدية في الضفة الغربيـــة المحتلة** ، د. سعيد حمود [نائب المدير العام لمركز التخطيط في م. ت. ف.] .

١٥ **بمناسبة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : اسرائيـــل ولعبة « البنج بونج »** ، د. منذر عنبتاوي [استاذ القانون في الجامعة الاردنية] .

٢٨ **المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون** ، هاني عبدالله [الباحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٤١ **وقفة عند الذكرى الرابعة لمعركة الكرامة** ، هاني الحسن [من قادة فتح] .

٥٨ **الحركة الصهيونيـــة في أميركه وممارسة العنف** ، سعادات حسن [مدير مكتب م. ت. ف. في نيويورك] .

٦٨ **غدوى طوقان : ثلاث خطوات الى الينبوع** ، فوزي كريم [الشاعر والناقد العراقي] .

٨٠ **اسرائيل وجنوب افريقيه** ، لجنة ماديسون لجنوب افريقيه .

٩٩ **مراجعات** : تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي ، د. تيسير عبد الجابر [رئيس دائرة الابحاث والدراسات في البنك المركزي الاردني] . الحرب العربية الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧ ، سوء تقدير أم مؤامرة ، جودفري جانسن [الكاتب الهندي] . الصراع في الشرق الاوسط ، خالد القشطيني [الباحث العربي في لندن] . الاسرائيليون : الآباء والابناء ، واسرائيل : مجتمع يتبدل ، باسم سرحان [من باحثي مركز التخطيط في م. ت. ف.] . التمييز ضد اليهـــود الشرقيين في أسرائيل ، مصطفى كركوتي [كاتب عـــربي سوري] . الجندي الاسرائيلي ، نبيـــل بدران [الباحث في قسم الشعب الفلسطينـــي في مركز الابحاث] . اسرائيـــل والفلسطينيون ، د. صادق جلال العظـــم [مستشـــار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . اوروبا ومصائر الشرق الادنى ، ماجد نعمـــة [الدارس في العلوم الاجتماعية والاقتصاد في بيروت] .

١٢٠ **رد اولي على كتاب « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » لمحمد ابو شلباية ،** د. عدنان العمد [من رجال الاعلام العربي في سويسره] .

١٣٠ **اسرائيليات** : (١) البنك المركزي الاسرائيلي، د. يوسف شبل. [المستشار الاقتصادي لمركز الابحاث ، والاستاذ في الجامعة الاميركية في بيروت] . (٢) الصحافة في اسرائيل ، د. اياد القزاز [الاستاذ في جامعة كالفورنيه في الولايات المتحدة] . (٣) تعليم العلوم الانسانية في فلسطين المحتلة ، د. احمد طربين [استاذ كرسي التاريخ الحديث في كلية الآداب بجامعة دمشق] . (٤) نظرة الصهيونية واسرائيل للوثائق ، د. نادر العطار [مدير الوثائق التاريخية في الجمهورية العربية السورية] .

١٧٧ **الممارسات السياسية لوصفي التل** ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] .

١٩٠ **دراسة قانونية لاثر اتفاقية القاهرة وقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على اتفاقية الهدنة بين لبنان واسرائيل** ، د. صلاح الدين الدباغ [المحامي واستاذ القانون في الجامعة اللبنانية] .

١٩٥ **رسالة خاصة عن آخر التطورات في قطاع غزة** ، ا. م.

١٩٧ **شهادات من معركة الكرامة** ، اعداد المقاتل هادي ابو اسوان .

٢١١ **موشيه منوحن يروي بعض ذكرياته .**

٢٢١ **شهريات** : المقاومة الفلسطينية. القضية الفلسطينية عربيا ، ن.ع. القضية الفلسطينية دوليا ، ص. ج. ع. السياسة الاسرائيلية ، احمد خليفة [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب [الباحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٢٥٨ **مذكرة تحليلية حول مشروع الملك حسين** ، خالد الحسن [رئيس الدائرة السياسية في م. ت. ف.] .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

ان تحول شؤون فلسطينية الى مجلة شهرية فرض عليها ، وعنى من جملة ما عناه ، المزيد من العناية باحداث الساعة ، مراقبة وتسجيلا ودرسا وتحليلا . دون ان يعني هذا التحول (أو التطور) اي ابتعاد عن العلمية (وما تفرضه العلمية ، وما تعنيه ، من دقة في النظر وتجرد في الاحكام وتعمق في التحليل) ولا اي تخل جذري عن اهتمامات شؤون فلسطينية السابقة بالبحث الهادىء والمتأني في الثورة الفلسطينية وفي الشعب العربي الفلسطيني وفي الصهيونية واسرائيل والامبريالية .

من هنا قد يجد القارىء في هذا العدد (وفي الاعداد المقبلة) تناولا متكررا لاحداث سياسية قريبة مهمة . فاننا سنعالج بعض المواضيع معالجات متعددة ، ان في عدد واحد أو في اعداد متتالية . وذلك راجع الى اهمية هذه الاحداث وضرورة تناولها بالبحث اكثر من مرة . ولكن المهم والضروري هو ان تكون المعالجات للموضوع الواحد مختلفة ، بحيث تطل كل معالجة على الموضوع من زاوية تختلف عن الزاوية التي أطلت منها المعالجة ، او المعالجات ، الاخرى .

لذلك سيجد القارىء ، وعلى سبيل المثال ، عودة متكررة في هذا العدد الى اربعة مواضيع سياسية كان لها وزنها في احداث القضية الفلسطينية في الاشهر الاربعة او الخمسة الماضية : موضوع مقتل وصفي التل ، ونحن نتناوله في هذا العدد للمرة الثالثة (وهذه المرة نحصر انفسنا بسيرته العملية السياسية) . وموضوع الانتخابات البلدية التي تجريها سلطات العدو في الارض المحتلة ، نتناولها في ثلاثة مقالات في عدد واحد : نبذة عنها ، ومقالة عن المغزى السياسي الاسرائيلي من ورائها ، ومراجعة لكتاب عربي ظهر لمتعاون مع الاحتلال في القدس لعب دورا خطيرا في الدعوة للتعاون مع الاحتلال بشكل الاقبال على الانتخابات والقبول بمشروع الدولة الفلسطينية . وهناك ايضا المؤتمر الصهيوني . اننا نغطيه في هذا العدد للمرة الثانية ، بعد ان غطيناه بدراسة سريعة في العدد الماضي . واخيرا ذكرى الكرامة ، فبعد ان وضعنا دراسة عن جانب منها في العدد الماضي نعود اليها في هذا العدد في مقالين : دراسة في الذكرى ، وشهادات اربعة من ابطالها .

ان شؤون فلسطينية ، ما دامت قد اخذت على عاتقها مهمة الاسهام في تسجيل الاحداث السياسية الرئيسية للقضية الفلسطينية وتطوراتها ، ودرسها بقدر واسع من الموضوعية ، مدعوة دوما ان تكون في الساحة ، قريبة من الاحداث ، ومصغية لجميع الاصوات ومتتبعة لجميع الحركات ، لتقوم بالتسجيل على اكمل وجه ، بالرغم مما في هذه المهمة من صعوبات واحراجات ، يزيد منها ما تصبو اليه المجلة من الا تكون ناطقة باسم جماعة بقدر ما هي المنبر الحر للفكر الثوري الفلسطيني باكمله والمجال

الرحب لاقلام المثقفين الثوريين الفلسطينيين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم ومنطلقاتهم.

لقد اعلن ملك الاردن ، أواسط آذار (مارس) ، مشروعه الخطر بانشاء دولة فلسطينية مشبوهة ضمن ما اسماه بالمملكة العربية المتحدة . وطبيعي جدا ان تعنى « شؤون فلسطينية » ، في اعدادها القادمة ، بدراسة هذا المشروع والرد عليه وتبيان مساوئه . ولكنها ، في الوقت نفسه ، رأت ضرورة اعلان رأيها به ، ولو بشكل سريع ، في هذا العدد الذي كانت طباعته قد قاربت الانتهاء عند اعلان المشروع . وشعورا بخطورة المشروع الملكي ، من جهة ، وبكون المجلة تعبيرا عن رأي فكر الثورة الفلسطينية والمثقف الثوري الفلسطيني ، ارتأينا الا يتولى رئيس التحرير ، ولا هيئة التحرير ، كتابة افتتاحية العدد برفض المشروع ، بل ان نوكل ذلك ، عمليا ، الى اكبر عدد من المثقفين الفلسطينيين الثوريين المتواجدين في بيروت . ولهذا الغرض دعت شؤون فلسطينية ومركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية عددا كبيرا من هؤلاء المثقفين ومن مسؤولي الثورة الفلسطينية لبحث الموضوع واصدار بيان سياسي يمثل الفكر الفلسطيني . وقد حضر الاجتماع الذي عقد مساء السابع عشر من مارس ما يزيد على الخمسين مثقفا ومسؤولا يمثلون ما يزيد على عشرين هيئة فلسطينية ، من اتحادات نقابية ، ومراكز بحوث وتخطيط ، وفصائل الثورة الفلسطينية ومؤسساتها ، ومكاتب منظمة التحرير الفلسطينية وادارتها .

وقد صدر عن المجتمعين ، بعد دراسة جماعية للمشروع دامت عدة ساعات ، البيان التالي الذي يشرفنا ان نعتبره افتتاحية شؤون فلسطينية في عددها الثامن :

واجهت القضية الفلسطينية في اكثر من مرة وفي اكثر من مرحلة مشاريع ومؤامرات عديدة للتصفية . ومنذ حرب حزيران بالذات تكاثرت هذه المشاريع بصورة ملفتة للنظر. وازاء كل مشروع منها كان شعبنا يقف بصمود معلنا رفضه ، ومتمسكا بكامل حقوقه ، ومناضلا لفرض واقع وطني يحفظ القضية من الضياع . وفي ظل حركة المقاومة الفلسطينية بالذات استطاع نضال شعبنا ونضال فصائله المسلحة ان يقضي على العديد من هذه المشاريع المشبوهة ، مؤكدا الرأي الفلسطيني الذي لا يقبل المساومة ، في كافة الاوساط العربية والدولية .

وحاليا ، وبعد مشروع الملك حسين ، تواجه قضيتنا ، ويواجه شعبنا مشروعا جديدا من سلسلة المشاريع الكثيرة المشبوهة . ولكنه بالاضافة الى ذلك أخطر هذه المشاريع .

فمشروع الملك حسين يمثل اولا رضوخا كاملا لشروط الاستسلام الاسرائيلية . يعترف نهائيا وبالكامل بالكيان الاسرائيلي ، ويؤدي عمليا الى الغاء حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه ، وفوق كامل ترابه الوطني .

ويستهدف المشروع ثانيا دفع طغمة من العملاء ، المتعاونين مع الاحتلال الاسرائيلي ، والمتواطئين مع نظام الحكم العميل في عمان ، الى الدخول باسم الشعب الفلسطيني كطرف في عملية التسوية السياسية ، ليقوموا بالتوقيع على كافة شروط الاستسلام التي قبلها النظام الاردني في مفاوضاته السرية مع سلطة الاحتلال . فالنظام الاردني يبيع القدس ، ويريد من الشعب الفلسطيني ان يوقع على عملية البيع . والنظام الاردني يتنازل عن منطقة المثلث ، ويريد من الشعب الفلسطيني ان يعلن موافقته على هذا التنازل . وهو ايضا يوافق على المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، ويسعى الى دفع واشراك ممثلين « فلسطينيين » في هذه المفاوضات ليتنصل في النهاية من كل تبعات الاستسلام والتفريط بحقوق شعب فلسطين ، ضامنا في نفس الوقت ان يبقى نفوذه واستغلاله وارهابه لشعبنا في الضفتين قائما ومتصلا .

ومن خلال مثل هذه العملية ، يستهدف المشروع ثالثا ، ان يشق الموقف الفلسطيني الى فريقين . فريق يقبل خطة الملك ، وفريق يرفضها . فريق يقبل الاشتراك في التسوية السياسية ، وفريق يناضل لاحباطها . ويأمل من خلال عملية الانقسام هذه ، ان يصبح هو الطرف الاقوى والقادر على تحرير مشروعه المشبوه . ولانه يعرف سلفا ان حركة المقاومة الفلسطينية ، بكل ما تمثله من شرعية النضال ، ستكون اول وابرز من يرفض فان مراهنته على شق الصف الفلسطيني تتلخص في النهاية ، في محاولة عزل حركة المقاومة عن جماهيرها ، وابعادها عن ميدان تمثيل الشعب، وتمثيل القضية، هذا التمثيل الذي انتزعته بقوة السلاح ، وبشرعية النضال الثوري ضد الاحتلال ، والذي هو في النهاية اقوى انواع التمثيل التي تفرضها مسيرة الشعوب المناضلة .

ومن خلال ذلك كله يهدف المشروع رابعا ، وفي كل بند من بنوده الى تحويل الصراع القائم ، من صراع ضد الصهيونية والاحتلال ، الى صراع بين الفلسطينيين انفسهم . ومن صراع تشارك فيه الجماهير العربية في كافة اقطارها ، الى صراع محصور بمطالب وهمية للحصول على « قطر فلسطيني » يقدم منحة من سلطة الاحتلال الاسرائيلي .

ان هذه الاخطار التي ينطوي عليها المشروع ، تشكل تصفية كاملة للقضية الفلسطينية، ثمنها الوحيد تكريس السيطرة الهاشمية الرجعية على شعبنا في ضفتي الاردن . وهو ما يريده الملك حسين ، وما يسعى اليه ، اكثر من اي شيء آخر ، وفي سبيله يتنازل عن الكثير ، ثم يريد ان يحمل شعبنا مسؤوليات هذا التنازل .

ولذلك فان الموقف الوطني والبديهي الذي لا بد منه هو الرفض الكامل لهذا المشروع المشبوه ، وادانته وتعريته على كافة المستويات ، والنضال لاحباطه بكل الوسائل التي تفرضها شرعية الثورة المسلحة .

ومن المهم هنا ان نسجل ، ان النظام الاردني العميل دبر المجازر الدموية المتلاحقة ضد حركة المقاومة الفلسطينية ، تحت شعار وحدة الضفتين ، ومن خلال الاتهام الدائم للمقاومة بانها تعمل لتفتيت وحدة الشعب ، وانشاء « دولة فلسطينية » وما ان انتهى النظام العميل من تدبير مجازره ، حتى قام هو بنفسه بطرح مشروع الدولة الفلسطينية ، مما يؤكد ان ثمن الموافقة الاسرائيلية ــ الامريكية على هذا المشروع ، كان ولا يزال ، ضرب حركة المقاومة وتصفيتها ، باعتبار انها الشرارة الثورية التي يمكن ان تلهب المنطقة العربية ، خالقة فيتنام ثانية تهدد وجود اسرائيل من جهة ، وتهدد مصالح الامبريالية وواجهاتها الرجعية من جهة اخرى ، ولذلك فان هذا المشروع لا يمثل في اعتقادنا ضربا لنضال الشعب الفلسطيني وحقوقه فقط ، بل هو في نفس الوقت ، مقدمة لهجمة رجعية ضد كل القوى الوطنية العربية ونضالاتها المتواصلة .

ومن هنا ، فان الرد على هذا المشروع ليس مهمة فلسطينية فقط ، بل هو اولا وبالاساس مهمة الجماهير العربية ، ومهمة فصائلها الوطنية ، وهو رد ليس له غير طريق واحد يتمثل في تكثيف النضال الثوري وتوسيع رقعته ، لتصبح المنطقة العربية بكاملها ساحة صدام مع الصهيونية والامبريالية .

ومن هنا ايضا مسؤولية كل حكم عربي في ان يحدد موقفه من المشروع ، آخذا بعين الاعتبار انه يحدد موقفه من القضية الفلسطينية بالاصل . ذلك ان نغمة انتظار راي منظمة التحرير الفلسطينية اولا ، نغمة مرفوضة ، وتعني الشيء الكثير في هذه المرحلة ، خاصة وان بعض هذه الانظمة لا زال يتحصن بالصمت ، حتى بعد ان اعلنت منظمة التحرير باسم الشعب الفلسطيني رفضها وشجبها للمشروع .

...واذا كان الملك حسين ، الذي خلق من خلال مجازره حالة من الفرقة الاقليمية المرفوضة

داخل الضفتين ، ويريد من خلال مشروعه ان يستفيد من هذا الواقع لخلق دولة فلسطينية مشبوهة يضمن سيطرته عليها ، فان الرد المطلوب من جماهير شعبنا ومن حركة المقاومة الفلسطينية هو رد على مستويين :

المستوى الاول : التمسك بكافة القضايا المبدئية لحقوق الشعب الفلسطيني . حقه في النضال من أجل التحرير الشامل . حقه في تقرير مصيره بنفسه وفوق كامل ترابه الوطني . وحقه في حمل السلاح والقتال ضد العدو الصهيوني ، منطلقا في ذلك من داخل الاراضي المحتلة ، ومن داخل كل ارض عربية يتواجد فوقها .

والمستوى الثاني : المواجهة المباشرة لمشروع الملك حسين ، وللاوضاع القائمة في الضفتين ، والتصدي لها ببرنامج عمل نضالي وطني ، بديلا للمشاريع المشبوهة . ويتمثل هذا البديل في دفع وتعميق نضال جماهيرنا باتجاه المحافظة على وحدة الضفتين في ظل حكم وطني ديمقراطي ، وتجديد هذه الوحدة على الاسس التالية : المساواة بين الشعبين في كامل الحقوق السياسية والمعيشية انطلاقا من المفهوم الوطني الديمقراطي الذي يحفظ للشعب الفلسطيني **حقوقه الوطنية التاريخية** في تحرير وطنه . كما تضمن للشعب الفلسطيني **حقوقه الوطنية الراهنة**، والتي تتمثل في حقه بحمل السلاح واستمرار كفاحه ضد العدو الصهيوني ، والانطلاق لانجاز هذه المهمة من أراضي الضفتين . وحقه في رفض كل تسوية سياسية تمس حقوقه التاريخية . كما تضمن لشعبنا في الضفة الشرقية حقوقه الوطنية الراهنة المتمثلة بالحكم الوطني الديمقراطي القادر على تحرير الاكثرية من حكم الاقلية العميلة التي تستغل قوته وجهده وتحكمه بالحديد والنار لمصلحة الامبريالية ، معرضة الاردن ، من خلال مد جسور العلاقات مع الكيان الاسرائيلي ، الى استعمار صهيوني من نوع جديد . كما تضمن لشعبنا في الضفة الشرقية ايضا حقوقه المتمثلة في حرية العمل السياسي والنضالي ، والتقدم الاقتصادي ، ورفع الاستغلال الذي يرزح تحته الفلاح الاردني والمواطن العادي . وحقه الوطني في الاسهام الجدي بمواجهة الخطر الاسرائيلي الذي يهدد وجوده بشكل مباشر .

وفي الاتجاه نحو هذا الهدف النضالي ، فان جبهة تحرير وطنية فلسطينية ــ اردنية موحدة ، تكون فصائل حركة المقاومة جزءا لا يتجزأ منها تشكل الاداة التي يجب ان تدعم ، في النضال ضد الوجود والاحتلال الصهيوني من جهة ومن أجل انجاز البرنامج الوطني الديمقراطي في الاردن من جهة اخرى، لانشاء نظام وطني يجدد وحدة الضفتين، وتنتفي من داخله كل النزعات الاقليمية التي كرستها الرجعية ، وتستغل وجودها الان لتفرض على شعبنا تنازلات تمس قضيته في الصميم .

وهذا الرد النضالي الوطني ، لن ينزلق الى مستوى تقديم المشاريع «القانونية» المضادة، لان للثورة أصلا منطقا يتناقض مع هذا المنطق ، الذي هو من خصائص العقلية الرجعية التي لا تجد امامها في اللحظات الصعبة الا أن تقدم تنازلاتها في قالب من المشاريع « القانونية » التي لها في ظل الاحتلال نتيجة واحدة : مخاطبة الاحتلال والاعتراف به . أما الشعب المناضل ، واما فصائله المسلحة ، فقد قامت أصلا من اجل ان ترفض ذلك ، وهي في نضالها هذا المتجه نحو التحرير ، لا بد أن تركز في المرحلة الراهنة على النضال من اجل اقامة الحكم الوطني الديمقراطي في الاردن ، كخطوة على طريق التحرير ، بكل ما يقتضيه ذلك على الصعيد العملي من اجراءات ، وخاصة بتدعيم كل الاجراءات المتخذة ، او التي يمكن ان تتخذ حاليا لتمتين الوحدة الوطنية الفلسطينية ، على الصعيد العام من جهة ، وعلى صعيد العلاقات بين فصائل حركة المقاومة من جهة اخرى .

انتخابات المجالس البلدية في الضفة الغربية المحتلة

الدكتور سعيد حمود

لمقاربة موضوع الانتخابات البلدية التي قررت سلطات الاحتلال الاسرائيلي اجراءها في عدة مدن وقرى في الضفة الغربية المحتلة هناك اسلوبان : الاول ، اخباري ـ تحليلي ، يستعرض التطورات التي سبقت اعلان قرار اجراء الانتخابات البلدية ، ثم الاوامر التي صدرت ، ويتابع ردات الفعل ومواقف القوى المختلفة ، ليأتي الى تحديد الاهداف والغايات . والثاني ، سياسي شامل ، يعتمد الجانب الاخباري في سياق تحليل شامل للسياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ولاوضاع شعبنا الرازح تحت الاحتلال ، متناولا حالة المقاومة الفلسطينية الراهنة وطبيعة القوى المختلفة وحقيقة مواقفها . وقد اعتمدت الكتابات والتعليقات التي توجهت لمعالجة موضوع الانتخابات البلدية ، في غالبها ، الاسلوب الاول . وبدت الآراء التي تضمنتها الكتابات والتعليقات وكأنها منساقة بفعل أمر مفاجيء ، احدثته الخطوة الاسرائيلية ، وكأن ما قبلها وما بعدها كان سيظل طبيعيا ، لو لم تكن هذه الخطوة . غالبا ما تأتي تعليقاتنا وتحليلاتنا على هذا الشكل المبهور المتفاجيء ، لاهثة وراء الاحداث .

نعتمد في معالجتنا لموضوع الانتخابات البلدية الاسلوب الثاني ، بشكل اساسي ، متوخين تحقيق الامور التالية : أ ـ الاطلال على حقيقة اوضاع شعبنا في الداخل من زاوية ما تعكسه هذه على موقفه من الانتخابات البلدية . ب ـ تحليل لمواقف الاطراف جميعها والغايات المباشرة وغير المباشرة التي تتطلع اليها ، والاساليب والاطر التي تعتمدها للتعبير عن تلك المواقف . ج ـ تحديد الموقف السليم ، الذي يمكن ان يكون مقياسا ، على ضوء اهداف شعبنا في التحرير والعودة والخلاص من حالات التشتت والضياع التي يعانيها ، للتحرك في وجه المؤامرات ومحاولات التصفية الموجهة ضد الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة وبشكل مكثف .

قصة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية

١ ـ **تطور الموقف الاسرائيلي** : بتاريخ ١٩٧١/١١/٢٦ صدر أمر عن سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي باجراء الانتخابات البلدية في كل من جنين وطولكرم وقلقيلية واريحا . وبتاريخ ٧١/١٢/١٩ صدر امر مماثل باجراء الانتخابات البلدية في نابلس وطوباس ويعبد وسلفيت وعنبتا وعرابه ، وتحدد موعد الانتخابات للمدن العشر في ٢٨/ ١٩٧٢/٣ ، كما تحدد في وقت لاحق يوم ١٩٧٢/٥/٢ لاجراء الانتخابات في اربع عشرة مدينة وقرية اخرى هي : رام الله ، البيرة ، بيت نوبا ، بير زيت ، بني زيد ، سلواد ، دير دبوان ، بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور ، الخليل ، حلحول ، دورا و يطه .

جرت سلسلة من التمهيدات قبل الوصول الى التحديد المذكور ، يهمنا ذكرها بتدرجها لتبيان تطور الموقف الاسرائيلي ، مركزين على أهمها كمؤشرات ، وحتى نتمكن من الالمام بكافة جوانب الموقف الاسرائيلي منذ بدايته :

ا ــ تظاهرت السلطات العسكرية في المرحلة الاولى بمعارضة النشاط السياسي في الضفة الغربية ــ عبر عن ذلك شلومو هليل وزير الشرطة الاسرائيلي في مقابلة اجرتها معه هآرتس بتاريخ ١٩٧١/٨/٩ .

ب ــ حاولت السلطة الاسرائيلية الايحاء بأن النشاط السياسي انما هو مطلب شعبي ملح (فقد ترجمت مقابلة هليل ونشرت في صحيفة « القدس » مع مقال يرد على الوزير ويؤكد على ضرورة النشاط السياسي الذي لا يسيء للامــن) . وبتاريخ ٧١/١٠/٢٠ نشرت « دافار » تحت عنوان « عرائض في الضفة الغربية من اجل الانتخابات المحلية » ما يلي : « بدأ العاملون الاجتماعيون في عدة مدن من الضفة الغربية بحمل السكان على التوقيع على العرائض التي سترسل ، كما يبدو ، الى الحاكم العسكري ، وتتضمن طلبا للموافقة على اجراء انتخابات البلديات والمجالس المحلية ، ومنذ عدة اسابيع نلاحظ في بعض مدن الضفة الغربية غليانا حول طلب السكان اجراء انتخابات جديدة للسلطة المحلية . وسلك الحاكم العسكري اسلوبا بعدم التدخل واعلن لكل من توجه اليه، بانه فقط اذا تقدم معظم السكان في هذا المكان او ذاك بطلب لاجراء انتخابات جديدة فان الحكم العسكري يدرس الطلب بحد ذاته ... » وتمضي « دافار » قائلة « من جهة اخرى فان دوائر الحكم العسكري غير مهتمة باجراء انتخابات بموجب القانون الاسرائيلي لئلا يفسر الشيء على انه توجد نية ضم » . « ثم تقرر اخيرا ان تجري الانتخابات وفق القانون الإردني » . (دافار ١٩٧١/١١/٨).

ج ــ بعد ذلك مبــاشرة كانت الخطــوة في التسلســل التمهيدي هي ابراز نية الحكم الاسرائيلي بعدم التدخل في موضوع الانتخابات : « فيما يتعلق بالانتخابات البلدية فــان هذا الموضوع يعود لرغبة المواطنين » (ديان في جريدة « القدس » ١٩٧١/١١/١١) .

د ــ في غضون تلك الفترة اوردت « عال همشمار » اشارة ذات مدلول جدير بالتأمل ، اذ ذكرت بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٠ : « نريد أن نأمل بأن يستعمل اجراء الانتخابات البلدية كمرحلة أولى في عملية السماح بالنشاط السياسي في الضفة وفي نطاق التحديدات الملزمة لوجود الحكم العسكري ومهمة هــذا النشاط هي اعــداد الشعب الفلسطيني ليقــوم بمساهمة كعامل موفق ومعجل لاحلال السلام في منطقتنا » .

هـ ــ (ثم صدرت الاوامر المذكورة محددة الموقف الاسرائيلي مباشرة وبشكــل رسمي مقرونة بتأكيد من العقيد فاردي قائد منطقة الضفة الغربية « بأن قرار سلطات الحكــم العسكري باجراء الانتخابات انما هو قرار نهائي ») .

و ــ كشفت السلطــات العسكرية عن المــزيد من اوراقهــا حين صعــد المسؤولون الاسرائيليون الحملة بالتهديدات (اطلقت في اواخر العام الماضي ومطلع العام الحالي) ضد المناطق التي تقاطع الانتخابات بأن الحكم العسكري سوف يعين ضباطا لاستلام زمام الامور في المناطق المذكورة خــلال خمسة عشر يومــا بعد اجراء الانتخابــات ، وضد الاشخاص الذين يعملون او يساهمون في حملات تهدف لاحباط الانتخابات بالاعتقــالات وباجراءات مختلفة (وبالفعل جرى اعتقال مجموعــة من الشبان في نابلس بتهمة توزيع المناشير المحرضة ضد الانتخابات) .

تجدر الملاحظة الى انه الى جانب المؤشرات المذكورة قــد عمدت السلطات الى تجزئة الانتخابات اي عدم اجرائها دفعة واحدة في جميع المناطق وذلك تفاديا لاي رد فعل جماعي وموحد وتثبيتا لانطباع بأن القضية كلها انما لا تشكل خطورة او اهمية تذكر .

نكتفي بهذا القدر عن تطور الموقف الاسرائيلي لنعود ، بعد استعراض تطورات المواقف الاخرى ، الى تحليل الاهداف الاسرائيلية القريبة والبعيدة الكامنة وراء اجراء الانتخابات البلدية وماذا تمثل هذه الخطوة بالذات في المخطط الاسرائيلي .

٢ ــ **تطور الموقف الاردني** : من أجل فهم عميق لحقيقة الموقف الاردني وتطوراته لا بد من تسجيل بعض الملاحظات الرئيسية :

ــ ترتكز سياسة الحكم الهاشمي على التشبث الاستراتيجي بالضفة الغربية ، وبرغم وجود تيارات وقوى داخل العائلة الهاشمية تحاول تسيير الامور باتجاه التقوقع داخل الضفة الشرقية والحفاظ على اطار المملكة الهاشمية بحجمها الحالي ، الا ان التيار السائد والذي ما زال الملك يتزعمه هو خط التمسك بالضفة الغربية كجزء من المملكة الهاشمية (رازح تحت الاحتلال) .

ــ ان مسيرة الحل السلمي وبالذات السياسة الاميركية في المنطقة ما زالت تتيح المجال لهذا التيار القائل بالمحافظة على التمسك بالضفة الغربية ، ان يأخذ مداه ويتابع الانشداد في الاتجاهات الحالية لسياسة الحكم الهاشمي .

ــ ولعل الامر المركزي الوحيد الذي يمكن ان يحدث اهتزازا جديا بالتشبث الاستراتيجي في الضفة الغربية ، من وجهة نظر الملك والقوى التي يتزعمها ، هو بلوغ التطورات في المنطقة ، حدا يهدد الوجود الهاشمي جملة وتفصيلا (مثل تحقيق اهداف السياسة الاميركية في المرحلة الراهنة في اتجاه اخراج النفوذ السوفييتي من مصر ومن المنطقة كلها وفي اتجاه المزيد من تركيع انظمة الحكم العربي امام النفوذ الاميركي خاصة في مصر ثم في سوريا) ــ مع ضرورة اعتبار محاولة الحكم الهاشمي (عند هذا الحد من التطورات) البحث عن قوى اخرى في المعسكر الامبريالي يلتجىء لها ويرتمي في احضانها (بريطانيا مثلا) ــ على ضوء هذه الاعتبارات التي اوجزناها يمكننا متابعة تطور الموقف الاردني من قضية الانتخابات البلدية :

أ ــ بعد صدور الاوامر الاسرائيلية باجراء الانتخابات وبشكل مباشر اتخذت عمان موقفا معارضا منها ، اتسم الموقف في المرحلة الاولى بالشدة والرفض . وكان واضحا ان اعتبارات هذا الموقف انما ترتكز على ما يلي : اولا ، ان اجراء الانتخابات البلدية يعني ابعاد رجالات الحكم الهاشمي المتربعين في المجالس البلدية منذ العام ١٩٦٤ (حين جرت الانتخابات اخر مرة في ظل الحكم الهاشمي ــ كانت ولاية اعضاء المجالس البلدية قد انتهت بعد الاحتلال ولم تجر اية انتخابات نظرا لظروف الاحتلال) . ثانيا ، التحرك السريع الذي بادر به روحي الخطيب ونديم الزرو (من رؤساء البلديات المبعدين في عمان) والذي هدف الى اتخاذ موقف صريح وواضح ضد الانتخابات البلدية ، ثالثا ، شعور الحكم في عمان ان هذا الاجراء انما يهدف الى سحب الارض من تحت قدميه في الضفة الغربية ، وبالتالي جعل الوجود الهاشمي هناك اكثر هزالة مما هو عليه الان .

ب ــ على اثر اعلان المعارضة والرفض بدأت السلطة الحاكمة في عمان حملة اعلامية واسعة ضد الانتخابات ــ الاذاعة والصحف ثم بيان من اتحاد نقابات العمال (جريدة الدستور ٧١/١٢/٢٦) يندد بالانتخابات ويعتبرها مؤامرة واضحة على المملكة الهاشمية، وتصعد الموقف بتهديد وزير الداخلية لشؤون البلديات الاردني من يشارك في الانتخابات. (نص البيان في جريدة الدستور ١٩٧١/١٢/١٢) .

ج ــ فجأة وبعد حوالي شهر ونصف من التحرك الاردني العنيف ضد الانتخابات ، أخذت اجهزة الاعلام الاردنية بالتراجع عن معارضتها ، ثم سكتت .

د ــ انقلب الموقف الاردني في الفترة الاخيرة باتجاه ابتدأت تنكشف فيه تحركات ترمي الى تأييد الانتخابات وحتى المشاركة فيها . ما الذي ادى الى هذا الانقلاب في الموقف الاردني؟ لعل الاعتبارات التالية تجيب على هذا التساؤل :

ــ رفعت الى الملك في أوائل هذا العام مذكرة من مستشار القصر لشؤون الضفة الغربية

(فيصل كنعان) احتوت العناصر التالية : اولا ، لن تكون للانتخابات البلدية اية آثار سياسية . ثانيا ، مهما اشتدت حملة الحكم في الاردن ضد الانتخابات فانه لن يستطيع ايقافها او حتى عرقلتها ، اذ أن معارضة الحكم الاردني لها سوف تزيد عدد الراغبين في المشاركة فيها . ثالثا ، سوف تخف الصلة مع الضفة الغربية اذا استمر الحكم في معارضته . رابعا ، وكذلك فانه في حالة الرفض ، فسوف تعين سلطات الاحتلال ضباطا اسرائيليين يمارسون مهمات رؤساء البلدية ويوقعون المعاملات التي كان الحكم الاردني يعتمدها (لان رؤساء البلديات كانوا موظفين عنده) . وفي هذه الحالة تنشأ معضلة باعتماد التواقيع او عدم اعتمادها .

ـ جرت اتصالات مباشرة بين الحكم الاردني والحكومة الاسرائيلية (كان عنوانها انور نسيبه ، الذي اوضحت الصحف منذ فترة قريبة حقيقة الدور الذي قام به بين الحكومتين ، وحول اجتماعاته بجولدا مائير وكبار المسؤولين الاسرائيليين والاردنيين) . وتشير كافة الدلائل الى ان صفقة ما قد تمت بين الحكم الهاشمي واسرائيل ، ومن المرجح ان الصفقة شملت قضايا اوسع من موضوع الانتخابات البلدية .

حول تطور الموقف الاردني كتب ايلي أيال في معاريف (١٩٧٢/٢/١١) « .. ان الملك حسين يخشى من أن يقوم بالمنع ثم يقوم سكان الضفة رغما عن كل هذا بالتصويت . وفي حالة كهذه سوف تنهار كل دعامته بشأن الاسرة الواحدة ، المتحدة ، والمتضامنة على ضفتي النهر ، اذن ، فمن الاحسن له أن يوافق صامتا عن أن يواجه الرفض الواضح من الفلسطينيين في الضفة » . وكذلك كتب عمير شبيرا في « عال همشمار » (٧٢/٢/١١) مفسرا موقف الاردن على أساس عدم رغبة حكومة الاردن في اتخاذ موقف مشابه لموقف منظمات المقاومة والتماثل معها في هذه الامور ، بالاضافة الى عدم مقدرة الخزانة الملكية على تمويل عناصر المعارضة عن طريق اقناع السكان بعدم الاشتراك في الانتخابات من ناحية ، وضمان انتخاب عناصر موالية للاردن من ناحية أخرى .

٣ ـ **تطور الموقف الفلسطيني في الداخل** : تحكمت في موقف القوى الفلسطينية في الضفة الغربية منذ بدء الاعلان عن الانتخابات جملة عوامل ، ربما يكون التركيز على أبرزها مساعدا على فهم حقيقة تطور الموقف هناك . وكذلك فان تحديد القوى والعناصر التي تقف وراء تشكلها يساهم في عملية توضيح المواقف . يمكننا تقسيم القوى في الضفة الغربية على أساس الفئات التالية :

ـ مجموعة رؤساء البلديات الذين جاء بهم الحكم الهاشمي في انتخابات العام ١٩٦٤ على أساس قانون الانتخابات الاردني الصادر في العام ١٩٥٥ ـ الذي يحق بموجبه الانتخاب فقط للرجال الذين يتجاوز عمرهم ٢١ سنة والذين يدفعون ضرائب بلدية لا تقل عن مئة ليرة اسرائيلية سنويا وعلى ان يكونوا من اصحاب الاملاك ـ (عدد رؤساء البلديات الذين تم انتخابهم على اساس القانون المذكور كان ٢٣ رئيس بلدية في الضفة الغربية ، تم منذ الحرب استبدال اربعة منهم : استقال رئيسا بلديتي نابلس وسلوان ، وشغل نائباهما المنصب ، كما أبعد رئيس بلدية رام الله (نديم الزرو) الى الضفة الشرقية وحل نائبه محله . وتوفي رئيس بلدية يعبد واستلم نائبه مكانه ولم تعين سلطات الحكم الاسرائيلي أي رئيس بلدية جديد) ، يضاف الى هذه المجموعة غالب اعضاء مجالس البلدية والعائلات المرتبطة بهم (اذ ان عقلية الارتباط العائلي ما زالت تسود بين ابناء شعبنا في الداخل) ، وهذه المجموعة مرتبطة تقليديا وبشكل عام بالحكم الهاشمي في عمان ، لان مصالحها ظلت مؤمنة على اساس هذا الارتباط بعد ان سمحت السلطات الاسرائيلية المحتلة باستمرار هذه المصالح دون ارباك أو تعقيد .

ـ مجموعة موظفي الادارة الاردنية ، وهذه المجموعة استفادت في ظل الاحتلال بحصولها

على راتبين ـــ من الادارة الاردنية والادارة الاسرائيلية ـــ وهي بحكم هذا الواقع لا تجد في داخلها مانعا في استمرار الاوضاع القائمة ولا يستبعد ابدا وجود فئة كبيرة من ضمنها تميل الى تأييد السياسة الهاشمية .

ـــ مجموعة العمال والفلاحين الذين يعملون داخـــل اسرائيل في قطاعي البناء والزراعة وعائلاتهم ، وهي مجموعة غير قليلـــة العدد ، ويمكننا القول انها مرتاحـــة لاوضاعها الجديدة ، غير انها بدون شك تعيش قلقا معينا لعدم استقرار الاوضاع ولما يثيره عملها في داخل اسرائيل من مواقف وتساؤلات على مختلف الاصعدة .

ـــ مجموعة المثقفين والمتعلمين (طلاب ومهندسون واطباء وصيادلة ومعلمون الخ ..) وهي مجموعة واسعة ايضا ، وهي تعاني اكثر من اية فئة غيرها فكريا ، بشكل خاص ، من ظروف الاحتـــلال ومن تعثر المقاومة ومعضلاتهـــا . وهي في غالبها ، ترفض واقع الاحتلال كما ترفض عودة الحكم الهاشمي بكل مظاهره التعسفية والخانقة لمحـــاولات التغيير والثورة .

ـــ وتأتي جموع شعبنا (العائلات الفقيرة وسكان المخيمات والمسحوقون المحرومون من اية امتيازات الخ ..) وهي اوسع فئة عددا وامتدادا ، وقد عانت في ظل الحكم الهاشمي وتعاني تحت مظلة الاحتلال الاسرائيلي الرهيبة وهي التي تلتف بعواطفها وعطائها حول المقاومة وتتطلع الى الانتصار والخلاص . وبرغم ان حالة اليأس والقنوط تخيم الان على جماهيرنا الا ان درجة الاستعداد والتأهب للتفاعل مع اول بـــادرة ثورية هادفة للتغيير الجدي ، متوفرة في صفوفها الى حد كبير .

نتابع تطور الموقف الفلسطيني في الداخل مع بعض التركيز على العوامل التي تحكمت في هذا الموقف قبل وبعد ان اعلنت السلطات الاسرائيلية عن نيتها باجراء الانتخابات :

ا ـــ وجدت مجموعة « الوجهاء » ورؤساء البلديات ومن حولهم نفسها في موقف مشابه لوضع الحكم الهاشمي ، لذلك كانت ردة فعلها الاولى هي معارضة الانتخابات ، خشية على مواقعها وامتيازاتها وبادرت بالتعبير عن ارادتها في مقاطعة الانتخابات ، وعلقت « عال همشمار » على هذا الموقف معبرة عن راي سلطات الحكم الاسرائيلية ، بتاريـــخ ١٩٧٢/٢/٣ قائلة : « ... كان رد الحكم ، انهم اذا كانوا لا يريدون ترشيح انفسهم ، فباستطاعتهم ان يفعلوا ذلك . ولكنهم يجب الا يشوشوا على الانتخابات . وعندما تم التوضيح لهم ان السلطة مصرة على اجراء الانتخابات ، بدأ الجليد يذوب ، في اللقاءات المتكررة وخارجها .. »

ب ـــ ومنذ البداية برز بعض التمايز في اطار هـــذا الموقف ، وربما كـــان حمدي كنعان (رئيس بلدية نابلس السابق) خير من يعبر عن هذا التمايز . نورد هنا بعض المقتطفات من حديثـــه الى صحيفة الانباء (الناطقة بلســـان وزارة الدفـــاع الاسرائيلية) بتاريخ ١٩٧٢/٢/١١ : « عندما ناديت بالانتخابات انما فعلت ذلك عن قناعة بأن مصلحة الشعب تقتضي تغيير الهيئات المالية وقد تأيد هذا النداء بصوت شعبي قوي صدر بمقالات نشرت على صفحات الجرائد العربية وانه لبديهي ان ليس للهيئات الحالية اي مبرر لاستمرارها بعد مضي ٩ سنوات على انتخابها وكان لا بد من اعطاء الجيل الجديد حقه في المشاركة في الحياة العامة واقتراحي باجراء الانتخابات لا يعني بأي حال بانني قصدت ترشيـــح نفسي » . وردا على سؤال اخر يجيب : « اني لا ارى ـــ جازما ـــ اي خطوة سياسية في اجراء الانتخابات البلدية لانه لا حق للبلديات في بحث امور سياسية او الاقدام عليها وعندما قلت ان الاحتلال فرض على البلديات واجبات غير الخدمـــات المدنية فان هذه حقيقة يلمسها كل فرد منا ومنها المحافظة على مصلحة الجمهور تجاه الحكم العسكري من اي امر يهم الجمهور جماعـــة او افرادا وليس من هـــذه الامور ـــ قطعا ـــ الحلول

السياسية » . وفي مكان آخر يقول : « ... وكل امر يجب ان نعمله حسب ارباحه وخسائره فاذا ما حللنا مضار الانتخابات وحسناتها لرجحت الحسنات على السيئات بكل تأكيد وعندما يصفها البعض بأنها مؤامرة لتصفية القضية الفلسطينية فانه يتجاهل كثيرا من الامور الواقعية التي حققها الاحتلال ومنها الدمج الاقتصادي وضم القدس والتنقل بين الضفتين وانشاء المستوطنات وتحقيق التعايش بين الشعبين وغير ذلك . ان اي واحدة من هذه الحقائق اخطر بكثير من الانتخابات ولكن بما انها حصلت نتيجة براعة المحتل ولم يكن لنا حيلة في دفعها سكتنا عنها واصبحت شيئا عاديا ومن وجهة نظري فاني لا ارى في الانتخابات ما يؤثر من قريب أو بعيد على القضية الفلسطينية واني لا ارى فيها الا عملية ترميم لاوضاعنا الداخلية فلم يبق بيدنا من المؤسسات الاهلية الرسمية غير البلديات التي تحمل مسؤوليات اضافية فرضتها ظروف الاحتلال ولذا فان من مصلحة الشعب أن تكون هذه المجالس على مستوى المسؤولية » .

ج ــ أما بالنسبة للمناطق المختلفة فقد تبين تدريجيا ان من يقف وراء دعوة اجراء الانتخابات مجموعة معروفة بمواقفها السابقة والداعية الى التعايش بشكل مشبوه وتحريضي : حلمي العبوشي في منطقة جنين ، عزيز شحاده في منطقة رام الله ، محمد ناصرية (وهو صحافي) في منطقة اريحا ، ايوب مسلم في منطقة بيت لحم .

د ــ تولت جريدة « الانباء » التي تصدر في القدس والتي تعبر عن رأي وزارة الدفاع الاسرائيلية ، مجندة مجموعة من المحررين المشبوهين ، تولت عملية التغطية الكاملة لاخبار الحملات الانتخابية ، وكانت تقاريرها وتعليقاتها منصبة كلها طيلة شهر كانون الثاني وشباط على الدعوة للانتخابات وعلى ابراز « نزاهة » الترتيبات الاسرائيلية لها . نورد فيما يلي بعض المقتطفات من هذه الجريدة : تحت عنوان « رسالة الى مرشح » وبتاريخ ١٩٧٢/١/١٨ كتب فؤاد جبر : « ... ان مسؤولية المرشح في هذا الوقت بالذات ليست كما كانت عليه في السابق ، سواء في العهد الاردني ، أو خلال السنوات التي تلت حرب ١٩٦٧ . فلم تعد المشاريع الداخلية فقط ــ فتح وتعبيد الطرق وجباية رسوم المياه ــ المهام الملقاة على عاتق المجالس البلدية ، بل ان هناك أمورا أهم من هذا بكثير مثل الادارة المحلية ، وتحمل مسؤولية القيادة بكاملها ، وتمثيل المواطنين في جميع المجالات ... » . تقرير من مراسل « الانباء » محمد عميره في ٧٢/١/٢٠ : « ... وعلم ان عدد الناخبين في جنين هو ١٤٥٧ ناخبا وفي يعبد ٥٤٩ ناخبا وستقوم اللجان باعلان الاسماء أمام المحلات العامة بغية مراجعتها والطعن فيها خلال المدة القانونية .. وقد بلغ عدد الناخبين في نابلس حوالي ١٣٨٠٠ ناخب (في تقدير لدافار ٧٢/٢/١٨ ، حوالي ٦٥٠٠ ناخب في نابلس) . ويفيد مراسلنا في « قلقيلية » انه انتهت يوم ٧٢/١/١٩ عملية تسجيل الناخبين وقد بلغ عدد الاشخاص الذين يحق لهم الاقتراع حوالي ٢٠٠٠ ناخب .... »

وكذلك تعليقات عديدة لمحمد ابو شلباية بتاريخ ١٩٧٢/١/٢٨ ، وليوسف عبد المجيد بتاريخ ٧٢/١/٣١ ، ولاحمد برهم ٧٢/١/٢٧ . ولعبد الحميد ابو النور في ٧٢/١/١٤ ، ولفؤاد جبر بتاريخ ٧٢/١/١١ . ولعديدين غيرهم .

هـ ــ ويفيد تقرير ورد مؤخرا (١٩٧٢/٢/٢٦) بأن بعض الاسماء بدأت بالظهور كمرشحين محتملين ، منها فعلا الشيخ احمد الحنبلي ، وهو معروف بتعاونه مع السلطات الاسرائيلية ، والحاج رحمن طوقان ، وروحي الشخشير .

و ــ وتبقى المجموعات الرئيسية من الجماهير التي ربما تفرض عليها عملية الذهاب للانتخابات وهي حائرة في أمرها ، عاجزة عن فعل أي شيء برغم ادراكها لخطورة ما يجري .

٤ ــ **موقف المقاومة الفلسطينية** : لم تكن أمام حركة المقاومة الفلسطينية ، فيما يتعلق بقضية الانتخابات البلدية ، أية خيارات او بدائل لموقفها . ان الموقف المتاح الوحيد والذي ينسجم مع منطلقات واستراتيجية المقاومة ، هو مقاومة الانتخابات والعمل على ارباكها واحباطها ، اذ انه ، مع الادراك العميق للمعضلات التي يتعرض لها شعبنا في الداخل وللمشاكل الحياتية اليومية التي تعترض وتيرة حياته المدنية ، وكذلك مع الفهم الواعي لحقيقة ما تمثله المجالس البلدية ، من انها انما لا تتعدى مهمات الحراسة والكناسة والمياه والكهرباء وغيرها من هذا القبيل ، في طيات أي اجراء مثل الانتخابات البلدية ، يصدر عن عدو مدرك لخطواته ومداها ، تكمن نوايا انتزاع الشرعية وحق التمثيل من أجل غايات واهداف ابعد مدى مما تدل عليه ظواهر الامور . بالنسبة لحركة المقاومة فان المقولة « بأنه لا شرعية في ظل الاحتلال الا للمقاومة » تظل هي الرائدة وهي الدليل للعمل وللتحرك . ولا نريد في هذا المجال أن نخوض في تفاصيل الخطوات التي اتخذتها المقاومة لمجابهة الانتخابات البلدية ، وانما نكتفي بالاشارة الى ان حركة المقاومة قد تأخرت في التحرك ، وتأخرت كثيرا . وصحيح ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وقفت مطولا في اجتماعاتها الاخيرة (شباط ١٩٧٢) أمام الموضوع ، واصدرت بيانا يشجب الانتخابات ويبين المخاطر الكامنة وراءها ، الا انه من الواضح ان هناك سيلا من الاجراءات كان من المفترض اتخاذها منذ وقت طويل (في صدر الانتخابات وفي صدر غيرها من الامور) .

اضواء على معنى الانتخابات والاهداف الكامنة وراءها

تمثل الانتخابات البلدية الامور التالية ، باختصار : أ ــ ان الانتخابات بحد ذاتها لا تشكل الخطر الاكبر على القضية الفلسطينية ، انها خطوة « تجريبية » أولى نحو اجراءات اشد خطورة . ب ــ انها لا تعبر عن رأي شعبنا في الداخل ، ولا حتى تمثل قيمة الاستفتاء على اساس العينة (يبلغ العدد التقريبي للذين يحق لهم الانتخابات حوالي ١٧٠٠٠٠ نسمة فقط في بحر تعداد سكان واسع يبلغ حوالي ٦٤٠٠٠٠ نسمة) . ج ــ حتى لو نجح العدو الاسرائيلي في اجراء الانتخابات ، فانه لن ينتزع حق التمثيل ، ويظل تحرك المقاومة بعد هذه الخطوة واردا وعلى درجة كبيرة من الاهمية .

اما اهم الاهداف الاسرائيلية الكامنة وراء اجراء الانتخابات فهي : أ ــ ابراز مجموعات ووجوه جديدة على راس البلديات في الضفة الغربية ، تكون بحكم واقعها وبحكم السنين الطويلة « وتقادم الامر الواقع » ، طيعة في التعاون معه في اتجاه مخططاته ومآربه في المناطق المحتلة . ب ــ الارتكاز على الكيفية التي تكون الانتخابات قد تمت في ظلها ، للظهور أمام العالم ، في وجه ديموقراطي يحكم في مناطق مستقرة ومؤيدة لاحتلاله . ج ــ بعد مرور فترة من الزمن ، وبعد سلسلة متدرجة من الخطوات والاجراءات في اتجاه « تمتين » وضع الذين يكونوا قد برزوا ، تحضير الاجواء من اجل اعطاء هؤلاء حق التفاوض والتباحث باسم الشعب الفلسطيني . د ــ الابقاء على هذه الورقة في يده لتخدم خطواته في صدد العلاقة مع الاردن او أية دولة عربية ، في ضمن احكام أية تسوية سياسية يمكن أن تسود المنطقة .

بمناسبة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : اسرائيل ولعبة "البنج بونج"

الدكتور منذر عنبتاوي

خلال شهر نيسان ١٩٧١ وجهت دعوة مفاجأة من حكومة الصين الشعبية الى لاعبي كرة طاولة (بنج بونج) اميركيين كانوا في اليابان يشاركون في بطولة اللعبة العالمية لزيارة الصين . وحيث ان تلك كانت اول مرة يدعى فيها امريكيون لزيارة الصين منذ نجاح الثورة الاشتراكية فيها عام ١٩٤٩ فقد اعتبرت تلك بادرة مشجعة لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة شغلت بها طويلا اوساط العالم السياسية والعلمية والصحافية . وقد أطلق على هذه البادرة تعبير دبلوماسية « البنج بونج » أو الدبلوماسية الشعبية وهي تعني محاولة التقرب من الشعوب أو من أفرادها بقصد احداث انطباعات او تأثيرات أو ضغوط عامة في اتجاه سياسي معين او بهدف التدليل على حسن النية والرغبة في خلق الاتصالات او احيائها بين دولتين لا تربطهما رسميا اية علاقة . وما تلى ذلك وليس بالضرورة نتيجة كلية له ، على صعيد العلاقات الصينية الاميركية هو من الامور التي لا تحتاج الى شرح أو بيان كما أنه ليس بذي صلة بالموضوع .

والجديد في دبلوماسية البنج بونج أو الدبلوماسية الشعبية بالمعنى السابق هو اسمها فقط . أما بالنسبة للمضمون فهو ليس بهذه الجدة . وقد سبق ان تميزت به مداخل اسرائيل الاعلامية في جميع أنحاء العالم وبشكل خاص في الدول التي رفضت حكوماتها اقامة العلاقات الدبلوماسية معها او مؤازرتها في سياساتها ومواقفها ازاء القضية الفلسطينية . بل انها اعتمدت هذه الدبلوماسية اذا صح التعبير ازاء الشعوب العربية وهو أمر كان ولا يزال يبدو واضحا في اعلامها الاذاعي . كما ان الكثيرين من ابناء البلاد العربية مروا بتجارب مثيرة خارج الوطن العربي وحتى قبل حرب حزيران ٦٧ بزمن طويل مع محاولات اسرائيلية للتقرب اليهم لاغراض متعددة منها كسر ثلج العزلة الذي يفصل اسرائيل والاسرائيليين عن المجتمع العربي . وقد كان هم اسرائيل الاكبر منذ قيامها ان تحصل من هذا المجتمع ليس على وثيقة اعتراف أو توقيع على معاهدة صلح ولكن على قبول أو اقرار واقعي من هذا المجتمع بالوجود الاسرائيلي وتعايش فعلي معه . وكان المفتاح الى ذلك ولا يزال هو التوصل الى تكوين الحالة الفعلية والنفسية لدى الانسان العربي اللازمة لمثل ذلك القبول او الاقرار « بأنها هنا لتبقى » وبالتالي التعايش الفعلي معها .

وقد كانت اسرائيل ، ولا تزال ، تدرك ان العقدة الاساسية التي تحتاج الى حل هي الشعب الفلسطيني والذي كانت غالبيته العظمى حتى حزيران ١٩٦٧ تقيم خارج المناطق التي انشئت عليها . وطوال الفترة السابقة على تلك الحرب كانت اسرائيل تأمل في أن يجري حل هذه العقدة من خلال مشاريع الاستيطان أو من خلال استمرار العزلة التي فرضتها معظم الدول العربية المضيفة ، عن قصد او عن غير قصد ، على تحركات

الفلسطينيين وانتقالهم من قطر الى آخر من اقطار الملجأ . وكانت العقدة الفلسطينية تبدو بالمنظار الاسرائيلي عشية حرب ١٩٦٧ اكثر تعقيداً من أي وقت مضى بفضل بروز المقاومة الفلسطينية من جديد . الا ان تلك الحرب قد أدت ، ضمن ما أدت اليه ، الى خضوع مليون آخر من ابناء فلسطين لحكم اسرائيل . وبالرغم من أن ذلك قد أثـــار مخاوف الكثيرين من الاسرائيليين الا أنه اثار في نفس الوقت اهتماما خاصا لدى المؤسسة الحاكمة والعاملين في صمت للتخطيط لها . فلقد تصور هؤلاء أن بامكان اسرائيل الان أن تحل العقدة الفلسطينية بنفسها بعد وقوعها فريسة بين أنيابها .

ولعل مما يؤسف له أن تحصر أجهزة الاعلام العربية الحكومية وغير الحكومية اهتمامها بما يجري في المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧ باجراءات اسرائيل القمعية والتعسفية وانتهاكاتها المتكررة لحقوق الانسان والمواثيق الدولية في معاملتها لرجال المقاومة والمواطنين الذين تشك في تعاونهم معهم وكذلك في غاراتها الانتقامية على اراضي الدول العربية المحيطة غافلة عن البحث عن الوجه الآخر الليبرالي المظهر لسياسة الاحتلال الاسرائيلي ازاء سكان المناطق المحتلة ، خاصة في الضفة الغربية ، والتطبيقات العملية لهذه السياسة والاهداف البعيدة التي تتوخاها منها .

ولقد رأينا ، بمناسبة ما أعلنته الحكومة الاسرائيلية عن عزمها على اجراء انتخابـــات بلدية في الضفة الغربية المحتلة ضرورة بحث الاهداف التي تتوخاها اسرائيل من هـــذه البادرة بغض النظر عن مشروعية أو عدم مشروعية هذا الاجراء من الناحية القانونية . فالاعتبارات القانونية غير واردة في أذهان حكام اسرائيل او حتى في اذهان رجال السياسة الذين يتولون بالنيابة عن دولهم مسئولية الحفاظ على الامن والسلم الدوليين في مجلس الامن الدولي. وخلافا لما ذكرته الحكومة الاسرائيلية عند اعلانها عن هذه الانتخابات من أن الغاية منها هي تنفيذ أحكام قانون البلديات الاردني فان هذا الاجراء يجب أن ينظر اليه كجزء من سلسلة من الاجراءات نفذتها اسرائيل منذ نهاية حرب حزيران ١٩٦٧ ضمن ما يمكن تسميته مجازا بالدبلوماسية الشعبية الاسرائيلية ازاء سكان الضفة الغربيـــة . وقبل ان نتعرف على الاهداف القريبة والبعيدة والنهائية التي تعمل هذه «الدبلوماسية» في خدمتها نورد فيما يلي نماذج عن بعض مظاهرها منذ نهاية حرب ١٩٦٧ : ١) ابقاء الجسور مفتوحة بين الضفتين وتسهيل خروج السكان ودخولهم منها ضمن قيود معينة جرى التخفيف منها مؤخرا بحيث أصبح في مقدرة ساكن الضفة الغربية أن يحصل ابتداء من ٧٢/١/٢٥ على وثيقة سفر صالحة لمدة سنة . ٢) اجازة دخول الاراضي المحتلـــة سابقا (قبل ١٩٦٧) باذون خاصة في بادىء الامر ودون اذون وعلى مدار السنة ابتداء من ١٩٧١/٧/١ . ٣) السماح لابناء المناطق المحتلة المقيمين في الخارج بزيارة اقاربهم او اصدقائهم داخلها خلال الصيف منـــذ الاحتلال وحتى ١٩٧٢/١/٢٥ ، وللفلسطينيين عموما المقيمين في البلاد العربية بزيارة الضفة الغربية طوال العام اعتبارا من التاريخ المذكور . ٤) السماح للعمال العرب بالعمل في مجالات متعددة داخـــل اسرائيل . ٥) السماح لابناء الضفة الغربية بتصريف منتجاتهم الزراعية والصناعية في الضفة الشرقية او عبرها . ٦) ادارة البلاد ، فيما عدا الشئون المتصلة مباشرة بالامن ، مـــن خلال الموظفين العرب الاعضاء أساسا في جهاز الدولة الاردنية والسماح لهـــؤلاء باستمرار قبض رواتبهم الاردنية رغم منحها لهم رواتب مساوية لها . (اوقفت الحكومة الاردنية مؤخرا صرف الرواتب لمن يتأكد لها أنه يقبض راتبه من السلطات الاسرائيليـــة) . ٧) الابقاء على المجالس البلدية التي كانت قائمة عند وقوع الاحتلال والسماح لها بممارسة اختصاصاتها والسماح للمرشحين للانتخابات التي أعلنت عنهـــا بالقيـــام بالحملات الانتخابية عن طريق الاجتماعات العامة وغيرها ابتداء من ١٩٧٢/٢/٨ . ٨) الافراج عن معظم الفدائيين الذين اخترقوا خط وقف النار مع الاردن عقب احداث تموز ١٩٧١ في

الاردن ، بعد الاعلان عن تقديم « التماسات » من بعض وجهاء الضفة الغربية ورجال الدين فيها للسلطات الاسرائيلية للافراج عنهم .

من الواضح ان أهم الاهداف القريبة لمعظم هذه الاجراءات الليبرالية المظهر هو ازالة عوامل المقاومة لدى السكان الخاضعين للاحتلال . فقد ورد في كتيب صادر عن منسق العمليات الحكومية في المناطق المدارة في وزارة الدفاع الاسرائيلية الجنرال جازيت صادر في يونيو ١٩٧٠ ان اسرائيل حاولت منذ بداية الحكم العسكري لهذه المناطق ان تتبع سياسة اعادة الحياة الى طبيعتها في هذه المناطق كما كانت عشية الخامس من حزيران ١٩٦٧ . كما ورد فيه ان تلك السياسة تتمثل في مبادىء ثلاثة هي عدم الوجود ، وعدم التدخل ، والجسور المفتوحة ، ويقول الجنرال جازيت في شرحه لهذه المبادىء ما يلي:

عدم الوجود : ان السلطات الاسرائيلة ادركت ان اي وجود لها كالمباني العسكرية والعلم الاسرائيلي ودوريات الحراسة وغيرها يمكن أن يؤدي الى صدام بين السكان وهذه السلطات . ولذلك « قررت الاختفاء من الاقليم ما أمكن » .

عدم التدخل : وضعت اسرائيل النشاط الاقتصادي والاداري بأيد عربية وتقف السلطات بعيدا بحيث يقتصر نشاطها على تقرير الموازنة للعمليات المختلفة . وفيما عدا القطاعات التي يكون لها تأثير على الاسرائيليين كالصحة والاعمال الاقتصادية التي قد تضر بالاقتصاد الاسرائيلي فان الحكم الاسرائيلي « لا يتدخل ولا يحاول ان يفرض اي شيء على السكان ضد ارادتهم » . ويضيف الجنرال جازيت الى ذلك ان هدف الحكم العسكري من حيث المبدأ يمكن ان يلخص « في ضمان أن تتم ولادة العربي في المستشفى وحصوله على شهادة البلاد ونموه وحصوله على التعليم والزواج وتربية أطفاله والى ان يصل سن الشيخوخة دون مساعدة اي موظف حكومي اسرائيلي وحتى دون أن يقع نظره على واحد من هؤلاء » .

الجسور المفتوحة : وهي « اوضح مظاهر سياسة اعادة الحياة الى مجراها الطبيعي » . وقد تكون هناك مخاطر قليلة نسبيا من جراء تجدد الاتصال بين عرب المناطق المدارة والعرب في الدول المحيطة ، الا « أن المكاسب من وراء فتح الجسور تفوق الخسائر » . وابتداء ، فان اسرائيل كانت خلال العشرين سنة السابقة « راغبة في الابقاء على « الحدود » البرية مفتوحة مع البلاد العربية » . ويتبع ذلك اذن ان اسرائيل « لن تكون البادئة باغلاقها » . واولى الخطوات التي اتبعت في هذا الشأن كانت تجديد النشاطات التجارية . فالمحصولات الزراعية اتجهت الى أسواقها الطبيعية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية . كما سمح باستيراد البضائع التي تنبع مصادرها الطبيعية من الضفة الشرقية . الخطوة الثانية تمثلت في السماح للسكان باختراق خطوط الهدنة فيما عدا اولئك الذين يمنعون لاسباب أمنية . والخطوة الثالثة تمثلت في السماح بالزيارة من الخارج بناء على اذن مسبق بذلك .

هذا ما قاله الجنرال جازيت شارحا المبادىء التي تقوم عليها سياسة ادارة الاحتلال في اعادة الامور الى ما كانت عليه عشية حرب ١٩٦٧ . ومع انه ليس في نيتنا ان نقوم هنا بعملية تقييم لمدى نجاح سياسة الحكم الاسرائيلي في المناطق المحتلة الا اننا نود ان نشير هنا الى ان اهم ما يمكن ان يساعد على نجاح اسرائيل في سياسة عدم الوجود مثلا هو التنظيم الخاص لقواتها المسلحة الذي يمنحها القدرة على الحركة السريعة والانتقال ضمن اقليم فلسطين محدود المساحة وعبر طرقها الجيدة خلال وقت قصير جدا الى اي مكان قد تدعو حاجات الامن الى وجودها فيه .

تلك هي اذن الاهداف القريبة لهذه السياسة الليبرالية المظهر ، تبقى اهدافها البعيدة . ومن أجل ايضاحها احيل القارىء على كتيب آخر صادر في لندن هذه المرة عن الجمعية

الانجليزية الاسرائيلية في يناير ١٩٧١ وهو بعنوان : اسرائيل والفلسطينيون . ويشتمل الكتاب على دراستين هامتين . واهمينهما تنبع اولا من اهمية المعلومات الواردة فيهما وثانيا من المركز الذي شغله كل من كاتبيهما قريبا من مواقع الحكم العسكري الاسرائيلي وثالثا لان احداهما تبدو مكملة في مضمونها وابعادها للاخرى . والدراستان هما في الاساس محاضرتان القيتا أمام الجمعية المذكورة في لندن خلال عام ١٩٧٠ . اولى الدراستين بعنوان « تجربة في التعايش » . ومؤلفها أقتصادي اسرائيلي يدعى دان باغلي عمل بعد حرب حزيران مباشرة كمستشار اقتصادي أول للحكم العسكري في المناطق المحتلة بعد أن خدم كضابط ركن خلال تلك الحرب . وقد أشار باغلي في دراسته الى مجموعة من الابحاث والدراسات بشأن المناطق المحتلة وسكانها سبق تقديمها الى الحكومة الاسرائيلية . أما الدراسة الثانية فهي بعنوان « مواقف سياسية في الضفة الغربية » . ومؤلفها هو دافيد فارحي المحاضر في كلية الدراسات الشرقية بالجامعة العبرية ومستشار الجنرال دايان للشئون العربية .

وقد رايت أن اقدم أولا ، دون تعليق ما أمكن ، مقتطفات من هاتين الدراستين ومما ورد في اولاهما من اشارات الى دراسات اخرى لسببين : اولهما لانهما تعكسان التفكير الصهيوني الاسرائيلي لاشخاص في مستوى عال من المسئولية في المؤسسة الحاكمة في الفترة التي تلت الانتصار الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ . وثانيهما لانهما تعكسان ما يمكن اعتباره خطة متكاملة بدليل الترابط الوثيق بين الافكار الواردة فيهما وفيما أشير اليه من دراسات في احداهما من ناحية وبين تلك الافكار والاجراءات التي سارت اسرائيل ولا تزال تسير عليها في ادارتها للمناطق المحتلة . وسأحاول ان ابين سلامة هذا الاستنتاج في الجزء الاخير من هذه المقالة .

يقول باغلي في دراسته « تجربة في التعايش » ان من بين الدراسات العديدة التي قدمت الى الحكومة الاسرائيلية فور انتهاء الحرب والتي استعملتها الحكومة منذ ذلك الوقت تلك التي وضعها الكولونيل احتياط يوفال نيئمان استاذ الفيزياء « اللامع » في جامعة تل أبيب والتي تضمنت مشروع خطة اولية للتسوية السياسية يشمل فيما يشمله انشاء كيان فلسطيني . ومع ان باغلي لم يضف الى ذلك شيئا بشأن هذه الدراسة « التي استعملتها الحكومة الاسرائيلية » او بشأن « الخطة الاولية للتسوية السياسية » الا ان كل ما كشفه من امور بعد ذلك توحي بأن دراسة نئيمان كانت القاعدة التي تم فوقها بناء خطة متكاملة لفرض « السلام الاسرائيلي » على الشعب الفلسطيني . ففي ٦٧/٦/١٢ قدم باروخ يكوتيلي من بنك لئومي والذي عمل بتكليف من موشه دايان كمسئول عن التنسيق الاقتصادي للضفة الغربية دراسة اكثر تفصيلا من سابقتها مستعينا في وضعها بالمدعو عزرا دانين الذي « يتمتع بصداقات حميمة » في الحكومة الاسرائيلية . وقد شملت هذه الدراسة كما يقول باغلي النواحي السياسية والمقترحات العملية المتصلة باقتصاد الضفة الغربية وموضوع العمالة فيها وكذلك خطة لتوطين اللاجئين* وقال انه في الوقت الذي نقلت فيه هذه المقترحات والمخططات الى الجهات المختصة عكف الخبراء والموظفون الكبار في الادارة العسكرية على العمل لمواجهة المشاكل الملحة العاجلة واهمها الوصول بالحكم العسكري الى مستوى يضمن للسكان في الاراضي المحتلة « مستوى من المعيشة يعادل على الاقل ذلك المستوى الذي بلغوه في ظل الحكم الاردني » . ومن اجل ذلك قررت الحكومة الاسرائيلية ان تخلق العمل للعمال الفلسطينيين ... مع ادراكها أن البطالة اذا كانت شديدة فانها تصبح « سببا في متاعب ومشاكل اقتصادية وأمنية » .

---

* ذكرت صحيفة الجيروزاليم بوست الصادرة في ١٩٦٧/٦/٢٢ ان اسرائيل ، بانتظار عقد اتفاق سلام مع الدول العربية ، في صدد انشاء هيئة خاصة تدعى مصلحة اعادة توطين واسكان اللاجئين .

والجديد ظاهريا في هذه الدراسة الثانية كما هو واضح هو موضوع توطين اللاجئين الذي يبدو وكأنه متلازم مع انشاء الكيان الفلسطيني طبقا للخطة الاولية التي أعدها البرفسور نئيمان . كما يبدو ان التوطين كما يفكر فيه المخططون الاسرائيليون هو اولا نقل اللاجئين من قطاع غزة الى الضفة الغربية ثم « توطينهم » (بمعنى ترويضهم) مع سكان الضفة الغربية ، بما فيها من لاجئين ، على القبول بواقع اسرائيل والتعايش معه وان مدخلهم الى ذلك هو رفع مستوى معيشتهم من ناحية والتلويح لهم باستعدادها لاحترام قدر « معقول » من آمالهم الوطنية . ويقول بافلي ان « استمرار التعايش بين الفلسطينيين واسرائيل ، على افتراض استمرار حرية التجارة والانتقال بغض النظر عن التسوية السياسية النهائية ، يتطلب زيادة سريعة في الدخل الفلسطيني وان ذلك كان هدف مذكرة ثالثة قدمت الى رئاسة الوزارة الاسرائيلية في تموز ١٩٦٩ » . وهذه المذكرة الثالثة ذات اهمية خاصة لاكثر من سبب . فهي تنطلق من نفس المنطلقات التي تميزت بها المذكرتان السابقتان وتضيف اليهما من التفصيلات او التعديلات بقدر ما يجعلها متممة لهما من حيث التخطيط واقرب الى التحقيق من حيث التنفيذ . وقد تضمنت هذه المذكرة برنامجا أعدته « جماعة ريحوفوت » التي أسسها عاموس دي شاليت الذي كان قبل وفاته مؤخرا أحد ابرز علماء معهد وايزمن بالتعاون مع باروخ يكوتيلي السابق الاشارة اليه . (وتضم هذه الجماعة مجموعة من علماء المعهد بالاضافة الى بعض اساتذة جامعتي القدس وتل ابيب وعددا من كبار موظفي الحكومة)

لعل أبرز ما في هذا البرنامج الذي قيل بأنه « يستهدف تطوير المناطق المحتلة اقتصاديا ويؤدي الى خلق عوامل السلام والعلاقات الطبيعية بين اسرائيل وجاراتها » ، انه يتوقع ان تتضمن نتائجه « المساعدة على حل مشكلة اللاجئين » . وان عامل الوقت في تنفيذه « هو في غاية الاهمية » . كما يلفت النظر ان من اهداف البرنامج تصيرة الامد « زيادة حركة العمل خاصة من قطاع غزة الى الضفة الغربية » . وان من شأن نجاحه ان يجعل من الضفة الغربية بمثابة « هونج كونج الشرق الاوسط » وتطوير مينائي اسدود وغزة « بحيث ينافسان مرفأ بيروت لاغراض الترانسيت من والى الاردن » . كما يشير الى ضرورة البحث عن « الوسائل الكفيلة لخلق سياسة فتح الجسور مع لبنان على غرار ما هو قائم مع الاردن » .

والسؤال بعد ذلك يدور حول البرنامج العملي الذي يمكن ان يحول الضفة الغربية الى مستعمرة اسرائيلية على غرار « هونج كونج » او الى محمية اسرائيلية على أحسن تقدير ، وكيف يمكن ان يتم ذلك برضاء وتقدير سكان هونج كونج الفلسطينيين وموافقة الدول (الصينية الشعبية) العربية الضمنية . والجواب يبدأ ، كما أدركته سرائيل دوما، بالفلسطينيين ولكنها اليوم ترى مدخلا آخر للتعامل معهم . فقد وضعت جماعة ريحوفوت برنامجا مفصلا من شأنه ، اذا تحقق ، ليس فقط ان يرفع مستوى معيشة ابناء الضفة الغربية بل ويقلل من الفارق الكبير بين مستوى المعيشة لديهم ومثيله الاسرائيلي وذلك بغرض التوحيد بين الاقتصاد الاسرائيلي واقتصاد الضفة الغربية او بمعنى آخر اخضاع اقتصاد الضفة الغربية كلية لمتطلبات الاقتصاد الاسرائيلي. ويتحدث البرنامج ، بالقدر الذي نشره بافلي في دراسته ، عن مشاريع متعددة صناعية واقتصادية وزراعية وسياحية بالاضافة الى مشاريع متعددة تتصل بقطاع الخدمات العامة من طبية وغيرها ، ترك جماعة ريحوفوت ضرورة تنفيذها وان تطلب الامر بمعونات مالية اجنبية . ويقول بافلي بأن هناك دلائل على ان برنامج جماعة ريحوفوت قد ترك اثره في نفس جولدا مائير . فقد عهدت عند تشكيل حكومتها في كانون الثاني ١٩٦٩ الى الوزير شمعون بيريز « مسئولية الاهتمام بالفلسطينيين » . ويتعاون بيريز في ذلك مع جماعة

ريحوفوت علما بأن احد اعضائها ايحود افرييل يعمل في نفس الوقت مستشارا رسميا له وكذلك مع باروخ يكوتيلي الذي لعب دورا هاما كما لاحظنا في اعداد معظم الدراسات التي قدمت للحكومة الاسرائيلية بشأن معالجة العقدة الفلسطينية في الاراضي المحتلة . وسواء صح ما يقوله بافلي من ان جماعة ريحوفوت رأت ان لا تقترح اية حلول سياسية كيلا تحرج الحكومة فقد تولى هو ايضاح بقية الخطوات في الطريق الى الحل الاسرائيلي. ويبدأ بالقول بأن « كل انسان يعلم انه من المستحيل اكراه الفلسطينيين على حب اسرائيل » . ويؤكد أن معاهدة الصلح لا تضمن ، بحد ذاتها ، الامن في الشرق الاوسط. « ان المشكلة الاساسية تدور حول خلق حالة ذهنية من شأنها ان تزيد امكانية الثقة المتبادلة وارادة التعايش » ... وان السنوات الثلاث الاخيرة « شهدت بداية بعض التعايش الا أن الامر يحتاج الى مزيد من المبادرة الاسرائيلية نحو حل موضوعين هما في الاساس يكملان بعضهما بعضا : اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين وانشاء الكيان الفلسطيني » .

ويرى بافلي ، خلافا لراي البعض في اسرائيل ، ان حل مشكلة اللاجئين بصفة منفصلة وقبل التوصل الى تسوية كاملة « له حسناته النفسية والاقتصادية والسياسية » كما يقول بان برنامج التوطين يجب ان يضمن الاستفادة من التعويضات في «اقتصاد منتج». أي أن القسم الاكبر منها يجب ان يعطى في شكل بضائع ومعدات صناعية وان يتم ذلك من خلال « مؤسسة استثمار » تكون اسرائيل « قادرة على توجيه سياستها » وتحصل على جزء كبير من تمويلها من « قروض رخيصة أو هبات تقدم من الاقطار الغربية » . وان « من المعتقد ان جزءا من هذه الاموال متوافر حاليا بالفعل » . ويرى بافلي ان نظام المؤسسة يجب ان يتضمن ، ضمن اشياء اخرى ، تقديم تعويض كامل لعرب القدس الشرقية (التي ضمتها اسرائيل رسميا بعد حزيران ١٩٦٧) عن ممتلكاتهم في «اسرائيل» وبطريقة مماثلة « لغيرهم من المواطنين الاسرائيليين » . وان التعويض يجب أن يقدم في مكان الاقامة الحالي للاجئين لانه اذا حصر باللاجئين الخاضعين لاسرائيل فان ذلك سوف يؤدي الى « زيادة الضغط من غيرهم من اللاجئين للعودة من أجل الاستفادة من هذا التعويض » كما يجب ان يقدم « تعويض نقدي كامل للاجئين الذين يختارون الهجرة من الشرق الاوسط » . ويختم بافلي حديثه عن التوطين بقوله ان « التحسين التدريجي لمستوى المعيشة واستمرار التجارة الحرة عبر الحدود من شأنها في المدى الطويل ان تجعل من الممكن تطوير سوق مشتركة شرق اوسطية تشترك فيها كل من الاردن والضفة الغربية واسرائيل وربما لبنان » .

الى جانب التوطين يرى بافلي ، كما يرى واضعو الدراسات السابق ذكرها ، ضرورة قيام اسرائيل بالعمل على خلق الكيان الفلسطيني . وتمهيدا لشرح الخطوات اللازم اتباعها لتحقيق هذا الغرض يعرض مثالا غريبا يعتقد ان بالامكان الاستعانة به في تمثل الكيان الفلسطيني العتيد . والمثال على اي حال قريب من « هونج كونج » جغرافيا وسياسيا .

يقول بافلي « انه لا يوجد في التاريخ المعاصر علاقات شبيهة بتلك القائمة بين اسرائيل والعرب في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة . الا أنه من الممكن الاستفادة من السابقة التي وضعها الاميركيون في علاقاتهم مع اليابان بعد احتلالها في العام ١٩٤٥ . فقد ساعدت الحكومة العسكرية الاميركية اليابانيين في اعادة تنظيم نظامهم الاقتصادي ومؤسساتهم المدنية لخلق حكومة ديمقراطية مستقلة . ولم يوقع الاميركيون معاهدة صلح مع الحكومة اليابانية الا في العام ١٩٥٤ اي بعد تسع سنوات من الاحتلال وبعد اجراء انتخابات حرة . وحتى اليوم فان الاميركيين لا يزالون يحتفظون بقوات عسكرية دفاعية في اليابان . كما ان لديهم فيها قواعد عسكرية وبحرية . وبالرغم من هذا الوجود

الاميركي فان احدا لا يشك في المعاناة اليابانية الكاملة او في وفرة ما لديهم واستقلالهم عن الاميركيين في كافة الامور بما في ذلك السياسة الخارجية والمجالات الاقتصادية وغيرها » . واذا كان من المؤكد ان كثيرين يشكون في مدى استقلال النظام الياباني القائم عن الاميركيين بمن فيهم قطاع كبير من الشعب الياباني نفسه فان هذا ليس موضوع البحث . المهم هو النموذج الياباني الذي يجب ان تلوح به اسرائيل تمهيدا لانشاء الكيان الفلسطيني كما يحاول أن يصوره بافلي في تلك الحلة الزاهية .

والكيان الفلسطيني هذا كيف يتم انشاؤه ؟ يقول بافلي ان الطريقة الى ذلك تكون من خلال تشجيع الفلسطينيين على تسلم مسئولية ادارة شئونهم بهدف الوصول الى : ١ ــ انشاء حكومة مدنية مستقلة ذاتيا . ٢ ــ انشاء اتحاد اقتصادي يضم اسرائيل والكيان الفلسطيني .

يقول بافلي ان تطوير الحكم المدني يجب أن يتم تدريجيا مع الاخذ بعين الاعتبار التوقيت الصحيح لكل خطوة . وهذا يشمل سلسلة من المواضيع . فالقوانين الاردنية السائدة في الضفة الغربية « يجب ان تعدل وتصبح عصرية بحيث يمكن اجراء انتخابات ديمقراطية حقيقية » . وكخطوة أولى يجب اجراء الانتخابات لرؤساء البلديات ومجالسها ... وان المراحل الديمقراطية التالية يجب ان تتم « بالتعاون والتشاور مع الوجهاء والذوات العرب الذين تتوافر فيهم الشجاعة والاهتمام الكافي للمشاركة في مواجهة التحديات حتى عند احتمال اتهامهم بالخيانة » . وان مثل هذه الحكومة المدنية يجب ان تكون « في النهاية » مسئولة عن كافة الامور الداخلية « بما في ذلك المشاكل البلدية والاشراف على الشرطة المحلية واصدار تصاريح الخروج » ... ومع زيادة قوة الحكومة المدنية « فان مسئولية الاسرائيليين المدنية سوف تتلاشى تدريجيا ». الا انه يجب ان يبين للفلسطينيين بوضوح « ان امنهم سوف يجري ضمانه لعدة سنوات (ضد من ؟) بواسطة قوات الدفاع الاسرائيلية » . وان الانتقال من مرحلة الى اخرى « سوف يعتمد على رغبة الفلسطينيين في تحمل المسئوليات التي تتطلبها تلك المراحل . ومن الواضح ان الانتخابات الاقليمية سوف تلي الانتخابات البلدية وان الحكومة الوطنية سوف تقوم فقط بعد ان يقرر الفلسطينيون انفسهم المساعدة على منع الارهاب ... وشرط موافقتهم على ان القدس سوف تبقى موحدة وان كان هناك احتمال بامكانية اقامة عاصمتهم في بعض أجزاء القدس الشرقية كبعض الاحياء الشمالية او الشرقية » .

ومسك الختام في كلام بافلي قوله ان موضوع الحدود « لا يحتاج الى حل الا بعد الوصول الى مرحلة متقدمة من انشاء الكيان الفلسطيني. الا انه يجب تسويته قبل اتفاقية السلام النهائية وبعد التأسيس الكامل لحرية الانتقال لكافة المواطنين اليهود والعرب عبر اي جانب من الحدود » . وهو يرى ، في اشارة مختصرة الى مصير سكان غزة ، بأن نفس العملية يجب ان تتم في القطاع ولكن ليس بذات السرعة لان من الواضح ان تنفيذها يعتمد على رغبتهم في التعاون وهو امر لا يتوقع ان يتحقق قبل مراقبتهم لسير العملية في الضفة الغربية . واذا نجح التقدم نحو الديمقراطية « فان جيلا جديدا من القادة السياسيين ، غير معروفين حتى الان يمكن توقع ظهورهم . ولسوف يكونون أصغر عمرا واقل ارتباطا بالتقاليد واكثر انفتاحا على طرق التفكير والعمل الحديثة والتي يمكن ان يكونوا قد اكتسبوا بعضها في اسرائيل ». وهو يقول بأن مما حال دون قيام القيادة الفلسطينية المستقلة في المناطق المحتلة خلال السنوات الثلاث الاولى من عمر الاحتلال عدم تشجيع اسرائيل للفلسطينيين على تنظيم انفسهم سياسيا وتعلق آمالهم ببعض القادة العرب مثل عبد الناصر و « فرقعات السلام » التي بدأت مع بادرة وزير الخارجية الاميركية روجرز . وقد كانت القيادة الفلسطينية « المرجوة » موضوع المحاضرة التي القاها أمام الجمعية الانجليزية الاسرائيلية في لندن دافيد فارحي المحاضر في الجامعة

العبرية ومستشار موشه دايان للشئون العربية . وهو هنا يتحدث عن القيادة التي يرى انها ستنشأ في الضفة الغربية والتي اذا توصلت الى نوع من التسوية بين الفلسطينيين واسرائيل فانها سوف تكون مثلا يحتذيه سكان غزة .

وفي البحث عن القيادة الفلسطينية الجديدة يتساءل فارحي عن الجماعات المكونة للراي في الضفة الغربية . وهو يقسم هذه الجماعات الى اربعة أقسام : الجماعة الاولى تشمل أعضاء « المؤسسة الاردنية السابقة » الذين كانوا مرتبطين بشكل او بآخر بالحكومة الاردنية كرؤساء البلديات والوزراء السابقين واعضاء البرلمان والسفراء السابقين وكبار الموظفين . ويقول ان مركز هؤلاء في المجتمع كان بشكل او بآخر متصل بالحكومة الاردنية كما ان لهم مصلحة في مستقبل تلك الحكومة . الجماعة الثانية وتشمل اعضاء الاحزاب السياسية من الاخوان المسلمين في اقصى اليمين الى الشيوعيين في اقصى اليسار مرورا بالبعثيين والقوميين العرب والذين لعبوا دورا هاما في تجنيد الشباب في منظمات المقاومة . الجماعة الثالثة وتشمل المثقفين غير الملتزمين من خريجي الجامعات العربية والذين تأثروا بالعقائد القومية والراديكالية ولكنهم بعد عودتهم الى الاردن ورغم امتلائهم بالنقد للنظام فانه لم تكن لديهم الشجاعة الكافية لممارسة النقد علنا مكتفين بممارسة النقد في مجالسهم الخاصة والاستقرار في وظيفة حكومية مريحة . اما الجماعة الرابعة فهي التي تضم الاغلبية الصامتة من رؤساء البلديات الصغيرة والمخاتير ورؤساء الغرف التجارية ووجوه القرى الخ ..

ويقول فارحي ان رد فعل الجماعة الاولى بعد حرب حزيران تمثل اجمالا بالصمت « فليس لدينا ما نقوله . ان حكومتنا في عمان اذهبوا وتفاوضوا معها ». أما الجماعة الثانية التي تضم اعضاء الاحزاب فقد نشطت ، فور انتهاء الحرب ، في محاولات تنظيم حركة المقاومة المدنية للسلطات العسكرية من خلال الاضرابات والتظاهرات وتوزيع المنشورات الى ان أصبحوا يجندون الشباب في المنظمات الفدائية التي ترتبط بأحزابهم . أما بالنسبة لجماعة المثقفين غير الملتزمين فيقول فارحي بانهم وجدوا انفسهم فجأة قادرين على ان يعبروا عن آرائهم بالشئون السياسية طالما كان الامر متعلقا بابداء الراي دون الفعل. ويقول بأن أفراد هذه الجماعة ، يلتفون حول جريدة القدس التي تنشر ما يتراءى لهم من آراء وتعليقات «حيث لا رقابة على ما تنشره الا بالنسبة للامور ذات الاهمية العسكرية». وأما بالنسبة للاغلبية الصامتة فهي في نظره التي قبلت المساعدات الاسرائيلية الفنية في المجالات الزراعية والتي عملت في « اسرائيل » وصوتت في الانتخابات البلدية في مدينة القدس .

ويتساءل فارحي عن الاحداث الهامة في تطور المواقف السياسية لدى سكان الضفة الغربية . ويجيب على ذلك بقوله : المرحلة الاولى تميزت بالصدمة . لقد كانوا ينتظرون معجزة تهبط عليهم من مكان ما لحل الورطة التي وقعوا فيها . انتظروا يارنج ومجلس الامن ومؤتمرات القمة العربية وغيرها ... الى ان « استعادوا أحاسيسهم فأخذوا يتساءلون حول امكانية عودة الامور الى ما كانت عليه وعن شروط ذلك ... »

وهنا بدأت المرحلة الثانية حوالي منتصف سنة ١٩٦٩ عندما تصوروا ان بامكانهم « أن يلعبوا دورا في تقرير مستقبلهم من خلال القيام بدور الرسول بين اسرائيل والدول العربية » . واضاف بأن نفرا من وجهائهم قام بزيارة القاهرة وطلبوا من الرئيس عبدالناصر ان يوافق على أن يفاوضوا اسرائيل بشأن مستقبلهم على أن يعرضوا عليه بعد ذلك نتيجة هذه المفاوضات . « الا أن عبدالناصر رفض ذلك الاقتراح بشدة وقال لهم بأنه لا يهمه مصير ٧٠٠ الف فلسطيني في الضفة الغربية وانما مصير الامة العربية » . وانه لهذا السبب لم يتردد لحظة باجلاء مليون مصري عن الضفة الغربية للقنال وان

« دوركم الجديد وواجبكم الوحيد هو العودة ومقاومة الاحتلال الاسرائيلي اكبر قدر ممكن » . ويقول فارحي بأن ذلك كان بمثابة صدمة قوية لهم عادوا بعدها ينتظرون تطور الاحداث دون أن يجراوا على اتخاذ اي موقف يتعلق بالامور السياسية العامة .

اما المرحلة الثالثة فتميزت كما يقول فارحي باستعدادهم لاتخاذ مواقف ، كلامية وفعلية ، في أمور تبدو عادية ولكن لها في نظره أهمية سياسية بعيدة المدى . ويضرب على ذلك بعض الامثلة منها كما يقول عقد اتفاق بين شركة كهرباء القدس العربية والتي تملك بلدية القدس وبلديات المدن العربية المجاورة ٦٠ ٪ من أسهمها مع وزارة العدل الاسرائيلية بشأن موضوع تمثيل « بلدية القدس الموحدة » في مجلس ادارتها وتزويد الاحياء والمؤسسات اليهودية في شرقي القدس بالكهرباء من مولداتها ، رغم معارضة كل من الحكومة الاردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية لذلك على اعتبار ان هذا الاجراء يتضمن اعترافا ضمنيا بتدي كوليك كرئيس لبلدية القدس الموحدة . ومنها ايضا ، كما يقول ، اصرار المجلس الاسلامي في القدس على اصلاح المسجد الاقصى من آثار الحريق المعروف رغم معارضة كل من الاردن ومصر لاصلاحه قبل تحريره من الحكم الاسرائيلي . ويخلص فارحي من ذلك الى القول بأن مثل هذه المواقف المستقلة والناتجة عن العيش والعمل المشتركين تعتبر عاملا يبشر بالخير عند معالجة موضوع الحرب والسلام شديد التعقيد .

يقول بافلي في دراسته ان الحكومة الاسرائيلية احجمت خلال السنوات الثلاث الاولى التالية لحرب ١٩٦٧ عن « اتخاذ اي قرار سياسي بالنسبة لمستقبل المناطق المحتلة » محاولا في ذلك الايحاء بأنها لم تحاول الانفراد بتقرير المستقبل السياسي للمناطق المحتلة . وهناك بعض الحقيقة في هذا القول . الا انها لا ترى بالعين المجردة . وهذه الحقيقة كما نراها في ضوء كل ما سبق ان اسرائيل تريد أن تصل الى ذلك القرار بموافقة سكان الضفة الغربية ، او بمعنى أصح « القيادة الجديدة » التي تأمل في بروزها بالضفة الغربية من خلال الاوضاع الجديدة التي تعمل على خلقها فيها منذ حرب حزيران ١٩٦٧ . وهي ان كانت لم تصل الى اتخاذ « القرار السياسي » فمن المؤكد انها تتخذ منذ ذلك التاريخ الخطوات التنفيذية التي يصبح معها ، وبانتهائها ، ذلك القرار وكأنه تحصيل حاصل . وهذا هو بالضبط ما يجري تحقيقه من خلال فرض سياسة الامر الواقع التي اتبعها الصهاينة منذ ان بدأوا في ترسيخ اقدامهم في فلسطين تحت ظل الحراب البريطانية . ولا عجب اذن ان يرد في ختام تقرير جماعة ريحوفوت المقدم الى رئيسة الحكومة الاسرائيلية انه بالرغم من ان لديها مستشاريها الذين سوف يقومون بدراسة البرنامج المقترح قبل قبوله كليا او جزئيا فان « سلسلة من الخطوات العملية يمكن اتخاذها فورا دون ان تلزمها بتبني البرنامج بأكمله » . ولا عجب ايضا ان يرد في كلام بافلي تأكيد لهذا النمط من التخطيط الصهيوني التقليدي اذ يقول ان الخطوات التنفيذية لكل من التوطين وانشاء الكيان الفلسطيني « يجب ان تتم على مراحل متعددة على أن يؤخذ بالاعتبار ما أمكن عدم اعتماد أية مرحلة من المراحل على الاخرى » .

ان سياسة الامر الواقع التي تتبعها اسرائيل في الضفة الغربية تشير بوضوح الى ان « القرار السياسي » الذي تأمل بالتوصل اليه مع « القادة الجدد » سيقوم يقينا ، ان قام، ضمن اطار عدم اعادة المناطق المحتلة ، جغرافيا وسياسيا واقتصاديا وبشريا ، الى الاوضاع التي كانت عليها عشية حرب ١٩٦٧ . الا ان ما يميز سياسة الامر الواقع التي تتبعها اسرائيل مع سكان المناطق المحتلة اليوم عن تلك التي اتبعتها منذ بداية عملها على ارض فلسطين وحتى حزيران ١٩٦٧ هو الاسلوب الذي جرى تطبيقها من خلاله والذي

سبق ان استعرنا من أجل وصفه تعبير دبلوماسية البنج بونج او الدبلوماسية الشعبية . ان استذكار الامثلة التي اوردناها في مطلع هذه المقالة بدءا من « فتح الجسور » وانتهاء « بالانتخابات البلدية » مقروءة في ضوء البرامج والمذكرات والدراسات المشار اليها آنفا هي مؤشرات كافية على صحة ما نقول مع الاخذ بعين الاعتبار عشرات المستعمرات شبه العسكرية التي جرت اقامتها على طول الضفة الغربية من نهر الاردن وفي اماكن اخرى عديدة من الضفة الغربية وقطاع غزة بدعوى ضرورتها لحاجات الامن .

وكما تميز المثل الصيني على دبلوماسية البنج بونج باستثمار الوضع النفسي للشعب الاميركي الناجم عن استمرار الحرب الفيتنامية والمأزق السياسي الذي كانت تعيشه الولايات المتحدة محليا ودوليا نتيجة تورطها في تلك الحرب ، فان دبلوماسية اسرائيل المماثلة تتميز باستغلال الوضع النفسي للفلسطينيين الخاضعين لاحتلالها وللمأزق السياسي الذي تعيشه الانظمة العربية المعنية محليا وعربيا ودوليا بسبب النتائج التي تمخض عنها العدوان الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ، والتي تتحمل الجزء الاكبر من مسئولياتها .

ان استغلال اسرائيل للوضع النفسي لعرب المناطق المحتلة والمأزق السياسي الذي تعيشه الحكومات العربية يتجسد مثلا في جميع الاجراءات السابق ذكرها . ونكتفي هنا بالاشارة الى ثلاثة منها :

المثل الاول : سياسة الجسور المفتوحة : لقد تركتها اسرائيل مفتوحة منذ البداية ثم تشددت في وضع القيود على الحركة عبرها بازدياد شدة المقاومة الفلسطينية . ثم اخذت في التخفيف منها بشكل بارز بعد احداث تموز ١٩٧١ في الاردن . وهكذا يرتاح نفسيا لهذا التخفيف كثيرون من اصحاب المصالح والمواطنون العاديون في المناطق المحتلة وخارجها لانهم يرون فيها خطوة نحو التخفيف من متاعبهم وآلامهم الشخصية والعائلية ووسيلة تسهل عليهم وعلى اقاربهم واصدقائهم الالتقاء والاتصال . وهم اجمالا ، وبسبب تلك الظروف الخاصة التي يعيشونها منذ حرب ١٩٦٧ ، لا يرون في تخفيف الاجراءات عبر الجسور اكثر من هذا لانها لم تغلق ابدا .

ومن ناحية اخرى ، وبسبب المأزق السياسي الذي يجد النظام الاردني نفسه فيه منذ حرب ١٩٦٧ فانه لن يكون قادرا ، ان اراد ، على التشديد من القيود المفروضة على الانتقال عبر الجسور . فاذا شدد منها تضاعفت الشكوك والاتهامات ضده لدى المواطنين غربي النهر ، وان تماشى معها خدم الاهداف الاسرائيلية ، شاء أم أبى ، اكثر فاكثر . ذلك ان سياسة فتح الجسور هي نفسها التي يرى فيها قادة اسرائيل ومفكروها خطوة كبيرة نحو السلام الاسرائيلي الذي يريدون فرضه على العرب . ويقول بافلي في ذلك : « عندما تكون الحدود مغلقة لا يكون هناك سلام » . وان سياسة الجسور المفتوحة « تحمل في طياتها ما هو اكثر من العوامل الانسانية او الاقتصادية . ذلك ان التعايش الحقيقي، وفي النهاية السلام ، يمكن فقط ان يتحقق عندما تكون شعوب الاقطار المعنية مطلقة الحرية في الانتقال وممارسة التجارة والتجول في البلاد المتجاورة . وهذا ما حققه الاسرائيليون » . ومحصلة هذا الكلام هو ما تردد كثيرا في تصريحات ومقالات صحفية اسرائيلية من انه من غير المعقول ان تغلق الجسور زمن السلم طالما انها ظلت مفتوحة زمن الحرب .

المثل الثاني : العمل العربي داخل اسرائيل : لقد وافق الكثيرون من عمال المناطق المحتلة على العمل داخل « اسرائيل » لانه لم يكن أمامهم بسبب الاوضاع التي وجدت الضفة الغربية نفسها فيها نتيجة الحرب والتي لا مجال هنا لشرحها ، سوى البقاء او الهجرة فآثروا البقاء استجابة لنداء الصمود . الا انه كانت لاسرائيل أهداف اخرى من عرض العمل عليهم وبأجور تزيد بقدر ملحوظ عما اعتادوا تقاضيه في الاعمال المماثلة داخل

الضفة الغربية . وهذه الاهداف لم تكن جميعها مستوحاة من دواعي الامن على النحو السابق بيانه . فمن يعلم ان معظم هؤلاء العمال يستدرجون من الريف الفلسطيني يدرك ان من بين الاهداف التي تخدمها هذه السياسة اقتلاع الفلاح الفلسطيني من أرضه أي اضعاف التصاقه بها وبالتالي اضعاف ولائه الموروث لها . وينتج عن ذلك اهمال الارض الزراعية لدرجة تصبح معها تستصرخ من يرعاها . وهنا تتكرر قصة الاستعمار الذي يأتي بالمهاجرين البيض لاحياء واستغلال خيرات الارض التي « تركها » اصحابها .

كما تشمل تلك الاهداف ، فيما تشمله ، رفع مستوى المعيشة لدى الطبقة العاملة ، وبالتالي لدى سكان الضفة الغربية ، بحيث يصبح الاحتفاظ بهذا المستوى مع الزمن ومن الناحية النفسية دافعا للابتعاد عن فكرة العودة الى وحدة الضفتين او بمعنى آخر احد الاغراءات المتصلة باقامة الكيان الفلسطيني بالضفة الغربية . ومن يدرس آثار الازدهار الاقتصادي في المانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية يدرك صلتها بالتطور الذي طرأ على التعلق الالماني التقليدي بالوحدة الالمانية . ناهيك بأثر تباين مستوى المعيشة بين الدول العربية على مدى التعلق بفكرة الوحدة في كل منها . ومن ناحية اخرى فان من الطبيعي ان يعجز الاردن ، بسبب المأزق السياسي المذكور في ايجاد حل لمشكلة البطالة في الضفة الغربية ، هذا ان اراد .

المثل الثالث : الانتخابات البلدية : ان تفويض الموظفين العرب ورؤساء البلديات في المناطق المحتلة بممارسة اعمالهم السابقة وقيام اسرائيل بتنفيذ اجراءاتها وقوانينها على المواطنين من خلال هؤلاء ادى بطبيعة الحال الى التخفيف من عوامل الاثارة والاحتكاك . الا انه أدى كذلك الى عدم احساس اصحاب المصالح بوطأة الاحتلال طالما انهم استمروا في انهاء معاملاتهم من خلال نفس الاشخاص او المؤسسات التي كانوا يتعاملون معها قبل الاحتلال . وهذا هو بالضبط هدف قاعدة « عدم الوجود » التي سارت عليها حكومة اسرائيل بعد الاحتلال . لذلك ، وعندما تهدد اسرائيل من اجل نجاح سياستها باجراء الانتخابات لرؤساء ومجالس البلديات في الضفة الغربية بأنها ستقوم بتعيين موظفين اسرائيليين على راس كل بلدية تجري مقاطعة الانتخابات فيها ، فان من شأن ذلك ان يدفع الكثيرين هناك الى التخوف ، خطأ أم صوابا ، من نتائج هذا التهديد على سير معاملاتهم وقضاياهم البلدية . ومن شأن نشوء مثل هذا التخوف ، رغم اعتقادنا بعدم جدية التهديد الاسرائيلي لانه يتنافى مع اهداف قاعدة « عدم الوجود » ، ان يدفع بالبعض الى استغلاله من خلال ترشيح انفسهم لهذه الانتخابات اما لاسباب تتصل بالزعامة العائلية والمحلية او لقناعتهم بأن البلدية قد تكون السلم الذي يمكن ان يتسلقوه وصولا الى تحقيق الكيان الفلسطيني خاصة وان الحكم الاسرائيلي يتعامل مع البلديات بصفتها اعلى جهة عربية مسئولة في المناطق المحتلة . وهكذا تكون اسرائيل قد حققت من خلال هذه الانتخابات أملها في بروز «قيادة فلسطينية» جديدة تتطلع الى خلق الكيان الفلسطيني على الطريقة الاسرائيلية .

ويبدو ان من بين اسباب سكوت الحكومة الاردنية مؤخرا عن دعوة المواطنين في الضفة الغربية لمقاطعة هذه الانتخابات ليس فقط خشيتها من آثار فشل تجاوبهم معها ولكن خشيتها ايضا من اضطرارها الى سلوك واحد من سبيلين احلاهما مر في حالة ما اذا نفذ الاسرائيليون تهديدهم بتعيين مسئولين يهود عن البلديات . فهي اما ان تقبل التصديقات والبيانات الصادرة عن هؤلاء المسئولين اليهود فيما يتعلق بالوثائق والشهادات التي يضطر اصحاب المصالح من ابناء الضفة الغربية الحصول عليها هناك لتقديمها للجهات المختصة في عمان ، الامر الذي قد يفسر بأنه اعتراف ضمني بسلطات الاحتلال وتعاون مكشوف معها . او ان تعمد الى رفضها فيزداد تعقيدا مأزقها السياسي في مواجهة ابناء الضفة الغربية .

ومن خلال هذه الامثلة وغيرها يتضح ان اهداف اسرائيل القريبة من هذه الاجراءات ذات المظهر الليبرالي هي استغلال الوضع النفسي لسكان المناطق المحتلة والمأزق السياسي الذي تعيشه الانظمة العربية المعنية منذ نهاية حرب ١٩٦٧ بحيث يصبح انموذج الحياة الجديدة امرا مرغوبا في استمراره . وحيث ان ذلك لم يتحقق الا من خلال حرية الانتقال الى اسرائيل عبر خطوط الهدنة السابقة، وهي التي يسميها الاسرائيليون بالخط الاخضر، والى العالم العربي عبر الجسور المفتوحة فان امكانية قبول التعايش مع اسرائيل تصبح تائمة كحالة ذهنية جديدة لدى ذلك القطاع الكبير من المنتفعين من تلك الاجراءات .

ولما كان الهدف الاسرائيلي البعيد من هذه الاجراءات هو حل العقدة الفلسطينية فان السبيل الى ذلك يصبح اغراء الفلسطينيين الخاضعين لحكمها بامكانية السماح لهم باقامة كيانهم الفلسطيني الخاص والذي يمكنهم من خلاله « حكم انفسهم بانفسهم » مع الاستمرار بجني ثمار تلك الاجراءات السابق شرحها . فاذا اصبح « الكيان الفلسطيني » مطلبا عاما او شبه عام أمكن اسرائيل التنازل لسكان الضفة الغربية عن حكمها لقاء الثمن الذي انتظرته طويلا . وهو عقد صلح منفرد بينها « والقادة الجدد » يعترفون بموجبه فيها اي يتنازلون لها باسم الشعب الفلسطيني المقيم على ارضه عن ذلك الجزء منها الذي اقامت دولتها عليه . ولن يكون موضع بحث في مثل هذه الحالة بطبيعة الحال مسألة المستعمرات الاسرائيلية التي اقامتها اسرائيل في طول الضفة الغربية وعرضها اذ تبقى عندئذ ليس فقط ضرورات امنية لاسرائيل وانما للكيان الفلسطيني العتيد . وقد لا يمضي وقت طويل قبل ان يتبين للجميع ان مثل هذا الكيان سوف يكون فيه ، ان قام ، من سمات ومعالم « البانتوستان »* الافريقية اكثر مما فيه من سمات او معالم « هونج كونج » كيلا نقول « اليابان » وان مواطنيه لن يتمتعوا بحق سياسي واحد من الحقوق التي تتمتع بها دولة مستقلة ذات سيادة . ولن يكون وضع الكيان باحسن من وضع « الترانسكاي » ، أول بنتوستان افريقي في اتحاد جنوب افريقيا ، الذي يمارس الاشراف على المسائل الداخلية مع وجود موظف ابيض في كل دائرة من دوائر حكومتها يمارس من خلالها القيادة والوصاية . ومن يشك في ذلك فعليه ان يقرأ بامعان بعض افكار مخططي السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة والتي اشرنا اليها فيما سبق ومقارنتها مع الخطوط الرئيسية للسياسة المطبقة في جنوب افريقيا بالنسبة للبانتوستان .

وفي الوقت الذي سوف يحمل فيه « الشعب الفلسطيني » مسئولية تصفية قضيته فان الانظمة العربية سوف تجد في هذا الصلح المنفرد الذي قام عليه الكيان مبررا كافيا لغسل ايديها رسميا ونهائيا من القضية والتوصل بالتالي الى صلح معها ضمن شروط السلام الاسرائيلي . وهي نفسها التي بينها وزير خارجية اسرائيل ابا ايبان امام الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩٦٨/١٠/٨ واهمها ، بالاضافة الى اقامة الحدود الآمنة والمعترف بها، « اقامة حدود مفتوحة على غرار ما هو قائم في اوروبا الغربية والتعاون الاقليمي بينها والدول العربية المحيطة » .

وفي غيبة الوعي العربي لكل ما تمثله اسرائيل من مخاطر على مصير الامة العربية ومع استمرار المأزق السياسي والعسكري الذي تعيشه الدول العربية المحيطة منفردة ومجتمعة وانعدام الرغبة او القدرة لديها جميعا على انتهاج الطريق الجذري للتصدي لاسرائيل والحاق الهزيمة بها ، ومع استمرار اسرائيل في طرد العناصر الفلسطينية الطليعية التي تقاوم مخططاتها بشتى الوسائل المحدودة التي لديها ، تبقى الطريق امام اسرائيل «سالكة» لتحقيق خطتها في حل العقدة الفلسطينية . ولن يقولن قائل : كيف تقيم

---

* Bantustans هي الكيانات الذاتية التي اقامها نظام حكم الاقلية البيضاء في اتحاد جنوب افريقيا في ١٢٪ من مساحة البلاد لحل عقدة الاغلبية الافريقية التي تشكل ٧٠٪ من السكان .

اسرائيل كيانا فلسطينيا في ارض فلسطين وهي التي كان هدفها دوما تصفية الشعب الفلسطيني وليس فقط قضيته . ذلك ان الوسيلة الجديدة التي ابتدعتها اسرائيل بعد ١٩٦٧ هي هذا الكيان بذاته وبكل معطياته التي سبق شرحها . فبالاضافة الى الانقسامات الشديدة التي تتوقع اسرائيل قيامها بين ابناء هذا الشعب ، قبيل قيام هذا الكيان وفي اعقابه ، فان « هونج كونج » او « اليابان » او بمعنى أصح « البانتوستان » الفلسطينية لن تظل فلسطينية الا للفترة اللازمة لوصول العدد الكافي من المهاجرين اليهود الجدد الذين سوف يتولون تباعا استلام الاعمال التي يقوم بها عرب المناطق المحتلة حاليا والذين سوف يقومون تباعا بالاقامة في بيوتهم واراضيهم بعد هجرتهم منها هجرة طوعية هذه المرة وبحثا عن لقمة العيش شرقي النهر وما هو الى الشرق منه او غربي الساحل وما هو الى الغرب منه .

تلك هي الاهداف النهائية لاسرائيل . وهي التي تخدم مبرر وجودها : اي ان تكون دولة يهودية تتسع للملايين الخمسة عشر من اليهود الذين لا يزالون يقيمون في « المهجر » ان رغبوا جميعا في الهجرة اليها وذلك في نطاق اقليمي يطابق ما امكن حدود الدولة الاسرائيلية الحلم التي سوف يستمر تطويرها بحيث تصبح الدولة الاقوى اقتصاديا وعسكريا من خلال تحويل البلاد العربية الى « مجال حيوي » تستخدم فيه امكاناتها وطاقاتها الانتاجية والفنية والعلمية ، الحالية منها والمستقبلة وبالتالي فرض وجودها على العرب كدولة قائمة لا تقهر ولا تزول .

ولسوف نتحقق هذه الاهداف اذا استمرت الامة العربية كلها عاجزة حتى عن الحركة أو ردة الفعل ازاء كل ما تقوم به اسرائيل من جهد في تفرغ كامل ودون توقف من اجل تحقيقها وخلافا لما يظنه الكثيرون فان اسرائيل بالرغم من هذا التهالك والتسابق العربي الرسمي للوصول الى تسوية سياسية معها عن طريق اي وسيط فانها عازفة عن عقد اية تسوية مع اية دولة عربية قبل استغلال ما تراه فرصة ذهبية لحل العقدة الفلسطينية مرة واحدة والى الابد من خلال الفلسطينيين الذين سقطوا تحت انيابها ضحية التخاذل والعجز وروح الاستسلام العربية وعبر القادة الجدد الذين تأمل في ظهورهم بعد استكمال الانتخابات البلدية والاقليمية في الضفة الغربية .

الا انه بالرغم من كل النكسات والهزائم التي نعيش آثارها والمأزق السياسي والقومي الرهيب الذي يلف الدنيا العربية يبقى زمام المبادرة للخروج من هذا المأزق في يد ابناء فلسطين . هم وحدهم وبالرغم من كل ما اصابهم ، لا يزالون قادرين على الحركة ، شرط ان تتجه هذه الحركة الى الداخل لتحول قبل كل شيء دون وقوع الكارثة .

في حياة عبدالناصر ألقت الامة العربية المسئولية كلها على اكتافه . وكانت أكبر من أن يتحملها فقضى . ووقفت الامة صامتة منذئذ بلا حراك . وكذلك فعلت عندما بدا ان البديل هو حركة المقاومة الفلسطينية الى ان حدث لها ما حدث فتحول الصمت الى ما يشبه الشلل في أجزاء الجسد العربي بأكمله . ولقد حان الوقت لكي تبعث الحياة في هذا الجسد . أفليس اجدى ان يترك لعوامل الطبيعة وحب البقاء وضرورات المستقبل ان تفعل فعلها فيه حتى يستقيم وينهض على قدميه ؟

المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون

هاني عبدالله

انعقد في القدس المحتلة ما بين الثامن عشر والثامن والعشرين من كانون الثاني الماضي المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون . ولقد انفرد هذا المؤتمر عن المؤتمرات السابقة التي عقدت بعد قيام اسرائيل ببعض الميزات . والميزة الرئيسية هي انتخاب المندوبين للمؤتمر بواسطة انتخابات اشتركت فيها المنظمات والاحزاب الصهيونية التي وقعت على « برنامج اورشليم » الذي أقره المؤتمر السابق ، واعتبر التوقيع عليه شرطا للاشتراك في الانتخابات . أما في اسرائيل فلقد تم توزيع حصتها من المندوبين التي بلغت ٢٠٠ مندوب بين الاحزاب الصهيونية المختلفة حسب نسبة تمثيلها في الكنيست الاسرائيلي بعد افراد عشرة مقاعد لبعض التنظيمات غير الحزبية مثل اتحاد الطلاب الاسرائيلي وغيره من التنظيمات العاملة في اسرائيل مثل الفيتصو (Wizo) وهداسا. ولقد كان لحزب العمل الاسرائيلي العدد الاكبر من المندوبين الاسرائيليين ، اذ حاز على ٨٠ مقعدا من أصل الحصة المخصصة لاسرائيل . ومن الجدير بالذكر ان المبام لم يشكل تجمعا مع حزب العمل كما هي الحالة الآن في البرلمان الاسرائيلي ، ونفس الشيء بالنسبة لكتلة « جاحال » المؤلفة من حزبي الحيروت ــ الليبراليين ، فهما أيضا قد ظهرا منفردين في المؤتمر . الميزة الثانية ، كون المؤتمر يتطرق لاول مرة للناحية الاجتماعية في الدولة الصهيونية : نظرا للآثار السلبية التي تركتها حركة الفهود السود التي ظهرت مؤخرا مفجرة للتناقضات الاثنية التي كانت كامنة في المجتمع الصهيوني داخل اسرائيل. وهذه التناقضات برزت بشكل حاد الى السطح عقب دفعات الهجرة التي أخذت بالارتفاع نسبيا بعد حرب حزيران . فالتمييز والتسهيلات التي تقدمها أجهزة السلطة الصهيونية لصالح المهاجرين الجدد (الاشكناز) فجرت النقمة الكامنة في نفوس ابناء الطوائف الشرقية من اليهود ، وذكرتهم بماضيهم وواقعهم المر . ولهذا اقيمت لجنة لبحث قضايا ومشاكل المجتمع الاسرائيلي . ميزة ثالثة للمؤتمر انه أول مؤتمر يحتل فيه الشباب نسبة من التمثيل قاربت ثلث المندوبين (هآرتس ٧٢/١/٢٠) . ولقد رحبت أجهزة الاعلام الصهيونية والاسرائيلية على وجه الخصوص بهذا الحدث ، ورأت فيه دليلا على حيوية واستمرارية الحركة الصهيونية ، وعلى ان جيل الابناء سيبعث رسالة الآباء من جديد ولكنها حذرت من ظواهر عدم الانضباط والتمرد . كما وطالبت جيل الآباء بابداء التفهم لروح الشباب المتمردة وباستيعاب هذه الروح والاستفادة منها. وظاهرة التمرد عند الشباب غير مقتصرة على الاحزاب العمالية الصهيونية ، بل تشمل معظم الاحزاب والمنظمات الصهيونية . الى جانب هذه الميزات ، لم يخل المؤتمر من المشاكل سواء تلك التي رافقت مرحلة الاعداد للمؤتمر ، وبالذات اجراء الانتخابات أو تلك التي واجهها أثناء انعقاده ، هذا بالاضافة الى المشاكل التقليدية التي تتركز حول توزيع المناصب والصراع على النفوذ داخل المنظمة بين الاحزاب الاسرائيلية الصهيونية وبالذات حزب العمل الصهيوني وبين المنظمات الصهيونية العاملة خارج اسرائيل .

فبالنسبة للمشاكل المتعلقة بالانتخابات فقد كانت هناك عدة اتهامات من قبل بعض الاحزاب والمنظمات الصهيونية المنضمة الى المنظمة الصهيونية العالمية او غير المنضمة ، حول شرعية اسلوب الانتخابات وحول الدعاية التي كان يقوم بها بعض الاحزاب الصهيونية ، وعلى وجه الخصوص حزب العمل الصهيوني في الخارج ، حيث كان يصور عدم التصويت له بمثابة اعتراض على سياسة الحكومة الاسرائيلية ، هذه الدعاية اثارت حزب المبام ، شريك حزب العمل في التجمع العمالي الحاكم في اسرائيل . وقد بحثت سكرتارية الاتحاد العالمي لاحزاب المبام هذا الامر في اجتماعها الذي عقدته قبيل انعقاد المؤتمر الصهيوني وطلبت من ممثلي حزب المبام في التجمع العمالي — المعراخ بحث هذا الامر (عل همشمار ٧٢/١/٦). كما واثارت بعض المنظمات بعض التحفظات حول اسلوب اجراء الانتخابات ، ورفع هذا الامر الى محكمة المؤتمر التي أقرت بشرعية وقانونية الاسلوب الذي اتبع .

من القضايا الاخرى التي واجهت المؤتمر كانت قضية الفهود السود وقضية الحاخام مئير كهانا زعيم عصبة الدفاع اليهودية . فكلا التنظيمين هددا بعرقلة أعمال المؤتمر اذا لم يعطيا حق الاشتراك فيه . غير ان المؤتمر لم يستجب لكلا التنظيمين ، ففي حين عرضت الادارة الصهيونية على الفهود السود تقديم عريضة بمطالبهم ومشاكلهم الى لجنة قضايا المجتمع الاسرائيلي ، ذلك العرض الذي رفضه الفهود السود ، فانها توصلت مع الحاخام مئير كهانا على طرح قضية اشتراكه في المؤتمر على الجمعية العمومية للمؤتمر ، ووافق الطرفان على الالتزام بقرار الجمعية ، وهزم كهانا بأغلبية ساحقة . غير ان كهانا لم يقر بالهزيمة واستأنف القرار أمام محكمة المؤتمر التي رفضت بدورها الاستئناف قبل النظر فيه نظرا للتصريحات التي كان قد أطلقها كهانا سابقا معبرا عن عدم ثقته بالمنظمة وبالمحكمة حيث اعتبرت هذه التصريحات اهانة واستخفافا بالمحكمة . ولقد كانت المعارضة الرئيسية للحاخام كهانا تتمثل في المنظمات الصهيونية الاميركية وفي شباب اغلب الكتل المشتركة ولا سيما المبام . بينما الجهات الوحيدة التي أيدت كهانا كانت اليمين الاسرائيلي الشوفيني المتمثل في حركة الحيروت والمركز الحر في الداخل بالاضافة الى الاحرار المستقلين وفي اتحاد الصهيونيين التصحيحيين في الخارج . ولقد حاولت زعامة كتلة المفدال — المزراحي في المؤتمر اتخاذ قرار بتأييد كهانا لكن شباب الكتلة استطاعوا اتخاذ قرار معاكس لرغبة الزعامة . ومن الجدير بالذكر ان موقف الصهيونية الرسمية أو ما يسمى بالصهيونية الدبلوماسية من قضية الحاخام كهانا وعصبته لم يكن موقفا مبدايا من الحاخام كهانا ونشاطاته التي تعلن أحيانا عن « تحفظها » منها ، ولكنه كان بسبب عدم تماشي الحاخام وعصبته مع الاصول التي اقرتها الادارة الصهيونية فيما يختص بحق الكلام والتمثيل في المؤتمر . وعندما طرحت التسوية التي توصلت اليها الادارة مع الحاخام كهانا على الجمعية العمومية للمؤتمر ابدى رئيس الادارة الصهيونية آريه بينكوس رأيه في الموضوع قائلا «هناك مؤسسات وهناك طرق ولا يحق لمن لا يتماشى مع هذه المؤسسات ولا يسير حسب الاصول المتبعة أن يطالب بحق الكلام في المؤتمر » (هآرتس ٧٢/١/٢١) . وحقيقة الموقف من كهانا وعصبة الدفاع اليهودي ليست نابعة من التحفظات التي تبديها المؤسسة الصهيونية تجاه بعض النشاطات التي تمارسها عصبة الدفاع اليهودي ، بل ترجع الى رغبة المؤسسة الصهيونية في اخضاع المنظمات الصهيونية العاملة في «المهجر» لاشرافها وجعلها في خدمة اغراضها ، ولذلك نراها أحيانا تتحفظ من بعض نشاطات بعض المنظمات الصهيونية ، لكونها لم تنسق هذه النشاطات معها . فالقضية تتركز في الصراع القديم بين المؤسسة الصهيونية الحاكمة في اسرائيل وبين باقي المنظمات الصهيونية العاملة في الخارج ، حول النفوذ في الحركة الصهيونية وحول دور هذه

الحركة ومدى خضوعها للسياسة الرسمية الاسرائيلية . ولقد كانت الغلبة دائما في هذا الصراع للمؤسسة الصهيونية في اسرائيل ، وبالذات لحركة العمل الصهيوني . أما موقف المنظمات الصهيونية الاميركية من عصبة الدفاع اليهودي فناجم بالدرجة الاولى عن عدم رضاها عن اسلوب عمل العصبة في اميركا ، الامر الذي يتعارض مع مصالحها هناك . فالاسلوب الارهابي الذي تعتمده العصبة في نشاطاتها السياسية وخصوصا فيما يتعلق بنشاطاتها من أجل حق اليهود السوفييت في الهجرة الى اسرائيل (القاء المتفجرات علي مقر البعثات السوفييتية وغير السوفييتية) لاقى معارضة من باقي المنظمات الصهيونية الاميركية . يضاف الى هذا التحريض الذي تقوم به العصبة ضد المنظمات الصهيونية في اميركا وضد قادتها بالذات متهمة اياهم بغض النظر عن ظواهر اللاسامية الاخذة في التزايد في الولايات المتحدة ثم كونهم لا يقومون بالهجرة شخصيا الى اسرائيل ، وبهذا يضربون مثلا سلبيا للاخرين (لقد قام كهانا نفسه بالهجرة مؤخرا الى اسرائيل ، حيث بدأ باقامة فرع للعصبة في اسرائيل) .

أما مشكلة الفهود السود فهي أخطر بكثير من المشكلة الاولى . والحكومة الاسرائيلية تخشى من مضاعفاتها ، ولقد حاولت السلطات الاسرائيلية احتواء هذه الحركة منذ بدايتها باستمالة واسترضاء بعض المتزعمين لها . لكن جميع محاولات السلطة لم تنجح حتى الان في ضرب هذه الحركة ، بل أن الدلائل تشير الى ازدياد قوتها . والسبب الكامن وراء عدم اعطائهم حق الكلام امام المؤتمر ناجم عن عدم رغبة السلطة الاسرائيلية في تعكير مزاج المندوبين الصهاينة والجو الاحتفالي الذي يحيط بالمؤتمر . ثم خشيتها من التأثيرات السلبية التي من الممكن ان يتركها كلام الفهود السود على قضية الهجرة الى اسرائيل التي كانت وما زالت النقطة الاولى في اهتمامات الحركة الصهيونية . ان حركة الفهود السود ظهرت كتعبير عن حالة التذمر والتململ في اوساط اليهود الشرقيين من التمييز وعدم المساواة الذي يعاني منه هؤلاء اليهود في جميع مجالات الحياة. والملاحظ ان الموقف من المهاجرين الجدد والهجرة آخذ في التصاعد ، كما ان هناك بعض الافراد بين اعضاء الحركة الذين اصبح عندهم وعي اشمل يتعدى المنطلق الطائفي لاوضاع اليهود الشرقيين . فبينما كان الموقف من الهجرة والمهاجرين في بداية الحركة يتلخص في هذا الشعار « نعم : للهجرة ، لا : للتمييز » : نرى اليوم أن الموقف أصبح اكثر جدية واكثر وعيا ، فلقد نشرت الصحف بيانا موقعا من منظمة الصباريم (مواليد البلاد) الذين يعانون من ضائقة السكن ورد فيه ما يلي : « أعلم أيها القادم الجديد بأننا لن نسمح لك بأن تسرق انت واصحابك حقوقنا في هذه الدولة . **اعلم بانك اداة في يد السلطة** ، اعلم بأن الشباب الذين ولدوا وحاربوا في هذه الدولة مضطهدون بسببك ، فأنت تهضم حقوق العائلات الكثيرة الاولاد وحقوق الازواج الشباب . اعلم بأنه حين قدومك الى البلاد ووصولك مطار اللد سيستقبلك الالاف باكاليل الورود ، ولكن عند وصولك القدس سيستقبلك آلاف الصباريم بالاعلام السوداء . أيها المهاجر الجديد ان المعابر (التخشيبات) تنتظرك ، الرجاء أن تجربهم ودعنا نجرب مكانك الشيكونات (بيوت السكن) الحديثة » (معريف ٧٢/١/١٠) . والتقرير الذي قدمه مدير مؤسسة التأمين الوطني أمام لجنة قضايا المجتمع الاسرائيلي ، يبين لنا الظلم والتمييز اللاحق باليهود الشرقيين . فقد ورد في هذا التقرير ما يلي : « ان ١٠٪ من مجموع العائلات الاسرائيلية يعيشون في ظروف اقتصادية رديئة ، ولكن هذه العائلات تربي ٤٠٪ من مجموع الاولاد . بمعنى ١/٢ مجموع عدد الجيل القادم ، ان نسبة قليلة جدا من هؤلاء الاولاد ينهون المرحلة الثانوية ، او يصلون الى رتبة ضباط في الجيش الاسرائيلي . وبالمقابل فهناك ظاهرة ترك المدارس بين هؤلاء الاولاد والاتجاه نحو أعمال « الزعرنة » . هنالك فقط شاب واحد من بين ٢٠ شابا من اليهود القادمين من آسيا وافريقيا يصل الى

مرحلة التعليم العالي ، مقابل هذا فالنسبة بين اليهود الاوروبيين تصل الى واحد من كل ثلاثة . » (عل همشمار ٧٢/١/٢١) . ان رفض المؤتمر السماح للممثلين عن حركة الفهود السود بالتحدث من على منصة الخطابة وامام هذا الحشد من الصهاينة من مختلف انحاء العالم وفي مناسبة احتفالية كهذه ــ ذكرى مرور ٧٥ عاما على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية ــ كان طبيعيا ومتماشيا مع منطق الصهيونية ، الذي يتيح ويرحب بالنقد الموجه للمنظمات والاحزاب الصهيونية في الداخل والخارج ، طالما ان هذا النقد هدفه المزيد من الفعالية من اجل المزيد من المهاجرين والمزيد من الاموال لدعم الكيان الصهيوني . ان التبريرات التي أعطيت بهذا الصدد غير مقنعة ، خصوصا اذا علمنا بأنه قد خصصت عشرة مقاعد من حصة اسرائيل للتنظيمات غير الحزبية، وكان بالامكان اعطاء بعض هذه المقاعد لمندوبين عن حركة الفهود السود ، ولا سيما ان الفهود السود لم يعلنوا يوما ما بأنهم غير صهيونيين كباقي المنظمات والاحزاب التي استثنيت ، مثل راكاح ، متسبين وغيرها . لكن السلطات الاسرائيلية كانت تخشى امرين اثنين : اولا : أن ظهور الفهود السود في المؤتمر معناه اعتراف رسمي بالمنظمة وهذا ما لا تريده السلطة الاسرائيلية . ثانيا : أن ما سيطرحه الفهود السود حول أوضاع الطوائف الشرقية سيفضح زيف الشعار الصهيوني بأن دولة اسرائيل هي دولة جميع اليهود في العالم . وحجم الرفض والاصرار عند السلطة الصهيونية تجسد بالصورة الوحشية التي قمعت بها تظاهرة الفهود السود أمام مباني الامة في القدس وكانت هذه اولى الظلال الشاحبة حول المؤتمر .

التحضيرات للمؤتمر

شملت التحضيرات للمؤتمر مرحلتين : المرحلة الاولى كانت مرحلة اجراء الاحصاء الصهيوني في مختلف البلدان التي تتواجد فيها الطوائف اليهودية، ولهذا الغرض أقيمت في القدس هيئة خاصة في شباط ١٩٧٠ من اجل تنفيذ قرار اللجنة التنفيذية الصهيونية الذي اتخذ في تموز ١٩٦٩ بهذا الخصوص ، ولقد انتهت عملية الاحصاء في حزيران ١٩٧١ . وتدل النتائج النهائية للاحصاء على أن مجموع الذين تسجلوا في عضوية المنظمة الصهيونية العالمية ، بلغ ٨٩٨،١٤٦ عضوا من أصل ٨،٢٨٩،٤٥٠ يهوديا في تلك البلدان التي جرى فيها الاحصاء ، ولقد توزع الاعضاء على البلدان المختلفة حسب الجدول المبين ادناه : (عل همشمار ٧٢/١/١٨) .

اسم البلد	عدد اليهود	عدد الاعضاء	اسم البلد	عدد اليهود	عدد الاعضاء
١ ــ النمسا	٨،٢٠٠	١،٥٠٢	١٤ ــ الهند	١٥،٠٠٠	٠،٧٠٢
٢ ــ اوستراليا	٧٢،٠٠٠	١٢،٤٥٤	١٥ ــ هولندا	٣٠،٠٠٠	٢،٣٦٨
٣ ــ اوروغواي	٥٤،٠٠٠	٨،٤٠٠	١٦ ــ جمهورية ايرلندا	٥،٤٠٠	٠،٧٢٥
٤ ــ ايطاليا	٣٠،٠٠٠	٣،٥٠٠	١٧ ــ فنزويلا	١٢،٠٠٠	١،٨٠٠
٥ ــ اكوادور	٢،٠٠٠	٠،١٥٠	١٨ ــ زمبيا	٨،٠٠٠	٠،١٥٦
٦ ــ الارجنتين	٥٠٠،٠٠٠	١٩،٦٦٠	١٩ ــ اليونان	٦،٥٠٠	٠،٤١٥
٧ ــ الولايات المتحدة	٥،٨٨٠،٠٠٠	٦٤٥،٦١٦	٢٠ ــ المكسيك	٣٦،٠٠٠	٣،٣٥٠
٨ ــ بوليفيا	٤،٠٠٠	٠،٢٥٠	٢١ ــ اميركا الوسطى	٥،٦٥٠	٠،٩٢٧
٩ ــ البرازيل	١٥٠،٠٠٠	١١،٥٠٠	٢٢ ــ النرويج	٠،٧٥٠	٠،٢٣٤
١٠ ــ بريطانيا	٤١٠،٠٠٠	٦٩،٥٠٠	٢٣ ــ نيوزيلندا	٣،٥٠٠	٠،٣٤٧
١١ ــ المانيا	٣٠،٠٠٠	٢،٥٣٠	٢٤ ــ فنلندا	١،٤٥٠	٠،٣٢١
١٢ ــ الدانمارك	٦،٠٠٠	١،٢٣٩	٢٥ ــ براغواي	١،٢٠٠	٠،١٣٠
١٣ ــ جنوب افريقيا	١١٤،٠٠٠	٢٣،٠٠٠	٢٦ ــ بيرو	٤،٠٠٠	١،١٠٠

٢٧ ــ تشيلي	٣٥،٠٠٠	٢،٠٠٠	٣١ ــ روديسيا	٤،٨٠٠	١،٧٨٦
٢٨ ــ فرنسا	٥٣٥،٠٠٠	٤١،٠٦٠	٣٢ ــ السويد	١٥،٠٠٠	٢،٠٧٤
٢٩ ــ كولومبيا	١٠،٠٠٠	١،٣٥٠	٣٣ ــ سويسرا	٢٠،٠٠٠	٥،٠٠٠
٣٠ ــ كندا	٢٨٠،٠٠٠	٣٢،٠٠٠			

لم يشمل هذا الاحصاء كما هو مبين في الجدول السابق، اسرائيل والاتحاد السوفياتي، ولقد برر هذا الامر بالنسبة لاسرائيل بأنه عملية غير ضرورية ، فاليهودي الموجود في اسرائيل ، يكون قد طبق عمليا اهم الاسس في الايديولوجية الصهيونية ، اي الهجرة الى « ارض ــ اسرائيل ». لكن هذا الراي لم تتقبله بعض الاوساط الصهيونية في اسرائيل ، رغم موافقتها على أن الهجرة هي الواجب الاول الذي يتحتم على كل صهيوني نأديته . وحول هذه النقطة بالذات وما ترتب عليها من عدم اجراء انتخابات للمؤتمر في اسرائيل ، وبالتالي توزيع الحصة المخصصة لاسرائيل بين الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية على أساس النسب المئوية القائمة في الكنيست ، نشرت صحيفة معريف سلسلة من المقالات في ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٧٢/١/١٢ تحت عنوان « هل نحن صهيونيون » يتعرض فيها الكاتب لهذه النقطة ، ويشير الى ان هناك بعض الاحزاب والتنظيمات في اسرائيل تصرح علنا بأنها غير صهيونية ، كما ويضيف كاتب المقالات بأن النسب المئوية للاحزاب في الكنيست تشمل أصوات الناخبين العرب ، لذلك فهذه النسب غير دقيقة ، وبالتالي فلا يجوز اعتمادها كأساس لتقسيم المقاعد في المؤتمر .

أما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد تعذر اجراء الاحصاء وبالتالي الانتخابات ، نظرا لعدم وجود منظمات صهيونية عاملة هناك . ولكن تقرر أن يسمح لممثلين عن اليهود السوفييت بالاشتراك في المؤتمر بصفة مراقبين اي دون حق التصويت . لقد اعتبرت السلطات الصهيونية عملية الاحصاء وما نتج عنها حدثا هاما في تاريخ الحركة الصهيونية، ورات فيها دليلا حيا على حيوية الحركة وعلى قدرتها على مجابهة التحديات الجديدة ، وعلى أن العقيدة الصهيونية ما زالت البديل الوحيد للانسان اليهودي في المهجر الذي يبحث عن ذاته . ولقد فسر المدير العام للوكالة اليهودية ، موشه رفلين ، هذا الدفع والانبعاث الجديدين في الحركة الصهيونية ، في حديث له لصحيفة يديعوت احرونوت نشر في ٧١/٣/١٩ بما يلي : ١) ان الايديولوجيا في وقتنا الحاضر تلعب دورا رئيسيا في حياة الشباب ، ولقد أصبح واضحا للشباب اليهودي ان العقيدة الصهيونية باستطاعتها التصدي بنجاح لظاهرة اليسار الجديد ، وعلى انها تشكل عاملا محفزا للشباب المثالي . ٢) ان التطورات الاخيرة في العالم الغربي وخصوصا اميركا ، جعلت اليهود هناك ينتبهون الى الاخطار المحدقة بامكانية عيشهم حياة يهودية وبمستقبل أبنائهم . فظواهر اللاسامية والهيبيين واليسار الجديد التي تتهدد هؤلاء الشباب اليهود باخطار الانصهار والاندماج في المجتمعات الاوروبية جعلتهم يرون في الصهيونية أكثر من مجرد تعبير عن التضامن مع اسرائيل، بل عقيدة تجيب على القضايا التي يواجهها الانسان اليهودي. ٣) ثم هناك التطورات والانبعاث الاخير بين يهود الاتحاد السوفياتي. هذا الانبعاث لا يشكل ثورة صهيونية في اوساط اليهود السوفييت فحسب، بل هو عامل مستنفر ، كانت له أصداء لدى جميع اليهود وعلى وجه التخصيص ، الجيل الجديد .

ولقد رافق عملية الاحصاء ، الى جانب دفع رسوم العضوية للمنظمة ، التوقيع على « برنامج اورشليم » الذي اقره المؤتمر السابق . كما واعتبر هذا البرنامج ، البرنامج الصهيوني الانتخابي العام ، ولذلك كان التوقيع عليه شرطا أساسيا للاشتراك في الانتخابات . ولقد أدى هذا الشرط الى عدم اشتراك المنظمة العالمية للطلاب اليهود W.J.S. في تلك الانتخابات ، لانها رفضت التوقيع عليه ، واقترحت برنامجها المعروف بأسم « برنامج عراد » بديلا له .

اما المرحلة الثانية من الاعداد للمؤتمر ، فقد كانت عملية اجراء الانتخابات نفسها . ولقد اشرفت الاتحادات الصهيونية المحلية على سير الانتخابات وتنظيمها . ولقد خصص لكل تجمع صهيوني اقليمي عدد من المندوبين يتناسب مع حجمه ، وبالرغم من عدم اجراء الانتخابات للمؤتمر في اسرائيل ، فان الاحزاب الاسرائيلية الصهيونية ، شاركت في هذه الانتخابات عن طريق فروعها في الخارج . ومن الجدير بالذكر ان هذه الفروع لم تظهر جميعها بالاسماء الحالية للاحزاب الاسرائيلية . غير أن اسماء هذه الفروع غالبا ما تكون هي ذاتها الاسماء القديمة التي عرفت بها الاحزاب الصهيونية الحالية قبل قيام دولة اسرائيل . فأسماء بوعلي ــ تصيون ، الصهيونيين العموميين ، الصهيونيين التصحيحيين ، وحركة همزراحي ، هي الاسماء القديمة لحزب العمل الصهيوني ، الليبراليين ، الحيروت والمفدال على التوالي . غير انه الى جانب هذه الاحزاب ، خاضت الانتخابات أيضا منظمات صهيونية غير حزبية مثل منظمة نساء هداسا ومنظمة فيتصو ، وكلتاهما منظمتان نسائيتان غير حزبيتين تقومان بجمع المساعدات المالية والمساهمة في المشاريع الثقافية والاجتماعية في اسرائيل . لقد جرى التنافس في هذه الانتخابات على مستويين ، مستوى حزبي،بين الاحزاب والمنظمات الصهيونية المختلفة. اما المستوى الثاني فقد ظهر بشكل صراع بين الاجيال ، شمل معظم الاحزاب والمنظمات . وبوادر هذا الصراع أو ما سمي « بتمرد الشباب » فيما بعد برزت في المؤتمر السابق ، حيث تذمر الشباب من سيطرة الزعامة التقليدية في الحركة وبعدم افساحهم المجال للشباب للمساهمة اكثر في نشاطات الحركة الصهيونية ، ولاصلاح هذا الوضع كان الشباب وراء الدعوة لاجراء انتخابات للمؤتمر الحالي ، وكانت المنظمة العالمية للطلاب اليهود من انشط التنظيمات في هذا الحقل . ولقد اعترف رئيس قسم التنظيم والاعلام في الادارة الصهيونية بهذا الضغط الذي مارسه الشباب، ولكنه ادعى بأنه لم يكن العامل الوحيد ، لان الادارة نفسها رات ضرورة تجديد واحياء التراث الديمقراطي في الصهيونية في الحقل التنظيمي . ولقد علق المدير العام للوكالة اليهودية موشه رفلين على سير الانتخابات والمشاكل التي جابهتها بقوله : « اذا كان هناك من يدعي بأن الانتخابات جرت كما نحب ان تجري فهو مخطىء ، لانه كانت هناك عراقيل ومشاكل ، ولكن يجب أن لا ننسى اولا : بأن الامر يتعلق بانتخابات تجري في الحركة لاول مرة منذ ١٩٤٦ . وثانيا : باننا اثبتنا كوننا التنظيم الدولي الوحيد الذي تنتخب مؤسساته بشكل ديمقراطي » . (معاريف ٧٢/١/١٦) . اما بخصوص نسبة المصوتين في الانتخابات فلم تكن عالية وفي بعض الاحيان اثارت الاهتمام والاستغراب في آن واحد . ان أعلى نسبة كانت في سويسرا واوستراليا حيث بلغت ٦٥٪ ، اما في جنوب افريقيا ذات التقاليد الصهيونية العريقة فلم تتجاوز نسبة المصوتين ٥٨٪ (عل همشمار ٧٢/١/٩) . أما صحيفة معاريف فتشير في نفس العدد المذكور اعلاه الى انخفاض عدد المقترعين ، كنتيجة لعدم ادارة الانتخابات بشكل ناجح ، ففي فرنسا مثلا بلغ عدد المصوتين ١٤ الفا من أصل ٤٠ الفا ممن وقعوا على « برنامج اورشليم » . وفي الولايات المتحدة بلغ عدد المقترعين ١٥٠ الفا من أصل ما يقارب ٦٥٠ الفا أيضا .

ان اجراء الانتخابات في الحركة الصهيونيةظاهرة تستدعي الوقوف عندها بعض الوقت. وما قيل عن الضغوط التي مارسها الشباب وعن شعور الادارة بضرورة احياء التراث الديمقراطي في الحقل التنظيمي ، لم يكن في الحقيقة سوى المظهر الخارجي للهدف من وراء اجراء الانتخابات . لقد مارس الشباب الضغوط ، وحظيت ممارستهم هذه بمباركة الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية ، وبالذات حركة العمل الصهيونية ، فاذا وضعنا في الصورة النزاع القديم على السيطرة والنفوذ داخل الحركة الصهيونية الذي

رافق قيام دولة اسرائيل ، يمكن ان تتضح لنا الاهداف الحقيقية لهذه الانتخابات . فالصهيونية الاسرائيلية تسعى لاخضاع المنظمة الصهيونية العالمية اخضاعا تاما لاهدافها ، بينما كان هناك اتجاه في الحركة الصهيونية العالمية للمحافظة على نوع من الاستقلال من ناحية ، وعلى محاولة التوجيه واخذ زمام المبادرة في بعض القضايا السياسية بعكس رغبة القيادة الصهيونية في اسرائيل . وخير مثل على هذا الامر النزاع مع غولدمان وما آل اليه من استقالة غولدمان من منصب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، ثم الضربة الاخيرة التي وجهتها الصهيونية الاسرائيلية لغولدمان حين استطاعت اتخاذ قرار في الادارة الصهيونية بالغاء الدعوة التي كانت موجهة اليه لالقاء الخطاب الاحتفالي بمناسبة مرور ٧٥ عاما على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية . لقد رات القيادة الصهيونية الاسرائيلية في الانتخابات وسيلة لتعزيز نفوذها وسيطرتها على المنظمة الصهيونية العالمية ، ولذلك باركت ما سمي « بتمرد الشباب » واستغلت هذا الامر لزعزعة نفوذ القيادات الصهيونية في الخارج . وتمشيا مع هذا الهدف كثر الكلام عن ضرورة الاشراف ومراقبة عمل الاتحادات الصهيونية في الخارج بحجة مساعدتها في اعطاء صورة اوضح عما يجري في اسرائيل وعن سياسة اسرائيل .

بالنسبة لعدد المندوبين الذين يحق لهم التصويت فالاغلب ان عددهم ٥٥١ مندوبا ، غير أن ما ذكر عن عدد مندوبي كل حزب ومنظمة اشتركت في المؤتمر يعطينا رقما آخر يصل الى ٥٧٥ مندوبا موزعين كالآتي : حزب العمل الصهيوني : ١٦٣ مندوبا ، الصهيونيون العموميون : ٨٩ ، حركة همزراحي (المفدال) : ٨٣ ، الليبراليون وبضمنهم اتحاد الصهيونيين العموميين في الولايات المتحدة وجماعات اخرى صغيرة : ٧٣ ، الحيروت — اتحاد الصهيونيين التصحيحيين : ٤٩ ، منظمة النساء الصهيونيات ، هداسا : ٥٤ ، منظمة نساء فيتصو : ٢٠ ، المبام : ٣١ ، الليبراليون المستقلون : ١٣ ، والمجموع ٥٧٥ مندوبا . ويظهر ان هذه الارقام تحتوي على عدد من المندوبين الذين لا يحق لهم التصويت .

الشباب والمؤتمر

تضاربت التقديرات حول نسبة تمثيل الشباب في المؤتمر ، فبينما قدرت هآرتس ٢٠/١/٧٢ عددهم بثلث المندوبين ، نرى أن صحيفة عل همشمار ٢٤/١/٧٢ تقدر نسبة الشباب من ٢٠٪ — ٢٥٪ من المندوبين . وفي كلا الحالتين فان هذه الظاهرة تشكل تهديدا لمركز الزعامة الصهيونية التقليدية في المنظمة الصهيونية العالمية . وبالرغم من المساندة التي حظي بها الشباب عموما من قبل المؤسسة الصهيونية الاسرائيلية ، فقد اثاروا بتصرفاتهم غضب الزعامة الصهيونية المحلية والخارجية . ولقد علق رئيس المؤتمر ورئيس الادارة الصهيونية ، آرييه بينكوس على تصرف الشباب قائلا : « هناك قواعد ديمقراطية للتعبير عن الرأي من على هذا المنبر . ان حق الكلام يعطى بواسطة الكتلة ، ولا يحق لاي فرد أن يصعد الى المنصة اثناء المناقشة ليثبت وجوده (هآرتس ٢٠/١/٧٢) . أما وزير الداخلية ، يوسف بورغ (المفدال) فقد علق على تصرف الشباب قائلا « ان الحركة الصهيونية لن تسمح للارهاب بالسيطرة على هذا المؤتمر الجليل » (نفس المصدر) .

ولقد تركزت نشاطات الشباب حول مطلب اقامة لجنة فكرية الى جانب لجان المؤتمر القائمة . ولكنهم فشلوا في تحقيق اقامة لجنة كهذه . وكان قرار رئاسة المؤتمر بهذا الخصوص باجراء النقاش الفكري داخل لجنة التنظيم والاعلام ، التي فوضت ان تقترح امام الادارة الجديدة المنتخبة فكرة اقامة لجنة فكرية في المؤتمر القادم. ولقد راى الشباب في اقامة لجنة كهذه وسيلة لتحديد ملامح وطابع الحركة الصهيونية بشكل عام وواجبات الفرد الصهيوني بشكل خاص . بالاضافة الى تحديد مهمة الحركة الصهيونية في

السبعينات على ضوء الواقع الجديد والمتطلبات الجديدة . ولقد اشار هايني بورنشطاين (مبام) في مقال نشر في صحيفة عل همشمار في ٧٢/١/٦ تحت عنوان « افول الحركة او بداية التحول » ذكر فيه ان مهمة المؤتمر الثامن والعشرين هي تحديد موقع ومميزات المنظمة الصهيونية في المرحلة الحالية ، واعطاء هذه المرحلة اساسا فكريا يتناسب مع الزمن الحاضر ويشكل حافزا فكريا ومطلبا عمليا للجيل الجديد . ثم اشار الى ثلاثة عوامل تتطلب تحليلا وتحديدا : ١) أخطار الاندماج والانصهار التي ما زالت قائمة بين اوساط الجيل الجديد في العالم. ٢) مدى مركزية دولة اسرائيل بالنسبة ليهود المهجر. ٣) طابع المجتمع الاسرائيلي. واعتبر هايني هذه العوامل وحدة فكرية واحدة والربط بينها يجب أن يعبر عنه تصور ايديولوجي صهيوني شامل . وركز على ضرورة دمج المطامح القومية بفهم ونظرة اجتماعية تقدمية ، ثم أضاف مقررا بأن شكل واهداف البناء الاجتماعي في اسرائيل له اثر كبير على مقدرة الحركة الصهيونية في مخاطبة الاجيال الناشئة التي تسعى للربط بين التحرر القومي والتحرر الاجتماعي والبناء الاشتراكي .

هذه الاقوال ان دلت على شيء فانما تدل على الازمة الفكرية التي تعاني منها الصهيونية الحالية من ناحية وعلى الازمة التي يعاني منها الشباب اليهودي الصهيوني الذي يصطدم يوميا بالفكر اليساري الذي يفضح حقيقة الايديولوجية الصهيونية العنصرية والرجعية . وهذا الشباب الضائع فكريا عندما يحاول ان يضفي على العقيدة الصهيونية صفة التقدمية والاشتراكية يصطدم بواقع النظام الصهيوني في فلسطين وممارساته على الصعيد الدولي ، بمعنى ارتباطاته بالامبريالية العالمية والتجند في خدمة الاهداف الاستعمارية على النطاق العالمي . وهو لا يستطيع تفسير موقف الحركة الصهيونية من حركات التغيير والثورة الاجتماعية والسياسية في بلدان اميركا اللاتينية مثلا ، حيث تعتبر الحركة الصهيونية هذه التغييرات تهديدا لمصالح الجاليات اليهودية في تلك البلدان. ثم لا يستطيع ان يجد تفسيرا لكون حركة « التحرر الصهيونية » هي الحركة الوحيدة في العالم التي تتناقض مصالحها مع مصالح باقي حركات التحرر الوطني . وهو لن يجد تفسيرا وليس باستطاعة الحركة الصهيونية ان تعطي تفسيرا لهذه الظاهرة سوى باللجوء الى الغيبيات التي تتكلم عن خصوصية الشعب اليهودي وعن خصائصه المميزة والفريدة . وعن الادعاء بأن ظاهرة اللاسامية هي طبيعة ازلية في الشعوب الاخرى .

ان هذا الضياع الفكري وشعور الغربة والارتباك الذي ساد اوساط الشباب على حد تعبير رئيس قسم الشباب والحركة الطلائعية في الادارة الصهيونية ، مردخاي بار — اون، ادى بهؤلاء الشباب الى التفتيش عن متنفس لهم ، بتبني خط متطرف من المواضيع التي طرحت على جدول اعمال المؤتمر ، وهذا حدا بهم الى تشكيل تكتل من شباب جميع الاحزاب الممثلة في المؤتمر بغض النظر عن الانتماءات الحزبية والفروق الايديولوجية في مفاهيم احزابهم . لقد خرج بعض الشباب ، وخصوصا شباب المهجر بخيبة أمل ، نتيجة لما لمسوه من تفشي روح البيروقراطية في الحركة الصهيونية والمنظمة وأجهزتها بشكل خاص ، ومن تحول المؤتمر الى مجرد توزيع للمناصب والغنائم ، ولقد عبر أحد هؤلاء الشباب عن خيبة أمله قائلا : « هذا هو المؤتمر الاول الذي اشترك فيه وسيكون الاخير » (عل همشمار ٧٢/١/٢٦) .

المناقشات العامة والقرارات

كان موضوع الهجرة الى اسرائيل بشكل عام ، وهجرة يهود الاتحاد السوفييتي والبلاد العربية والاشتراكية بشكل خاص ، على رأس المواضيع التي اولاها المؤتمر اهتمامه الرئيسي ، وبقية المواضيع مثل : الاستيعاب ، الاستيطان ، قضايا المجتمع الاسرائيلي ، التعليم اليهودي والصهيوني واخطار الاندماج والانصهار ، جميعها ترتبط بشكل او بآخر

بموضوع الهجرة . وارتباط هذه الامور بالهجرة هو من الاهمية بمكان الى حد يجعلها عامل سلب او ايجاب بالنسبة للهجرة ، ولقد جاء المؤتمر الصهيوني تتويجا للحملة التي تشنها اجهزة الاعلام الاسرائيلي والمنظمات الصهيونية العالمية حول منح اليهود في الاتحاد السوفياتي حق الهجرة الى اسرائيل . لم تخرج معظم الكلمات التي القيت في المؤتمر في المناقشات العامة عن النمط المألوف في مثل هذه المناسبات ، من الدعوة الى المزيد من الدعم المادي والتأييد السياسي لاسرائيل . ومن الطلب بتكريس المزيد من الجهود من اجل التشجيع على الهجرة . كما ولم تخل بعض الكلمات من التحذير من اخطار الاندماج والانصهار ، خصوصا في بلدان « العالم الحر » كنتيجة لانعدام التثقيف اليهودي والصهيوني . ولقد اشار اورى جوردون عضو اللجنة الثلاثية لتكتل الشباب في المؤتمر الى هذا الخطر قائلا : « هناك ٨٥ ٪ من الشباب اليهودي الجامعي موجود في المهجر . ومن بين كل عشرة اولاد يهود في العالم هنالك ثلاثة يتلقون تثقيفا يهوديا صهيونيا » (معاريف ٧٢/١/١٨) .

وفي الخطاب الذي القاه آرييه بينكوس في الجلسة الافتتاحية تطرق رئيس الادارة الصهيونية الى الاوضاع التي يعيش في ظلها اليهود في المهجر وقسمها الى ثلاثة : ١) اليهود الذين يعيشون في بلاد الضيق والاضطهاد مثل يهود الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية والبلاد العربية ٢) اليهود الذين يعيشون في دول العالم الحر حيث يتمتعون بالمساواة ٣) اليهود الذين يعيشون في دول اميركا اللاتينية ، حيث تتميز تلك الدول بأزمات اجتماعية وسياسية . وعلى ضوء هذا التقسيم تختلف مهمات الحركة الصهيونية بالنسبة لمصير اليهود في المهجر . فبينما بالنسبة للقسم الاول والثالث، لا يرى بينكوس حلا سوى العمل من اجل تهجيرهم الى اسرائيل ، نراه بالنسبة ليهود العالم الحر ، يركز على مقاومة أخطار الاندماج والانصهار كخطوة اولى وعلى ضرورة بث التعليم اليهودي والصهيوني من اجل المحافظة على الذات اليهودية وبالتالي على استمرارية الشعب اليهودي . وفي تطرقه الى اليهود الذين يعيشون في اميركا اللاتينية يرى بينكوس الخطر في كون تلك البلاد تتعرض لتغييرات اجتماعية وسياسية تشكل خطرا على اليهود ومصالحهم في تلك الاقطار . ان التغييرات الجذرية الاجتماعية والسياسية التي يتخوف بينكوس من حدوثها في تلك الاقطار ، ويعتبرها خطرا على مصالح اليهود هناك ، هي في ان ماهيتها ان حدثت لا تخرج عن كونها ضرب للمصالح الامبريالية الاميركية وعملائها في المنطقة ، ومن هنا يتضح الدور الرجعي الذي تلعبه الصهيونية العالمية والمنظمات الصهيونية المحلية في مختلف الاقطار ، في خدمة الاحتكارات الاميركية والرجعية المحلية .

وفي نهاية خطابه وقف بينكوس على الاوضاع الاجتماعية في اسرائيل ، ولقد اكد بأن الحركة الصهيونية مهتمة جدا بشكل وصورة الحياة الاجتماعية في اسرائيل ، والاهتمام لا يتركز فقط على النجاحات التي حققتها الدولة في هذا المجال بل يتعدى ذلك الى المشاكل والصعاب التي لم تحل حتى الان . ثم اضاف محذرا : « اننا كحركة صهيونية يجب ان لا نسمح ببقاء وضع كهذا واذا ما استمر هذا الوضع فاننا سنهدم حلمنا وجهودنا من أجل جعل اسرائيل نموذجا يحتذى في المجال الاجتماعي ، وبهذا فان مقدرة اسرائيل على تأمين استمرار وجود الامة ستتعرض للخطر » (هآرتس ٧٢/١/١٩) .

اما وزير المالية بنحاس سابير فقد ادعى ، عندما تطرق الى الاوضاع الاجتماعية في اسرائيل بأن الوضع ليس سيئا كما يصوره البعض ، واضاف ان المظاهرات التي يقوم بها بعض الناس لن تفرض القضية على جدول الابحاث . وعندما تطرق الى الهجرة ، ذكر ، انه منذ حرب حزيران هاجر الى اسرائيل ما يقارب ١٨٠ الف شخص . ومن الامور التي تميز هذه الهجرة في الاونة الاخيرة تزايدها من البلدان الغربية ، فبينما كانت

نسبة المهاجرين من البلاد الاوروبية في سنة ١٩٦٨ لا تتعدى ٥٢٪ فلقد وصلت الى ٨٠٪ في سنة ١٩٧١ ، ولقد ذكر ان تكاليف كل مهاجر تبلغ ٤٠ الف ليرة اسرائيلية . ولهذا طالب بالمزيد من المساعدات من الجاليات اليهودية لتأمين استيعاب هذه الهجرة الاخذة في التزايد . (هآرتس ٧٢/١/١٩) .

اما الخطاب الذي القاه وزير التربية والتعليم ونائب رئيسة الوزراء ، يجآل آلون ، في الجلسة المخصصة للاحتفال بمرور ٧٥ عاما على تأسيس الحركة الصهيونية العالمية ، فقد ركز فيه الوزير الون على ست نقاط يرى فيها اهداف الحركة الصهيونية في السبعينات ، وهذه النقاط هي : ١) وجود شعب اسرائيل كشعب واحد بالرغم من كونه شعبا عالميا وتعدديا . ٢) نشر الثقافة العبرية والتراث اليهودي كحاجز امام اخطار الانصهار والاندماج . ٣) تعاطف الشعب اليهودي في الشتات مع اسرائيل كدولة . ٤) الهجرة ــ فتح ابوابها امام كل اليهود بدون تحديد سقف للهجرة السنوية . ٥) الاستيطان ــ ان استيطان المناطق الحيوية لامننا هو الطريق الوحيد لبقاء تلك المناطق في ايدينا ولهذا الغرض يجب تجديد الروح الطلائعية في اوساط الشباب . ٦) المجتمع ــ ان الفقر هو نتيجة الهجرة الكبيرة التي وصلت اسرائيل ، حيث كانت معظمها من الطبقات الفقيرة ، اما الهجرة بحد ذاتها فهي لا تضر بالمستوطنين القدامى والجدد بل انها الوسيلة لتوسيع القاعدة الاقتصادية ، كما وانها تساهم في تحويل اسرائيل الى دولة رفاهية وتقدم . (عل همشمار ٧٢/١/٢٣) .

ولم يخرج بقية الخطباء في المناقشات العامة عن هذه الاطر المشتركة . ويتضح من هذه الخطب ان الاولويات والتركيز على النقاط ، يختلف من خطيب لاخر ، ولكن يمكننا القول كما ذكرنا سابقا بان التركيز كان بشكل عام على موضوع الهجرة واستيعابها . الى جانب هذه المناقشات العامة فقد كانت هناك المناقشات في اللجان المختصة ، التي وظيفتها بعد انتهاء البحث في مجال اختصاصها تقديم التوصيات للمؤتمر لاقرارها ، وفي هذه اللجان تقدم التقارير عن سير اعمال هذه اللجان منذ المؤتمر السابق . ففي لجنة الاستيطان مثلا قدم رئيس قسم الاستيطان في الادارة الصهيونية ، رعنان فايتس، تقريره حول موضوع الاستيطان ، ولقد تضمن التقرير ، اشارة الى ان الحركة الاستيطانية تعيد الى الاذهان عهد الاستيطان في اوائل الخمسينات . ولقد ذكر التقرير بأنه منذ حرب الايام الستة اقيمت ٥١ مستوطنة ، ٣٥ منها في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ اما توزيع هذه المستوطنات فهو كالاتي : ١٤ مستوطنة في هضبة الجولان ، وهناك مستوطنتان في طريق الاقامة ، ٩ مستوطنات في غور الاردن وفي القريب ستقام العاشرة . مستوطنتان في وادي عربة واثنتان في الطريق الى شرم الشيخ . واخيرا ست مستوطنات في مدخل رفح بالاضافة الى ثلاثة في طور الاقامة . (عل همشمار ٧٢/١/٢٤) .

والامر الجدير بالملاحظة في هذا التقرير هو اشارته الى ان اربعا فقط من بين هذه المستوطنات ، استوطنت من قبل مهاجرين جدد من خارج البلاد . وهذا ما يقلق الاوساط الصهيونية ، وخاصة اوساط حركة العمل الصهيونية ، اذ ان هذا الامر يشير الى انعدام الروح الطلائعية بين المهاجرين الجدد ، الذين يختارون السكن في المدن . كما وانه هناك مخطط لاقامة ٣٠ مستوطنة جديدة في اربع السنوات القادمة، ٢٠ منها على الاقل في هضبة الجولان وغور الاردن ووادي عربة ، ومستوطنة جديدة في « جوش عتصيون » . اما الباقي فيظهر بأنه سيقام في القسم المحتل من فلسطين منذ ١٩٤٨ .

ساد المؤتمر اثناء فترة انعقاده عموما وفي الجلسة الختامية المخصصة لاقرار توصيات اللجان المختلفة توتر شديد فرضه اليمين الصهيوني على جو المؤتمر منذ بدايته ، ومع ان كتلة حزب العمل الصهيوني هي اكبر الكتل في المؤتمر الا ان هذه الكتلة كانت اقرب الى

مواقف اليمين بشقيه ، الديني وغير الديني منها الى مواقف المبام مثلا لقد كان الاهتمام في جميع الكتل موجها الى قضية تركيب الادارة وحصة هذه الكتلة او تلك فيها اكثر من الاهتمام باقرار التوصيات التي رفعتها اللجان المختلفة ، والمجابهة الرئيسية في المؤتمر اثناء اقرار التوصيات كانت بين مندوبي المبام والحيروت ، اما بالنسبة لباقي الكتل فلم يكن التباين حادا ، وفي التوصيات المتعلقة بضرورة دعم اسرائيل سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، وفي الادعاء بأن الشعب الاسرائيلي ممثلا بسياسة حكومته يسعى الى السلام وفي التاكيد العام على ضرورة النضال من اجل حق اليهود اينما كانوا في الهجرة الى اسرائيل . لم تكن هناك خلافات في وجهات النظر واقرت هذه الامور بدون معارضة . غير انه بقيت بعض التوصيات التي كانت تثير بعض التحفظات سواء من اليمين او « اليسار » . فمثلا رفض المؤتمر اقتراح القرار الذي تبناه الحيروت والمفدال باعتبار كل تهويد لا يتم بموجب « الهلخا » (الشرع اليهودي) غير شرعي ، كما رفض المؤتمر اقتراح ــ قرار تبناه المبام باعتبار ارض اسرائيل موطنا للشعبين اليهودي والفلسطيني ، بينما اقر باغلبية ساحقة اقتراح ــ قرار تبناه الحيروت باعتبار حق اليهود في ارض اسرائيل أمرا غير قابل للطعن . أما اقتراح ــ القرار الذي كاد ان يفجر المؤتمر وادى الى انسحاب مندوبات منظمة هداسا من الجلسة الاخيرة للمؤتمر فقد كان اقتراح ــ القرار الذي تبناه الحيروت والمفدال وايده بشدة تكتل الشباب في المؤتمر . ذلك الاقتراح القاضي بأنه يتوجب على كل زعيم صهيوني في الخارج ان يتنازل عن مركزه الذي يشغله اذا لم يهاجر الى اسرائيل بعد انقضاء دورتين على فترة اشغاله لذلك المنصب ، لقد كان واضحا ان الاوساط الصهيونية الاسرائيلية هي التي وقفت وباركت اقتراح ــ القرار المذكور . ولكن ردة الفعل العنيفة التي صدرت عن المنظمات الصهيونية الاميركية جعلت الزعامة الصهيونية الحاكمة في اسرائيل ، اي حزب العمل الصهيوني تسرع في التفتيش لايجاد مخرج من هذا المأزق . ولقد سارع بينكوس بعقد مؤتمر صحفي في القدس في ٧٢/٢/١ بعد ان سقطت جميع التحفظات التي اثيرت حول هذا القرار ، وضح فيه بأن القرار الذي اتخذ غير قانوني وغير ملزم ، واضاف بينكوس بأن المستشار القضائي للمنظمة الصهيونية يرى بأن هذا القرار يتناقض مع دستور المنظمة ، وحتى يمكن قبوله يجب اتخاذ اجراءات دستورية تتضمن اجراء تغيير في الدستور . فمثل هذا القرار يجب ان يتخذ بأكثرية الثلثين وبحضور اكثرية المشتركين في المؤتمر ، وعمليا فقد اتخذ القرار بأكثرية ضئيلة ١٠٤ ضد ٩٢ . ثم اضاف بأنه يوجد في القرار نوع من التدخل في استقلالية الاتحاد الصهيوني وهو سيحد من حرية هذه الاتحادات في انتخاب قادتها ، كما واشار بينكوس بأنه سيطرح هذا الامر امام اللجنة التنفيذية الجديدة لكي تقرر في الامر . ثم اضاف معلقا ، من غير الممكن زيادة الهجرة بواسطة العقوبات والقوانين وذكر بأن اقوال بن غوريون في سنوات الخمسين « بأن كل من لا يهاجر لا يعتبر صهيونيا » لم تؤد الى زيادة عدد المهاجرين حتى مهاجر واحد .

وفي تقييمه للمؤتمر عدد بينكوس بعض الظواهر الايجابية مثل اشتراك مندوبين شباب ، اندماج الجمهور السفارادي في أبحاث المؤتمر ومؤسساته وانتخاب يتسحاق نافون لرئاسة اللجنة التنفيذية الصهيونية (وهو من اصل سفارادي) وتناول المؤتمر الاوضاع الاجتماعية داخل اسرائيل . أما السلبيات فهي على حد تعبير بينكوس تتمثل في التصرفات الفوضوية وعدم التسامح ، يضاف اليها الشعور الذي ساد المندوبين من خارج البلاد بأن المؤتمر يخضع لتوجيهات المندوبين الاسرائيليين ، ثم ان المندوبين المنتخبين لم يكن لديهم الوقت الكافي للوقوف على القضايا المطروحة على بساط البحث .

أما مناحيم بيجين فقد رأى في المؤتمر ومناقشاته وقراراته انتصارا لوجهة نظر الحزب

وخطه السياسي ودليل على وحدة الشعب اليهودي بالنسبة للقضايا المركزية ، غير انه انتقد ايضا بوادر عدم التسامح والقدرة على سماع الآراء المعارضة ، ولكنه اضاف هنالك بعض الخطباء المدللين الذين اعتادوا على أن يصفق الجمهور لهم ، فالتسامح مطلوب ، لكن الدلال مرفوض ، ثم عبر عن استهجانه للضجة التي اثيرت حول قرار المؤتمر المتعلق بالزام الزعماء الصهاينة في الخارج بالهجرة الى اسرائيل والا فعليهم الاستقالة من مناصبهم ، وتطرق الى ما نشر من أن المستشار القضائي للمنظمة يعتبر القرار غير شرعي فقال : « يجب التأكد فيما اذا كان من صلاحياته ان يفصل في مثل هذه الامور » (معاريف ٧٢/٢/٤) .

وهكذا نرى ان المؤتمر لم يأت بجديد غير متوقع ، وان المؤتمر فشل في ان يكون مؤتمرا عقائديا كما ارادت له بعض المنظمات والاحزاب مثل المبام ، حتى انه رفض مجرد اقامة لجنة فكرية كهذه . وعلى صعيد الوضع الدولي وقضية الشرق الاوسط فالقرارات المتعلقة بهذا الامر والخطب التي تطرقت له وتقارير اللجان المختلفة وخصوصا تقرير لجنة الاستيطان تشير بوضوح الى نوايا النظام الصهيوني في التوسع والضم .

في نفس الجلسة الختامية التي أقرت بها توصيات اللجان ، كان رئيس الادارة الصهيونية بينكوس يعمل جاهدا في تركيب الادارة الصهيونية الجديدة ، ولم تكن العملية سهلة نظرا للمطالب التي كانت تتقدم بها الكتل المختلفة لزيادة تمثيلها في الادارة . والمميز للادارة الجديدة هو كونها أوسع من السابقة وان كل الاعضاء فيها جرى انتخابهم وجميعهم يمثلون الاحزاب المشتركة في المؤتمر ، ولقد حرمت بعض الكتل الصغيرة من التمثيل في الادارة مثل : الاحرار المستقلون — والمركز الحر والقائمة الرسمية وتكونت الادارة على الشكل التالي : (عل همشمار ٧٢/١/٣٠) .

١ — آرييه بينكوس — رئيس الادارة ورئيس قسم الهجرة ويتمتع بصلاحيات رئيس المنظمة (العمل — اسرائيل)
٢ — مردخاي بار اون رئيس قسم الشباب والحركة الطلائعية (العمل — اسرائيل)
٣ — شارلوت جيقبسون (الكونفدرالية الصهيونية — اميركا)
٤ — آرييه دولتشين — للمحاسبة (اتحاد الصهيونيين العموميين ، الليبراليين — اسرائيل)
٥ — الحاخام ريتشارد هيرش (الاصلاحيون — اميركا)
٦ — الحاخام ارثور هرتسبرغ (المحافظون — اميركا)
٧ — رعنان فايتس — رئيس قسم الاستيطان (العمل — اسرائيل)
٨ — جاك طورتشنير (اتحاد الصهيونيين العموميين ، الليبراليين — اميركا)
٩ — رعية يجلوم — بدون حقيبة (فيتصو — اسرائيل)
١٠ — الحاخام عزرائيل ميلر (رئيس الاتحاد الصهيوني في الولايات المتحدة)
١١ — اندريه نرفوني — بدون حقيبة (السفارديم — اسرائيل)
١٢ — كلمان سولطانيك (الكونفدرالية الصهيونية — اميركا)
١٣ — آلن بولاك (العمل — اميركا)
١٤ — حاييم فينكلشطاين — الثقافة والتربية في المهجر (العمل — اسرائيل)
١٥ — الحاخام مردخاي كريشبلوم — قسم الهجرة (المزراحي — المفدال — اسرائيل)
١٦ — يوسف كلرمان — هجرة الشباب (حيروت — اتحاد الصهيونيين التصحيحيين — اسرائيل)
١٧ — موشه كرونا — الثقافة والتربية الدينية في المهجر (المزراحي — المفدال — اسرائيل)
١٨ — موشه رفلين — المدير العام للوكالة اليهودية (عضو مراقب — اسرائيل)
١٩ — الحاخام عمانوئيل ركمان (المزراحي — اميركا)

٢٠ ــ ابراهام شنكر ــ قسم التنظيم والاعلام (المبام ــ اسرائيل)
٢١ ــ عزرا شبيرا ــ الصندوق التأسيسي (الكونفدرالية الصهيونية ــ اميركا)

كما وانتخب يتسحاق نافون رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية التي تضم ١١٠ اعضاء وتقرر ان يكون لكل عضو نائبين . ويتضح من تركيب الادارة الجديدة ، ان حصة الولايات المتحدة ارتفعت الى ثمانية في الادارة ، بالاضافة الى رئيس الاتحاد الصهيوني في الولايات المتحدة الذي يدخل الى الادارة بصفته هذه . كما وان المؤتمر لم ينتخب رئيسا للمنظمة هذه المرة ايضا ، ومن المفروض ان يقوم بينكوس بهذه المهام ، رغم انه لم ينتخب رسميا لهذا المنصب .

- أقل من ١٠ ٪ من سياسيي اسرائيل نساء .
- ٨٥ ٪ من سياسيي اسرائيل هاجروا الى فلسطين من الخارج .
- معدل سن السياسي الاسرائيلي أول ما وصل فلسطين من الخارج كان ٢٤ سنة .
- معدل عمر السياسي الاسرائيلي ٤٨ سنة .
- نصف سياسيي اسرائيل درسوا في الجامعات ومعهم ب.ع. أو شهادات أعلى .
- في اسرائيل نائب استوزر ١٧ مرة . وآخر ١٥ مرة . وآخر ١٤ مرة . وآخر ١٣ مرة . وآخر تراس عشر وزارات .
- ثلاثة أرباع السياسيين من الاشكنازيم (أي يهود الغرب ، وهم أقل من ٤٠ ٪ من السكان) والربع فقط من السفارديم (أي يهود الشرق ، وهم ٦٠ ٪ من السكان) .

تجد هذه المعلومات وغيرها في كتاب

رجال السياسة الاسرائيليون

تحرير : أنيس صايغ

اعداد : غازي دانيال

اول كتاب تفصيلي عن أعضاء المجالس النيابية السبعة في اسرائيل وعددهم ٣١٨ نائبا بأهم المعلومات الاساسية عن كل نائب (تاريخ عضويته للكنيست وللوزارة ، وجنسه ، وعمره ، وجنسيته الاصلية ، وانتماؤه ومسؤولياته الحزبية ، ودراسته ، ومهنته ، ومؤلفاته ، وعلاقته بالجيش ونشاطاته الاخرى). مع جداول اضافية بالنسب المستخلصة من الدراسة .

من منشورات مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية ٤ ل.ل.

وقفة عند الذكرى الرابعة لمعركة الكرامة

هاني الحسن

ان الحديث عن معركة الكرامة عاد فاصبح اليوم مقيدا . أولا لان الثورة الفلسطينية موجودة الان من جديد في مرحلة ما قبل الكرامة وثانيا لان اطنانا من الورق استهلكت بالحديث عن حرب الشعب أو الثورة الشعبية المسلحة حتى كاد يخيل لابناء الشعب ان تحرير فلسطين بات قاب قوسين أو أدنى ، وفجأة وجد ابناء الشعب العربي انفسهم بعد تجربة اربع سنوات ، أن الاسئلة التي تقرع وجدانهم ما زالت بدون اجابة . لذلك لعله من المفيد جدا أن نقف في ذكرى معركة الكرامة وقفة تحليلية امام الحدث الذي هز وجدان الامة العربية وجعلها تنبض من اعماقها مجبرة الاستعمار والرجعية الموغلة في التآمر في الاردن على التراجع المؤقت أمام الزحف الجماهيري ، لتعود في عام ١٩٧٠ للتصدي لها وكسب الجولة عليها من جديد .

ان المطلوب اليوم في عام المحنة عام ١٩٧٢ ، ليس وقفة عسكرية لتأريخ عملية الهجوم والدفاع ، وتثبيت الخطط والمحاور التي جرى القتال عليها . وانما المطلوب وقفة لاستنباط قيمة ومعنى الحدث سياسيا والدروس المستفادة والتي أهمها معنى الجيش الشعبي .

الوضع السياسي الذي ولدت فيه معركة الكرامة

كان مقررا ان تبدأ الثورة الفلسطينية الحديثة عام ١٩٦٣ وليس عام ١٩٦٥ كما حدث . والسبب هو قناعة فتح ان اسرائيل بدأت تستعد لحرب جديدة بعدما استوعبت وهضمت ما حصلت عليه نتيجة لحرب ١٩٤٨ ولحرب ١٩٥٦ — وهذه القناعة الفتحوية كانت تعتمد على أمرين اساسيين أولهما بوادر الازمة الاقتصادية الاسرائيلية التي بدأت تشتد حدتها بشكل خاص منذ مطلع عام ١٩٦٣ ، تلك الازمة التي لا يمكن لنظام رأسمالي احتكاري كاسرائيل ان يحلها الا بطرق الاستعمار التقليدية ، أي الحرب . وثانيهما بيئة اسرائيل النفسية والفكرية ، والتي تجعل التساؤل الى أي حد تزمع اسرائيل التوسع والتوقف مسؤالا سطحيا لان اسرائيل ستتوسع ما دامت القوى العربية المعيقة والمانعة لقوتها العسكرية من التوسع والامتداد دون مستواها . فالقوى كالماء تتجه دائما نحو المنخفضات .

كان ظهور العاصفة عام ١٩٦٥ ظاهرة تحد لجميع الانظمة والمؤسسات السياسية البارزة والتي كانت قائمة بشكل خاص،في المنطقة العربية المجاورة لفلسطين .وكان للطرح الثوري الجديد الذي طرحته فتح والذي يقود في النهاية الى رفض اعتبار خط الهدنة خطا دفاعيا ثابتا ، أي الى رفض المنطق الاستراتيجي العربي . كان لذلك الطرح ردة فعل وصلت حد مقاومة رجال الثورة الجديدة واعتقال رجالها ومطاردتهم . وكان للنظام الهاشمي (اسرائيل الداخلية) اليد الطولى في تطبيق قرار القيادة العربية الموحدة والقاضي بمطاردة الفدائيين . فأول شهيد للثورة الفلسطينية سقط على يد الاردن وليس على

يد الاسرائيليين . وبعد معركة السموع الشهيرة قال (ن. م.) الركن العسكري للواء حطين في اجتماع لضباط الجيش الاردني عقد في مار الياس لدراسة معركة السموع : لنتمكن من مواجهة الفدائيين فاننا سنغلق الحدود ليلة والاسرائيليون سيغلقونها ليلة .

في ظل هذا التصدي القمعي لطلائع الثورة الفلسطينية الحديثة وفي ظل مخطط اعلامي عربي واسع يهدف الى اقناع الامة العربية بعمالة الثوار الفلسطينيين وارتباطهم بحلف السنتو بدليل عدم اختيارهم الوقت المناسب ، كان اليوم السادس من حزيران عام ١٩٦٧ يوما تهاوت فيه القوى العسكرية العربية مثلما يتهاوى الموز العفن . والهزيمة العسكرية على مستوى الامة تعني دائما نهاية شيء وبداية شيء آخر ، الخامس من حزيران كان انطلاقا من تلك الحقيقة ، نقطة تحول وارتداد للجماهير العربية عن ولائها للانظمة العربية الوطنية ، وعن اساليب في التفكير وخاصة في المجال العسكري . وتحت وطأة الهزيمة ونتائجها المجسدة يوميا ، بوجود اسرائيليين على قناة السويس وعلى بعد عشرات الكيلو مترات من دمشق وعمان ، توجهت الجماهير العربية بردة فعل مجردة الى اولئك « الثوار الفلسطينيون الفتحويون » الذين ناقضوا الاستراتيجية العربية قبل وقوع الهزيمة وليس بعدها ، والذين قالوا انهم يملكون المنهج الثوري الفعال الكفيل بخلق الظروف لتحرير فلسطين ومن ثم توحيد الامة العربية . الجماهير العربية توجهت الى ــ فتح ــ ليس بسبب قناعات فكرية وانما بحثا عن ارادة الرفض المسلحة للاحتلال الجديد والتي لا تنتهي حرب الا بانتهائها ، والتي كانت تمثل صفة من الصفات الاساسية ــ لفتح ــ عند ولادتها .

ان هذه المقدمة ضرورية لفهم طبيعة المهمة التي القيت فجأة على كاهل فتح وقبل اكتمال النمو الطبيعي للعناصر التي لا بد منها للقيام بمهمة استراتيجية بهذا المستوى (الرجال، السلاح ، الخبرة) . ومن يطالع ادبيات فتح بعد حزيران مباشرة لن يجد وقفة تحليلية مكتوبة طويلة أمام أسباب الخامس من حزيران . والسبب هو الوضع الجماهيري الضاغط ، الذي كان يريد رصاصا ويرفض باشمئزاز اي كلام ، وادراك قيادات فتح آنذاك للظروف الموضوعية الجديدة والتي لا يجوز ان نرى في بؤسها غير البؤس ، كما قال ماركس ، وانها الان أمام الامتحان الكبير في أن تكون أو لا تكون وان عليها ان تضع يدها على القوى الفاعلة المهيأة للتغير وان وضع اليد يعني ممارسة الكفاح المسلح . ولذلك فان من الخطأ الكبير ان نحدد اطار معركة الكرامة بما جرى يوم الخميس ٢١/٣/ ١٩٦٨ . لقد بدأت معركة الكرامة يوم ١٩٦٧/٢/٢٨ وهو اليوم الذي بدأت فيه فتح مرحلة العمل ضد قوات الاحتلال بعد حرب حزيران وانتهت يوم ١٩٦٨/٣/٢١ .

ان الحقيقة السياسية الاساسية والقائلة ان الحرب امتداد للسياسة ولكن بوسائل اخرى ، تقود ببساطة الى حقيقة اخرى وهي ان المعركة تنتهي عندما ينجح أحد الطرفين بتحقيق الهدف السياسي له حيث يفشل الاخر . واذا ما نظرنا الى معركة الكرامة من هذه الزاوية فيمكننا ان نضعها في اطارها السياسي الحقيقي . ما هو هذا الاطار ؟ عندما صمتت الرشاشات والمدافع على السويس وعلى مشارف دمشق ونهر الاردن كان دايان يقول وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة الثقة انه كلما قرع باب غرفته يظن ان رسول العرب قد أتى ليوقع صك الصلح والاستسلام . فالسياسيون العرب في رأيه واقعيون ، وهو كأحد تلامذة كلاوزفيتس المخلصين يعتقد بأن الارادة تنبع من القوات المسلحة ، والتي دمرت وانتهت ، وبناؤها يحتاج الى ثلاث سنوات على الأقل . يضاف الى ذلك ان الضفة الغربية انتهت فيها المقاومة الشعبية لان اسرائيل الداخلية (النظام الهاشمي) ضمنت أميّة الجماهير بالسلاح والحرب والمقاومة. وفي الفترة التي كان العدو فيها يرفع نظام منع التجول عن الضفة الغربية كان مسؤول عربي كبير يقول لوفد من

حركة فتح ان لم تتحركوا وتشعلوا حرائق على الاقل فليس امامنا سوى الاستسلام . ان هذا الجو السياسي حدد اهداف معركة الكرامة .

اهداف مرحلة معركة الكرامة

ان انطلاقة ١٩٦٧/٨/٢٨ ، والتي انتهت بمعركة الكرامة الشهيرة ، حققت الهدفين الاساسيين اللذين انطلقت من اجلهما وهما : ابطال المفعول السياسي للانتصار العسكري الاسرائيلي ، والحصول على القاعدة الآمنة كخطوة للحصول على القاعدة الارتكازية . ان ابطال النتائج السياسية لانتصار عسكري ، لا يمكن تحقيقه ، الا بالخروج من الوضع الجديد الناشىء ، الى وضع اخر يبرهن ان قوى الرفض المسلحة ما زالت موجودة ، وانها فعالة بالرغم من عجزها عن سحق القوى العسكرية العدوة ، وان يرافق ممارسة الرفض المسلح نمو ملموس للقوى الذاتية . ان هذا هو الذي يفسر البداية السريعة للانطلاقة الجديدة . ففي سرعة التحرك آنذاك يكمن السعي لعدم اتاحة الفرصة للعدو لان ينظف البيت ، خاصة وان المقصود تحقيق اثبات الوجود ، وكسب الراي العام العالمي ، وخلق المناخ الجماهيري ، وليس هزيمة العدو وسحقه .

لقد استطاع الثوار الفلسطينيون خلال عدة شهور ان يسترجعوا آذان العالم وعيونه ، وتحريك قطاعات لا بأس بها من الراي العام العالمي ، من خلال ممارسة أعمال الدعاية المسلحة . الا ان الموضوع الاستراتيجي الذي كانت عيون الثوار مركزة عليه هو الحصول على قاعدة آمنة على ضفتي نهر الاردن . فالثورة الفلسطينية ثورة فريدة بخصائصها وظروفها . ويكاد تعقد العنصر الموضوعي عندها أن يبلغ حدا لا نظير له عند أية ثورة اخرى في العالم . فهي ثورة شعب ليست أرضه أو اقتصاده هو المطلوب استغلاله وانما انهاء وجوده كشعب . ومن هنا فان الثورة الفلسطينية ولدت ومعها مأزق القاعدة الآمنة قاعدة الانطلاق ، ناهيك عن القاعدة الارتكازية .

عندما ترجع بنا الذاكرة الى مطلع عام ١٩٦٨ وما دار يومها من مناقشات وتحليلات ، تجسدت بمواقف متناقضة للجبهات الفلسطينية والدول العربية على حد سواء ، نجد أن الجميع كانوا يعتقدون ان رجال العصابات لا يواجهون ، وانما يضربون ويهربون ، الا القيادة العسكرية لفتح فقد ارتأت ضرورة المواجهة . واتخذت يومها ، بعد مناقشات طويلة ، القرار التاريخي الخطير ليس بسبب ضغط الاحداث فقط ، وانما انطلاقا من التمسك بالتحليل النظري الذي كان يتوقع بروز أشياء كثيرة من خلال المواجهة بالقوى التي كانت بالكاد موجودة . بكل أسف ما زال الوعي النظري لحرب الشعب وبالاخص المعنى العسكري لحرب العصابات، مفقودا، رغم ما دفعه شعبنا من عذاب وتضحيات. ان مهمة حرب العصابات قد تكون مهمة تكتيكية، او مهمة استراتيجية وهذا يقرره الاطار الذي ستخاض ضمنه . هل المطلوب من حرب العصابات دعم عمليات جيش نظامي وطني او جيش نظامي شعبي على مستوى الحملة دعما مباشرا وعلى مسافات قريبة ؟ ام ان المطلوب دعم الجيش القوي القادر على صد العدوان والغزو عن اراضيه ، من خلال العمل خلف خطوط العدو لتسهيل عملية الصد ؟ في كلتا الحالتين المذكورتين تؤدي حرب العصابات مهمة تكتيكية محضة (كوماندوس) كأداة بيد الجيش النظامي سواء كان كلاسيكيا أم شعبيا . اما اذا كان المطلوب بناء جيش نظامي شعبي ليس موجودا بالاصل، ومطلوب خلقه وايجاده في ظل احتلال العدو للارض او في ظل حكم فاشستي رجعي يمثل العدو الطبقي ، هنا تتجاوز حرب العصابات اطار التكتيك وتدخل اطار الاستراتيجية . في الحالة الاولى تكون مهمة رجل العصابات تحقيق هدف عسكري محض محدد ينتهي بانتهاء العملية ، بينما في الحالة الثانية يصبح لعمل رجل العصابات محتوى ثوري يستهدف كسب الجماهير وجرها للمشاركة والانخراط في الجيش الشعبي الجديد

(حزب الشعب الثوري الجديد) ، الذي هدفه خدمتها بكل امانة واخلاص عن طريق استخدام اداة العنف للقضاء على ادوات العنف المستخدمة ضده سواء من عدو خارجي كالاستعمار أو عدو داخلي كالعدو الطبقي .

ان نجاح حرب العصابات له مظاهر عدة ، ابرزها تحسسا هو القدرة على ممارسة حرب المواقع مع حرب العصابات ثم حرب الحركة الى جانب حرب العصابات وحرب المواقع . ان توفر تلك القدرة يعني توفر القوى اللازمة لمواجهة أداة القمع العسكري المضادة ، وذلك من خلال نموها عبر النضال .

ان خوض حرب المواقع وحرب الحركة أمر لا يمكن تحقيقه دون امتلاك القوى العسكرية الكبيرة المتوازنة (وليس المتساوية) على الاقل مع قوى العدو . وهذا الامر لا يمكن ان يتحقق الا بوجود مكان (قاعدة آمنة) يستطيع فيه رجال حرب الشعب ممارسة العمل العلني . فالعلنية شرط أساسي لامتلاك وتحريك القوى العسكرية الكبيرة اللازمة لسحق العدو وليس ازعاجه فقط .

ان الحصول على القاعدة الآمنة هو منتصف الطريق النظري (وليس الزمني) لانهاء الحرب ، اذ انه بسبب ممارسة الثوار سلطة كاملة عليها وتحويلها بعد فترة الى المجتمع الثوري الصغير النموذجي ، فان بناء الجيش الشعبي بقواه اللازمة والخاصة فيه يقصر امد الحرب . والصعوبة في الحصول على القاعدة الآمنة تكمن في مواصفاتها الثلاث التي ليس من السهل توفيرها وخاصة المواصفة الخاصة بعنصر الامن . فالقاعدة الآمنة يجب ان تكون بتماس مع العدو بحيث يضمن ممارسة الكفاح المسلح والتعمد بالنار وتعلم الجماهير الحرب من خلال العيش في الحرب وممارستها . كما انها يجب ان تكون في وسط الجماهير ذات الصلة المباشرة بالثورة . والاهم من ذلك هو أن موقعها وظروفها الطوبوغرافية والجماهيرية يجب ان تضمن قدرة الحركة الثورية وجماهيرها على مقاومة عمليات التطويق والافناء التي سيشنها العدو حتما ضدها ، اي توفير عنصر الامن للقاعدة الآمنة .

انطلاق قوات العاصفة بالعمل عام ١٩٦٥ جعلها تدرك مرارة الطريق اكثر من الجبهات التي بدات عملها المسلح متأخرة عنها ما يقارب السنوات الثلاث . ومن أوائل الدروس التي تعلمها رجال العاصفة ان الثوار الذين لا قاعدة آمنة لهم ليسوا سوى مشردين هائمين ، وهؤلاء لا يمكن لهم ان يتقدموا بالثورة من مرحلة دنيا الى مرحلة أعلى . كما ان الاستنزاف الذي يتعرضون له خلال عملياتهم لا يمكن ان يعوض بسهولة وبالقدر الكافي . وان نضال المشردين الهائمين ليس سوى مغامرة يتم فيها الانتحار في ظل الاناشيد الجنائزية . فديمومة الثورة مرتبطة بالقدرة على امتلاك قاعدة آمنة كحد أدنى في البداية ومن ثم تطويرها الى قاعدة ارتكازية . وعندئذ يمكن الحديث عن التخطيط وعن امتلاك ادوات حرب التحرير الشعبية ومن ثم خوض حرب الشعب . ان جيفارا العظيم لم يستطع ان يصنع ثورة بوليفيا لانه فشل في اقامة قاعدة آمنة له . ان هذا الوعي النظري لمعنى القاعدة الآمنة كانت تعيه فتح كما كان يعيه أيضا موشي دايان الذي أمضى فترة طويلة مع القوات الامريكية في فيتنام يدرس حرب الشعب والحرب المضادة لها والذي قال ما قبل معركة الكرامة بكل وضوح ما معناه : اننا لا نستطيع الوقوف موقف المتفرج من جيش من المخربين يتشكل على بعد عدة كيلو مترات قليلة من حدودنا . وهو القائل اكثر من مرة ان الخطأ الامريكي في فيتنام هو انهم بدأوا مقاومتهم للفيتناميين متأخرين . اننا لا يجوز ان نرتكب نفس الخطأ ، بل يجب سحق المخربين قبل تأقلمهم بالارض . ولذلك ارسل قواته بدون تردد لشن حملة تطويق وافناء كلاسيكية واختار لذلك يوم ٣/٢١ نفس اليوم الذي يزحف فيه **الاسرائيليون الى تل حاي شمال صفد**

ليزوروا فيه قبر المحارب الصهيوني الاول ترمبلدور الذي كان اول من رفع السلاح في وجه العرب عندما قاد في ١٩١٩/٣/٢١ اول حملة للسيطرة على نهر الليطاني وسفوح جبل الشيخ وقتل شمال صفد . والحق رجال العاصفة ورجال قوات التحرير الشعبية ومن تمردوا من رجال الجيش الاردني أول هزيمة بالصهيونيين ، واثبتوا توفر عنصر الامن والدفاع عن القاعدة الآمنة ، ومع غروب شمس يوم الخميس ١٩٦٨/٣/٢١ واشراق شمس يوم الجمعة بدأت مرحلة انماء الذات للثورة الفلسطينية وارساء قواعدها ، مرحلة الوقوف على الارض لاول مرة منذ عشرين عاما . وتسلمت قيادة الثورة لمدة سنتين التوجيه والسيطرة على الاحداث والتطورات في الشرق الاوسط .

لماذا خسر الاسرائيليون معركة الكرامة ؟ الجواب بدون شك لان الذي واجههم هناك هو الانسان الفلسطيني ، وليس الدبابة او الطائرة . لانهم واجهوا قطاعا من المناضلين يملكون خصائص وصفات الجيش الشعبي . وانا لنجد انه من المفيد جدا بمناسبة ذكرى معركة الكرامة التي ضحى فيها بيوم واحد ٩٢ مناضلا بحياتهم من أجل فتح الثغرات في السد الاسرائيلي العربي ، ان نقف لنلقي نظرة على خصائص الجيش الشعبي .

مدخل لفهم خصائص الجيش الشعبي

من البديهي انه لا يمكن تحقيق غاية ما بأداة تناقض تلك الغاية . مواصفات الجيش الشعبي اذن تنبع من الهدف المنشأ من أجله الجيش الشعبي . القوات المسلحة هي أداة عنف بيد الطبقة الحاكمة ، وهي بناء تحتي لتلك الطبقة ينعكس فيها كل اخلاق وسلوك وعقلية وافكار البناء الفوقي للطبقة . ان هذه الحقيقة يمكن استنباطها ببساطة من خلال ملاحظة العلاقة والترابط القائمين عبر تاريخ البشرية بين طبيعة النظام الاقتصادي وانعكاسه على طبيعة ومهام جيش ذلك النظام . لقد مرت الانسانية عبر تاريخها الطويل بمرحلة الرق (العبودية) ومرحلة الاقطاع والرأسمالية والامبريالية والاشتراكية . ومن الواضح ان جيوش عهد الرق والاقطاع ، وكذلك الجيوش الرأسمالية تختلف من حيث بنيتها الطبقية ومبادىء تعبئتها وتدريبها وتسليحها . وانطلاقا من هذه الحقيقة نجد لينين في مؤلفه الشهير « سقوط بورت آرثر » يسبق الاحداث عام ١٩٠٥ ويتنبأ بأن تبدل الدور اليدوي للحرب بالدور الآلي مرتبط بتحول الرأسمالية الى الامبريالية . وظهر التجسيد العملي لذلك التنبؤ في الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) والتي كانت بداية فترة الامبريالية . وحتى تتضح هذه النقطة الهامة لنلق نظرة سريعة عبر التاريخ على طبيعة الجيوش عبر التاريخ .

١ — جيش مجتمع العبودية (الرق) : السمة الاساسية لهذا المجتمع انقسامه الواضح الى عبيد ومالكي عبيد . ولذلك نجد الجيش وقفا على طبقة مالكي العبيد . ففي أثينا مثلا كان السكان يقسمون الى احرار وعبيد . واما الاحرار فيقسمون الى اربع زمر على أساس مقدار ملكيتهم للارض ودخلهم من هذه الملكية . وكانت الزمرة الاولى والثانية تشمل كبار مالكي العبيد والارستقراطيين الزراعيين والتجاريين ، وكان هؤلاء يؤدون **خدمتهم في الخيالة** . اما الزمرة الثالثة فكانت تتالف من المواطنين المتوسطين وكان هؤلاء **يؤدون الخدمة في المشاة الثقيلة** . اما الزمرة الرابعة فكانت تتالف من الفقراء الذين يملكون دخلا بسيطا ، ولا يملكون ارضا على الاطلاق ولكنهم من الاحرار فكانوا يخدمون في **المشاة الخفيفة والاسطول**(١) .

ان الطبيعة الطبقية تظهر بوضوح . فالى جانب منع العبيد من الانتماء للجيش ، يتجسد توزيع طبقات الاحرار على مختلف الاسلحة حسب أهميتها . وذلك حتى يصبح الجيش

---

١ — **تاريخ فن الحرب** ، الجنرال ستروكوف ، ص ٤٤ .

قادرا على تنفيذ الهدف المنشأ من اجله وهو : ١ ــ سيطرة طبقة مالكي العبيد على العبيد باجبارهم على العمل المجاني وسحق انتفاضاتهم كانتفاضة العبيد التي قادها سبارتاكوس عام (٧٤ ــ ٧١) ق. م. ب ــ شن حروب بقصد الحصول على مزيد من العبيد لتأمين اليد العاملة لطبقة مالكي وسائل الانتاج . وبسبب ما يفرضه تحديد الهدف من نتائج نجد أن اسلوب التربية والتدريب يتم تحت شعار اعداد المحارب الكفء والمأمون ، حامي النظام العبودي(١).

٢ ــ جيش المجتمع الاقطاعي : ان السمة التي تميز المجتمع الاقطاعي عن المجتمع العبودي ، هو بروز (الفلاح ــ القن) المالك لبعض وسائل الانتاج البسيطة ، وله اقتصاده الخاص القائم على عمله الفردي . ان جيش هذا المجتمع تشكل عبر التاريخ من وحدات الدروجينا والتي كان افرادها يرتبطون بالاقطاعي وينفذون اوامره من خلال توزيع قطع من الارض عليهم ، اما للاقامة عليها أو لاستثمارها دون تملكها مقابل القيام بالخدمة العسكرية ، عند توجيه الدعوة اليهم . وهؤلاء كانوا يشكلون القوة الاساسية في الخيالة الثقيلة والتي سميت مع مرور الزمن بالفرسان . وكانت هنالك مفارز ووحدات خاصة تتبع له مباشرة كحراسة دائمة . وكذلك وحدات الفقراء والفلاحين المأجورين وتشكل سلاح المشاة ولعب دورا ثانويا في المعارك .

وعندما نشأت الدولة الاقطاعية المطلقة ادخل الاقطاعيون نظام الجيوش المحترفة ذات التدريب الواحد والتربية القائمة على الشدة والقسوة وعلى الخضوع الاعمى بقصد تنفيذ مصالح الطبقة المسيطرة . ولقد استمر هذا النوع من الجيوش المحترفة في التطور لكي يلائم المجتمع الرأسمالي والامبريالي . مرة اخرى نرى ان الطبيعة الطبقية المكون منها جيش المجتمع الاقطاعي تجعل من الجيش اداة صالحة ليكون سلاحا بيد الاقطاعيين لقهر الفلاحين الاقنان واسكاتهم من جهة وللقضاء على الاقطاعيين المنافسين من جهة أخرى .

ان هذه اللمحة التاريخية السريعة تجعلنا نستنبط ببساطة ان الجيش الذي هدفه خدمة الشعب بأمانة واخلاص هو جيش شعبي وان الجيش الذي هدفه خدمة طبقة مستغلة لجماهير الشعب ليس بجيش شعبي . الجيش الشعبي اذا هو القادر على خلق وحدة الذات بينه وبين الامة ، بسبب وحدة الهدف والمنشأ ، وبسبب العلاقة الجدلية بين الكل والجزء ، بينما جيش الطبقة المستغلة (بكسر الغين) بدباباته وطائراته ليس سوى اداة قمع (شرطة) ضد الطبقة المستغلة (بفتح الغين) لضمان خضوعها واستغلالها . ان نشوء وحدة الذات ، كي يصبح امرا واقعا وحقيقة ممارسة ، وليس حقيقة لفظية ، له مظاهر أساسية تتجلى في المبادىء الموجهة لبناء الجيش السياسي والعسكري والتي تقوم على الركائز الثلاث التالية .

١ ــ ان الجيش الشعبي هو أداةعنف الثورة الشعبية المسلحة ، طريق التهيئة للتدريج اللازم للانتقال بالمجتمع المستعمر والمتخلف الى المجتمع المتحرر من الاستعمار المهيأ لبدء التغلب على التخلف . ومن هنا فان الجيش الشعبي يولد عبر عملية اعادة توليد للامة ، عبر التعمد بالنار والنضال المرير للامة على كل المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية . ان تاريخ أي ثورة شعبية مسلحة ليس سوى تاريخ بناء الجيش الشعبي ، والذي هو تاريخ اختفاء المجتمع القديم ونشوء المجتمع الجديد . والتجسيد العملي لذلك الاختفاء هو اختفاء نمط الانسان الذي أوجده المجتمع القديم ، وبروز نمط انسان جديد يتلاءم والمجتمع الجديد . وهذا النمط الجديد مثاله الحي تشكيلات الكوادر الاساسية

---

١ ــ **تاريخ فن الحرب** ، الجنرال ستروكوف ، ص ٤٨ .

المنتشرة من القمة الى القاعـــدة في الجيش الشعبي والتي تقوم معركـــة التحرير على اكتافها .

٢ ـــ انطلاقا من نتائج الركيزة الاولى فانـــه يتضح ان الجيش الشعبي جيش سياسي وليس جيشا كلاسيكيا عاديا . اي انه عليه القيام بمهمة سياسية تتجسد بالقدرة على خلق صلات ايجابية مع الشعب الذي يحارب معه ومن اجله . وهذه المهمة تفترض ان يكون الجيش مكونا تكوينا سياسيا وايديولوجيا كي يتمكن من ايقاظ الجماهير للاشتراك في الثورة . والمقاتـــل في الجيش الشعبي مطلوب منه ان يقوم مباشرة بتنفيـــذ الخطين السياسي والعسكري ، ونشرهما في اوساط الشعب ولذلك فانه هو العامل الرئيسي في قوة القوات المسلحة الشعبية .

وتنقسم الحروب الى قسمين حروب عادلة وحروب غير عادلة . فالحرب التي تخوضها الشعوب المستعمرة ضد المستعمرين والامبرياليين ، او ضد العـــدو الطبقي هي حرب عادلة . اما المستعمرون والمستغلون فحروبهم عدوانية . والجيش الشعبي بسبب كونه جيشا سياسيا فانه لا يستطيع ان يخوض الا حربا عادلة . اي انه يقاتل من اجل قضية عادلة . وهذه هي الركيزة التي يتفرع عنها كل شيء ، سواء الاسس التي يبنى عليهـــا الجيش الشعبي ، او اسلوب خوض حرب الشعب . وفي هذه النقطة يكمن السر في قدرة حرب الشعب على الانتصار . . فالعدالة التي تخاض من اجلها الحرب تتجسد في انهـــا حرب لمصلحة الجماهير ولذلك فانها تتمشى مع تطور التاريخ وتسير معه الى الامام . اما الحرب التي يشنها المستعمرون والعنصريون والصهيونيون فهي حرب مصالح قضية ظالمة ، وظلمها يكمن في انها تعمل ضد مصلحة الجماهير سواء اليهودية او العربية او الامريكية او الفيتنامية ولا يستفيد منها سوى طبقة تجار الحرب والطبقة الرأسماليـــة الاحتكارية الحاكمة ولذلك فانها لا تتمشى مع التاريخ ، ولا يمكن ان تخاض تلك الحرب اعتمادا على الشعوب . الامر الذي يفرض عليها ان تستمد قوتها عن طريـــق السلاح الحديث وعن طريق الحرب الخاطفة لانهاء الحرب وذلك حتى لا تثور الجماهير تحت وطأة المعاناة من حرب لا مصلحة لها فيهـــا . كتب احد المعلقين الاستعماريين الالمـــان هوفنا مقدمة لكتاب عن ماوتسي تونغ يقول « الحرب التقليدية اصبحت في الوقت الحـــاضر بسبب تطور السلاح الذري غير صالحة لان تكون امتدادا للسياسة ولكـــن هنالك نوعا جديدا من الحرب آخذ في الظهور . ويختلف عن الحرب التقليدية ولذلك لا بد له من اسم جديد حرب الفوار . ان المحير في هذه الحرب هو ان الجهة التـــي تبدو طيلة الحرب بأنها صاحبة القوة المطلقة كأنها بدون قوة وتخسر الحرب في النهاية . . » ان عسكريي المعسكر الاستعماري يعتقدون ان النصر والهزيمة مرتبطة بالتكنولوجيا والسلاح فقط . ولذلك فانهم لا يستطيعون فهم هذه الحروب الجديـــدة . ويلخص الجنرال جياب ، ابن الشعب الفيتامي صاحب القضية العادلة ، تجربة الحرب الفيتنامية بقوله « لقد اثبتت حرب التحرير الفيتنامية من وجهة النظر العسكرية ان جيشا شعبيا غير جيد التسليح ولكنه يقاتل في سبيل قضية عادلة يستطيع باستراتيجية وتكتيـــك مناسبين ان يجمـــع الظروف المطلوبة للانتصار على جيش حديث تابع للامبريالية العدوانية » .

الجيش الشعبي هو أداة تحقيق استراتيجية حرب الشعب . وحرب الشعب ، علـــى عكس الحرب التقليدية ، ادواتها التنفيذية تلد وتنمو او تتبلور خلال ممارسة الحرب . ان هذه الخاصيـــة تعني انه في حرب الشعب نجـــد تصاعـــدا بطيئا من التكتيـــك نحو الاستراتيجية . ومن نتائج هذه الخاصية الحتمية ضرورة توفر قضية عادلة مستواهـــا مصيري تحملها طلائع الجيش الشعبي الاولى بحيث ترى الجماهير الغفيرة من الشعب ان افراد الجيش الشعبي يضحون بحياتهم من اجل سعادتهم وانهم يقتلون على ايدي اعداء الشعب . ان القيام بهذه المهمة (الدعاية المسلحة) في ظل الضعف وعدم توفر الادوات

اللازمة والكافية ، يتطلب معطيات نفسية ومعنويات هائلة قادرة على تغطية التوازن المختل بالعوامل الموضوعية . فالصمود امام الفشل المتكرر وتحمل مآسي المرحلة الاولى من حرب ليس هنالك من طريق لاستكشاف خصوصيتها الا خوضها والمعاناة والالم ، ورغم ذلك فان اعضاء الجيش الشعبي مطلوب منهم ان يبقوا طواعية فيه ، كل هذا لا يمكن ان يتحقق الا بقضية اخلاقية مجسدة تقوم المعركة باسمها . ان صفة حاملي راية العدالة وراية القضاء على الفساد والاستغلال والظلم وانهاء كل مظاهر العبودية ، والتي يرفع الجيش الشعبي رايتها هي الخاصة الاستراتيجية التي تلعب دور الصاعق المفجر لطاقات الشعب والتي تتبلور عبر النضال وتتجمع خلال مرحلة حرب العصابات لتتحول الى قوى مادية ملموسة يتحسس العدو نموها عبر القوات المحلية والقوات المركزة وكأنها بالنسبة له انتشار سرطاني بطيء قاتل حتما، يزداد انتشاره عبر الصراع بين التناقضين (العدالة والعدوان) . هذا الصراع هو المهمة السياسية التي على الجيش الشعبي القيام بها وممارستها بالنضال السياسي والنضال المسلح على حد سواء . هذه النقطة تقودنا الى نقطة اساسية هامة تعتبر امتدادا للامر وتعتبر من العناصر الهامة لتوفر وحدة التراث بين الامة والجيش وهي العلاقة بين السلاح والانسان .

٣ ــ من الفروق الاساسية التي تميز الجيش الشعبي عن الجيوش التقليدية اعتبار الانسان هو العامل الحاسم والسلاح العامل المهم فقط . بينما يخطط الاستعماريون وممثلو الطبقة المستغلة على اساس ان السلاح هو الذي يقرر كل شيء امام الجماهير العزلاء . ان كلمة (يخطط) مقصودة . اذ أن الاستعماريين وممثلي الطبقة المستغلة مقتنعون في اعماقهم بأهمية الاعتماد على عنصر الانسان . الا ان هذه القناعة ضدهم ، اذ ان تطبيقها يعني تساوي السيد والمسود وهو المطلوب الحيلولة دونه . بينما يتمكن مخططو حرب الشعوب ان يستفيدوا من وضع الانسان في مرتبة العامل الحاسم ، اذ ان تعبئة الجماهير والشعب من خلال حوافز فكرية وقناعات داخلية أمر ممكن . ان هذه النظرة للمهم والاهم لها تجسيد في طبيعة تركيب الجيش الشعبي وفي اسس قتاله . اي أنه لا يعتمد كالجيش التقليدي على التجنيد الاجباري ، وهو يجد لكل عمر المكان المناسب كما أنه لا يختار ضباطه أعتمادا على الطول(١) أو الوجاهة او الواسطة وانما اعتمادا على مؤهلات نضالية . نقطة اخرى مميزة للجيش الشعبي بسبب هذه النظرة وهي ان النضال في الجيش الشعبي لا يمكن ان يقوم كما في الجيش التقليدي ، على الاجبار والطاعة ، وبالتالي اعتبار الجندي غير مسؤول عن النتائج . ان المناضل في الجيش الشعبي لا يمكن ان يناضل ويضحي الا بدافع قناعاته الشخصية التي لا بد بالتالي من توفيرها ، ومن مناقشة النتائج للعمليات العسكرية والسياسية من حين لآخر للمحافظة على قناعاته ، والا فانه سيتخلى عن الالتزام حيث لا يتوفر عنصر الاجبار . ومن هنا كان وجود المفوض السياسي كسلطة عليا أمر لا مفر منه . ان هذه الحوافز يعبر عنها ماوتسي تونغ بشكل رائع في مقالة الحكومة الائتلافية بقوله : (السبب في قوة الجيش الشعبي يعود الى ان كل افراده يطيعون النظام عن وعي وادراك وانهم تلاقوا وقاتلوا جنبا الى جنب في سبيل مصلحة جماهير الشعب الواسعة ومصلحة كل الامة ، لا في مصلحة خاصة لافراد معدودين او زمرة ضيقة . فالهدف الوحيد لهذا الجيش هو الوقوف بثبات الى جانب الشعب وخدمته بكل أمانة واخلاص) .

عندما يكون الانسان هو العامل الحاسم فان هنالك ثلاثة امور تخاض المعارك على اساسها وهي روح البسالة والقتال الليلي والقتال القريب المدى (قتال المئتي متر) .

---

١ ــ في الجيوش الكلاسيكية لا يجوز ان يقل طول الضابط عن ١٦٥ سنتمترا لان ذلك يسيء الى وجاهة الضابط .

وعندما يكون السلاح هو العامل الحاسم فان هنالك ثلاثة امور تخاض المعـارك على أساسها وهي ١ ــ الحوافز المادية ٢ ــ والقتال النهاري ٣ ــ والقتال البعيد المدى. ان الوصف الذي يقدمه فان هو عضو اللجنـة المركزية لجيش التحريـر الفيتنامي عن الجنود الامريكيين في معركة تل بورا يبين لنا الفرق الواضح بين الاعتماد على الانسان او السلاح في المعارك بقوله : « الجنود الامريكيون لا يدخلون في العمليات الا بعد سد من المدفعية والطيران والمدرعات ، ولذلك فان الجندي الامريكي يشعر بأن عمله بسيط وهو تنظيف المنطقة بالاسلحة الخفيفة . هذا النهج غير قابل للتطبيق في الثورة الشعبية التي تحد بشكل هائل من فاعلية المدفعية والطيران عن طريق الاختباء في الملاجيء والانتظار ثم مواجهة المشاة بقوة ومعنويات لا تشل . اذن فيما عدا المدفعية الثقيلة التي لا يمكن استخدامها في الالتحام الحاسم ، فاننا متساوون مع العدو على الصعيد المادي ويبقى العامل الحاسم قوة المعنويات وهذا يعني ان الجندي الامريكي قد هزم سلفا . في منطقة يورام كان الجنود الامريكيون يتسارعون جميعا وفي نفس الوقت ويتقاتلون للصعود في طائرات الهيليكوبتر وشاهدنا جنودا يطلقون النار على رفاقهـم كي يخلوا السبيل حتى تتمكن الطائرات العمودية من الاقلاع . ان معنويات الفرق الامريكية اسطورة ، ولكن انصافا نقول : ربما كانت ستكون مرتفعة لو كانوا يقاتلون دفاعا عن وطنهم » .

ان النقاط السابقة تجعلنا قادرين على تلخيص الفروق الاساسية بين الجيش الشعبي والجيش الكلاسيكي بما يلي :

	الجيش الشعبي	الجيش الكلاسيكي
الهـدف	خدمة الغالبية العظمى من الشعب بأمانة واخلاص	خدمة الطبقة المستغلة الحاكمة
محور العمل	الانسان هو العامل الحاسم أ ــ حل قضايا الجماهير العادلة (القضية المصيرية) ب ــ عمل سياسي وحوافز فكرية	السلاح (التكنولوجيا) العامل الحاسم أ ــ الحفاظ على مصالح طبقة معينة ب ــ توجيه معنوي وحوافز مادية

ان هذه الفروق الاساسية بالهدف وبالنظرة للانسان والسلاح ، وبالتالي لمحور العمل تفرض اختلافا اساسيا في كيفية بناء القوات السياسي والعسكري ، في الجيش الشعبي عنه في الجيش الكلاسيكي .

بناء القوات السياسي

ان جيشا هدفه خدمة الغالبية العظمى من الشعب والـذي يعتبر الانسان هو العامل الحاسم والذي يستطيع تنظيم غالبية الشعب بسبب توفر القضية العادلة ، ان جيشا كهذا لا يمكن الاستفادة من نقاط قوته المذكورة ، بدون تثقيف الجيش باهداف الثـورة والجماهير ، وبدون توفير الآلية اللازمة لتأمين المشاركة الفعالة ، ولهذا فاننا نجـد في الجيش الشعبي عملا سياسيا داخل القوات ، بينما نجد في الجيش الكلاسيكي ما يسمى بالتوجيه المعنوي . والفرق بين الحالتين كبير جدا . فالتوجيه المعنوي يرمي الى توفير رأي عام يسهل للسلطة تغطية مخططاتها ، وذلك باستخدام كافة الوسائـل والحوافز المادية والكلامية ونشر الشائعات والاكاذيب والحقائق الملائمة على حد سواء . بينمـا يهدف العمل السياسي الى تأمين انصيـاع المناضلين (ضباطا وجنودا) الواعي لارادة المجموع ، الامر الذي يتطلب جعل الجيش الشعبي ساحة لمساهمة الشخصية النشيطة للمقاتل في العمل الثوري . وهذا لا يتحقق الا اذا كان المناضلون على كل المستويـات، على صلة حية ودائمة ومتفاعلة بعملية التحول الثوري . وهذا يتطلب بدوره مشاركة

افراد الجيش ــ بكل ما في كلمة مشاركة من معنى ــ بمناقشة الخطين السياسي والعسكري ، الفكري والتنظيمي ، وبناء العلاقة الثورية وتامين السلوك الثوري للنمط الانساني الجديد . وهذه العملية لا تحقق غرضها الا عن طريق الاقناع والتثقيف وليس من خلال اصدار الاوامر والارغام .

ان العمل السياسي ليس حربا نفسية ذات هدف آني وانما هو بناء للانسان وعملية تثقيف وممارسة يجب ان يشترك بها كل مناضل . الامر الذي ينفي عن العمل السياسي صفة العمل الفني الصرف الذي يتطلب اختصاصا معينا . ان وضع العمل السياسي في الجيش الشعبي في اطاره الصحيح يتلخص بالنقاط التالية ، والتي تشكل قاسما مشتركا بين كل الجيوش الشعبية في عصرنا الحاضر كالجيش الصيني والجيش الفيتنامي على وجه الخصوص .

مهام العمل السياسي : تتلخص مهام العمل السياسي بتحقيق وحدة داخل القوات المسلحة سواء بين الضباط او الجنود ، او بين الجنود والضباط . وتحقيق وحدة القوات المسلحة مع الشعب ، وكذلك سحق المشاعر القومية الشوفينية عن طريق بناء مشاعر التضامن الاممي ، واخيرا كيفية ضمان تفكيك قوات العدو . ان تحقيق المهام السابقة يقوم عن طريق البناء الفكري للمقاتل وضمان استمرار تعميق الوعي النظري لكل مناضلي الجيش الشعبي ، بالخطين السياسي والعسكري عن طريق دراسة مسائل محددة حسب متطلبات الهدف الثوري في فترة معينة ، او عن طريق دراسة نتائج الممارسات ، في فترة معينة ، سواء الفاشلة منها او الناجحة . كما انه يجب تعظيم دراسة علم السياسة وفق برنامج دائم بواسطة المحاضرات والاحاديث على مستوى الفئة وكذلك بواسطة المدرسة السياسية . وهنا يلعب المسرح والكلمة المكتوبة والمذاعة دورا هاما في القدرة على تعميق الخطين السياسي والعسكري . ان القدرة على تحقيق الوعي الفكري اللازم لنقل مهام العمل السياسي الى حيز التطبيق ، مرتبط بتوفير الكادر (وتزايده المستمر) القادر على القيام بتلك المهمة ، بالاضافة الى هيكل تنظيمي يضمن آلية تنفيذ الديمقراطية المركزية ، أي مناقشة كل الامور السياسية والعسكرية والاقتصادية من القمة الى القاعدة ، ومن القاعدة الى القمة . وهذا يتجسد بمستويات تنظيمية يتحدد شكلها من خلال معرفة طبيعة وشروط الانتماء للجيش الشعبي . فاذا كان كل عضو في الجيش الشعبي عضوا في الحركة الثورية ، فانه حينئذ يكون قائد القوات او الكتيبة قائدا سياسيا وعسكريا في نفس الوقت ، ويساعده مفوض سياسي ومساعد عسكري وتكون مستويات القوات هي مستوياتها التنظيمية . اما اذا كانت العضوية للجيش الشعبي مفتوحة بحيث انه لا يشترط كون المقاتل عضوا في الحركة الثورية او الحزب الثوري ، حينئذ يجب ان يكون هنالك مفوض سياسي وقائد عسكري وتشكل لجان حزبية حتى مستوى السرية ومن ثم خلايا حزبية ، بالاضافة الى مجالس الجنود ومنظمات الشباب . ان تحقيق الوحدة داخل الجيش الشعبي يمكن جعله واقعا وتطويره نحو الافضل ، عن طريق ما يسميه ماوتسي تونغ (الديمقراطية في الميادين الثلاثة الاساسية) وهي الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاقتصادية والديمقراطية العسكرية .

الديمقراطية السياسية تعني المساواة السياسية في العلاقة بين الضباط والجنود انطلاقا من أن الفوارق التي اقتضت وجود ضباط وجنود ليست الفروق السياسية وانما هي ضرورات التقسيم الفني للعمل الثوري ، وان العلاقة خارج الاطار الفني هي علاقة من يوحدهم الهدف السياسي . وانطلاقا من هذه العلاقة يقدر ماو النتائج المترتبة على ذلك « فالضباط لا يضربون الجنود ، وهم يعيشون معهم في مستوى واحد ، والجنود

يتمتعون بحرية الاجتماع ، والكلام ، والشكليات والرسميات السخيفة قد الغيت »(١)، والديمقراطية الاقتصادية تعني « أن يضمن للمندوبين المنتخبين من قبل الجنود حق معاونة رؤساء السرايا (ولا يحق لهم ان يتجاوزوا اختصاصات الرؤساء) على ادارة شؤون المؤن والغذاء في سراياهم... »(٢)... « كما ان دفاتر الحسابات مفتوحة لمراقبة الجميع » (٣). اما الديمقراطية العسكرية فينبغي « ان تطبق في التدريب العسكري طريقة التدريب المتبادل بين الضباط والجنود ، وبين الجنود انفسهم . وخلال فترات القتال يجب على السرايا في الجبهة عقد اجتماعات كبيرة وصغيرة من جميع الانواع، حيث يستنهض جمهور الجنود تحت توجيه رؤساء السرايا ليتناقشوا في كيفية الهجوم والاستيلاء على مواقع العدو وكيفية اداء المهام القتالية الاخرى »(٤).

ان تطبيق الديمقراطيات في الميادين الثلاثة المذكورة في ظل قيادة مركزية هي الطريق لتحقيق وحدة سياسية قوية ولتحسين ظروف المعيشة ، ورفع المستوى في التكنيك والتكتيك العسكريين . ان كل الامور المتعلقة ببناء القوات السياسية في الجيش الشعبي تنبع من التمسك بالاولويات الاربع وهي : العنصر الانساني اولى ، العمل السياسي أولى ، العمل الفكري أولى ، المشاكل الملحة أولى . (وسنتعرض لهذه الاولويات الاربع بالتفصيل في موضوع قادم) .

خصائص الجيش الشعبي العسكرية

من بديهيات العمل العسكري ان القائد يحدد بادىء الامر الهدف واسلوب قتاله ، وبعد ذلك يوزع قواته ويحدد حجمها ، والجيش الشعبي له خصائص عسكرية خاصة نابعة من انه اداة تحقيق استراتيجية حرب الشعب ، ولما كانت هذه الاستراتيجية تبدأ بمرحلة تجنب المعارك الحاسمة وذلك بسبب الضعف المتجسد بعدم امتلاك الادوات اللازمة لخوض معارك حاسمة ، فان ولادة الجيش الشعبي بخلق نوع من القوات تمكن الضعيف من خوض الحرب والنمو في وقت واحد . هذه البداية تتطور بحيث تنمو وتتشكل القوات الثلاث الاساسية التي لا يخلو منها اي جيش شعبي وهي :

١ ــ وحدات الانصار . (اداة حرب العصابات) : هدفها الرئيسي خوض حرب استنزاف ضد العدو عن طريق قواها المبعثرة والتي لا قيادة مركزية لها . وعمل هذه القوات يكون في بداية الحرب ذا محتوى استراتيجي ، ويتحول في نهاية الحرب الى دور تكتيكي . ففي بداية الحرب تقوم بالدعاية المسلحة بهدف زيادة عدد المناضلين وانتشار مجموعات الانصار على طول البلاد وعرضها . ان هدف وحدات الانصار الاستراتيجي هو نقل الثورة من الورق الى ورشة العمل وضمان عدم القضاء على الثورة عند ولادتها وبعد ولادتها مباشرة .

٢ ــ القوات المحلية : وهي قوات تفرز من مناضلي وحدات الانصار . ونشؤها يعني نجاح حرب العصابات في تحقيق اهدافها . ان مهمة القوات المحلية الى جانب عملية الانهاك هو تجميد قوات للعدو من أجل القدرة على تنفيذ خطة معينة . وانتشار القوات المحلية يجعل الجيش الشعبي قادرا على ضرب العدو في اي مكان يدخل فيه .

٣ ــ القوة الاستراتيجية المتحركة :ان اداة عنف العدو لايسحقها الا اداة عنف متوازنة

---

١ ــ المقتطفات ، ماوتسي تونغ ، ص ١٦٨ .
٢ ــ المقتطفات ، ماوتسي تونغ ، ص ١٦٩ .
٣ ــ المقتطفات ، ماوتسي تونغ ، ص ١٦٨ .
٤ ــ المقتطفات ، ماوتسي تونغ ، ص ١٦٩ .

معها . وهذا يتطلب قوة ممركزة القيادة مع حجم كاف لخوض حرب نظامية بهدف خوض معارك الافناء باتجاه واحد . ان الوصول الى امتلاك هذه القوات يعني اكتمال بنـاء هرم الجيش الشعبي ، الامر الذي يعني بالممارسة ان استراتيجيي حـرب الشعـب امسكوا زمام المبادرة بأيديهم واصبح بامكانهم الانتقال من مرحلة تجنب خوض المعارك الحاسمة (الدفاع) الى مرحلة خوض المعارك الحاسمة (الهجوم) .

ان العناصر الثلاثة المكونة لهرم قوات الجيش الشعبـي يستنبط منهـا ببساطة ، ان الفرق بين الجيش التقليدي والشعبي ليس فقط بنوع العلاقات الرفاقية والاخوية السائدة داخل الجيش الشعبي وانما ايضا بالعناصر المكونة لهما . فالجيش التقليدي لا يتكون الا من قوة استراتيجية متحركة وهي القوات التي يمكن وضعها تحت السلاح .

ان بناء هرم القوات الشعبية عبر ظروف همجية استعمارية شرسة ليس بالامر السهل وهذا ما دعانا الى القول في البداية بأن تاريخ بناء الجيش الشعبي هو تاريخ الثـورة نفسها . والحديث بالتفاصيل عن مراحل البناء ليس موضوع هذا البحث . ولكن حتى تتضح الصورة عن الخصائص العسكرية الاساسية للجيش الشعبي وخاصة الناتجة عن الية تشكيله والوحدات المشكلة له فانه لمن المفيد ان نلقي الضوء على الخصائص التالية :

١ ــ من مبادىء حرب الجيش الكلاسيكي ان من يخوض حربا على ارضه فانه يكون قد خسر نصف المعركة . كما أن الجيش الكلاسيكي حريص على عدم اشعار المدنيـين بالحرب خوفا من ردود الفعل الشعبية في حالة الحرب التي لا مصلحة لغالبية الجماهير فيها ، كما أن الجيش التقليدي مضطر من اجل الحفاظ على المصالح الاقتصادية للطبقة التي يمثلها ان يبذل جهده لحمايتها من التدمير . اما الجيش الشعبي فالمطلوب من قواته المحاربة الذوبان الكامل في الشعب الذي يجب ان يصبح محيطا ثوريا يسبح فيه االثوار كالسمك ويغرق فيه العدو .

ان هذه الخاصية في النظرة الى شمول المعركة ومداها يعتبر حجر الاساس في اساليب قتال الجيش الشعبي . ان هذا الشمول في المعركة يعني خوض الحرب على مستوى الاستراتيجية الشاملة ، ولكن ليس بأسلوب القوي الذي يمارس عملية الطعن بالسكين علنا ووجها لوجه ، وانما بذكاء الضعيف الذي يجبر خصمه على ابتلاع السكين وهذا ما يعبر عنه عسكريا اجبار العدو على تعدي مداه الاستراتيجي مع المحافظة على قوى الطرف الاخر لضرب العدو المنهك . فالهدف الرئيسي من الحرب هو افناء العدو ومن ثم فرض الارادة عليه ، وهذا يتوفر من خلال اتساع مساهمة الجماهير بالحرب من خلال انتمائها الفعال الى احدى القوات الثلاثة المشكلة للجيش الشعبي .

واذا توفر عنصر المساهمة الشعبية ذلك ، فان موضوع الارض يمكن حينئذ التصرف فيه بالشكل الملائم للموقف بالاحتفاظ بها او التخلي عنها مؤقتا اذا كان ذلك مفيدا . وهذا ما يعبر عنه ماوتسي بقوله : « انه كثيرا ما يكون التنازل عن الارض هو السبيل الوحيد من اجل الاحتفاظ بها . فاذا كان ما نفقده هو الارض وما نكسبه هو النصر على العدو بالاضافة الى الارض بل حتى توسيعها فاذا تلك تجارة رابحة(١) .

من المعروف عندما يعبر جيش تقليدي حدوده فان هذه القوات اذا تمركزت فقدت ارضا، واذا ما انفلشت فقدت قوتها الناجمة عن المركزة . ولذلك فان الجيش التقليدي بعبوره الحدود يبدأ بالمعاناة من تناقض قاتل عندما يواجه جيشا شعبيا عنده وحدات الانصـار تعمل خلف خطوطه بقصد تحطيم معنوياته وقطع طرق مواصلاته وارباكه ، في الوقت

١ ــ المقتطفات ، ماوتسي تونغ .

الذي تقوم فيه الوحدات المحلية بضربه في كل مكان لاجباره على نشر قواته على مساحة واسعة لتقوم القوة الاستراتيجية المتحركة المركزة باختيار منطقة لخوض معركة استراتيجية تختار بعد الانفلاش ، فيضطر الجيش التقليدي على تجميع قواته من جديد ومركزتها لمواجهة القوة بالقوة ، وبالتالي يخسر ارضا . وهكذا يعيش الجيش الغازي تناقضا لا خلاص منه ، الانفلاش ، والمركزة .

الجيش الشعبي بسبب طبيعة تركيبه الثلاثية (الانصار ، وحدات المناطق ، الوحدات النظامية) والتي يمكن توفيرها على الارض التي يقاتل عليها مدافعا ، لا يواجه مثل ذلك التناقض القاتل بل هو قادر من خلال تشغيل القوى الثلاثة بالتناوب على الخروج من المآزق ، ويملك القدرة على ان يكون في كل مكان او لا يكون .

ان احتلال ارض او قاعدة جديدة من قبل جيش تقليدي غاز لا يعني كما في الحروب الاخرى ربح معركة . ومن هنا نجد ان كثيرا من الامريكيين في فيتنام يقولون بأنهم يشعرون بأنهم يقاتلون في سبيل لا شيء . فالمهم في حرب يخوضها جيش شعبي هو لقاء القوات المعادية ، واحتلال العدو لارض جديدة يعني انفلاشا وفرصة جديدة للعمل . ولقد قدم الفيتناميون نماذج رائعة في استغلال هذه الخاصية والتي تجعل الاشراف على مساحات من الارض يحتل مكانا اهم من احتلال الارض نفسها ، او الاحتفاظ بها . **وهذا ما يوفر ويبدع مبادىء جديدة في السيولة الهجومية للقوات .**

٢ ــ الجيش الشعبي بحكم طبيعة تكوينه ونشأته هو جيش قادر على القتال بالدبابة والصاروخ والطائرة اذا امتلكها ، كما انه يستطيع القتال بدونها . والسبب في قدرته هذه ترجع الى طبيعة نشأته وتكوينه . فالقوات المحلية وقوات الانصار قوتان مخفيتان ولذلك فهما ليستا هدفا ظاهرا للطائرات والدبابات ، كما انهما مدربتان على القتال القريب المدى والقتال الليلي وهما مهيئتان لان تناورا كخلية النحل من خلال هجومهما الخاطف ضد الدبابات والافراد والذي لا يستمر اكثر من دقائق . اما القوات المركزة المتحركة فهي ذات منشأ انصاري ومن القوات المحلية ، وبالتالي يمكن حسب تبدل ميزان القوى مركزتها والقتال بها باتجاه واحد ، والمناورة بها كالكبش وجعلها تستخدم كل الاسلحة الحديثة ، او حل عقدها وتوزيعها الى قوات محلية او عصابات اذا ما ظهرت صعوبات بالحفاظ عليها . هذه الميزة الرائعة لا يستطيع جيش كلاسيكي ان يمارسها بسبب اختلاف المنشأ والصلة . وهذه الخاصية هي التي تجعل حرب الشعب تتلخص بالقدرة على تحريك القوى الثلاث المشكلة للجيش الشعبي ، بالتناوب ، وبشكل حاذق يضمن خلق التكتيكات المضادة لتكتيك العدو .

صحيح لن القدرة على تحريك القوة الاستراتيجية المتحركة يعطي نتائج اكثر تحسسا من تحريك القوتين الاخريين ، الا انه في حال اختلال ميزان القوى لصالح العدو يصبح المطلوب هو القدرة على البقاء والاستمرار واسترجاع الانفاس ، وهنا يقدم الجيش الشعبي الحل ، لحالة يتعرض لها الضعيف عشرات المرات . ومن الامثلة الواضحة على ذلك ما جرى في فيتنام عام ١٩٦٥ . فمن المعروف ان الجنرال جياب قائد الجيش الشعبي الفيتنامي قال عام ١٩٦٤ السنة القادمة سنحرر جنوب فيتنام . وهذا يعني بمفهوم حرب الشعب ان السنة القادمة ستعني الاستيلاء على المدن آخر مراحل اي حرب شعبية . وفعلا بدىء بالهجوم واحرز تقدم في الاستيلاء على بعض المدن ، وعندما القى الامريكيون بثقلهم عام ١٩٦٥ وذلك بانزال حوالي نصف مليون جندي اختل ميزان القوى لصالح النظام العميل في جنوب فيتنام . هنا اوقف الفيتناميون هجومهم على المدن، وعادوا من جديد الى القتال بوسائل حرب العصابات والى حد ما بحرب المواقع ووسعوا الجبهة بفتح جبهة لاووس وتايلاند بقصد كسب الوقت وانهاك العدو الامريكي . وبعد

سنوات خمس تقريبا عادوا من جديد يستعدون لدخول المدن ، اي الى تحريك القوة الاستراتيجية المركزة على نطاق واسع .

٣ ــ من الاعمدة الاستراتيجية التي يقوم عليها الجيش الشعبي ، قضية الاعتماد الكبير في تحقيق النصر على تفكيك قوى العدو ووحدته الداخلية من خلال التسلل السياسي . واذا كانت الشعارات المجسدة للقضية العادلة التي يقاتل من اجلها، والسلوك الانساني الذي يمارسه الجيش الشعبي بالتعامل مع الاسرى والمناطق التي يدخلها ، اذا كانت تلك الامور أساسية ولا بد منها ، فان الطريق الى التسلل السياسي وتفكيك قوى العدو هو جعل شعب وقوات المعتدي يعانيان من الحرب وذلك عن طريق اطالة أمد الحرب. اذ ان السياسة العدوانية عندما تحقق انتصارات ومكاسب اقتصادية لا تنعكس نتائجها على الطبقة القائدة في معسكر العدو ، بل يمكن ان يرافقها ارتفاع اوار الشوفينية والعنصرية المعادية بين مختلف الفئات الاجتماعية ودولة الصهاينة نموذج حي لهذه الحالة التي نشعر بها بعد كل عدوان اسرائيلي ناجح علينا .

ان اسلوب بناء الجيش الشعبي يجعله قادرا على ممارسة (المناورة بالاعياء)(١) في حرب طويلة الامد ، تكون نتائجه جر العدو للاذعان والخضوع مرغما بالاعياء الذي يصيبه(٢) مقتنعا وشعبه ان دباباته وطائراته عاجزين عن حل المشاكل . وتحت ضغط التكاليف الباهظة والتدهور الاقتصادي والمظاهرات المنادية بايقاف نزيف الضحايا ، تتأزم التناقضات الداخلية في المعسكر الرجعي ، الامر الذي يزعزع معنويات جيش العدو ، وحينئذ يصبح من السهل توجيه الضربات اليه .

٤ ــ نابوليون كان كثيرا ما يقول « ان الفن العظيم في المعارك هو تغيير خط العمليات في اثناء القتال ، وهذه هي احدى افكاري ، وهي جديدة كل الجدة(٣). ولتطبيق ذلك كان نابوليون يقوم بمصادرة البيوت والمزارع واقامة مراكز مختلفة للعمليات(٤). كل ذلك من أجل ايجاد الظروف الملائمة لتغيير خطوط المواصلات في قلب المعركة ، اذ ان هذا السلوك يجعل القائد ينجو من الحصار ولا يضطر الى القتال على جبهة مقلوبة .

ان هذه النظرية التكتيكية ذات المردود الاستراتيجي هي سر قدرة الجيش الشعبي على مواجهة قوى اكبر بكثير من قواه بالتوازي معها ، الامر الذي يبدو لكثيرين أمرا غير منطقي . والفرق بين نابوليون والجيش الشعبي في هذه النقطة ، ان الجيش الشعبي لا يحتاج الى مصادرة البيوت والاماكن ، اذ ان مشاركة غالبية الشعب بحرب ، واقبالهم الطوعي بدافع المصلحة الاقتصادية والوطنية على الانتماء للجيش الشعبي ، يجعله ملتقى لخيرة الشباب والشيوخ وكذلك خيرة العقول والنفسيات ذات النقاء الثوري الامر الذي يجعل الجيش الشعبي مؤهلا للتحرك الجماعي وبالتالي الى امتلاك العامل الذاتي الفعال والكفوء والقادر على تحويل النظرية الى واقع حي متحرك اعتمادا على الجماهير وبمشاركتها وليس على القمع والمصادرة . وهذا الواقع الايجابي هو الذي يجعل المبدأ الذي يفتخر نابوليون باكتشافه يطبق بشكل نموذجي من قبل الجيش الشعبي .

٥ ــ ان الجيش الشعبي عندما يدافع عن دولة يكون قادرا من خلال استراتيجية حرب الشعب على ابطال مفعول التفوق التكنولوجي من خلال سواعد ملايين ابناء الشعب القادرة على اخفاء كل شيء صناعي واقتصادي حساس تحت الارض او في

---

١ ــ **مدخل الى الاستراتيجية العسكرية** (بوفر) ، ص ١٦١ .
٢ ــ **مدخل الى الاستراتيجية العسكرية** (بوفر) ، ص ١٦٤ .
٣ ــ **تاريخ الفنون العسكرية** (شنايدر) ، ص ٤٢ ــ ٤٣ .
٤ ــ **تاريخ الفنون العسكرية** (شنايدر) ، ص ٤٢ ــ ٤٣ .

الكهوف كما هو الحال في فيتنام اليوم . وعليه الى جانب اقتصاد الحرب الطويل المدى بناء الجسور العائمة للمرور ليلا وازالتها نهارا كابطال لمفعول القصف الجوي ، وان يهيء الجماهير للعمل تحت شعار العدو يدمر ونحن نرمم . كما انه من خلال مشاركة الشعب يمكن ان تحل النساء مكان الرجال في الزراعة والانتاج .

ويعتبر ما يقوم به شعب الصين نموذجا حيا للخصائص العسكرية المؤدية الى حرية القدرة على اتخاذ القرار السياسي بالرفض والتأييد . ومن الامثلة الحية انفاق مدينة بكين وخزانات النفط التي تبنى وفي قاعها ابواب تفتح في ساحة الخطر لينساب النفط منها عند الهجوم الجوي الى اماكن بعيدة وعبر اقنية في باطن الارض ولذلك فان استراتيجية الجيش الشعبي الصيني هي جر العدو للقتال على ارضها تحت شعار ليس عيبا ان يأتي الامريكيون الينا وانما العيب ان يغادروها احياء . وهم قادرون على تنفيذها ويكفي ان الاستعماري ماك ارثر قائد الحرب الكورية كانت اخر وصاياه الا تخاض حرب برية في اسيا .

النظام الاردني ومعركة الكرامة

يحاول النظام الاردني من خلال احتفالاته المستمرة اقناع ضباطه وجنوده ان معركة الكرامة تمت بتخطيط من القصر الملكي . وكذلك حاولت بعض الصحف الكويتية المعروفة باتجاهها ان تكتب مجموعة مقالات تحت باب جنرالات الجيش الاردني يتحدثون ، وهذه المقالات تهدف الى بث فكرة ملخصها ان سرقة الفدائيين لانتصار الكرامة كان السبب الاساسي للانفصام الذي ساد العلاقات بين الطرفين وادى الى صدام ايلول . ان هذا الخط الاعلامي للنظام الاردني خط مدروس ووضعه الخبراء الامريكيون الذين كانوا متواجدين في رئاسة الاركان الاردنية اثناء ايلول وكانوا هم الذين يكتبون بلاغات الحاكم العسكري وكانت مهمة معن ابو نوار وعدنان ابو عوده محصورة بالتعديلات اللغوية . وفي تقرير ورد في الشهر الماضي لجهاز امن حركة (فتح) ، ومن مصادر تعتبرها (فتح) موثوقة ، يشير الى محاضرة القاها ضابط في السفارة الامريكية على عدد من الضباط المتعصبين لاردنيتهم . وقد حاول الضابط الامريكي ان يقنع الحاضرين ان تحرير فلسطين لم يكن في يوم من الايام دخل للفلسطينيين به ، ففلسطين على حد رأيه حررها عبر التاريخ ثلاثة صلاح الدين الكردي ولورنس الانكليزي والملك عبدالله الهاشمي .

ان الثورة الفلسطينية لم تنكر يوما الدور الذي قام به ضباط وصف ضباط وجنود في الفرقة الثانية يوم الكرامة . ولكن الثورة الفلسطينية تصر على القول بأن النظام الاردني مجسدا (بالقصر) كان يتصرف على اساس ان اسرائيل ستحل له مشاكله للتغلب على الوضع الجديد الناشىء عن وجود ثوار مسلحين بشكل علني في الاغوار . والدليل على ذلك متعدد الجوانب . ممكن اجمالها بجانب تحليلي يعتمد على السلوك التاريخي للنظام الاردني ضد الفلسطينيين ، والذي يعتبر كتابا الدكتور انيس صايغ (الهاشميون والقضية الفلسطينية) و(الهاشميون والثورة العربية الكبرى) مرجعا لهذا الموضوع . وبجانب نابع عن ممارسات النظام في الفترة التي تلت الخامس من حزيران حتى اواخر عام ١٩٦٨ عام الكرامة ، والتي سأحاول هنا ان نذكرها من جديد للتاريخ :

١ ــ في اواخر شهر شباط طلبت قيادة الجيش الاردني من قيادة الفرقة الاولى والتي كان يقودها مشهور حديثه في ذلك الوقت ، ارسال سرية ناقلات محمولة الى الكرامة لاستحداث نقاط تفتيش . وان تلحق تلك السرية بقائد لواء الامرة عالية (كاسب الصفوك) . وكانت الحجة ان الفدائيين بدأوا يزعجون الناس وما داموا متواجدين فلن يتمكن الفلاحون من الزراعة . وقد بذل يومها قائد الفرقة الاولى اللواء مشهور حديثه كل جهد ممكن للحيلولة دون وضع نقاط التفتيش . الا انه غلب على امره ولعب دورا كبيرا

من خلال التفاهم مع كاسب الصفوك الذي تربطه به صلة قرابة ، من تدارك الموقف الناتج عن تحدي الفدائيين ورفضهم تقديم هوياتهم وتقديم الكلاشنكوف عوضا عنه . وهذا ما يثبت ان نية السيطرة على الفدائيين كانت متوفرة قبل معركة الكرامة وانهم عندما فشلوا استبدلوا انفسهم بالاسرائيليين .

٢ ــ في ٣/٢٠ اي قبل معركة الكرامة بيوم واحد أصدر مشهور حديثه امرا بالغاء نقاط التفتيش وكلف قائد لواء عالية بتجميع سرية الناقلات المحمولة في شرق الكرامة ، مع تكليف قائد السرية بالدفاع عن شرق الكرامة (مثلث الشونة) بعدما الحقت به فصيل م/د ١٠٦ كانت تساند قوات الحجاب .

٣ ــ قبل المعركة بأسبوع بدات الضغوط تنهال على قائد فتح ، الاخ ابو عمار والاخوين ابو اياد وابو صبري ، أعلى المراتب المسئولة المتواجدة يومها هناك . وقد بذل عريم قائد القوات العراقية وعامر الخماش رئيس الاركان الاردنية يومها ، جهدا كبيرا في قرية الحمرا الاردنية الواقعة على الحدود السورية ، وكذلك في عمان لاقناع (فتح) بالانسحاب من خلال طرح الاخطاء العسكرية التي تحملها مواجهة الفدائيين . وكان الجواب يومها أنها معركة سياسية وليست عسكرية ، وبعدما اشتد الضغط كان جواب الاخ ابو عمار اننا نريد ان نقنع العالم ان هنالك في الامة العربية من لا ينسحب ويهرب . لنمت تحت جنازير الدبابات ونغير اتجاه التاريخ في المنطقة وحينئذ لن يعتب احد علينا . وفي احد اللقاءات لمح ضابط كبير جدا بأنه يعتقد ان هنالك طرفا امريكيا متفقا مع طرف في القصر بأن تقوم اسرائيل بتنظيف الكرامة . واضاف بأن الجيش لن يستطيع لذلك تقديم ما يتوقع منه .

من البديهيات ان المعركة بالدرجة الاولى هي معركة القرار ، والقرار اتخذته قيادة (فتح) ومجلسها العسكري . حتى ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وكانت يومها موحدة تركت مواقعها ولم تدخل المعركة اقتناعا منها بصحة التحليلات العسكرية الكلاسيكية ولعدم ادراكها أن الثورة الفلسطينية كانت تبحث عن القاعدة الآمنة .

٤ ــ ان نظرة نلقيها على خارطة المعركة تعطينا فكرة عن شكل توزع ثقل المعركة . حيث يلاحظ بسهولة ما يلي :

آ ــ ان ساحة الاحتكاك المباشر للعدو كان بها سرية دبابات اردنية + فصيل سيارات جيب عليها مدافع ١٠٦ ، متمركزة عند مثلث الشونة ، بينما كانت قوات الفدائيين تغطي كل الساحة .

ب ــ ان سرية الدبابات الاردنية المتواجدة قد واجهت لواء الدبابات المتقدم . وقد وجه قائد اللواء الاسرائيلي نداء بمكبرات الصوت للدبابات الاردنية بألا تطلق النار لان العملية موجهة ضد الفدائيين . الا أن سرية الدبابات قاتلت ببسالة الا انه بعد تدخل الطيران انتهى مفعولها ، بعدما الحقت بلواء الدبابات المتقدم خسائر زادت عن ٢٠ دبابة وآلية .

ج ــ ان قوات الفدائيين واجهت لوحدها لواء المشاة المتقدم عن طريق جسر دامية ، والقوات المحمولة بالهيلوكوبتر والتي انزلت بأربعة اماكن كتيبة مظليين هدفها تطويق الفدائيين المتواجدين في السهل والمدينة (كلهم من رجال العاصفة) ، وقوات الدبابات الباقية من اللواء المتقدم عن طريق جسر اللنبي . وبعد ذلك لواء المشاة المحمول الذي كان يشكل القسم الثاني من الهجوم . صحيح ان المدفعية الاردنية لعبت دورا كبيرا في اعاقة الانسحاب وفي ارتفاع خسائر العدو ، الا انه علينا الا ننسى بأن قائد الفرقة مشهور حديثة كان قد ابلغ الضباط قبل المعركة بيومين بأن فتح المدفعية ليس بحاجة الى أمر من قيادة الفرقة ، الامر الذي ترك لقيادة المواقع حرية التصرف ، وهنا تدخل حس الضباط والجنود الوطني .

د ــ كان قسم الامر في معركة الكرامة يتالف من مشهور حديثه قائد الفرقة الثانية والعقيد سعد صايل قائد هندسة الفرقة الاولى والشريف زيد قائد المدرعات . واثنان من قسم الامر لم تعد لهم اية صلة بالجيش : مشهور حديثه بالسجن وسعد صايل قائد قوات اليرموك . اما قادة الفرقة الثانية فمنهم بهجت المحيسن (قائد لواء حطين) المفروضة عليه اقامة اجبارية واما الزعيم شابسو مدير العمليات الحربية آنذاك فقد ترك الجيش .

هـ ــ ان من اسباب ارتفاع الخسائر بالدبابات الاردنية هو القرار الذي اتخذ ظهرا بتحريك كتيبة الدبابات المتواجدة في ناعور خلف القصور الملكية . الا انه ما كادت سرايا هذه الكتيبة تتحرك وتصل الى محاور الالوية ، وخاصة السرية التي اتجهت الى لواء القادسية ، حتى فاجأها الطيران ودمر قسما منها .

عندما بدأت الكتابة لم اكن انوي كتابة هذا المقال الطويل . الا ان سيلا من المشكلات والقضايا ينهال على ذهن كل من يحاول الخوض في موضوع يتعلق بالثورة الفلسطينية . ولنختتم هذه الوقفة عند معركة الكرامة بما حدث الساعة الثامنة واربعون دقيقة مساء عندما دخل الملك حسين والشريف ناصر والشريف زيد وعديله ، الى قيادة الفرقة. وسأل الشريف ناصر ضاحكا قائد الفرقة شو عملوا الفدائية ، قلوا اليس كذلك . وهنا صمت الملك بينما اجاب مشهور حديثه بكل تحد ان الفدائيين قاتلوا بشجاعة وبسالة وخسروا كثيرا . وفي هذه الاثناء قرع جرس التلفون لينقل معلومات من لواء عالية تقول ان هنالك نجدات من الفدائيين تتحرك عبر وادي شعيب باتجاه الكرامة فضحك الزائرون الا الملك فام وطلب من قائد لواء عالية ان يقدم له تقريرا مفصلا عن الفدائيين . وفي اليوم الثاني كان الفدائيون الذين عبروا عن طريق وادي شعيب يحيطون بـ ٩٢ شهيدا من قوات العاصفة استشهدوا كالاسود في عرينهم و٢٤ شهيدا من قوات التحرير الشعبية استشهدوا كالصقور في اعالي الجبال . وبدأ المد الثوري . وفي عام ١٩٧٠ انتقم النظام ممن صنعوا معركة الكرامة سواء كانوا فدائيين ام ضباطا ام جنودا .

اننا اليوم في ذكرى معركة الكرامة الرابعة نحتفل بذكرى الكرامة الجديدة ، معركة العرقوب ، وشعبنا ما زال ينتظر حكم العدالة التاريخي على النظام الذي اجهض معركة الكرامة الاولى .

الحركة الصهيونية في اميركه وممارسة العنف

سعدات حسن

لقد قيل بأن العنف سمة من سمات المجتمع الاميركي مثلما فطيرة التفاح سمة اخرى له(١)، ولم يكتف اناس كثيرون بقبول هذا الافتراض فحسب ، بل ارادوا ايضا التحقق من صحته على الصعيد العملي . والمعروف ان تاريخ الولايات المتحدة هو عبارة عن سلسلة من اعمال العنف التي ترسخت عن طريق استخدام القوات المسلحة الاميركية(٢) وكذلك بممارسة جماعات ذات مصالح خاصة لهذه الاعمال ، وذلك في مجالات العمل والاسكان والنشاطات الوطنية والدينية والتجارية وعلى صعيد الاقليات والطلاب . ومن هذه الزاوية نرى ان الصهيونيين الاميركيين لم يشذوا عن القاعدة ، ففي مجتمع فطر على العنف كان لا بد للحركة الصهيونية من ان تساهم بقسطها من ذلك ، وخاصة وانه منذ نشأة هذه الحركة لم يتورع مؤسسوها او قادتها عن استخدام مختلف اساليب العنف لتحقيق اهدافهم الاستراتيجية والتكتيكية . وفي هذا المجال ، نرى ان ثيودور هرزل ، مؤسس الحركة الصهيونية ، استخدم الابتزاز والوشاية والاكراه والضغوط الاجتماعية والاقتصادية لارغام الطوائف اليهودية في مختلف انحاء العالم على القبول بالفكرة الصهيونية السياسية الحديثة ومساندتها(٣). وما ان تغلغلت الصهيونية في الاوساط اليهودية حتى اصيبت منظمات يهودية عدة في الولايات المتحدة بعدوى المبادىء السياسية للصهيونية وتغيرت تغيرا كبيرا وذلك بعد ان كانت مجرد منظمات دينية او ثقافية . وقد بلغ العنف المرتبط تاريخيا بالصهيونية في اميركة ذروته ونهايته المنطقية برابطة الدفاع اليهودية سيئة الذكر . والبحث الذي نحن بصدده يدور حول هذه العملية التاريخية .

نبدأ في العام ١٩٣٠ عندما اسس فلاديمير جابوتنسكي الحركة الصهيونية التصحيحية وانشق عن المنظمة الصهيونية العالمية ، بعد ان اتهم قادتها ومن بينهم حاييم وايزمن ودافيد بن جوريون وموشيه شاريت بالتزلف للبريطانيين ، كما انه هو واتباعه اعلنوا رفضهم للخط السياسي الذي كانت تتبعه الوكالة اليهودية ، وكذلك فقد كان هو واتباعه من أشد المناهضين للصهيونية الاشتراكية وللهستدروت . لذلك يمكننا ان نعتبرهم يمينيين ومعادين للحركة العمالية وتوسعيين واشد عنفا من الفريق الاخر الذي انشقوا عنه . وعندما تحولت الصهيونية من موقفها العنفي على الصعيد الفلسفي الى النشاط العنفي في فلسطين خلال الاربعينات شكل اتباع جابوتنسكي منظمة ارجون زفاي ليئومي كجناح عسكري لهم . ولسنا بحاجة الى ذكر نشاطات الهاجاناه ، التي كانت بمثابة الجناح العسكري للوكالة اليهودية (الهيكل الاداري الذي تشكلت منه دولة اسرائيل الحالية) فكل هذه النشاطات معروفة ومدعمة بالوثائق . ولكن المنظمة الاكثر عنفا من الهاجاناه ، والتي كانت ظاهريا خارج سلطة الوكالة اليهودية ، هي الارجون(٤) التي كانت ، بزعامة مناحيم بيجن ، (الرئيس الاسمي الحالي لحزب حيروت الاسرائيلي) تمثل الجناح اليميني الارهابي للحركة المسلحة بكافة فصائلها ، كما انها انشقت عن

الوكالة اليهودية والهاجاناه على أساس معتقداتهـا المعادية للاشتراكية والشيوعية . وفي الحقيقة ، قامت الارجون بتلك العمليات التي لم تكن الوكالـة اليهودية ، لاسباب تتعلق بالمحافظة على « حسن سمعتها » ، تقدر أو تريد القيام بها . ورغم ان الوكـالة اليهودية كانت باستمرار تتنصل من مسؤولية الاعمال التي تقوم بها الارجون ، نرى انه لا شك بأن الارجون كانت تقوم بدور هام ومتفق عليه لتأمين اقامة الدولـة اليهودية في ١٩٤٨ وقبل ذلك (خاصة في الفترة التي تلت ١٩٤٧ عندما كان الهدف الرئيسي للحركة الصهيونية المسلحة هو طرد السكان العرب من فلسطين) .

أما في اميركة ، فقد كانت الارجون تحظى بتأييد ما يسمى بـ « اللجنة الاميركية من اجل فلسطين الحرة » بزعامة بن هخت ، أحد قادة الارجون المتحمسين . ولقـد اقتصرت نشاطات اللجنة بشكل رئيسي على جمع الاموال للأرجون ، ولكنها بالاضافة لذلك كانت تعمل للحصول على أسلحة ومعدات عسكرية للارجون . ولـم تتـورع اللجنة عـن استخدام الاكراه(٥) واحيانا العنف(٦) لتحقيق اهدافها . وهكذا نرى انه في حين ظلت النواحي العسكرية البحتة للارجون ظاهرة فلسطينية ، انتقلت فلسفتهـا واساليبهـا الاساسية الى اميركة حيث نهضت بعد سبات دام عدة سنوات اولا تحت ستار « بيتار » ومن ثم رابطة الدفاع اليهودية .

وبقيام اسرائيل في ١٩٤٨ أصبحت ارجون تعرف بأسم حزب حيروت . وقـد انشـأت فروعا لها في مدن كثيرة يوجد فيها جاليات يهودية كبيرة لمساندتها من ناحية ، ولكسب مزيد من الاعضاء الى صفوفها ، من ناحية اخرى . وقد تم كذلك انشاء كتائب الشباب اليهودية من زمر شبه عسكرية ترتدي قبعات خاصة وتتدرب على « الكاراتيه » . وكثير من هؤلاء نزحوا الى اسرائيل واقاموا فيها . أما اولئك الذين تخلفوا فهم من العنـاصر الضعيفة والخاملة ، ولكنهم حافظوا على العنف الذي تلقنـوه على أيدي جابوتنسكي وبيجن . أما عصابات البيتار فهي المسؤولة عن معظم عمليات العنف التي وقعت فـي اميركة في الفترة من ١٩٤٨ الى١٩٦٨ ، ومعظم اعضائها من الطوائف الارثوذكسية اليهودية وذات الدخل المنخفض والتي تقيم في غالبيتها في حي شرقي منهاتن الاسفل وحي بروكلين بنيويورك . والاعتداءان اللذان تعرض لهما الوفد السوري لدى الامم المتحدة في ١٩٦٦ و١٩٦٧ كانا من عمل عصابات تتألف من عشرين الى خمسة وعشرين فتى وشابا ممـن داهموا مقر البعثة السورية واقفلوا الابواب خلفهم وعبثوا بالملفات وارعبوا الموظفين العاملين في المقر . ولم يخرجوا الا عندما اعتقلتهم شرطة نيويورك لتطلق سراحهم مباشرة تقريبـا .

وبالنسبة لرابطة الدفاع اليهودية فقد تأسست في العام ١٩٦٨ ، واعلنت أن الغرض من انشائها هو حماية اليهود من المضايقات والاعتداءات الناجمة عن سلسلة الحـوادث في أحد الاحياء اليهودية الفقيرة في بروكلين حيث كان يتعرض المسنون من اليهود باستمرار لعمليات من السلب والنهب . وقد خلصت الرابطة الى نتيجة مفادها ان ذلك يشكـل بداية لظهور معاداة السامية . لذلك فالرد المنطقي الوحيد على هذه الموجة المزعومة من معاداة اليهود هو في القيام بردود فعل دفاعية سرعان ما تحولت الى أعمال عنف وقائية جسدية . ولكن الرابطة لا تمثل بأي شكل من الاشكال نوعا جديدا من رد الفعل بين اليهود الاميركيين اذ ان زعيمها مئير كاهانا كان في السابق زعيم بيتار ، حركة الشبيبة التابعة لحزب حيروت (الذي كان الجناح السياسي الذي خلف الارجون في اسرائيل) . أما فلسفة بيتار السياسية فهي أن كل ما من شأنه الاساءة الى دولة أسرائيل يشكل اساءة لجميع اليهود وبالتالي فهو نوع من معاداة السامية . والطريقة الصحيحة الوحيدة للرد على معاداة السامية هي بالتهديد باستخدام القوة المسلحة . ومع أن بيتار متواجدة في الولايات المتحدة منذ سنوات عدة ، فانها كانت ساكنة نوعا ما ، كما انه لم يكن يسمع

سوى القليل عن نشاطاتها خارج الاوساط اليهودية . وفي الفترة التي سبقت ظهور رابطة الدفاع اليهودية في ١٩٦٨ ارتبط اسم بيتار بشكل رئيسي بالاعمال المعادية للعرب، كما حدث في الاعتداءين اللذين وقعا على البعثة السورية لدى الامم المتحدة في خريف ١٩٦٦ وخريف ١٩٦٧ . ويمكن مشاهدة علم بيتار في المدينة ، الا انه قد استبدل تقريبا بشعار الرابطة «لن يتكرر ذلك ابدا»(٧). وعدا عن النشاطات الاولى التي قامت بها الرابطة في الاوساط اليهودية (على شكل لجان امن اهلية تجوب الاحياء اليهودية بسيارات مزودة باللاسلكي) تركز أول بروز لها على قضية الادارة الذاتية في حي « اوشن هيل براونزفيل » في بروكلين . فقد نتج عن محاولات اقامة جهاز تعليمي لا مركزي في نيويورك ان بدأت جماعات السود تطالب بمزيد من الاساتذة السود في مجمع اوشن هيل براونزفيل . ولكن الاتحاد الفيدرالي للمعلمين الذي هو عبارة عن نقابة المعلمين في نيويورك ثار ضد هذا الاقتراح من جانب جماعات السود على اعتبار ان مطلب الادارة الذاتية تعد على حقوقه ، ونتيجة لهذا النزاع أصبحت مراكز عدد من المدرسين ، الذين في معظمهم من اليهود، في خطر. لذلك سارعت الرابطة ، التي اعتبرت ذلك نوعا من معاداة السامية(٨)، الى تقديم خدماتها « الدفاعية » الى الاتحاد الذي بدوره رد الصاع صاعين(٩). وقد أدى موضوع الادارة الذاتية للمدارس الى اضراب للمدرسين وتخلي مجلس المدينة عن خطته اللامركزية ، هذا مع العلم انه من المشكوك فيه ان يكون للرابطة تأثير على القرار النهائي ، رغم ان الرابطة حاولت في دعاوتها ان تصور ذلك وكأنه انتصار لها بفضل جهودها .

ولم تتوقف نشاطات الرابطة بالنسبة للجماعات السوداء ، على اي حال ، بانتهاء اضراب المعلمين ، بل أظهرت نشاطا متزايدا خلال السنتين الاخيرتين . ففي ايار (مايو) ١٩٦٨ ، عندما هدد جيمس فورمن ، الرئيس السابق لمؤتمر المساواة العرقية(١٠)، بتعطيل الصلوات في معبد ايمانويل في مانهاتن من أجل الحصول على تعويضات مالية للسود ، كان اعضاء الرابطة وفي مقدمتهم مئير كاهانا قد سبقوه الى هناك وهم مسلحون بالهراوات والسلاسل الحديدية لتطويق المعبد . ولكن فورمن لم يجرؤ على حضور كما كان مقررا . وحدث ايضا ان كنيسا في فيلادلفيا دعا محمد كينياتا ، الناطق باسم مؤتمر التنمية الاقتصادي للسود ، ليلقي كلمة . ولكن الرابطة حذرت الكنيس وحاولت الغاء الاجتماع ، ثم رابط اعضاؤها حول مكان الاجتماع . وبعد اشهر من ذلك وجهت الرابطة رسالة مفتوحة الى جميع حاخامي المنطقة تهددهم بـ « عمل جماعي » اذا تكرر وان دعوا احد القادة الثوريين من السود ، وهددوا بأنهم سينزلون الخطيب عن المنصة بالقوة . وعندما قرر وليم كنسلر ، المحامي المعروف من خلال محاكمات السبعة في شيكاجو ، ان يتحدث في مركز « الجمعية العبرية للشبان » بفيلادلفيه ، قامت الرابطة بضغط شديد لالغاء الخطاب ، مستخدمة في ذلك المرابطة حول المكان والدعاية المعادية والتهديد وغير ذلك من أساليب الارهاب . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ طوق اعضاء الرابطة متحف مدينة نيويورك للفن على اعتبار ان البيان الصادر حول المعرض التصويري لحياة السود في نيويورك والمسمى « هارلم في فكري » يضم مقدمة معادية للسامية . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦٩ عندما اعتصم الطلبة والعمال من السود والبورتوريكيين في باحة كلية مدينة نيويورك احتجاجا على التمييز العنصري في المدرسة، حاولت الرابطة فتح المدرسة باللجوء الى المحكمة . وفي ربيع ١٩٧٠ أحاط أعضاء الرابطة ، ايضا بزعامة مئير كاهانا ، وهم مزودون بأعتدة كاملة ، بمقر قيادة فرع نيويورك التابع لحزب الفهود السود . وبينما كانت الانظار موجهة الى مدخل البناية حاول ثلاثة أو اربعة من الرابطة الولوج الى المكتب ونهب محتوياته . أما السبب الذي تذرعت به الرابطة فهو معاداة السامية المزعومة لدى الفهود ، والاهم من ذلك الموقف

المعادي للصهيونية بشدة الذي تبنوه قبل ذلك . واهمية هذا كله هي انه في حين تستمر الرابطة في التحدث ضد معاداة السامية المزعومة لدى منظمات السود العنيفة ، تحول عبء اعتداءاتهم الى اليسار الاميركي . وحتى الان عندما يتعرض السود لاعتداءات بسبب مواقفهم المزعومة المعادية للسامية ، يكون السبب الحقيقي وراء مثل هذه الاعتداءات هو موقفهم من اسرائيل الذي يتسم بتحليل يساري للموضوع . وتخشى الرابطة من ان يؤدي بروز قيادات موهوبة وديناميكية ومستقلة من السود الى نتائج عكسية على المصالح اليهودية في احياء السود . وترى الرابطة ان الموقف المتشدد من الصهيونية واسرائيل والمصالح اليهودية الذي تتخذه زعامة منظمات السود العنيفة ليس سوى مبرر للقيام بأعمال عنف ضدهم . وهذا الشعور كما تستغله الرابطة يدق ناقوس الخطر بأن زعماء السود المعادين للسامية « يخوضون معركة للسيطرة على المدن » . ومن الطبيعي ان غايتهم ليست المحافظة على مستقبل المدينة الاميركية بل المحافظة بشكل رئيسي على السيطرة او النفوذ اليهودي في المدينة .

الاعتداءات على اليساريين

منذ عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وكنتيجة للسياسة التوسعية العدوانية لاسرائيل وبسبب بروز اسرائيل كقاعدة للامبريالية الاميركية في الشرق الاوسط بدأت قطاعات معينة من اليسار الجديد في اميركة تتساءل بالنسبة لموقف الليبراليين من النزاع العربي الاسرائيلي ، كما ان اتجاها اقل تعاطفا مع المحور الصهيوني — الاسرائيلي بدأ ينمو تدريجيا ولكن باستمرار وبكل ثبات . وكذلك فان حركة معاداة الحروب في اميركة اضطرت رغما عنها لاتخاذ موقف اكثر ايجابية الى جانب العرب عموما والفلسطينيين بشكل خاص . ولكن رابطة الدفاع اليهودية تدعي ان لديها الرد على الموقف المعادي لاسرائيل الذي يتخذه اليسار الجديد الذي يضم بين اعضائه العاملين عددا من الشباب انيهود ، وهذا التطور والادعاء هما موضع اهتمام عميق وحيوي من قبل الدوائر الاسرائيلية — الصهيونية . وتزعم رابطة الدفاع اليهودية ان اليسار الجديد « يسيطر على عقول الشبيبة ويقضي على القانون والنظام »(١١). كما انهم يشجعون الطلبة اليهود للتسلل الى صفوف هذه المنظمات بقصد كشف ما يسمونه العناصر المتطرفة . ومن الطريف ان رابطة الدفاع اليهودية ، في محاولتها لاعادة الشبيبة اليهودية من اليسار الجديد الى حظيرة الصهيونية تحاول أن تقلد الجو الذي يشاهده المرء في مكاتب « جمعية الطلبة الديمقراطيين » او في ورش الفهود السود . ويتظاهر كثير من أعضائهم بأنهم من الطلبة الليبراليين — الراديكاليين ذوي الشعور الطويلة . وفي مثل هذا المحيط يشعر المرء وكأنه في جو من العمل الحثيث والنشاط المتزايد . وهذا ليس أمرا عرضيا بل عن سابق تصميم لكي ينجح في « جذب الشبان النشيطين ، اذ انه في مثل هذه البيئة ينتعش هؤلاء الناس»(١٢). وفي هذا الوقت تقريبا بدأت الرابطة في الاعتداء على الفهود، وبالفعل فقد داهموا مكاتب صحيفة « دايلي ورلد » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الاميركي ، وذلك بسبب نشرها مقالات تنتقد فيها اسرائيل (كتلك المقالات التي تظهر في الصحف السوفياتية) . وكذلك فقد كانت هناك سلسلة من المحاولات والتهديدات على مكاتب « جارديان » الصحيفة الوطنية المستقلة الراديكالية . ومنذ ذلك الوقت كان التركيز في دعاية الرابطة موجها ضد اليسار الاميركي، مع اهتمام خاص بأولئك الاميركيين انيهود الذين انضووا تحت لواء الجناح المعادي لاسرائيل .

الاعتداءات على العرب

لقد بدأت النشاطات الصهيونية ضد المنظمات العربية في ٢٩ آب (اوغسطس) ١٩٦٩ باعتداء على مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك حيث قامت مجموعة من

العناصر التابعة لرابطة الدفاع اليهودية ، كما ظهر ذلك من الشعارات التي خلفوها وراءهم ، بمداهمة المكتب وضرب استاذ اميركي صدف وان كان يقوم ببعض الابحاث ، وربطوا يديه ويدي السكرتيرة وكموا فاهيهما بالشرائط وقيدوهما الى الاريكة ، وعمدوا بعد ذلك الى سرقة بعض الملفات من المكتب ثم ولوا الادبار هاربين . وفي أيار (مايو) من السنة التالية قامت عصابة من ستة رجال بمداهمة مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وضربوا المدير بوحشية مستخدمين في ذلك العصي والمدى ، كما قاموا بالعبث بالملفات وادوات المكتب . وبعد خمسة عشرة دقيقة من هذا الاعتداء وقع اعتداء مماثل على مكتب لجنة العمل للعلاقات العربية ــ الاميركية ، المنظمة المعتدلة الموالية للعرب ، حيث تعرض رئيس المكتب ومساعده للضرب المبرح . وتلت ذلك فترة من السكون امتدت حتى السادس من تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٠ عندما وقع مكتب منظمة التحرير ضحية انفجار قنبلة موقوتة خارج الباب ادت الى تدمير المكتب تدميرا كبيرا(١٢). وخلال الاعتداءات الثلاثة التي تعرض لها مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ترك افراد عصابة رابطة الدفاع اليهودية وراءهم منشورات تحمل شعار « لن يتكرر ذلك ابدا » . وفي الاعتداء الاول كانوا يسألون عن المدير ويهددون باستخدام العنف ضده ، وفي الاعتداء الثاني ، وبينما كانوا يشبعون المدير ضربا كانوا يرددون بأنهم سيقتلون كل من يقف ضد اسرائيل ، كما كانوا يصرخون : « دير ياسين » و« لن يتكرر ذلك ابدا » . وفي حادث القنبلة في ليل السادس من اكتوبر ١٩٧٠ ظهر بأنه كانت هناك قنبلة موقوتة داخل حقيبة صغيرة للاوراق والوثائق امام باب المكتب ، وعلى اثر ذلك ، اتصلت احدى السيدات بوكالة يونايتدبرس انترناشيونال تبلغهم ان مكتب منظمة التحرير الفلسطينية تعرض لانفجار قنبلة . وكذلك تم العثور على رسالة مقتضبة ومبهمة تقول : « بالخطف والابتزاز تم اطلاق سراح سبعة » ، ويظهر ان في ذلك اشارة الى الفدائيين الفلسطينيين السبعة الذين افرجت عنهم بريطانيه والمانيه الغربية وسويسره مقابل الرهائن الذين احتجزهم الفدائيون اثر حوادث خطف الطائرات في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وفي اعقاب ذلك اصبحت المكالمات الهاتفية والرسائل واحيانا برقيات التهديد الموجهة الى موظفي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية من الامور العادية التي تقوم بها رابطة الدفاع اليهودية ، خاصة بعد كل عملية كبيرة يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون ضد اسرائيل. وفي بعض الايام ترد الى موظفي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية مئات المخابرات المجهولة والقصيرة الملأى بالتهديد وذلك بقصد التأثير على سير اعمالهم وخلق نوع من التوتر والرعب بين هؤلاء الموظفين . وكنا دائما نبلغ شرطة نيويورك ومكتب التحقيق الفيدرالي بهذه الحوادث ، ولكن رغم ذلك فانه لم يتم حتى الان توقيف مرتكبي هذه الجرائم . وتدعي الشرطة انهم يلاحقون الافراد الذين قاموا بهذه الجرائم مع انهم يعترفون ان فاعليها هم من العناصر التابعة لرابطة الدفاع اليهودية التي وحدها تتحمل مسؤولية هذه الاعمال . ومع ذلك لم يتم بعد تقديم افراد المنظمة وقادتها الذين خططوا ونفذوا هذه الجرائم الى المحاكمة . وهذا ما يدفع المرء الى التساؤل عن الموقف الذي يمكن أن تتخذه الشرطة او مكتب التحقيقات الفيدرالي لو ان منظمات السود او المنظمات اليسارية هي التي قامت بمثل هذه الجرائم .

وفي اكثر من مناسبة بعثت رابطة الدفاع اليهودية ببرقيات تهديد الى جميع الوفود العربية المعتمدة لدى الامم المتحدة ، وكان يلفت نظر الامم المتحدة الى هذه التهديدات ، كما تم بحثها في بعض الاوقات امام مجلس الامن حيث يقفل النقاش فيها بعد أن يقدم المندوب الاميركي تطمينات مزعومة بأن الشرطة تتولى البحث عن الفاعلين . ومنذ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ عندما اعدمت الحكومة العراقية عددا من الاشخاص بينهم مجموعة من اليهود ، والوفد العراقي لدى الامم المتحدة يواجه بتظاهرات صاخبة بشكل

دائم . ولكن شرطة نيويورك التي كانت تراقب هذه التظاهرات لم تتحرك عندما يحاول أفراد رابطة الدفاع اليهود انتهاك حرمة الممتلكات الخاصة ، رغم أن القانون الاميركي والقوانين الدولية والمعاهدات الخاصة بالسفارات في الدول الاجنبية تحظر ذلك . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ انفجرت قنبلة صغيرة أمام مقر بعثة الجمهورية العربية المتحدة في الامم المتحدة . ولكن لم يحدث سوى اضرار طفيفة . ونتيجة لهذه الاعتداءات المتكررة على المكاتب العربية والموظفين العرب قررت دائرة شرطة نيويورك بايعاز من وزارة الخارجية الاميركية وضع حراس لفترة قصيرة امام مكاتب البعثات العربية في الامم المتحدة . وقد احتج رجال الشرطة على أساس انهم لم يلتحقوا بسلك الشرطة لحماية الديبلوماسيين العرب بل لحماية المواطن الاميركي العادي في شوارع نيويورك من السرقة او الضرب الناجمين عن المعدل المرتفع للجرائم في نيويورك . وهذا ولا شك هو شكل آخر من المضايقة والارهاب الذي لا مثيل له . وفي الثامن والعشرين من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ اعتقلت الشرطة الاميركية في مطار كنيدي بنيويورك مدير مكتب تابع لرابطة الدفاع اليهودية ، وهو ضابط سابق في الجيش الاسرائيلي ، وزوجته لمحاولتهما ركوب طائرة متوجهة الى لندن وهما يحملان قنبلة واربع بنادق محشوة ، ليتمكنا هناك من اختطاف طائرة تابعة لشركة الطيران العربية المتحدة الى اسرائيل . وكانا يحملان جوازي سفر اميركيين مزورين بأسم السيد والسيدة جوردون ج. رايدر بدلا من الاسم الحقيقي افراهام هيرشكوفيتز . ورغم ان من يحمل قنبلة يحكم عليه بالسجن لمدة عشرين سنة ومن يحمل جواز سفر مزور يحكم بالسجن لمدة خمس سنوات ، فان محاولات لفلفة القضية اسفرت عن عدم تقديمهما الى المحاكمة حتى الان .

وفي كل مرة يحدث فيها اي نشاط معاد لاسرائيل تقفز الرابطة حالا الى الساحة(١٤). فعندما تحدث اية تظاهرة مؤيدة للفلسطينيين وضد اسرائيل يتنادى اعضاء الرابطة بأعداد كبيرة الى مكان التجمع للاشتباك مع المتظاهرين في اكثر الاحيان او لمنع التظاهرة من المسير(١٥). وخلال السنة والنصف الاخيرة اقتصر نشاط الرابطة على الاعتداء على اي شخص تسول له نفسه مجرد انتقاد اي عمل اسرائيلي . وتتخذ هذه الاعتداءات شكل التشهير بالاشخاص او الهيجان العاطفي الحاد .

الاعتداءات على الاتحاد السوفياتي

ومن الاهداف الاخرى التي تعرضت للعنف الصهيوني في اميركة ونالت قسطا وافرا من الدعاية بسبب المركز الدولي لهذا الهدف ، هو الاتحاد السوفياتي ، فيشخص موظفيه ومكاتبه . فخلال السنتين الاخيرتين قامت رابطة الدفاع اليهودية ، باسم اليهود السوفيات المعادين للاتحاد السوفياتي ، بسلسلة من اعمال العنف الموجهة الى سفارات الاتحاد السوفياتي ومكاتبه السياحية والتجارية وخطوط طيرانه وديبلوماسييه وموظفيه. ففي الثلاثين من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ قام اثنان من رابطة الدفاع اليهودية بربط نفسيهما في احدى الطائرات السوفياتية بمطار كنيدي الدولي بنيويورك في حين قام آخرون بتلطيخ جدران الطائرة بشعارات بذيئة بالحبر الاحمر . وفي غضون ذلك قام أعضاء من الرابطة بالاعتداء على مكاتب تاس وانتوريست ، ودمروا الاثاث وقطعوا خطوط الهاتف ومزقوا بعض الملفات ولطخوا الجدران وهددوا الموظفين بينما كانوا يرددون النشيد الوطني الاسرائيلي . وقد اعتقل حوالي عشرين شخصا معظمهم من الاحداث وأطلق سراحهم في الحال بعد أن «وبخهم» القاضي. وكذلك فان المضايقات التي تعرضت لها النشاطات الثقافية السوفياتية في اكثر من مدينة اميركية لا تزال مستمرة منذ أن بدأ اعضاء الرابطة بالاعتداء على الاتحاد السوفياتي . وقد عرقلت حفلات فرقة البولشوي بالمكالمات الهاتفية للشرطة بأن قنبلة موقوتة على وشك الانفجار تحت المسرح، وكذلك بالمكالمات للاشخاص الذين ابتاعوا التذاكر بأن لا يذهبوا لمشاهدة الحفل لكي لا

يصابوا باي اذى بسبب اي عمليات عنف قد تحدث وانه بسبب ذلك من الافضل لهم ان يلزموا بيوتهم . واتبع هذا التكتيك خلال الزيارة التي كان يقوم بها دافيد اويستراخ وسفياتبلو ريختر ، من فناني الكونسرتو السوفيات اليهود البارزين ، وذلك ضمن برنامج للتبادل الثقافي بين البلدين . ونرى ان رابطة الدفاع اليهودية ترمي من وراء حملاتها على هذه النشاطات الثقافية الى تحقيق الهدفين التاليين :

١ ـ تأمل رابطة الدفاع اليهودية انه مقابل وقفها لهذه المضايقات والتظاهرات المسلحة ستوافق السلطات السوفياتية على تسهيل هجرة بعض اليهود الى اسرائيل، هذا بعد ان ادركت الرابطة ان هذه النشاطات الثقافية هي موضع فخر للاتحاد السوفياتي الذي يريدها أن تستمر خاصة بعد أن اثبتت فعاليتها وفائدتها في اميركة . ويمكن ان لا يكون هذا هو الهدف الاول في رأس مئير كاهانا ، اذ انه يهدف في الاساس الى تثبيت شخصيته بين الزعامة الصهيونية في اميركة ، في حال نجاحه .

٢ ـ اما الهدف الثاني والاهم فهو عامل اقتصادي . وهذا يتحقق من خلال اضطرار صول هوروك ، المنتج الاميركي الصهيوني المشهور والمسؤول عن الاشراف على الفنانين والهيئات السوفياتية التي تزور الولايات المتحدة، الى المساومة مع رابطة الدفاع اليهودية ليدفع لها مبلغا معينا من المال مقابل امتناعها عن القيام باي نشاط معاد . وفي ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ سطا ٢٨ شخصا من اعضاء رابطة الدفاع اليهودية على مكاتب شركة امتورج التجارية السوفياتية الرسمية وعبثوا بالملفاتوكسروا قطع الاثاث، وهددوا الموظفين واشبعوهم ضربا وركلا . وقد تم اعتقال جميع هؤلاء الاشخاص ووجهت لهم تهم السطو ودخول المكاتب لارتكاب جريمة من الدرجة الثانية ، وتسبب الاذى والمضايقة للاخرين ، ولكن القاضي هايمان سولينكر اطلق سراحهم . من هنا نرى ان استراتيجية رابطة الدفاع اليهودية هي تصعيد التوتر ما بين الحكومتين السوفياتية والاميركية ، فتهجمها على كبار الرسميين الاميركيين بما في ذلك الرئيس الاميركي بأنهم لا يفعلون شيئا تجاه ما يسمى بالحالة التي يعاني منها اليهود السوفيات ، واتهامها لوزارة الخارجية الاميركية بالتواطؤ المزعوم مع الاتحاد السوفياتي كلها تهدف الى لفت انتباه اليهودي العادي ـ المؤهل ليصبح عضوا في هذه الرابطة ومصدرا من مصادر تمويلها. ويدعي مئير كاهانا انه يهدف من وراء اعتداءاته على المؤسسات السوفياتية الى اثارة قضية اليهود السوفيات ، ويقول في هذا الصدد : « لن يهتم اي شخص بالمشاكل التي يعاني منها اليهود السوفيات ما لم يدرك الجميع ان هناك مشكلة ما . انني اريد المزارع الاميركي في ايوا ان يعرف عن هذه المشكلة بقدر ما يعرف عن مشكلة فيتنام ، ولن يتسنى له ذلك اذا كانت القصة على الصفحات الداخلية من الصحف »(١٦) ولا شك انهم قد نجحوا في لفت انظار وسائل الاعلام الاميركية وفي جعل قضاياهم تتصدر الصحف وذلك عن طريق مرابطاتهم المتكررة امام مقر البعثة السوفياتية لدى الامم المتحدة ومضايقاتهم للدبلوماسيين السوفيات ونسفهم لوكالة انتوريست للسفر وتظاهراتهم الصاخبة ومواجهتهم لشرطة نيويورك .

ونتيجة للتساهل في قوانين الهجرة السوفياتية وصل الى اسرائيل مئات من المهاجرين اليهود الجدد خلال النصف الاول من هذه السنة . ويظهر ان سبب ذلك هو ان السوفيات بدأوا يحسون بالوطأة السيئة لهذه الحملة الدعاوية في وقت يريدون ان يظهروا فيه وكأنهم في فترة تقارب مع الحكومة الاميركية . كما ان هذه الحملة ساعدت كاهانا في كفاحه لفرض نفسه واسلوبه في العمل في أوساط الزعامة الصهيونية في اميركه واسرائيل ، وذلك لان هدف كاهانا الحقيقي ليس حماية المسنين اليهود من عمليات السلب في الاحياء الفقيرة او لمنع معاداة السامية من الظهور ، ولكن لخدمة مآربه الشخصية في أن يصبح ذا أهمية ومن ذوي الحل والربط في الاوساط القيادية الصهيونية

ـــ الاسرائيلية . وتأكيدا لذلك أبلغ اقرباءه خلال أول رحلة قام بها للأرض المحتلة في ١٩٦٣ بأنه سيصبح قريبا عضوا في مجلس الوزراء الاسرائيلي(١٧). واخفاقه في فرض الاعتراف بنفسه دفعه الى تغيير اسمه الى مايكل كينج ، وبالاشتراك مع أحد أصدقائه المقربين المدعو جوزيف شاربا الذي كان عضوا في حركة شبيبة بيتار ، أسس في ١٩٦٥ حركة شبيبة تموز لتعبئة الطلاب لتأييد حرب فيتنام وذلك بالمساندة المالية من بعض المنظمات والنقابات العمالية(١٨). وانتشار الحركات اليسارية الراديكالية في الجامعات ومعارضة الطلاب للتورط الاميركي في جنوب شرق آسيه كان مصدر ازعاج بالنسبة لمئير كاهانا وزميله الصهيوني من بيتار بسبب ازدياد عدد اليهود في الحركة المعادية للحرب ، والاهم من ذلك هو ان « الحرب في فيتنام سوف تتسبب في قتل اليهود وقتل اسرائيل . فلو كانت هناك ارادة اميركية اقوى للقتال في فيتنام لما كان هناك ٢٠ الف جندي سوفياتي في مصر الان »(١٩). وفي ١٩٦٧ أصدر بالاشتراك مع شاربا كتابا بعنوان «الدولة اليهودية في فيتنام » يؤيدان فيه اشتراك اميركه في الحرب على اساس ان انتصار فيتنام الشمالية يشكل خطرا على اسرائيل ، ويقولان : « لقد قامت حركة السلام بجهد كبير في مسخ الارادة الاميركية وجعلها عاجزة عن القتال في اي مكان »(٢٠).

ورابطة الدفاع اليهودية في معارضتها لحركة معاداة الحـــروب صادقة مع تفكيرهـــا واستراتيجيتها التي ترى أن هزيمة اميركه في فيتنام سيكون لها نتائج خطيرة على بقاء اسرائيل . وقد اعلنوا ترحيبهم بموقف جولدا مئير عندما كانت المسؤول الاجنبي الوحيد الذي سارع الى الابراق الى نيكسون تأييدا لغزو كمبوديه . وتدعي رابطـــة الدفاع اليهودية انه ليس باستطاعة المرء ان يكون ضد الحرب في فيتنام ، وفي الوقت نفسه يطلب المساعدة لاسرائيل . وتدعو اعضاءها الى تأييد نيكسون ليس من أجل فيتنام بل من اجل اسرائيل واليهود(٢١). ويقول كاهانا : « ان العالم الثالث متحد . وفتح هي جزء من هذا العالم الثالث ، اما اسرائيل فليست كذلك . اذا ، فأية هزيمة تلحق بالغرب في فيتنام ستكون هزيمة لاسرائيل »(٢٢).

رابطة الدفاع اليهودية والمؤسسة اليهودية

مع ان رابطة الدفاع اليهودية وجهت انتقادات عنيفة للمنظمـــة الصهيونية في اميركه واتهمت المؤسسة اليهودية بالتقاعس طوال ٥٣ سنة وبالتزام جانب الصمت حتى عندما يتحرك الآخرون للقيام بعمل ما(٢٣)، نرى ان المؤسسة لـــم تتوان عن توجيه النقـــد للرابطة ، لاساليبها وليس لاستراتيجيتها . وهم يتخذون هذا الموقف ضد الرابطة رغما عنهم . ومع انهم يتنصلون من تحمل مسؤولية أعمالها في تصريحاتهم العلنية ، نرى انهم يعطفون عليها ويقدمون لها المساعدات المالية ويفتخرون ولو فيما بينهم بالاعمال التي تقوم بها . وهذا القبول بأعمال الرابطة في ازدياد مستمر . وفي نيسان (ابريل) ١٩٧٠ منعت الرابطة من الاشتراك في الاستعراض الذي اقيم في الشارع الخامس بنيويورك بمناسبة العيد الوطني لاسرائيل ، ولكن سمح لها في السنة التالية بالاشتراك بسرية من الشبان والشابات الذين كانوا يلوحون بقبضاتهم . وهذه المؤسسة نفسها التي تنتقد كاهانا وجماعته وتصفهم بأنهم عنصريون وفاشيون ، ويعانون من جنـــون العظمة ، وليسوا سوى أعضاء في لجان الامن الاهلية ، وقطاع طرق وسفاحين ، اشتركت معهم في مسيرات التأييد لاسرائيل على اساس انه لم يعد من المصلحة مقاطعتهم بعد الان . ويحاولون في نشراتهم واعلاناتهم ان يبرروا ظهور رابطة الدفـــاع اليهودية على انها « ظاهرة مدينية » . وفي مقالة ظهرت في مجلة « كونجرس » نصف الشهرية في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٧٠ يقول ستانلي سي. دياموند عضو ادارة مجلس علاقات الطائفة اليهودية في فيلادلفيه : « ان رابطة الدفاع اليهودية هي ظاهرة مدينية ، وبصرف النظر عما يقوم به قادتها من الاحتجاج ضد أمور أخرى ، فانه يجب النظر الى الحركة على اعتبار انها

رد فعل مباشر لانحلال المدينة الاميركية . » صحيح ان الحيـــاة في المدينة الاميركية في انحلال ظاهر . ولكن اعتبار ظهور رابطة الدفاع اليهودية كرد فعل لذلك ليس سوى نوع من التبرير لكسب الثقة . ويمكن للمرء ان يعتبرها ظاهرة مدينية فقط لو انها ظهرت لمعالجة القضايا المدينية كالاسكان والاحياء الفقيرة والفقـــر دون الاشراف الخارجـــي ودون تراث من العنف الصهيوني الذي يرجع الى الايام الاولى لمؤسسيها عندما كانوا يقومون بتهريب الاسلحة في هوبوكين بنيو جيرسي في الاربعينات ، ويرشقون ايرنست بيفن ، وزير خارجية بريطانيه ، بالبيض . وعندما تهب رابطة الدفاع اليهودية لتقول ان اميركه تعاني من الانقسام فان « ما يهمها ليس الوحدة القومية الاميركية ولكن وحدتها هي من اجل اسرائيل والصهيونية » . كما ان انبعاث منظمات السود في اميركه وظهور القيادات العنيفة الدينامية التي تتساءل حول مجمل العلاقات العربية ــ الاسرائيلية ووقوف اميركه الى جانب الدولة العميلة في الشرق الاوسط تماما كما تتساءل هي وحركة معاداة الحروب حول علاقات اميركه بنظام ثيو وكي في سايجون ، اصبح مصدر ازعاج لها على اعتبار انه يشكل تحديا للهيمنة اليهودية في المدن الاميركية الكبرى . وتشاطر المؤسسة اليهودية الرابطة في الاهداف التي ترمي الى تحقيقها مع ان اساليبها في المواجهة المباشرة تشكل مصدر احراج لهيبتها . ولكن اليس هذا هو الوضع نفسه الذي كان قائما بين الارجون والهاجاناه في فلسطين خلال الاربعينات ؟ ويوما ما سيضع كاهانا كتابا يكشف فيه توزيع الادوار تماما كما فعل بيجن في كتابه « الثورة » . ويمكن لقادة المؤسسة اليهودية ان يستنكروا النشاطات شبه العسكرية للرابطة ، ولكن هذا لا يمنعهم من ارسال ابنائهم للتدرب على « الكاراتيه » والرمايـــة في معسكرات الرابطة على جبال كاتسكيل ، وذلك لان الضباط المشرفين على هذه المعسكرات هم من الاسرائيليين . ويتخذ قادة المؤسسة اليهودية موقفا مشابها لموقف الرابطة من اليهود الليبراليين الذين انضووا تحت لواء حركة السلام او يظهرون لامبالاة او معاداة لاسرائيل . وما اصطلح على تسميته المنظمات الاميركية اليهودية الليبرالية التي تدعـــي الشمولية بدأت تظهر حقيقة نفسها بسبب عملية الانسلاخ هذه ، كما اصبحت اقل تسامحا وليبرالية بالنسبة الى الانشقاق عندما يكون الامر متعلقا باسرائيل ، وموقفها هذا مشابه لموقف الرابطة مع انه اكثر ذكاء ودقة .

واذا كان المرء يتذكر الاعتزاز الذي زرعته اسرائيل في نفوس يهود اميركه منذ ١٩٦٧ والتقارب الشديد معها ، ويدرك حقيقة الحالة الذهنية لهؤلاء اليهود الذين يعيشون في التجربة الاسرائيلية ويمارسون الاعتقاد انها ستكون وطنهم في المستقبل ، لكان عليه ان يتوقع ان تصبح وسائل العنف التي تتبعها رابطة الدفاع اليهودية « موضة » الغد بدلا من ان تكون مجرد « موضة » زائلة ، وان يتوقع كذلك ان تنزع المؤسسة اليهودية عن وجهها قناع الوقار المزيف وتكشف عن ميلها للفاشية والعنف . وآنذاك ستصبح مقاليد أمور يهود اميركه بيد كاهانا وزويبون وماينباوم(٢٤) واشباههم من قادة العصابات .

---

١ ــ هذه الجملة مقتبسة عن جملة قالها هـ. راب براون : « العنف اميركي كما ان فطيرة الكرز اميركية » .

٢ ــ كما يقول السناتور الاميركي ديركسن : استخدمت القوات المسلحة الاميركية في اكثر من ١٥٠ مناسبة في عمليات خارجيـــة (**سجلات الكونجرس** ــ ١١٥ ــ رقم ١٠٣ ــ ٢٣ حزيران ١٩٦٩) .

٣ ــ انظر ، مثلا ، **مذكرات ثيودور هرتـــزل الكاملة** . مطبعة هرزل وتوماس يوسيلوف ، نيويورك ولندن ، ١٩٦٠ .

٤ ــ مع ان مناحيم بيجن قد اوضح بالوثائق في كتابه **الثورة** مدى التعاون المباشر بين الارجون والوكالة اليهودية ، خاصة بالنسبة لمجزرة دير ياسين .

٥ ــ انظر ، على سبيل المثال ، رواية هيخت

عن دور العصابات الاجرامية الاميركية في جمع الاموال في كتاب : **ابن القرن** (A Child of the Century) ص ٦١٠ — ٦١٣ .

٦ — مثلا ، لدى الزيارة التي قام بها الى اميركه احد كبار الرسميين البريطانيين في ١٩٣٤، قامت اللجنة بتظاهرات صاخبة كما رشقته بالبيض ومواد أخرى .

٧ — اشارة الى الكلمات المنقوشة على نصب في مدخل معسكر اوشفيتز حول عمليات الابادة التي تعرض لها اليهود الاوروبيون خلال الحرب.

٨ — قال متحدث باسم جمعية بناي برث في ٢٣/١/١٩٦٩ : « بلغت معاداة السامية المجردة وغير المقنعة درجة الخطورة في مدارس مدينة نيويورك ، حيث لم تقف السلطات العامة في وجهها مما تسبب في نموها خلال السنتين الاخيرتين » .

٩ — لقد حدث قبل هذه السلسلة من الاحداث ان بثت محطة اذاعة نيويورك (W - BAI) قصيدة للي كامبل ، احد كبار المعلقين السياسيين السود ، موجهة ضد المعلمين ورئيس اتحاد المعلمين ، البرت شانكر . وقد اعتبرت رابطة الدفاع اليهودية القصيدة من الدعاية المعادية للسامية ، علما بانها تعتبر الاذاعة نفسها راديكالية ، الامر الذي دفعها فيما بعد الى تقديم عريضة الى المحكمة تطالب فيها بطرد لي كامبل من جهاز التعليم بدعوى معاداة السامية . ولكن العريضة اخفقت في تحقيق الغرض الذي كتبت من أجله .

١٠ — كان مؤتمر المساواة العرقية من اولى منظمات السود التي سارعت الى اتخاذ موقف عنيف في السنوات الاولى للصراع من اجل الحقوق المدنية . وفي السنوات الاخيرة بدأت حماسة المؤتمر تتضاءل لدرجة ان عددا من زعمائه وقعوا مؤخرا بيانات في الصحف الوطنية مؤيدة لاسرائيل .

١١ — مجلة **ميد ستريم** ، نيسان ١٩٧٠ .

١٢ — **المصدر نفسه** .

١٣ — صحيفة **نيويورك تايمز** ، ٧ اكتوبر ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

١٤ — خلال استعراض نظم « تأييدا لاسرائيل » في نيويورك في نيسان ١٩٧٠ وقعت مجابهة بين عناصر تابعة لرابطة الدفاع اليهودية وتظاهرة معاكسة نظمتها لجنة العمل من اجل العلاقات العربية — الاميركية ادت الى نقل بعض مؤيدي العرب الى المستشفيات بسبب اصابتهم في الاشتباك بجروح مختلفة .

١٥ — في الخامس من حزيران ١٩٧٠ نظمت حركة الشباب المعادين للحرب والفاشية (المؤيدة لكفاح الشعب الفلسطيني) تظاهرة للتعبير عن تأييدها لحركة التحرير الوطني العربية . ولكن رابطة الدفاع اليهودية نظمت تظاهرة معادية استخدمت فيها كافة أنواع التهديد والشتائم والضرب ضد افراد حركة الشباب . وكان تركيزهم موجها الى الشباب اليهود في هذه الحركة .

١٦ — **نيويورك تايمز** ، ٢٤ يناير ١٩٧١ .

١٧ — **المصدر نفسه** .

١٨ — وهنا يجب ان نعيد الى الذاكرة ان اموالا من وكالة المخابرات المركزية الاميركية قدمت لعدد من المنظمات الاميركية مثل أصدقاء الشرق الاوسط الاميركيين والاتحاد الوطني للطلاب من خلال هذه المنظمات .

١٩ — **المصدر نفسه** .

٢٠ — **نيويورك بوست** ، ١٦ يناير ١٩٧١ .

٢١ — **ميد ستريم** ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

٢٢ — **المصدر نفسه** .

٢٣ — **نيويورك بوست** ، المصدر السابق .

٢٤ — مؤسسا رابطة الدفاع اليهودية بالاشتراك مع كاهانا .

فدوى طوقان :
ثلاث خطوات الى الينبوع

فوزى كريم

(١)

فدوى طوقان شاعرة رومانسية ، في مرحلة زمنية لا قدرة لها على مجرد احتمال تكرار هذه الكلمة . ورومانسيتها غير مدرسية ، بهذا المعنى ، لانها مجردة عن أهم ما تمتاز به تلك ، وهو ارتباطها بمرحلة ذات قوسين زمنيين . من هنا نستطيع ان ننسحب دون تردد الى نقطة أجدها هامة ، وهي : المراة في فدوى طوقان ، والمراة العربية بشكل خاص . فالرومانسية ، حين تتجرد من دوافعها الزمنية العامة ، انما تستحيل الى حالة هامشية شبه مرضية، ذات سمة ذاتية فضفاضة.ولعل من الواضح ان شعرنا العربي، في شريحته النسائية المنزوية ، دون استثناء ، انما تعتبر تلك السمة من أبرز سماته . هل تعتبر الرومانسية — والاستعمال لهذه المفردة سيظل مجازيا — في هذه الحالة شركا ؟ وهل يعتبر هذا التحرك النسائي — شعريا — منزلقا عن حافة الطريق التي تشكل معالمها الواضحة قاعدة عامة ؟ لا شك اننا سنقع في خطأ فادح اذا ما فصلنا ، بنية رسم القاعدة، بين قصيدة المراة العربية وبين المراة ذاتها . فالشاعرة العربية لم تنزلق الى مجرى الرومانسية هذا ، ولم تقع فيه سهوا او خطأ . ولكنها ، شأنها شأن المراة العربية ، خاضعة ، بحكم علاقاتها المجتمعية ، والانسانية من بعد ، وبحكم علاقاتها بالرجل والعائلة ، وهي علاقات اقتصادية في الاساس ، أقول ، لكنها خاضعة لسداة شبه قدرية ، حملتها الى هذه النزعة ذات الأنا المتضخمة، وذات الهوس الى التأمل الماورائي، والحنين الى المجهول ، الى نزعة رومانسية مجردة عن دائرتها التاريخية ، ومجردة بالتالي عن جوهرها الصحي . فرومانسية الشاعرة العربية ، والمراة العربية من ورائها، سمة من سماتها ، وهاجس سلبي من هواجسها السلبية الاخرى . وهذه دالة اجتماعية قبل كل شيء . يأخذ الشعر فيها دورا سلبيا هو الآخر . لانه يقتصر على « التعبير » عن الذات ، فحسب ، والتنفيس عن انفعالات داخلية تخلفها حساسية مفرطة ، كما لو كان صماما للامان ، يفتح في اللحظة المناسبة ، لا أداة للتغيير ، وغاية في ذاتها تتشكل باعتبارها حصيلة لتجربة انسانية واسعة .

ليست هذه الدراسة متابعة عامة لمجمل الجوانب الشعرية التي أعطتها خمس مجموعات شعرية(١) لفدوى طوقان ، وليست هي دراسة فنية ونقدية ، تريد ان تحدد مجمل

١ — لفدوى طوقان خمس مجموعات شعرية ، صدرت جميعها عن دار الآداب — بيروت : **وحدي مع الايام** ، كانون الثاني ١٩٦٠ (طبعة خامسة) ، **وجدتها** ، ايلول ١٩٦٦ (طبعة رابعة) ، **اعطنا حبا** ، ١٩٦٠ (طبعة ثالثة) ، **امام الباب المغلق** ، آب ١٩٦٧ (طبعة اولى) ، **الليل والفرسان** ، تموز ١٩٦٩ (طبعة اولى) .

الحدود الفنية لتجربة الشاعرة المعاصرة ، من حيث هي تجربة تقف على طرف موروث شعري عربي ضخم ، فأمر ذلك متروك لدراسة موسعة . ولكن هذه الدراسة تطمع ، فحسب ، بتتبع طرف هام من أطراف ذلك الهاجس الرومانسي ، وهو الطرف الذي يؤكد على « الحلم » ، وما يتصل به ، من الهجرة المتصلة عن ارض الواقع ، ومن انكسار للحضور الحسي للاشياء ، الذي يشكل مصدرا اساسيا لكل حاسة صحية . بحيث يستحيل ذلك الحلم ، لا الى مواجهة لليقظة او للوجود بكل تناقضاته ، بل يستحيل الى بوابة سهلة غائمة للهرب . كما يؤكد على « ضمير الغائب » الذي يملأ فراغا رومانسيا كبيرا في شعر فدوى طوقان ، هذا الغائب يأخذ اشكالا عديدة ، يكون احيانا « الفارس » واحيانا « الحبيب » ، واخرى يظل « ضميرا غائبا » عليه مسحة من الغموض لا دلالة فيها ، فقط باعتباره مصدرا للتطلع وراء الافق .

ان هذا « الغائب » الذي كانت الشاعرة فدوى طوقان ، تختلقه اختلاقا طيلة السنوات السابقة ، وعلى مدى المجموعات الاربع الاولى ، هو ذاته الذي يصبح بعد حزيران « الفارس العربي » او « الفدائي العربي » ، والذي اهدته مجموعتها الاخيرة « الليل والفرسان » .

(٢)

قبل ان ابدأ في تتبع فدوى طوقان شعريا ، احب ان القي نظرة عاجلة على « صفحات من مفكرتها »(٢)، التي نشرتها للمرة الاولى كيوميات في مجلة « الجديد » التي يصدرها في العربية الحزب الشيوعي في اسرائيل ، والتي كان يرئس تحريرها الشاعر محمود درويش . عل هذه اليوميات ان تلقي ضوءا يسيرا على تجربة فدوى الشعرية ، وعلى مواقفها الداخلية ، فيوميات المفكرة تظل ، رغم تجربتها العابرة ، ذات صبغة تقريرية عاجلة ومباشرة ، تستطيع ان تقدم خلفية واضحة لمسيرتها الشعرية .

تقول في اليومية الاولى ، في معرض حديثها عن القاصة الراحلة سميرة عزام « بأنها ذكية وعميقة ، غير ان فيها شيئا من الانضباط اللاانثوي ... انها تحلل كل شيء في عقلها ولا تترك الامور للاعماق . تدفن الاعماق ، تغلفها دون النشوة الحقيقية والحزن » . والحزن في عرف فدوى ليس نتيجة لمواجهة عقلية ، بمعنى انه ليس موقفا من الوجود عرفته الفلسفة بمنطقها التحليلي . ولكنه « النشوة الحقيقية » أو مرادفها ، ذلك الحزن العفوي الذي يتوالد من منطق نفسي بحت ، والذي تقف وراءه مجموعة من العوامل الاجتماعية : العلاقات الانسانية ، العائلة ، الطفولة ، القيم .. الخ . وهو حزن دافىء دون شك ، لانه لا يرتبط بالتأمل ، ولكنه يرتبط « بالحلم » ، ولانه لا ينبع من وعي مراقبة الواقع ، والاحساس بكل تعقيداته ، بقدر ما ينبع كنتيجة عفوية نفسية لذلك الواقع باعتباره قدرا. تقول الشاعرة في يومية اخرى متحدثة عن أيام صباها ، وكاشفة بوضوح عن هوية ذلك الحزن : « امضيت النهار كله مع ــ الصديق الغريب ــ في القدس . قاد السيارة في دروب لم اعرفها من قبل . تحدثنا كثيرا ، وصمتنا كثيرا ... سألني عن حياتي وأيام صباي الاولى ، فحكيت له عن الكبت الرهيب الذي عشت فيه ، وكيف كانت انوثتي تئن كالحيوان الجريح في قفصه ، ولم يكن لها متنفس مهما كان لونه . كل شيء محظور في البيت ، الضحك ، الغناء ، العزف على العود ، وكان هواية محببة لي تعلمتها سرا . كنت احلم دائما بفتى احبه . ولم تكن صحبة الفتيات تسليني او تجتذبني قط ، ضحك ــ الصديق الغريب ــ حين حدثته ، كيف كان والدي رحمه الله ، يحثني وانا في هذه الحال من الضغط والكبت والضيق ، كيف كان يحثني على كتابة الشعر السياسي والوطني كما كان يفعل شقيقي الراحل ابراهيم ، فكلما برزت مناسبة سياسية او وطنية طلب مني

---

٢ ــ مجلة **الطريق** ، العدد الثاني ، شباط ١٩٧٠ ، السنة التاسعة والعشرون .

نظم قصيدة في الموضوع . وكانت أعماقي تحتج وترفض وتتمرد . . . كيف يريدون مني كتابة الشعر السياسي وانا سجينة الجدران ؟ من اين أستمد مادة الشعر ؟ أمن مطالعة الصحف ؟ . . . ان المطالعة ــ على اهميتها ــ غير كافية لانبعاث جذوة الشعر ، والشاعر لا يستطيع ان يكتب عن الحياة والعالم من حوله قبل ان يعرفها معرفة مباشرة . انني حبيسة الجدران والتقاليد ، لا أحضر مجالس الرجال ولا أسمع المناقشات الجادة ولا اشارك في معمعة الحياة . فكيف يطالبني ابي بالكتابة في موضوع لا تفقهه سني ولا له اية علاقــة او صلة بالحركة النفسية في داخلي . كان تيار الحياة النفسية عندي مغايرا ومختلفا اختلافا تاما عن التيار الذي أراد ابي ان يحملني على الانسياق معه . وأصبت بمرض بغض السياسة . وأصاب العطب حسي السياسي لسنوات طويلة » .

وكما أصيبت الشاعرة بمرض بغض السياسة بسبب عامل تربوي محض ، كذلك كان الامر وراء اصابتها بمرض الحزن .

تواصل فدوى حديثها ، وحديثها هنا له مغزى هام : « توفي والدي اثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ . وحصلت المأساة . ورحت اكتب الشعر الوطني تلقائيا ، كانت مادته كلها مستمدة من المأساة . رحت اكتب هذا اللون من الشعر دون اكراه او الزام . ومع تجمد الاوضاع وتجمد القضية الفلسطينية ، بدأ يتجمد احساسي بهما ، وخرجت الى الحياة أعب منها والمسها بأصابعي ، واكتب الشعر عن الحب والحياة حتى فجعت بموت شقيقي نمر الذي كان حبيبا لي وصديقا ، فتوقفت الا عن الكتابة عن الموت ، وأصابني ذهول وهبوط نفسي واعتزلت عن الناس ، وكرهت الحياة » .

اذن ، لم تكن الشاعرة فدوى طوقان الا ردود فعل عفويــة للواقع الخارجي بحدوده الضيقة . ولقد تشكلت بحكم ردود الفعل هذه تجربة شعرية عفوية ايضا ، وموقف من العالم عفوي . وليس من الصعوبة ان يتكشف القارىء مدى المغالطــة ، والارتباك الفكري ، في حديث فدوى هذا . فهي تفصل ، بعفوية امرأة غير مسؤولة ، ولكن مطالبة ، الوطن عن الشعر الوطني ، والوطن عن السياسة ، والسياسة عن الموقف الانساني من العالم والانسان . وهي تقول في يومية اخرى ببساطة : « حين أصغي الى فيروز في فلسطينياتها ارى بلادي اجمل واحلى مما هي ، واحبها اكثر مما كنت أحبها ، واحس بفجيعة فقدها كما لم أحس من قبل ، واتذوق طعم الانتماء الى شيء ولو كان هذا الشيء ناقصا » . تتحدث كذلك ، كمن يحمد الله على وجود فيروز .

انها باختصار كما جاء في آخر يومياتها : « انا نفسي قصيدة ملتاعة ، كئيبة ، آملة ، تتطلع الى ما وراء الافق » ، وهذا التطلع قد رافق ، تماما ، الشاعــرة منذ قصيدتها الاولى ، ومجموعتها الاولى ، حتى الان . الا اذا استثنينا بعض القصائد القليلة الاخيرة في « الليل والفرسان » ، استطاعت فيها فدوى بحدود ضيقة أن تخرج من ثوبها القديم .

(٣)

« ما يلفت النظر في محمود درويش بالاضافة الى موهبته الطاغية والتزامه الذي رد الاعتبار لقيمة الالتزام كقيمة تغني العمل الفني ولا تفسده ، سرعة تطوره التي تشبه ضربة عصا سحرية ، ندر ان حدث مثلها لدى اي شاعر معروف »(٣) . لا تبدو هذه الكلمة التي كتبها غسان كنفاني في بداية حديثه عن الشاعر محمود درويش ، متطرفة ، اذا ما قيست بتطور الشاعرة فدوى طوقان . فهي منذ بداية الخمسينات ، وعبــر خمس مجموعات شعرية كبيرة ، لم تستطع أن تحدث ما أحدثه غيرها من الشعراء ، من جيلها

---

٣ ــ مجلة **الآداب** ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٩ ، السنة السابعة عشرة : غسان كنفاني « محمود درويش قفزتان في عشر سنوات » .

ومن الاجيال التالية ، لا في قفزة نوعية مفاجئة ، ولا في تطور متصاعد واضح . واذا ما استثنينا ذلك الاختلاف الطبيعي الذي يخلفه تراكم السنوات بين المجموعات الشعرية ، وهو اختلاف هامشي تفرضه الظروف النفسية والموضوعية ولا يعتبر اختلافا جوهريا في صميم العمل الابداعي ، اذا ما استثنينا ذلك راينا ان مجموعات الشاعرة غدوى لا تشكل الا مجموعة واحدة متفقة ، افقيا ، في رؤيا رومانسية واحدة .

« كئيبة ، آملة ، تتطلع الى الافق » . هذه هي حدود رومانسيتها ، محفوفة بقوسي « الحلم » و« الغائب » المنتظر .

في اول قصيدة من مجموعتها الاولى « وحدي مع الايام » ، اشارة واضحة لهذا الموقف الذي بقي على حاله دون تغيير بعد هذه السنوات الطويلة ، تقول في « مع المروج »(٤):

هذي فتاتك يا مروج ، فهل عرفت صدى خطاها
عادت اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها

هي ، مع الوحدة ، ومع التطلع الدائم لغائب ما ، لشيء ما ، قد يكون وهما محضا . لانها ترفض ان تتلمس مصادر هذا التطلع وهذه الرؤى ، من الواقع المحسوس . ولانها ايضا تستطيب هذا الاستحواذ المطلق على جميع حواسها ، من قبل طاقة مختلقة تسميها « رؤى الخيال » وتسميها احيانا « اجنحة خفية » تضمها في نعسة الالهام حيث :

تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الآدمية .

والشاعرة ، تحت هذه الضغوط الوهمية القاسية ، تغفل هوية تلك الرؤى وتلك الاجنحة الخفية التي تسمو بها فوق دنيا الناس ، فتسقط عليها هوية « الاشياء » الدنيوية ، فهي مثلا تصف أحلامها بانها « بيضاء » كأحلام القمر « الفضية » . وهي تنسى أصلا، وتغفل، طبيعة « المروج » التي تتحدث اليها .

في قصيدة ثانية « خريف وشتاء » تحدق في الفضاء الذي أربد وغشاه السحاب فتجده يشبه ذلك الذي يجثم على نفسها .

ولعل « الموت » ، هو من ابرز معادلات « الوحدة » ومرادفاتها . والشاعرة تواجهه بنفس طاقة الوهم الفضفاضة . فهو غامض ولكن غموضه ليس غموضا شعريا حيا ذا سمة جدلية ككل الاشياء الملهمة ، بل غموضا ميكانيكيا رتيبا تواجهه الشاعرة بتقليدية لا حركة فيها :

آه يا موت ! ترى ما انت ؟ قاس أم حنون ؟!
ابشوش انت أم جهم ؟ وفي أم خؤون ؟!
يا ترى من أي آفاق ستنقض عليه ؟.
يا ترى ما كنه كأس سوف تزجيها اليه ؟
قل ، أبن ، ما لونها ؟ مـا طعمها ؟ كيف تكون ؟

فهذه التساؤلات التي أعطيت مغزى ميتافيزيقيا ، قد تنتمي لمرحلة شعرية قديمة ، وغير عصرية. بالرغم من أن غدوى طوقان في قصيدة اخرى تتوسل الى الله ان يصون الوجود « من عبث الموت وطيش الفناء » (ص ٣١) ، فتقترب منه لتسميه . وتتجاوزه في قصيدة أخرى ، وهي تتوسل الى الله :

يا رب ، اما حان حين الردى وانعتقت روحي من هيكلي

فالموت هنا انعتاق من الجسد الذي تراه الشاعرة هيكلا ، على طريقة المتصوفة . ولكن

---

٤ — وحدي مع الايـام ، ص ١١ . ٥ — المصدر السابق ، ص ١٩ .

الفارق ان نزعة الشاعرة هنا ليست دينية مطلقة ، وروحية غير محدودة ، كما هي لدى المتصوفة ، بل نزعتها هذه ردة فعل مرضية مضطربة وقابلة لان تكون متناقضة . فالجسد الذي يدور في توقه الدائم الى الحياة ، دون ان يخرج عن دائرة هذا التوق ، قد ينحرف غيزج في محراب لا علاقة له به ، الا من حيث هو أداة للاذلال الذاتي ، وماسوكية جارحة .

وكما تواجه الشاعرة « الموت » باعتباره قدرا ميتافيزيقيا ، كذلك تواجه الظواهر الإجتماعية ، معتمدة فحسب على هواجسها « الروحية » السجينة في جسدها الهالك . فهي تناجي قوى القضاء الغامض المبهم ، التي تجثم وراء الفضاء :

من يمطر الرزق على ذي الثراء ويمسك الرزق عن المعدم ؟

وهي بالرغم من اعترافها في القصيدة ذاتها على ان الامر يتعلق بظلم البشر في الارض . الا أنها لم تجد وجهة للمناجاة الا فيما « وراء الفضاء » . وهذه الوجهة الماورائية تتكرر في جميع قصائدها ، حتى المتأخرة منها ، والمتصلة بموضوع يعتبر دون شك من أبعد المواضيع عن الرغبة «القدرية» الغامضة ، وهو موضوع الاحتلال العدواني الاسرائيلي، في فلسطين — وسنرجيء التعليق عليه الى حين الاشارة الى مجموعتها « الليل والفرسان » .

ان التناقض النفساني الذي يخلفه توق الجسد الى الحياة ، وانكساراته الناتجة عن الكبت الاجتماعي ، يجد مداره في دائرة « الموت » . هذه الدائرة التي تشكل تطهيرا داخليا سلبيا . ونزعة الشاعرة فدوى هذه تبدو منطقية ، الى أن تبدأ مرحلة استلهامها، كحجة ، من موت أخويها « ابراهيم » و« نمر » ، فتتحول ، حينها ، الى مرحلة «الرثاء»، التقليدي الذي تطمس فيه ذلك الوجع القديم ذا السمة الميتافيزيقية الصرفة . وهذا التحول يتلف ، بوضوح ، امكانية تلك النزعة الى النمو والنضج ، بحيث تستطيع ان تصبح رؤيا فلسفية متكاملة .

لقد اصبحت الشاعرة ، بحجة عائلية ، شاعرة « رثاء » تطمح ان ترث « الخنساء » ، ذلك الارث الذي لا يملك ان يصبح عصريا ، وانتهت فيها تلك « المقدمة » التي كانت ترى فيها الموت — كما يراه الشاعر « ييتس » ليس الا انتقالة من غرفة الى اخرى » . غير ان كونه خاتمة الحياة والوجود المادي وما هو معروف ومدرك ، يفعمه بمغزى هائل .

في مجموعة « أمام الباب المغلق » ، عدد من القصائد الى شقيقها « نمر » ، نستطيع من خلالها ان نتلمس « الموت » الذي كان فيما مضى هاجسا . بالرغم من ان هذه الانعطافة قد بدأت منذ « وحدي مع الايام » وفي القصائد التي قدمتها الى شقيقها « ابراهيم » . وأصبح عاملا وسببا للندب والشكوى . علاماته : المفقود الذي ذهب دون عودة ، والقبر الماثل بصمت ، والمأتم في حضوره المستمر ، والوحشة المتبقية ، حيث لا نصير بعد ولا ظهير ، سوى ذكرى باقية لا تغني :

« آه يا قبرا له اشعاع نور
لا ارى اجمل منه في القبور !
فيك دنياي ، وفي قلبي الكسير
مأتم ما انفك مذ بات لديك
قائما يأخذ منه بالوتين »
« واذا ينزف دمع المقل
يجهش القلب اسى ما يأتلي
نادبا عندك أغلى امل
باكيا فيك نصيري وظهيري

ساكبا من ذوبه غير ضنين »(٦)

الموت هنا لم يعد موضوعا بذاته لدى الشاعرة ، بقدر ما أصبح عاملا للرثاء ، وهي تبقى على حالها هذه عبر سنوات طويلة ، حتى « أمام الباب المغلق » ١٩٦٧ . والذي كان طبيعيا ان تتحول فكرة الموت لديها بعد هذا الالحاح ، الى رؤيا فلسفية متكاملة . ولكن « الموت ــ الرثاء » بقي على حاله ، في رؤية تقليدية غير مشجعة .

« يا نمر ، يا حبيب اختك الكسيرة الجنـــاح
يا نمر يا جرحا جديدا غار في قلبي المغشى بالجراح
اهكذا بلا وداع يا حبيبنا ويا اميرنا الجميـــل
لا قبلة على طراوة الخدين والجبين
لا نظرة اخيرة نحملها زادا لنفـــا
في وحشة الفـــراق
يا نمر ، يا حبيبنا ويا أميرنا لو انه
فراق اعوام حملنا ثقله
لكنه فراق عمر
لكنه فراق عمر»(٧)

وتلتفت الى الموت ، بعد ندب متصل ومكرر وتقليدي لتخاطبه بنفس الروح التقليدية :

« يا موت يا مجنون يا أعمى العيون ، يا أصم
يا قاصما ظهري الضعيف لي لديك
الف ثار ، الف ثار »

وبنفس هذه الروح العفوية والتي لا تخلو من سذاجة تخاطب القدر ، والتي كانت تسميه فيما مضى « بالذي وراء الافق » ، تقول :

« وانت يا من قيل عنك انه هناك
حـــان لطيف بالعباد
حان لطيف بالعباد ؟ اين انت ؟
لا اراك
دعني اراك كي اقول انه هناك »

ان هذا السهو الذهني الغريب ، قد وضحت تباشيره الاولى في مجموعـــة « وحدي مع الايام » ، ولكن ناقدا لا يملك ان يتنبأ بتغيرات لها طاقة النمو والنضج . والا فمن الممكن ان تكون تلك التباشير مقدمات عابرة لا تملك ان تحول بين الشاعرة وبين الرؤية الفكرية الحقيقية .

ان نماذج هذا الرثاء التقليدي كثيرة . ولقد اكتفينا بهذه النصوص ، لان الذي تبقى مماثل لها تمامـــا .

(٤)

نطل الان على طرف آخر من أطراف ذلك « الحلم » الذي عرفناه ، هجرة متصلـــة عن أرض الواقع ، والذي كان الموت ظلا من ظلاله الغائمة المبعثرة ــ هذا الطرف نستطيع ان نعرفه بهذا المقطع من قصيدة « انا راحل »(٨)

« .. وسرحت ارنو في الفراغ

---

٦ ــ المصدر السابق ، ص ١٧٩ .
٧ ــ امام الباب المغلق ، ص ٢٤ .
٨ ــ وجدتهـــا ، ص ١٢٢ .

سرحت في اللاشيء احلم
حلمـــا بلا لون فلم افهمه
حلمـــا كان مبهم »

ان طرف الحلم الجديد ، هو « الفراغ » الذي تتأمل فيه ، و« اللاشيء » الذي تحلم به ، و« الحلم » المبهم الذي لا لون له . وهذه المعادلة الجديدة في ذاتها معادلة فضفاضة لانها معادلة وهمية . تنسحب وراءها خيوط طويلة تجدها عبر مجموعات غدوى جميعها . فهي حتى لو اكتشفت بعد جهد عسير ذلك « السر الضائع » ، لكنه سيظل «سرا ضائعا» لانه غير مسمى ، تقول الشاعرة في قصيدة « انا والسر الضائع »(٩)

« ما زلت والدرب بعيد طويـــل
أبحث في المجهول عبر الزمان
عن ضائع أبحث ، عن سر
ظننته اناى من المستحيل
ما انفك يجري خلفـــه عمـــري
وهو وراء الغيب في لا مكـــان »

ويظل السر مجهولا الا من اشارة « غيبية » تكشف عن ذلك الوهم الذي بقيت الشاعرة اسيرة بين يديه ، اذ تقول :

« لم أدر الا ان في صدري
يدا من الغيب مضت كفها
تمسح عنه عتمة اليأس »

وهذه « اليد من الغيب » لها صلة بتلك القوة القدرية التي اتخذت لهـــا اسماء عديدة ، فهي بلمسة سحرية توحي للشاعرة بالخلاص حيث تعترف :

« وبغتة ، في لفتة عـــابرة
لقيته ،.. »

ولعل هذا اللقاء صدفة من صدف الروح التي تتيح لها متنفسا آنيا . ولعل هذا الوهـــم طموح للحقيقة . ولكن الشاعرة تصر بهاجس رومانسي على ان تظـــل مدفوعة بقـــوة مجهولة ، الى لقاء مجهول ، وهي بين الدفع واللقاء يلذ لها ان تصرخ : « سأظل وحدي في انطواء ، ما دام سجاني القضاء »(١٠) لانها تجتهد اجتهاد « الانا المتضخمة » بأننا :

« .. سنمشي ونحن نجهل من يدفعنا
في المدى وما سنلاقي
وسنمشي معا بعيدا ولا ندري
متى ينتهي الطريق الوثير»(١١)

في قصيدة « لا مفر »(١٢) من مجموعتها « اعطنا حبا » ، تتحدث الشاعرة عن قوة جبرية داخل الانسان تؤمن بها « وهي جزء لا ينفصل عن النفس ، ومن هنا تنبع مأساة وجودنا الانساني » كما ترى . ولكن الطريف بالامر انها في البداية ، لا تؤمن « بجبرية تأتينا من الخارج » ، ولا اعرف كيف يتاح لمفكر يطمح بالتأمل ، ان يجتهد في استخلاص مفهومين

---

٩ ــ **المصدر السابق** ، ص ٩٢ .
١٠ ــ **المصدر السابق** ، من قصيدة « الصخرة » ، ص ١١٥ .
١١ ــ **المصدر السابق** ، من قصيدة « وانتظرني » ، ص ٤٥ .
١٢ ــ **اعطنـــا حبا** ، ص ٨٧ .

« للجبرية » خارجية وداخلية ، وفي اختيار واثق لاحدهما دون ان يكون مفكرا غيبيا . وهذا هو داء الشاعرة الذي تنضح به مجمل قصائدها . ففي القصيدة التي اشرت اليها، تعتبر غدوى انها لو رجعت صغيرة ، وهي تملك تجارب عمرها وخبراته ، وما علمتهـا السنون الكثيرة ، فمن المحال ان تملك القدرة على استخـدام تلك التجربة في اصلاح حياتها ، وفي مجانبة ذلك الضياع وذلك المصير ، لماذا ؟ لان . .

« هناك وراء الوراء ، باعماق ذاتي
هنالك يرسب شيء خفي
يظل خفيا ولا شكل لـه
يظل قويا ولا لون لـه
يوجه سيري ، يخط دروبي
ويرفع بين يدي صليبي
ويحدو خطاي الى الجلجلة »

« ان الانسان كما يقول اودن « هو المخلوق الوحيد الذي النقص في تكوينه ، والحيوان الوحيد الذي يدرك الفرق بين الاشياء ، كمـا هي وكما يجب ان تكون » وهنـاك شيء يدفعه دائما ليجد معنى لحياته التي يريد ان يعتبرها دائما هدفا يجب تحقيقه كما يعتبر نفسه الوسيلة لتحقيق غاية اسمى منه . ومن هنا نبعت آلامه ، ليس فقط لان الزمن لا بد سيقهره ، ولكن لان التعقيدات في طبيعته تعمل على افساد محاولته لمعرفة طريقه الصحيح ... وكثير من الناس يتحدثون اليوم عن هذا الكبت والقلق كأن الاحساس به ظاهرة جديدة . حقا ما من عصر اهتم بمصيره ، او حلل وشخص وناقش نفسه كعصرنا هذا ، ولعل ذلك لاحساسه بانه مريض روحيا فهو على الدوام يتحسس نبضاته العاطفية ويقيس حرارته ، ولكن اتساع المعرفة الذاتية الحقة والادراك الذاتي الحقيقي ، حقيقية ايضا... ان ظلام الجهل النفسي لا يلزم ان يكون بهذه الصورة المرعبة ، فالانسان يمكن ان يساعد على ادراك بعض مشكلاته النفسية وحلها ومع ذلك فان الصراع الداخلي لا بد ان يستمر ... ان عقل الانسان وقلبه ، ملكة تفكـيره وعواطفه ، كلاهمـا يسعى لتحقيق غايته ، وانحلال الحيوية في كليهما او التجاذب بينهما هو الذي يؤدي الى مرضه الروحي . وهناك اسباب عديدة تؤدي الى هذا التناحر الداخلي ولكن الاحساس السلبي بالعجز هو الحائل الرئيسي بين الانسان وتحقيق غايته . واي عاطفة ايجابية خير من هذه التعاسة المضطربة المنهكة ... وليس الاعتزال في ذاته ترياقا ضد التعاسة ، ذلك لان الاحساس بالسلبية هو غالبا سبب الالام»(١٣) .

(٥)

في قصيدة « صلاة الى العام الجديد » تستقبل الشاعرة عامها الجديد بهذه الانشودة :

« في يدينا لك اشواق جديدة
في مآقينا تسابيح ، والحان فريدة
سوف نزجيها قرابين غناء في يديك
يا مطلا املا عذب الورود
يا غنيا بالاماني والوعود
ما الذي تحمله من اجلنـا ؟
ماذا لديك ؟ »

هذه الانشودة ، دون شك ، تجسد توقا للخلاص ، وتعقد املا صادقا علـى عام جديد

---

١٣ ــ **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه** ــ اليزابيث درو ــ ترجمة د. محمد ابراهيم الشوى ، ص ١٧٣ ــ ١٧٥ .
١٤ ــ **اعطنـا هبا** ، ص ١٧ .

يحمل قدره القاسي معه ، ذلك القدر الذي تبعثه فينا تلك التساؤلات في نهاية المقطع . بالرغم من استعطاء الشاعرة

« أعطنا حبا ، فبالحب كنوز الخير فينا تتفجر »

ولكن هذا الآتي والذي سيكون « ضميرا غائبا » لا يتضح ، يحمل بين يديه غموضه وقسوته معا . وسيظل « فراغا » و« لا شيئا » و« حلما » لا لون له . الى ان يتجسد، بعد « حزيران » ، وفاجعته الواقعية الملموسة في « الفدائي الفلسطيني » . وليس من السهل أن يتضح هذا « الفدائي » أمامنا ، نافضا عنه كل ذلك التراث من وهمية « ضمير الغائب » الذي لا وجود له . فستبقى صورته مهزوزة ومائعة ، الا في بعض ما كتبته فدوى طوقان ، وخاصة قصيدتها « حمزة » .

صورة « ضمير الغائب » الذي كان « فراغا » و« لا شيئا » و« حلما » لا لون له . تحدثنا الشاعرة عنه بهذه الطريقة الواضحة :

« كان وهما ، نحن اعطيناه شكلا وحياه
ثم رويناه لونا وعبير
وعشقناه ، عشقنا وهمنا الغالي الغرير
...
فترة ثم تلاشى ذات ليلة»(١٥)

وقد يتضح هذا « الضمير » قليلا . ولكن الشاعرة تابى الا ان تبقيه حلما وطيفا ، ليكون مؤهلا أن يتلاشى ، تقول في قصيدة « نسيان »(١٦)

« احقا حببتك يوما ؟ وكيف ؟
أم كنت طيفا بحلم عبر
وهب كنت طيفا تعشقته
فكيف تلاشى الهوى واندثر »

ونحن نعرف دون شك ، ان حب الطيف يملك نفس قدرة الطيف على التلاشي . وفي قصيدة « في الكون المسحور »(١٧) تتيح الشاعرة لخيالها ان يرى وهي في نزهة قمرية ، انسانا يحدثها ، فتجد في عينيه « شموسا تتحرق ، ونجوما تتالق » ولكن فجاة :

« ماذا ؟
الحلم تفلت من عيني ، هنا عادت حولي
الغرفة تقبع والجدران هنا وفراغ منظور
انهد الكون المسحور .
منهارا في قلب الليل »

يبقى الطموح لدى الشاعرة فدوى طوقان طموحا خائبا . والتوق الى الحب ، لا يملك الا مقدرة على الاختلاق والوهم . وتلك الخيبة وهذا الاختلاق يتحدان ، لتشويه صورة الواقع ، او للمبالغة في الاحساس بظلماته . فهي تجيب صديقا يفاتحها بحبه ، قائلة :

« تجني ؟
لا ، ردها»(١٨)

ولا ترتضي منه الا بوده الكبير الذي تحتمي بظله الامين في دربها الطويل ، لان من أحبها قد مات :

---

١٥ ــ المصدر السابق ، ص ٢١ .
١٦ ــ المصدر السابق ، ص ٢٦ .
١٧ ــ وجدتها ، ص ٦٣ .
١٨ ــ أمام الباب المغلق ، ص ٨٥ .

« ومات من أحبني
مات أخي الذي احبني ولم يكن
هناك من احبني سواه »

والشاعرة تصرح بذلك ، لا لانها لم تعرف الحب ، فلقد سمعته من كثيرين ، ولكنها بقيت عطشى ، كأنما كان الذي بلغته سراب ، وهي تأبى الا أن تجد كل ذلك وهما ، لان «الحب عند الاخرين جف وانحصر » .

وبهذا ايضا تقف مواجهة « الباب المغلق » لتحدث الملك ، بعد ان كان « أخا » و«صديقا» و« حبيبا » خاصة في قصائدها الى « ج. هـ » ، مستعطية منه الرحمة ، التي تنقذها من الخوف ، والحب الذي يضيء مصباحها المطفأ في صدرها .

والملك يرمز في قصيدة « أمام الباب المغلق »(١٩) الى الاله، وهي القدرة التي طالما توجهت اليها الشاعرة . ولكنها الان لا تواجهها بالشكوى والاستجداء فحسب ، بل بالغضب ايضا ، ولكنها في النهاية لا تجد الا الخيبة أمام الباب المغلق :

« عبثا ، لارجع صدى لا صوت
عودي . لا شيء هنا غير الوحشة
والصمت وظل الموت » .

(٦)

لدى فدوى طوقان قصيدة قديمة في مجموعتها « وجدتها » تحت عنوان « نداء الارض»(٢٠) تتحدث فيها عن انسان فلسطيني « تمثل أرضا نمتـه وغذته » في طفولته وشيخوخته يواجه الغزو الاجنبي لارضه ، ولاستلابها . وفي المنفى يصر على العودة ، ولكنه يعود تحت جنح الليل ذاهل الخطو :

« الى اين ؟ لم يدر . كان الحنين
نـداء الح به واستبد »

ولكن رائحة الارض تدفعه اليها ، فيهوي عليها ليشم ثراها ويضمخ بها صدره ويسمع همسها « رجعت الي » فيجيبها :

« ــ رجعت اليك وهذي يدي
سأبقى هنا ، سأموت هنا ، هيئي قدري »

فتهيء له قدره ، حيث تبصره عيون العدو ، وترديه قتيلا في طلقتين .

كانت هذه القصيدة اولى هواجس « الفارس ــ الحلم » لدى الشاعرة . ولكنه ذو طابع رومانسي قابل للتلاشي . ولقد كررت هذه الصورة لدى شعراء الجيل السابق ، وفي معظم القصائد الفلسطينية الوطنية قبل حزيران . ولم تتحول ثوريا الا بعـد حزيران ، وبوجه الخصوص على يد شعراء الارض المحتلة انفسهم ولقد نالت الشاعرة نصيبا من ذلك التحول ، ولكنه نصيب يسير اذا ما قورن بنصيب زملائها الاخرين .

في « الليل والفرسان » مجموعتها الاخيرة ، وجميع قصائدها كتبت بعد حزيران ١٩٦٧، تظل معظم القصائد خاضعة لارث الشاعرة القديم . فالندب والشكوى والبكاء لها نسبة وافرة ، ولكنها الان بسمة وطنيـة ، ولغرض وطني ، بالرغم مـن جوهرها الرومانسي الحاد ، تقول في قصيدتها « الطاعون »(٢١)، وهو دون شك طاعون الاحتلال :

---

١٩ ــ المصدر السابق ، ص ٥٥ .
٢٠ ــ وجدتهـا ، ص ٨ .
٢١ ــ الليل والفرسان ، ص ١٢ .

« يوم مشأ الطاعون في مدينتي
خرجت للعراء
مفتوحة الصدر الى السماء
اهتف من قرارة الاحزان بالرياح :
هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح .. »

وتلتقي بأجواء هذه القصيدة اجواء قصيدة « الى السيد المسيح في عيده » و« رسالة انى طفلين في الضفة الغربية » . ولكن الشاعرة تبدأ بتحولها بطيئاً حيث تقدم الى شعراء الارض المحتلة قصيدة تعاهدهم فيها على ان لا تبكي بعد هذا اليوم :

« احبائي
مسحت عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية
لالقاكم وفي عيني نور الحب والايمان
بكم ، بالارض ، بالانسان
فواخجلي لو اني جئت القاكم ، وجفني راعش مبلول
وقلبي يائس مخذول
....
وها انتم كصخر جبالنا قوة
كزهر بلادنا الحلوة
فكيف الجرح يسحقني ؟
وكيف اليأس يسحقني ؟
وكيف امامكم ابكي ؟
يمينا ، بعد هذا اليوم لن ابكي»(٢٢)

ويجيء الانسان ــ الفدائي ــ في آخر الشوط . وتكتب فدوى طوقان قصيدتها « حمزة » و « خمس اغنيات للفدائيين » ، وهما من انضج ما كتبته الشاعرة ، لا لانهما جاءتا في آخر الشوط ، فحسب ، بل لانهما ايضا ، خضعتا لتجربة صادقة ، كانت فدوى طوقان فيها تتعامل مع قضيتها لا بذاتية ضيقة ، بل بهاجس انساني عام . فهي بدأت تعرف كيف يكون المخاض الذي يهز الارض و ...

« كيف تكون رعشة الميلاد »
« .. وكيف يولد الاقاح
من الم الارض ، وكيف يبعث الصباح
من وردة الدماء»(٢٣)

لقد توصلت عبر تجربة الانسان ــ الفدائي، والانسان الشهيد ، كيف هي جدلية الحركة، وجدلية الحياة ، ووحدة النقيض حيث تتفجر نحو المستقبل ، فلنتابع هذه الرؤيا لولادة الاغنية :

« نأخذ اغنياتنا
من قلبك المعذب المصهور
وتحت غمرة القتام والديجور
نعجنها بالنور والبخور
والحب والنذور
ننفخ فيها قوة الصوان ، والصخور
ثم نردها لقلبك النقي ، قلبك البلور

---

٢٢ ــ المصدر السابق ، ص ٥١ .

٢٣ ــ المصدر السابق ، ص ٩٤ .

يا شعبنا المكافح الصبور »(٢٤)

في قصيدة « حمزه » تقدم فدوى نموذجا حيا . لانه أولا لا يخلو من خصوصية الانسان الطيب الذي يأكل خبزه من كدحه ، كجميع البسطاء الطيبين ، ولانه ايضا لا يخلو من عمومية الشمول الذي يجمع الكل في واحد ليكون رمزا موحيـا ، لا للانسان الفلسطيني الثائر ، ولخصب ثورته ، فحسب ، بل للارض الفلسطينية ولخصبها . وفدوى طوقان تقدم هذا النموذج بحاسة فنية ماهرة ، لا تسيب فيها ولا فضفضة ولا رومانسية .

« كان حمزه
واحدا من بلدتي كالاخرين
طيبا يأكل خبزه
بيد الكدح كقومي البسطاء الطيبين »

هذه البداية تبدو قصصية ، والقصيدة قصصية بالفعل ، ولكنها ذات منطق شعري غير سردي . منطق متداخل يجمع بين الاضداد ، ويوجد العناصر ليخلق طاقة الخصب . فحمزة في البداية انسان بسيط ، وهي اشارة لاثارة الانتباه ، يلاقي الشاعرة ذات يوم وهي تتخبط في تيه الهزيمة ليقول لها : « اصمدي يا ابنة عمي » لان هـذه الارض التي تحصدها نار الجريمة ، والتي تبدو اليوم حزينة وساكتة تملك قلبا لا يموت :

« هذه الارض امرأة
وفي الاخاديد وفي الارحام سر الخصب واحد
قوة السر التي تنبت نخلا وسنابل
تنبت الشعب المقاتل »

لم تعد « قوة السر » تعني لدى فدوى ما كانت تعنيه في عوالمها السابقة ، فهـي بعد أن كانت « جبرية » داخل الذات المظلمة ، « وقدرا » ماورائيا ، اصبحت اليوم جدلا يوحد بين الانسان والطبيعة ، بين الذات والعالم ، وقوة دافقة لا تتحـرك الا من أجل ميلاد جديد .

فحمزه ، الذي يغيب ويظهر ، انما يعطي ايحاء بالولادات التي لا تنتهي وبالثورة التي لا تتوقف . فبعد ان تدور الايام دون ان تلتقي الشاعرة به ، كانت تعرف أن الارض تعـد بمخاض وبميلاد جديد .

وبعد ان يحاول حاكم البلدة وجنوده نسف الدار التي يسكنها حمزه وأولاده ، يطل مـن الشرفات لينادي :

« يا فلسطين اطمئني
انا والدار واولادي قرابين خلاصك
نحن من اجلك نحيا ونموت »

وبعد انْ يتلاشى كل شيء ، تعود الدورة لتبشر الشاعرة من جديد :

« أمس ابصرت ابن عمي في الطريق
يدفع الخطو على الدرب بعزم ويقين !
لم يزل حمزة مرفوع الجبين »

وهكذا ، بعد تجربة طويلة من الطواف ، تتعرف الشاعرة فدوى طوقان على الطوفان ، وبعد تحديق طويل في الموت تتعرف على « الميلاد » لتغني الارض الجديدة ، والمستقبل الجديد ، والانسان الجديد .

---

٢٤ ــ المصدر السابق ، ص ٩٦ .
٢٥ ــ المصدر السابق ، ص ٨٨ .

اسرائيل وجنوب افريقيه

تقرير اعدته "لجنة مادیسون" لجنوب افريقيه

لم يعد خافيا على احد تقريبا سجل الحزب القومي الذي تسلم زمام السلطة في جنوب افريقية في العام ١٩٤٨ بما هو حافل بالعداء لليهود وتعاطف مع دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية ، فجميع رؤساء الوزارات الذين ينتمون لهذا الحزب ، ابتداء من مالان وستريجدوم وفيروورد حتى فورستر ، معروفون بميولهم النازية ، والدكتور فورستر ، رئيس الوزراء الحالي ، هو نفسه الذي اعلن على رؤوس الاشهاد في العام ١٩٤٢ : « اننا نؤمن بالقومية المسيحية الحليفة للاشتراكية القومية ... التي يسمونها في ايطاليه الفاشية ، وفي المانية النازية ، وفي جنوب افريقية القومية المسيحية » . (هيل ، **جنوب افريقية : العمال في ظل التمييز العنصري**) . لذا ، فان اي مراقب موضوعي يقرأ هذا الكلام لا بد وان يتوقع بأن تتسم العلاقات ما بين الدولة العنصرية في جنوب افريقية والدولة الصهيونية في اسرائيل بعداء لا هوادة فيه نظرا للتحالف الذي كان قائما بين جنوب افريقية والمانية النازية التي اخذت على عاتقها مهمة ابادة اليهود ، ولكن الواقع مغاير لذلك تماما . فرغم ان اسرائيل قد أعربت اكثر من مرة عن استنكارها العلني لسياسة التمييز العنصري القانوني التي اختطتها جنوب افريقية لنفسها ، نرى ان وراء هذه التعليقات السلبية شبكة من العلاقات المرضية التي تتميز بالتعاون والصداقة مع نظام الاقلية البيضاء على الطرف الجنوبي للقارة الافريقية . وكما هو الحال بالنسبة لعلاقات الولايات المتحدة بانظمة حكم البيض في جنوبي افريقية ، ليس هناك سوى صلة بسيطة للمحتوى الحقيقي لعلاقات اسرائيل بجنوب افريقية بما يمكن ان يتوقعه المرء على أساس من التأكيدات الايديولوجية المبهمة لحق تقرير المصير واللاعنصرية والعدالة والحقوق الديمقراطية .

ولفهم الاسس التي تقوم عليها مختلف نواحي العلاقات ما بين جنوب افريقية واسرائيل لن نكتفي فقط بوضع الخطوط العريضة لهذه العلاقات ، فهذا من الامور اليسيرة بالنسبة لاي باحث جاد ، بل سنعمد أيضا الى تقديم عرض موجز للادوار المتماثلة التي تلعبها الدولتان في النظام الامبريالي العالمي ، فاندفاعهما لاخضاع الدول الافريقية النامية لسيطرتهما لا يختلف عما يقوم به العديد من الدول الراسمالية المتقدمة. ولكن السياسات الداخلية والخارجية لكل من النظامين تعتمد في الاساس على الظروف التي نشأ فيها الشعبان خلال العهد الكولونيالي . وسنحاول ان نثبت ان شبكة العلاقات القائمة بين جنوب افريقية واسرائيل ناجمة في معظمها عن تجارب سابقة وراهنة متماثلة مرت بها الدولتان في علاقاتهما مع الدول الراسمالية الغربية والدول النامية في القارة الافريقية . فتاريخيا تعتبر جنوب افريقية واسرائيل من الدول الاستيطانية ، اذ أن كلتيهما تكونتا خلال فترة توسع الراسمالية وحركة الشعوب خارج بلادها التي تميزت بها الكولونيالية الاوروبية ، وكلتاهما ايضا حققتا وجودهما القومي في ظل حكومات تمثل مصالح السكان المهاجرين وابنائهم . ونظرا لمصلحة البقاء التي تعمل لها حكومات اقلية كهذه ، أدت

المحركات الداخلية للـــدولتين الى الهيمنة المستمرة والقمع المتواصل لحركـــة السكان الاصليين من جانب نظام الاقلية القائم فيهما .

وهذه الظروف التاريخية المتماثلة التي نشأت فيها الدولتان هي التي جعلت مصالحهمـــا الحالية متشابهة مما أدى الى ايجاد روابط ذات فوائد مشتركة للجانبين . وحقيقة نشوء الدولتين من خلال حركة التوسع الرأسمالي عبر الكولونيالية ادت الى وضع أصبحت معه كل منهما تعتمد في بقائها من جهة ، على المعونات الاقتصادية التي تحصل عليها من دول صناعية متقدمة ، ومن جهة أخرى ، على التحالف مع هذه الدول في التوسع الامبريالي العالمي . وعلى أساس متطلبات حكومات الاقلية في البقاء يستطيع ان يفهم المرء سبب نمو العلاقات الاقتصادية بين جنوب افريقية واسرائيـــل واهتماماتهمـــا الاستراتيجية المشتركة ومحاولتهما المتشابهة لتشجيع التنمية في الـــدول المعتدلة في افريقية والشرق الاوسط كوسيلة لاخماد جهود شعوب هذه الدول التي لا تزال تكافح ضد فرض الانظمة الاستيطانية والتوسعية عليها .

نمو الروابط الاقتصادية بين جنوب افريقية واسرائيل

في ٦ نوفمبر ١٩٦٢ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة ، بأغلبية ٦٧ صوتا مقابل ١٦ وامتناع ٢٣ دولة عن التصويت ، على القرار ١٧٦١ xvii الذي يدعو الدول الاعضاء الى قطع علاقاتها مع جنوب افريقية ، بما في ذلـــك « جميع بضائـــع جنوب افريقية ، والامتناع عن تصدير البضائع ، بما في ذلك جميع انواع الاسلحة والذخائر ، الى جنوب افريقية » . وقد صوت المندوب الاسرائيلي الى جانب القرار كغيره من مندوبي دول العالم الثالث . وفي السنوات اللاحقة اتخذت الجمعية العامة قرارات مماثلة للقرار (١٧٦١) . ورغم موقف المندوب الاسرائيلي هذا ، لم ينخفض التبـــادل التجاري ما بين اسرائيـــل وجنوب افريقية في السنوات الاخيرة ، بـــل بدلا عن ذلـــك شهد نموا مطردا . وفي هذا الصدد يقول « الكتاب السنوي اليهودي الاميركي » (١٩٦٩ : ٤٥٤) ان « وفدا قويا من جنوب افريقية اشترك في مؤتمر القدس الاقتصادي الذي دعا اليه ليمي اشكول ، رئيس الوزراء ، في نيسان ١٩٦٨ ، ولدى عودة اعضاء الوفد الى بلادهم شكلوا جمعية تجارية مشتركة برئاسة موريس لوبنر ، لتنمية التبادل التجاري بين البلدين » . ويثبت « الكتاب السنوي اليهودي الاميركي » (١٩٧٠ : ٥٣٥) ان العلاقات بين البلدين آخذة في التحسن، ونراه يلاحظ « نجاح (اسبوع اسرائيل) لتشجيع التجارة في جنوب افريقية في آب ١٩٦٩ الذي عرضت فيه اربعة مخازن حكومية منتجات اسرائيل في فروعها الممتدة الـــى كافة انحاء البلاد . . . وقد أكد آدن تالبر ، نائب مدير وزارة التجـــارة والصناعة الاسرائيلية الذي شهد الافتتاح في جوهانسبرج بصحبة وكيـــل وزارة الشؤون الاقتصادية في جنوب افريقية على المدى القائم لتشجيع التبادل التجاري » .

وتظهر الارقام التي نشرتها جمعية التجـــارة الاسرائيلية ـــ الجنوب افريقية ازديادا في صادرات جنوب افريقية لاسرائيل من ٣ ملايين دولار في ١٩٦٧ الى ٧ ملايـــين دولار في ١٩٦٩ ، وصادرات اسرائيل الى جنوب افريقية من ٣،٢ مليون دولار في ١٩٦٧ الى ٩،١ مليون دولار في ١٩٦٩ . ولا نستطيع الاعتماد كليا على صحة هذه الارقـــام نظرا الى ان مصادر اخرى تعطي ارقاما متباينة نوعا ما . ويظهر الجـــدول الاول كمية المبالغ التي ذكرتها كل من اسرائيل وجنوب افريقية في تقارير الى صندوق النقد الدولي. وهو مقتبس عن **اتجاهات التجارة** ، آذار ١٩٧٠ .

ورغم اختلاف الارقام ، نلحظ ازديادا ملموسا في التجارة خلال السنوات الاخيرة. ووفقا لما ورد في كتاب « احصائيات التجارة الخارجية الاسرائيلية » استمر هذا الازدياد في ١٩٧٠ ، اذ بلغت الصادرات الى جنوب افريقية ١٠،٧ مليون دولار ، وبلغت الواردات منها ١٠،٢ مليون دولار .

جدول رقم ١ : التبادل التجاري بين جنوب افريقية واسرائيل
(بملايين الدولارات الاميركية)

	التجارة من اسرائيل الى جنوب افريقية في العامود (١) ومن جنوب افريقية الى اسرائيل في العامود (٢)		التجارة من اسرائيل الى جنوب افريقية في العامود (٣) ومن جنوب افريقية الى اسرائيل في العامود (٤)	
	كما ورد في التقارير الاسرائيلية :		كما ورد في تقارير جنوب افريقية :	
	(١)	(٢)	(٣)	(٤)
١٩٦٥	٢٠٧٠	٤٠٣٠	٢٠٨٠	٣٠٦٠
١٩٦٦	٢٠٣٠	٤٠٥٠	٢٠٧٠	٣٠٦٠
١٩٦٧	٤٠٠٠	٣٠٤٠	٣٠٣٠	٣٠٠٠
١٩٦٨	٥٠٧٠	٥٠٢٠	٥٠٣٠	٤٠١٠
١٩٦٩	٨٠١٨	٥٠٧٩	٦٠٧٧	٤٠٨٢

وبالنسبة لجنوب افريقية واسرائيل ، تعتبر الدول الغنية في اوروبة الغربية واميركة الشمالية اهم الاطراف التي تتبادلان معها التجارة . وفي النطاق الافريقي ، وعلى الرغم من سياسة اسرائيل في التودد الى دول افريقية السوداء ، تعتبر جنوب افريقية اكبر شريك تجاري لاسرائيل ، اذ انها تشتري تقريبا ربع صادرات اسرائيل الى افريقية في حين لا تستورد من الدول الافريقية اكثر من ثلث وارداتها .

جدول رقم ٢ : تجارة اسرائيل في افريقية ، ١٩٧٠ (بملايين الدولارات الاميركية)

جنوب افريقية	١٠٠٧	١٠٠٢
اوغنده	٥٠٦	٢٠١
اثيوبيه	٤٠٤	٢٠٠
نيجيرية	٣٠٦	٠٠٠٤
كينية	٣٠٦	١٠٢
باقي الدول الافريقية	١٣٠٧	١٤٠٥٦
المجمـــوع	٤١٠٦	٣٠٠١

ولكن ارقام الجدول الثاني ، وهي من كتاب « احصائيات تجارة اسرائيل الخارجية ، ١٩٧١ » تقلل في الحقيقة من اهمية الروابط الاقتصادية بين البلدين ، فمثلا ، ورد في « ساوث افريكان فايننشال مايل » (٢١ تموز ١٩٦٧) رقم حول قيمة تجارة جنوب افريقية مع اسرائيل ، ولكنه لا يشمل تجارة الماس . وفي حين تنتج مصالح اوبنهايمر وشركة معادن دي بيرز المتحدة حوالي ٨٠ بالمئة من الانتاج العالمي من الماس الخام ، تأتي اسرائيل بعد بلجيكة في تصدير الماس المصقول . (مجلة « تايم » ١٧ آب ١٩٧٠) . وفي حين تحصل اسرائيل على هذه الكميات من الماس غير المقطوع من مصادر مختلفة ، الا انها تشتريه من منظمة البيع المركزية التي تسيطر عليها جنوب افريقية ، وهذا ما يرفع نسبة الواردات . وفي ١٩٦٨ حصلت اسرائيل على ٥٢ بالمئة مما تحتاجه من منظمة البيع المركزية ، وهذا الرقم (٤٠ ــ ٦٠ بالمئة) يمثل تطور الواردات خلال عشر سنوات واما قيمة الواردات الاجمالية من الماس في ١٩٦٩ فبلغت ٢١٩ مليون دولار . (**الموجز الاحصائي الاسرائيلي** ، ١٩٧٠) . وتعتبر صناعة صقل الماس من اهم صناعات الصادرات في اسرائيل . وفي ١٩٦٩ بلغت صادرات الاحجار شبه الكريمة والكريمة (الماس بشكل خاص) ٤١٠٨ بالمئة من مجموع صادرات اسرائيل غير الزراعية ، وحوالي

٣٥ بالمئة من صادراتها الاجمالية . (**الموجز الاحصائي الاسرائيلي** ، ١٩٧٠) . وكل سنة منذ ١٩٤٩ والماس يشكل ما بين ثلث ونصف مجموع صادرات اسرائيل الصناعية، والقسم الاكبر من هذه الصادرات يباع في اسواق اميركة واوروبة الغربية .

وهكذا فان التوسع الاخير في التجارة يأتي زيادة على الروابط القائمة بالنسبة لتجارة الماس الدولية . وفي ١٩٦٨ اعرب أميتاي بن ــ جوزيف ، مفوض اسرائيل التجاري الى جنوب افريقية ، عن آماله بالنسبة للتجارة ، وقال : « ان اسرائيل بحاجة الى الصوف والاسبست والماس الصناعي والمعادن . . . وستتمكن اسرائيل من تزويد جنوب افريقية بالمنسوجات والاقمشة والكيماويات والمواد الصيدلية » . (**انباء من جنوب افريقية** ــ ٣ تموز ١٩٦٨) .

ومؤخرا عمدت جنوب افريقية الى تخفيف القيود على الاستثمارات وسمحت للشركات الجنوب افريقية بأن تستثمر حتى ١٤ مليون دولار في اسرائيل . وقد جاء هذا القرار في أعقاب اعتماد قدره ١٤،٩ مليون دولار من مصلحة الانماء الصناعي في جنوب افريقية في تموز ١٩٧٠ لزيادة صادرات جنوب افريقية الى اسرائيل . (**الكريستشن ساينس مونتر** ــ ٥ حزيران ١٩٧١) .

ومما تقدم نستطيع ان نرى كيف ان ممارسات اسرائيل الاقتصادية لم تكن لتنسجم مع مواقفها السياسية اذا كان الامر يتعلق بجنوب افريقية . وهذا صحيح ايضا بالنسبة للولايات المتحدة . ففي ٢٧ اذار ١٩٧١ ذكرت صحيفة « انباء امستردام » ان عضو مجلس النواب الاميركي عن ولاية نيويورك ، اوجدين ريد ، لاحظ في وقت سابق من هذه السنة ان « قيام الحكومة الاميركية بتشجيع المبيعات والاستثمارات الاميركية في جنوب افريقية ينطوي على تجاهل لسياسة الحكومة بالنسبة لحرية الانسان في تلك البلاد . » وهكذا يرى العالم انه في كلتا الحالتين تهدف هذه الاعمال الى تقوية الروابط مع نظام الاقلية البيضاء في جنوب افريقية وليس الى تخفيفها .

المحافظة على العلاقات السياسية ــ العسكرية

نشرت « نيويورك تايمس » في عددها الصادر في ٣٠ ابريل ١٩٧١ مقالا كتبه سي. ل. سولز بيرجر حول الشراكة الوثيقة ولكن المخفية بين جنوب افريقية واسرائيل ، والمتشعبة في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتي لم يكشف النقاب عنها بعد لدواع ديبلوماسية . ويلاحظ ان لهذه العلاقة بالنسبة لجنوب افريقية بشكل خاص اهمية بسيكولوجية ، « فمن بين المنتقدين الاجانب لسياسة جنوب افريقية هناك العديد من الاصوات اليهودية ، خاصة في الولايات المتحدة وبريطانية . لذا ، فان جنوب افريقية تشعر ان تعاطف اسرائيل معها من شأنه تعزيز مركزها الدولي » . وفي استعراض سولز بيرجر للروابط العسكرية يكشف ان مصانع جنوب افريقية تقوم بصنع رشيش عوزي الاسرائيلي بموجب ترخيص ممنوح عن طريق بلجيكة ، ثم يقول ان بعثة من جنوب افريقية طارت الى اسرائيل خلال حرب ١٩٦٧ لدراسة التكتيك واستخدام الاسلحة الاسرائيلية ، وبعد عودة البعثة أصبحت معركة ١٩٦٧ احدى معركتين يركز عليهما في المدارس الحربية في جنوب افريقية . واضاف استنادا الى انباء غير مؤكدة انه بعد حصول الاسرائيليين على تصاميم محرك طائرة الميراج الفرنسية أرسلوا نسخا عن التعديلات التي ادخلوها على المحرك الى جنوب افريقية . ثم يخلص سولز بيرجر الى القول ان « هذه البلاد تعتبر اسرائيل أحد اصدقائها القليلين في الخارج . ولبعض الوقت كانت سياسة اسرائيل في استغلال الشعوب الافريقية السوداء موضع استنكار ، ولكن تم غض النظر عن ذلك على أساس ان موقف اسرائيل في وجه روسيه وعملائها في الطرف

الشمالي للقارة من شأنه ان يساعد على اتخاذ موقف مماثل لو اقتضت الضرورة ذلك في الطرف الجنوبي » .

لقد توثقت العلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ ، فقد سمحت حكومة فورستر للمتطوعين من جنوب افريقية بالعمل في وظائف مدنية وشبه عسكرية في اسرائيل ، وكذلك سمحت للمنظمات الصهيونية في جنوب افريقية بتحويل ما يربو على ٢٨ مليون دولار الى اسرائيل . وعلقت صحيفة « برسبكتف » ــ آب ١٩٦٧ ــ الناطقة بلسان « مؤسسة جنوب افريقية » على ذلك بقولها ان « الحرب التي وقعت مؤخرا في الشرق الاوسط اثارت اهتماما محموما وتعلقا عاطفيا في انحاء مختلفة من العالم ولكنهم قلة اولئك الذين شعروا بارتباط شخصي عميق كالذي احسته جنوب افريقية . وعلى اي حال ، لم يكن العطف على اسرائيل مقتصرا على الطائفة اليهودية . فسكان جنوب افريقية البيض أحسوا وكأن ما اصاب الاسرائيليين كان يصيبهم شخصيا ... اذ كانوا يشعرون بتشابه في وضع اسرائيل المحاطة بجيران معادين مع وضعهم في جنوب افريقية ... وفي وضع كهذا كان من الطبيعي ان ينظر اهالي جنوب افريقية الى الاسرائيليين كأبناء مصيبة واحدة ، وان يهبوا لنجدتهم ومساعدتهم على هذا الاساس » . (اقتبستها مجلة Sechaba ابريل ١٩٧٠) . ونقل سولز بيرجر عن فورستر قوله : « ان وضع اسرائيل ومشاكلها موضع تفهمنا وعطفنا ، فهم مثلنا ، عليهم ان يتعاملوا مع ارهابيين يتسللون عبر الحدود ، كما ان لهم اعداء عقدوا العزم على ابادتهم » . (**نيويورك تايمس** ــ ٣٠ ابريل ١٩٧١) .

ومؤسسة جنوب افريقية التي استشهدنا بها آنفا هي منظمة تمولها المصالح التجارية الكبرى في جنوب افريقية (بما في ذلك الشركات الاميركية) لتقديم افضل صورة ممكنة عن جنوب افريقية الى العالم . وفي ١٩٦٧ اسست هذه المنظمة جمعية اسرائيلية ــ جنوب افريقية في محاولة لتحسين العلاقات بين البلدين . وكان من ابرز الاعضاء الاسرائيليين في اللجنة عند تأسيسها الدكتور شلومو بير ، الاقتصادي الذي كان يقيم في جنوب افريقية قبل ذلك بسنتين . وهو من الذين اشتركوا مع بن جوريون في تأسيس حزب رافي ، كما انه احد اعضاء اللجنة المركزية لهذا الحزب . ومن الاسرائيليين الاعضاء في اللجنة الكولونيل افرايم شورر ، الذي استقال من الجيش الاسرائيلي ليصبح مدير مكتب شركة العال في جنوب افريقية . (**سيشابا** ، ابريل ١٩٧٠) . ولقد بذلت اللجنة نشاطات واسعة لتحقيق اتصالات على اعلى المستويات بين جنوب افريقية واسرائيل ، وكما تقول « سيشابا » ، ابريل ١٩٧٠ : « كان من اولى الامور التي قامت بها ترتيب عقد اجتماع بين وزير الدفاع في جنوب افريقية ، السيد ب. و. بوثا ، وشمعون بيرس ، السكرتير العام لحزب العمل الحاكم في اسرائيل والعضو البارز في لجنة الشؤون الخارجية والامن ... وفي ايلول ١٩٦٧ قام الجنرال موردخاي هود ، قائد القوات الجوية الاسرائيلية ، بزيارة لجنوب افريقية ، والقى خطابا امام نخبة من الضباط في كلية الطيران قرب بريتوريا ... وفي ديسمبر ١٩٦٧ قامت ايضا مجموعة من الموظفين الحكوميين الاسرائيليين ورجال الاعمال وخبراء الطيران ، بما في ذلك مساعد المدير العام وكبير المهندسين في الصناعات الجوية الاسرائيلية ، بجولة في جنوب افريقية . فقد زاروا مصنع اطلس للطائرات قرب جوهانسبرج واعربوا عن املهم في ان يتمكنوا من احضار الطائرة الاسرائيلية القصيرة المدى الى جنوب افريقية للقيام بسلسلة من الاستعراضات » .

وفي حزيران ١٩٦٨ قام المشرعان الاسرائيليان شمويل تامير واليعازر شوستاك ، من حزب المركز الحر الاسرائيلي اليميني المتطرف ، بزيارة الى جنوب افريقية باسم لجنة الصداقة الاسرائيلية ــ الجنوب افريقية التي اسساها في اسرائيل . وفي بيانهما الوداعي قالا ان « جهودهما لتعزيز التفاهم ولايجاد علاقات اوثق بين اسرائيل وجنوب افريقية »

لاقت ترحيبا عاما واثارت اهتماما حادا . (الكتاب السنوي اليهودي الاميركي — ١٩٦٩ — ص ٤٥٥) وقالت « الساوث افريكان فايننشال مايل » (٢١ تموز ١٩٦٧) ان « ابنـاء جنوب افريقية الذين يعيشون في اسرائيل يشكلون جماعة نافذة ، رغم صغر حجمها » . وفي ٣ يناير ١٩٦٩ قال مراسل « جوهانسبرغ ستار » في تل ابيب ان « اسرائيل ستعمل في المستقبل على ايجاد صلات اشمل واوثق مع جنوب افريقية ... وهكـذا يظهر ان الجناح الموالي لجنوب افريقية قد انتصر » .

اما بالنسبة للتعاون العسكري بين البلدين فيظهر انه يعمل باتجاهين . ففي ٢٠ ينايـر ١٩٧٠ قالت وكالة البرق اليهودية ان « حكومة جنوب افريقية بدأت تنظيم تصدير الدبابات الى اسرائيل مما يشكل بداية مرحلة جديدة من التعاون فيما بينهما . ويبلغ وزن الدبابة التي تصنعها جنوب افريقية ٦٥ طنا وهي « مزودة بمدفع ضخم ومصممة وفقا لنموذج الدبابة البريطانية الحديثة » . هذه اشارة واضحة لدبابة تشيفتين البريطانيـة الجديدة التي ما تزال اسرائيل تحاول شراءها من بريطانية .

وفي حين تعتمد الدولتان في الوقت الحاضر على الدول الغربية لتزويدهما بالاسلحـة ، تعملان في الوقت نفسه على تنمية قدراتهما الخاصة بسرعة ليكون لهما انتاجهما الحربي المستقل . ووجود هذا الانسجام في العلاقات بين البلدين يجعلنا لا نستبعد قيام تبـادل خبرات ومعدات عسكرية فيما بينهما . والاهم من ذلك (سنتطرق له في مكان آخر من هذا المقال) هو الدور العسكري الذي تلعبانه ضد الدول الافريقية المستقلة .

اما بالنسبة للعلاقات السياسية القائمة بينهما فهناك عاملان يزيدانها تعقيدا : جهـود اسرائيل لكسب صداقات لها من بين الدول الافريقية المستقلة ، والدور الذي تقوم بـه الجالية اليهودية في جنوب افريقية نفسها . ولا يمكن فهم التناقض في علاقاتهما الوثيقة باستمرار في الوقت الذي تكشفان فيه عن عدم الوفاق في ما بينهما الا على اساس هذين العاملين المعقدين (بكسر القاف) .

وقبل ١٩٦١ لم تكن العلاقات مـع افريقية السوداء ذات اهمية . وكـان العام ١٩٤٨ حاسما من حيث انه شهد انتصار الحزب القومي في جنوب افريقية وقيام دولة اسرائيل . ونظرا لتراث الحزب القومي الحافل بالعداء للسامية كـان من الواضح ان الحزب عدل موقفه من الجالية اليهودية في ١٩٤٨ . فكانت الصحف الافريقانية تؤيد مقاومة الصهيونية للسياسة البريطانية في فلسطين ، وكانت تربط ما بين هـذه المقاومة وعزم الافريقانيين على قطع العلاقات نهائيا مع بريطـانيا . (ستيفنز ، Phylon ، مجلد ٣٢ ، عـدد ٢ (١٩٧١)) . ومباشرة بعد انتخابات ٢٦ ايـار اعلنت حكومة الحزب القومي في جنوب افريقية اعترافها القانوني باسرائيل ، والحقت ذلك بخطوات اخرى تهـدف الى كسب تأييد اليهود . واعلن الدكتور مالان عن تعهده وتعهد حكومته لتطبيق سياسة عدم التمييز ضد اي قطاع من السكان البيض ، وقال انه يتطلع الى اليوم الـذي لن يتردد فيه اي حديث عن المسألة اليهودية في جنوب افريقية . وبالنسبة له لم تكن هذه مجرد تصريحات سياسية جوفاء ، اذ انه لم يسمح فقط للضباط اليهود والاحتياط بالخدمة في اسرائيل بل كان أول رئيس وزراء من دول الكومنولث البريطاني يقوم بزيـارة مجاملة لاسرائيـل . وعندما اعتزل الدكتور مالان الحياة السياسية في ١٩٥٤ انعمت عليه الجالية اليهودية في جنوب افريقية بشرف نقش اسمه في سجلها الذهبي اعترافا « بمساهمته في خلق تفاهم عرقي افضل في جنوب افريقية » (المصدر السابق نفسه) . ومنذ ١٩٤٨ والناطقون باسم الجالية اليهودية في جنوب افريقية يؤكدون المرة تلو المرة ليس فقط ايمانهم بالصهيونية بل ايضا ولاءهم لنظام الاقلية البيضاء في جنوب افريقية. كما ان « جويش افيرز » المجلة الشهرية الناطقة بلسان هيئة الممثلين اليهود في جنوب افريقية ، توقفت عن ابداء آرائها

بالنسبة لقضايا اللون والتمييز . واكدت هيئة الممثلين اليهود انها هيئة غير سياسية لا تتخذ اي موقف في الصراع الحزبي ، كما انها ليست على استعداد للكشف عن آرائها بالنسبة للسياسات العرقية المختلفة في جنوب افريقية . وعندما أصبحت جنوب افريقية جمهورية مستقلة في ١٩٦١ ، أكدت الهيئة على وجه التحديد ان « ابناء الجالية اليهودية في جنوب افريقية ، كمواطنين مخلصين ، سيواصلون لعب دورهم لما فيه تقدم الدولة وازدهارها » .

وهكذا نرى ان نظام الحكم في جنوب افريقية اسدل ستارا من النسيان على ماضيه الحافل بمعاداة السامية ، وفتح ابواب الحزب القومي للاعضاء اليهود وسمح بتحويل الاموال الى اسرائيل وعين يهودا في مراكز حكومية هامة . فمثلا ، اصبح الدكتور بيرسي يوتار ، رئيس الطائفة العبرية الموحدة في جوهانسبرج ، وكيلا للنائب العام في ترانسفال في ١٩٦٠ ، ومثل النيابة العامة في محاكمات الوطنيين الافريقيين في ريفونية في اواسط الستينات ، وفي ١٩٦٨ أصبح النائب انعام في ولاية اورانج الحرة . وبالمقابل ، امتنعت الجالية اليهودية الصغيرة في جنوب افريقية من توجيه اي انتقاد لسياسة التمييز العنصري . وتقول نيويورك تايمس (٥ تموز ١٩٧١) ان « السيد سارون ، من هيئة الممثلين اليهود ، الذي هو مؤرخ ايضا ، قال بأن الهيئة لا تدعو الى الحياد السياسي بل الى عدم التدخل الجماعي » ، وفي مقابلة قال بأن الحاخامين في جنوب افريقية ، على خلاف زعماء الكنيسة المسيحية هنا ، لم يدلوا بأي تصريح حول سياسة التمييز العنصري « فقط لان الموضوع لم يعترض سبيلهم » .

وعلى اية حال ، فان المحافظة على مثل هذا الموقف بحاجة الى دقة . وكانت معاداة السامية تطل براسها في جنوب افريقية كلما كانت اسرائيل تحاول القيام بأية اتصالات مع الدول الافريقية المستقلة ، كما يحدث منذ ١٩٦١ ، او كلما توجهت الانظار الى افراد يهود من بين القلة من ابناء جنوب افريقية الذين يؤيدون حركات التحرير الافريقية او يعلنون ، على الاقل ، معارضتهم لسياسة التمييز العنصري . وعندما عرف ان عددا من اليهود كانوا من بين رفاق نيلسون مانديلا في محاكمات ريفونية في ١٩٦٣ — ١٩٦٥ لقيامهم بنشاطات ضد التمييز العنصري ، بدأ الحديث في جنوب افريقية عن « الولاء المزدوج » كما بدأ الربط بين اليهود و « الشيوعية » . وازداد التوتر حدة عندما اصدرت الحكومة الاسرائيلية بيانا ضد التمييز العنصري عند انتهاء زيارة رئيس جمهورية فولتا العليا لها في ١٩٦١ ، وفي نوفمبر ١٩٦١ أيدت أسرائيل قرار الجمعية العامة للامم المتحدة بشجب التمييز العنصري . وفي رسالة تسربت الى « صنداي برس » قال فيروورد ، رئيس وزراء جنوب افريقية ان ما تقوم به اسرائيل مأساة ليهود جنوب افريقية ، ولكنه لاحظ في الوقت نفسه ان رد فعل الصحافة اليهودية في جنوب افريقية المؤيد لحكومة جنوب افريقية انقذ الموقف نوعا ما . ثم استطرد يكشف تناقضات الموقف الاسرائيلي : « بدأ الناس يتساءلون لماذا ، اذا كانت اسرائيل وحاخاموها يشعرون انهم مضطرون لاستنكار سياسة التطور المنفصل هنا ، لا يعتبرون ايضا ان سياسة التطور المنفصل في اسرائيل خاطئة ... يمكن القول انهم يريدون التمييز في دول منفصلة على أسس دينية وليس عرقية ، ولكن اذا كان التمييز خاطئا على هذا الصعيد فهو ايضا خاطىء على الصعيد الاخر ... لقد آمنا بدولة اسرائيل المنفصلة ولكننا بدانا الان في التساؤل عما اذا كان علينا ان نتراجع عن هذا التأييد اذا كانت سياسة التطور المنفصل في رأيهم خاطئة في الاساس » . (استشهد بها هنري كاتزيف في مجلة مدستريم — ديسمبر ١٩٦٢) .

والحقت حكومة جنوب افريقية ذلك بالغاء الامتيازات الخاصة التي حصلت عليها المنظمات اليهودية فيما يتعلق بتحويل العملات الاجنبية . ولكن سرعان ما عادت العلاقات الى مجاريها من جديد ، وعندما توفي فيروورد رثاه بروفسور ابراهامز ، كبير الحاخامين

في كيب تاون ووصفه بأنه « رجل صدق ونزاهة ... وسياسته كانت تقوم على أسس أخلاقية ، فقد كان أول شخص يعطي لسياسة التمييز العنصري اسسا اخلاقية » . (« راند دايلي مايل » — ١٢ سبتمبر ١٩٦٦) .

وكذلك فان الخطاب الذي القاه المندوب الاسرائيلي جويل بارومي في الامم المتحدة في اوكتوبر ١٩٦٧ منتقدا فيه سياسة التمييز العنصري أثار رد فعل مماثل ، كما حصل ايضا بالنسبة للخطاب الذي القاه السفير تكواع بالنسبة لقضية جنوب غرب افريقية . وفي هذا الصدد قال موريس بورتر ، رئيس هيئة الممثلين اليهود في جنوب افريقية : « مع انه يفهم مشاكل اسرائيل الخاصة في الامم المتحدة ، لا يسعه الا ان يأسف لاي بيان أو تصريح من شأنه الوقوف حجر عثرة في وجه اعادة الانسجام الى العلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل » . (الكتاب السنوي اليهودي الاميركي ، ١٩٦٩) . وكان رد فعل جنوب افريقية لطيفا واكثر تفهما ، كما يظهر — مما قاله هليجارد موللر ، وزير الخارجية امام البرلمان من ان « لجنوب افريقية علاقات ديبلوماسية مع اسرائيل ، وان امكانية تبادل السفراء هي موضع اهتمام الحكومة باستمرار . ومع أنه ليس لجنوب افريقية أية بعثة في اسرائيل ، تحتفظ اسرائيل ببعثة في الجمهورية نظرا لمصالحها الكثيرة في جنوب افريقية » . (الكتاب السنوي اليهودي الاميركي ، ١٩٦٩) .

ورغم هذا ، من المحتمل ان تستمر سياسة اسرائيل في انتقاد التمييز العنصري ، كمحاولة لكسب أصوات الدول الافريقية في الامم المتحدة بالنسبة لقضايا الشرق الاوسط ، كما يرى ذلك عدد من الدول الافريقية . وآخر مثال على ذلك مبلغ الـ ٢٨٥٠ دولارا الذي قدمته اسرائيل لمنظمة الوحدة الافريقية لتقدمه بدورها لحركات التحرير (ولكنه سحب فيما بعد عندما اقترح ممثلو حركات التحرير السود تحويله الى منظمات المقاومة الفلسطينية) . وكشف النقاب عن العرض الاسرائيلي قبيل انعقاد منظمة الوحدة الافريقية في اديس ابابا ، ولكن ذلك لم يحل دون اتخاذ المنظمة قرارا اجماعيا تعرب فيها عن « اسفها » لعدم جلاء اسرائيل عن الاراضي العربية المحتلة . اما في جنوب افريقية فلا تزال المسالة مطروحة على بساط البحث . فقبل عدة أيام من العرض الاسرائيلي لمنظمة الوحدة الافريقية كانت جنوب افريقية قد اتخذت قرارا بتشجيع زيادة الاستثمار في اسرائيل عن طريق تخفيف القيود على الشركات الافريقية ، ولكن عندما قدم العرض قال فورستر ، رئيس الوزراء : « بكل تأكيد لا أفهم كيف ان اسرائيل ، التي تعاني هي نفسها من مشكلة ارهابيين ، تستطيع ان تبرر تقديم تبرعات لمنظمات ارهابية اخرى » . وفي اعقاب ذلك اوقفت جنوب افريقية مؤقتا تحويل الاموال الى اسرائيل ، ولكن مسؤولا يهوديا في جوهانسبرج اعرب عن ثقته بأن الحكومة سترفع الحظر عن الاموال المجمدة عندما توضح الامور لها . (نيويورك تايمز ، ٥ تموز ١٩٧١ ، افريكاسيا ، ٥ تموز ١٩٧١) . واذا اخذنا الحوادث الماضية الناجمة عن التصويت في الامم المتحدة كمقياس، لرأينا انه بالكاد تتأثر العلاقات الاقتصادية والعسكرية والسياسية النامية بينهما نتيجة لاختلاف علني بسيط .

ولقد اصبح من الواضح ان بيانات حكومة اسرائيل حول التمييز العنصري في جنوب افريقية تختلف عن بيانات الجالية اليهودية هناك حول هذا الموضوع . ويوجد افراد يهود هنا وهناك ممن يقفون موقفا معاديا لسياسة التمييز العنصري . وعلى أية حال ، فان المنظمات الصهيونية الرسمية الممثلة للجالية اليهودية في جنوب افريقية شديدة الولاء للصهيونية وجمعت تبرعات لاسرائيل جعلها تأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة على هذا الصعيد ، كما ان هذه الجالية ايدت سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقية تأييدا قويا . لذا فان اسرائيل ستتردد في ان تخاطر بوضع السلامة والرضى الذي تتمتع به الجالية اليهودية في جنوب افريقية ضمن نطاق نظام التمييز العنصري . وبالمقابل

لا تتردد حكومة جنوب افريقية في تهديد الجالية اليهودية اذا ما اتخذت اسرائيل موقفا معاديا لها بأي شكل من الاشكال ولا تتردد في وقف تحويل رؤوس الاموال الى اسرائيل كوسيلة للضغط . وهكذا فان وضع الجالية اليهودية في جنوب افريقية عامل اضافي حاسم لايجاد علاقات طيبة بين جنوب افريقية واسرائيل ، هذا بالاضافة الى العلاقات الناشئة بينهما نتيجة لوضع كل منهما في اطار النظام الرأسمالي والغربي .

الخلفية التاريخية للعلاقات ما بين جنوب افريقية واسرائيل : اطـار الامبريالية الغربيـة

بعد ان استعرضنا الوضع الحالي للعلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل ، نشعر انه لفهم الاسس التي تقوم عليها هذه العلاقات لا بد ايضا من معالجة الاطار المشترك للدولتين باعتبارهما من الدول الاستيطانية الغربية غرستا في قلب العالم الافرو — اسيوي . وقد حدد بروفسور ريتشارد ستيفنز ، من جامعة لينكولن، الاساس التاريخي المشترك لهاتين الدولتين في محاضرة بعنوان « الدول الاستيطانية والاستجابة الغربية » القاها في ندوة فلسطين العالمية الثانية في الكويت في شهر شباط ١٩٧١ ، ونقتطع منها ما يلي : « يعتبر قانون اتحاد جنوب افريقية (لندن ، ١٩٠٩) ووعد بلفور (لندن ، ١٩١٧) من بين القرارات الغربية المختلفة التي كان لها تأثير على حياة ومصائر شعوب ما يسمى العالم الثالث ، واكثرها قوة على فضح جوهر الايمان بسمو العرقية واشملها على اظهار قدرة العالم الغربي على تحويل وترجمة امتداد قوته واضفاء الشرعية عليه تحت ستار القانون الدولي والاخلاق . ومع هذا ، فان هاتين الوثيقتين اللتين وضعتا دون اي اعتبار لحقوق وتطلعات الشعوب التي اخضعت للقوة قد بررتا على أساس من اسمى المسؤوليات والمبادىء الاخلاقية للحضارة الغربية . وهكذا ، بأسم الليبرالية البريطانية لا يفقد السكان الاصليون في فلسطين وجنوب افريقية بيوتهم واراضيهم ومعظم حقوقهم الطبيعية فحسب بل ايضا يلقون انفسهم وقد نزعت عنهم هويتهم واخضعوا لارادة الاقوياء ، كما فرضت عليهم الضرائب والانظمة الادارية وفق خطة تقضي بتأمين بقاء المستعمرين*. وتعريف هذين الشعبين على اساس « الغيرية » : « غير البيض » من جهة و« غير اليهود » من جهة اخرى ، يكشف عن تحامل بسيكولوجي يتميز به الذين بين أيديهم زمام السلطة ، تحامل اصبح جزءا لا يتجزأ من النظام القانوني الدولي المهيمن الذي يعتبر ان الرد على احتجاجات المتذمرين يجب ان يكون على أساس القانون نفسه ... فلسطين وجنوب افريقية — بلدان يبعدان قرابة ٣٥٠٠ ميل عن بعضهما بعضا ولكن كلا منهما موضع اهتمام المستعمر نفسه ، وكلا ذهب ضحية ، بأسم الشعوب الغربية والمصالح الامبريالية البريطانية ، وقد وضعت تفاصيل عملية التضحية هذه على يد السياسيين انفسهم ، وفي كلتا الحالتين فان الحيف الواضح الذي ارتكبته دولة غربية او الحضارة الغربية ضد يهودي في الحالة الاولى ، وافريقاني في الحالة الثانية ، قد تم التكفير عنه على حساب الذين اعتبروا « غير متحضرين » و« بدائيين » جدا و«متخلفين» جدا لتثبيت ادعاء اخلاقي مماثل. وفي كلتا الحالتين ايضا قبلت بريطانية علنا أو ضمنا فكرة اعتبار اليهودي والافريقاني كـ « شعب مختار » ووارث لـ « أرض الميعاد »... وبالتالي يمكن ارجاع قرار بريطانية للتضحية بحقوق سكان جنوب افريقية وفلسطين الاصليين لاعتبارات امبريالية ، اذ أن ما سيطر على تفكير الحكومة البريطانية في ١٩٠٩ هو أن قناة السويس يمكن أن تتعرض للاغلاق في وجه الملاحة البريطانية في حالة نشوب حرب ، الامر الذي سيعيد لطريق رأس الرجاء الصالح اهميته التجارية والاستراتيجية

---

* في كلتا الحالتين ، استغرقت عملية سلب حقوق غالبية السكان الاصليين التي كانت هذه القوانين تجسدها زمنا طويلا .

السابقة ، لذا فقيام نظام حكم صديق في جنوب افريقية سيكون فيه كسب حيوي لبريطانية . وكذلك في اعقاب انهيار الامبراطورية العثمانية ارتؤي ان السيطرة البريطانية على فلسطين ، بمستوطنيها الصهيونيين ، هي افضل ضمان لعدم اغلاق قناة السويس في وجه بريطانية ... وثقة بريطانية بشركائها البيض الجدد جلبت لها مكافآت سريعة ... فقد عين الجنرال سمطس (من جنوب افريقية) مسؤولا عن القوات الامبريالية بأجمعها في شرق افريقية ومن ثم اصبح عضوا في وزارة الحربية البريطانية نفسها . ومع ان سمطس رفض منصب القيادة في فلسطين ، الا انه كان من أشد المؤيدين للسيطرة البريطانية والاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وصداقته مع حاييم وايزمن كان لها اكبر الاثر في حياته . وفي الحقيقة ، يعود الفضل لسمطس ، كما لغيره ، لقيام نظام الانتداب ، وليس أمرا بسيطا ان يكون سمطس قد لعب دورا بارزا في التصرف بفلسطين وجنوب غرب افريقية بموجب ذلك النظام . »

وهكذا فان احد العوامل التاريخية المحركة المشتركة بين جنوب افريقية واسرائيل هو ذلك الذي يعتمد على كونهما دولتين استيطانيتين . وقد اختلفت الظروف الخاصة للاستيطان في الحالتين فقد تم الاستيطان في فترات متباعدة ونتيجة لدوافع مختلفة نوعا ما من جانب المهاجرين في المنطقتين . فالاستيطان الهولندي في جنوب افريقية حدث في وقت مبكر في فترة التوسع الاوروبي الخارجي ، والمستوطنون الاصليون انفسهم عانوا في وقت لاحق من السيطرة الكولونيالية لبريطانيه ، اما استيطان اليهود الاوروبيين في فلسطين فقد حدث في وقت لاحق نسبيا ، ولم يكن بشكل كلي تعبيرا عن توسع اقتصادي اوروبي ، بل كرد فعل لاضطهاد اليهود ومحاولات الابادة التي تعرضوا لها في اوروبة الشرقية والغربية . ولاسباب خاصة ، وافقت الامبراطورية البريطانية على الاستيطان الصهيوني . وكون الدولتين لهما اصول متشابهة يساعد على فهم بعض السياسات الداخلية والخارجية لهما . ففي كل حالة وضعت الحكومة سياسات خارجية للتعامل مع السكان الاصليين داخل الدول الافرو ــ آسيوية المستقلة وبالتحالف مع هذه الدول وذلك لمصلحة بقاء نظام المهاجرين وابنائهم . والامبريالية الغربية التي يعتبر مركزها الجديد ــ الولايات المتحدة الاميركية ــ دولة استيطانية تقوم بتقديم المساعدات للمحافظة على كلتا الدولتين اللتين كانتا قد تأسستا بمساعدة الامبريالية البريطانية (ولكن ايضا نتيجة للصراع معها عندما كانت مصالح المستوطنين تختلف مع مصالح الامبرياليين) .

الدولتان الاستيطانيتان
والسكان الاصليون في جنوب افريقية وفلسطين

الارض : ان من الامور البالغة الاهمية في كلتا المنطقتين هو ما حدث للارض ، وذلك لان استملاك المهاجرين للارض يشكل اساسا لشرعية وقوة حكومة الاقلية في اية دولة استيطانية . ففي جنوب افريقية ، احتفظ قانون اراضي السكان الاصليين في ١٩١٣ بنسبة ٧،٣ بالمئة من الارض للافريقيين . وباستثناء منطقة الراس كان محظورا عليهم شراء اية قطعة ارض خارج نطاق المناطق المحددة . وفي ١٩٣٦ أوجد قانون شركات واراضي السكان الاصليين تقسيما جديدا يقضي بتخصيص ١٢،٧ بالمئة من الارض للافريقيين . وهذا يعني ان السكان البيض (١٩ بالمئة من مجموع السكان) يمتلكون ٨٧،٣ بالمئة من الاراضي ، وهذه الرقعة التي في حوزة البيض غنية بالثروات المعدنية وعليها تقوم المشاريع الصناعية والتجارية ، والمراكز المدينية . وقد حصرت ملكية الرقعة المخصصة للافريقيين في « صندوق بانتو جنوب افريقية » التي هي عبارة عن شركة للبيض تعينها حكومة الاقلية البيضاء . (**جنوب افريقية : « التوطين » ــ العنف الجديد ضد الافريقيين**) . ويزيد من تفاقم الوضع حملات الابعاد الحالية التي يتم بموجبها ابعاد الافريقيين الذين يعيشون (ربما لاجيال خلت) في مناطق مخصصة لـ « البيض » الى

« مناطق توطين » مهجورة . وتصف نادين جورديمر تأثير ذلك على الاهالي في مقالة نشرتها « نيويورك تايمز » في ١٥ يناير ١٩٧١ : « خلال عشر سنوات تم ابعاد ٩٠٠٠٠٠ نسمة من السود في جنوب افريقية من بيوتهم . وعادة ما يمنحون نوعا من التعويض بدلا من البيوت التي يخلفونها وراءهم لتمسحها البولدوزر من الوجود ، ولكنهم لا يجدون بيوتا في المناطق التي ينقلون اليها: وفي افضل الحالات، يزودون بمواد للبناء على ان يبنوا بيوتهم بأنفسهم ، وفي غضون ذلك يقيمون في خيم ، تمنح لهم او يشترونها بأنفسهم ، ويمكن ان يكون هناك ماء.ووقود في أماكن قريبة من سكناهم ، ولكنهم غالبا ما يضطرون للسير مسافات بعيدة للحصول على هذه الضروريات.ورقعة الارض التي تمنح لهم يمكن ان تكون قريبة من مدينة للبيض حيث يجدون عملا ، ويمكن ان لا تكون كذلك — فلم تفكر الحكومة في تأمين اعمال للذين يرغمون على الرحيل بدلا من الاعمال التي فقدوها نتيجة لتغيير اماكن سكناهم . والظروف المادية للتوطين هي عمليا وبدون استثناء تجعلهم يعيشون وكأنهم في عزلة لا يستطيعون فيها تأمين اكثر من الخبز والمرحاض . وأصبح الصراع من أجل البقاء يعني البحث عن حطب لايقاد النار ودلو من الماء العذب النظيف للشرب ، وعشرين سنتا لدفع اجرة السيارة لتنقل مريضا الى العيادة ... »

وخلافا لما وافقت عليه الامم المتحدة ، تم الحاق جنوب غرب افريقية بجنوب افريقية وطبقت فيها انظمة التمييز العنصرى نفسها . ومن المفترض بالافريقيين أن يرضوا بايجاد « بانتوستان » على رقعة الارض التي خصصت « لهم » ، في الوقت الذي يواصلون عملهم في مناطق البيض بشكل عابر دون ان يكون لهم أية حقوق في هذه المناطق .

وتقوم سياسة جنوب افريقية على تحقيق هدف مزدوج يقضي بطرد الافريقيين من بيوتهم وارغامهم على التواجد في سوق العمل ليستخدموا كوقود للنمو الاقتصادي في جنوب افريقية . أما سياسة اسرائيل فهي اكثر توجها نحو اكتساب الاراضي والحلول مكان السكان السابقين . وبالنسبة للاجئين قبل حرب ١٩٤٨ وبعدها طبقت قانون استملاك اراضي الغائبين (١٩٥٠) . وبموجب هذا القانون تحول اراضي وأملاك الشخص الذي يعتبر « غائبا » الى القيم على أملاك الغائبين . والغائب حسب القانون هو كل مواطن اسرائيلي ترك مكان اقامته في اي وقت بين الفترة ما بين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وبين يوم الغاء حالة الطوارىء، هذا اذا (١) أقام ذلك الشخص في مكان كان قبل الاول من سبتمبر ١٩٤٨ خارج أرض اسرائيل ، او (٢) اذا أقام في مكان داخل ارض اسرائيل ولكنها كانت في ذلك الوقت خاضعة لاحتلال قوات معادية (العرب) . وبموجب هذا القانون فان الاشخاص الذين تركوا قراهم او طردهم الاسرائيليون منها ، حتى ولو ظلوا في اماكن تخضع لسيطرة الاسرائيليين ، يمنعون من العودة الى قراهم،وعلاوة على ذلك صودرت اراضيهم بأكملها . ومع ان القانون كان مؤرخا ١٩٥٠ ، فقد كان له مفعول رجعي يعود الى ١٩٤٧ (مجموعة القوانين الاسرائيلية ، ١٩٥٠ ، مجلد ٣٧ ، ص ٨٦) .

ومن بين قوانين الطوارىء التي اصدرها وزير الدفاع في ١٩٤٩ قانون « مواد الطوارىء لاستغلال الاراضي البور » الذي منح بموجبه وزير الزراعة سلطة الاستيلاء على الاراضي البور (الجريدة الرسمية ، ٢٧ ، ١٥ اوكتوبر ١٩٤٨ (ب) ص ٣) . وقد طبق هذا القانون بالشكل التالي : كان وزير الدفاع يعلن ان منطقة ما هي « منطقة مغلقة » ، ثم يحظر الدخول اليها دون تصريح من الحاكم العسكري والا اعتبر ذلك انتهاكا لامن البلد . ولـ « أسباب تتعلق بأمن الدولة » لم يكن يمنح أصحاب هذه المناطق أذونا بالاقامة في اراضيهم التي اعتبرت اراضي « بور » . وبعد ذلك كان وزير الزراعة يبدأ في فلاحتها بتشغيل عمال فيها او بتلزيمها لطرف ثالث لفلاحتها . (صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** ، ص ٥٦) . ويقول التقرير الذي وضعته لجنة التوفيق الفلسطينية التابعة

للامم المتحدة في ١٩٥١ أن اربعة اخماس اراضي اسرائيل وثلثي اراضيها الصالحة للزراعة هي ملك للاجئين الفلسطينيين الذين منعوا من العودة الى ديارهم ، كما أن ثلث سكان اسرائيل اليهود كانوا يقيمون على اراضي الغائبين العرب .

وفي اعقاب حرب ١٩٦٧ طبقت سياسة مماثلة في مرتفعات « الجولان » والقدس والضفة الغربية للاردن . ويقول عاموس كينان ، الصحفي الاسرائيلي ، الذي خدم في الجيش الاسرائيلي انذاك ، تعليقا على أحد هذه الحوادث : « تلقينا اوامر باقامة حواجز عند مداخل القرى لمنع الاهالي العائدين من مخابئهم الى بيوتهم بعد سماعهم اذاعة اسرائيل تحثهم على العودة . وكان الامر يقضي بأن نطلق النار فوق رؤوسهم ارهابا وان نبلغهم بوجوب عدم دخول القرية . ووصلت أول جماعة من اللاجئين من جهة رام الله ، وكانوا عبارة عن مجموعة من المسنين والعجائز والامهات اللواتي كن يحملن اطفالهن ... أبلغناهم أن يتوجهوا الى بيت صورا ، ولكنهم قالوا بانهم منعوا من الدخول الى كل الاماكن التي طلب اليهم التوجه اليها وانه مضى عليهم وهم تائهون على هذه الحالة أربعة ايام ، وقد قضى منهم من قضى على الطريق ... نحن بدورنا طردناهم . راحوا نحو الجنوب تائهين كالقطعان . والضعفاء منهم كانوا يسقطون على الارض ميتين ... وفي المساء اكتشفنا اننا نحن ايضا قد خدعنا (من قبل القيادة الاسرائيلية) ، وذلك لأن بلدوزرين كانا قد بدآ في هدم البيوت في بيت صورا ، ولم يسمح لهم (للاجئين) بالدخول . ثم اكتشفنا انه ليس في قطاعنا فقط تمت تسوية الحدود لاسباب تتعلق بالامن ولكن كذلك في القطاعات الاخرى جميعها . » (مقتبسة من **المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل في حزيران ١٩٦٧**) .

وهكذا ، في كل من جنوب افريقية واسرائيل جرى سلخ السكان الاصليين عن اراضيهم كجزء من مخطط لايجاد وصيانة دولة يسيطر عليها المستوطنون وابناؤهم ، الاوروبيون البيض في الحالة الاولى ، وفي الثانية اليهود ، الذين ايضا معظمهم من الاوروبيين البيض .

المواطنية من الدرجة الثانية : تعتبر كل من جنوب افريقية واسرائيل من المجتمعات المتعددة القوميات التي تتكون من مجموعات عرقية واثنية عدة ، وسكان أصليين ، ومستوطنين اوروبيي الاصل ، وجماعات بين بين . والتناقض الاساسي بين المستوطنين والسكان الاصليين القائم في المجال السياسي يظهر ايضا في المجال الاجتماعي حيث يطبق من خلال التمييز في معاملة الجماعات المختلفة وفقا لتحديدات قانونية ثابتة .

وفي اسرائيل يتكون السكان من ثلاث فئات رئيسية : يهود من اصول اوروبية واميركية ، ويهود من اصول آسيوية وافريقية ، وعرب .

جدول رقم ٣

فئات السكان في اسرائيل ، احصاء ١٩٦٨

١ — يهود من اصول اوروبية واميركية	١،٤ مليون
٢ — يهود من اصول آسيوية وافريقية	١،١ مليون
٣ — عرب — أ — في المناطق المحتلة ما قبل ١٩٦٧	٠،٣ مليون
ب — في المناطق المحتلة حديثا	١،١ مليون

والخط الرئيسي الفاصل هو الذي يفصل ما بين العرب واليهود ، وذلك لان هوية اسرائيل القومية تعرّف كـ « دولة يهودية » ، ولاي يهودي في اي مكان آخر من العالم الحق في الحصول على الجنسية الاسرائيلية . ويعلق كريستوفر ميهيو ، عضو مجلس

العموم البريطاني على ذلك بقوله : « ان مصير اللاجئين العرب يعقد الامور ، انهم ضحية للتمييز العنصري ، واصبح من المسلم به بانه لو كنت ... في نيويورك ، دون ان يكون لك اية روابط عائلية او شخصية في فلسطين ، ولكنك تستطيع ان تثبت انك يهودي ... عند ذاك يصبح لك الحق في ان تذهب وتقيم في اسرائيل . ولكن اذا كنت فلسطينيا عربيا ، ولدت وترعرعت هناك حيث تعيش عائلتك منذ قرون ليس لك الحق في ان تذهب وتقيم هناك لانه ليس باستطاعتك ان تثبت ان لك النسب الصحيح، ولانك ولدت من الجناح الخطأ للجنس السامي . » (من خطاب في المركز الكنسي التابع للامم المتحدة ، ١٩٧٠ ، منشور في «Link» مجلد ٣ ، رقم ٣ ، ١٩٧٠) .

اما في جنوب افريقية فيقسم السكان الى اربع فئات : البيض ، والملونين والاسيويين والافريقيين (« البانتو » حسب تعبير حكومة جنوب افريقية) .

جدول رقم ٤

فئات السكان في جنوب افريقية ، احصاء ١٩٦٨

١ ــ البيض	٣،٥ مليون
٢ ــ الملونون	١،٩ مليون
٣ ــ الاسيويون	٠،٦ مليون
٤ ــ الافريقيون	١٣،٠ مليون

والخط الفاصل هنا هو بين البيض وغير البيض . وفي كلتا الحالتين ، جنوب افريقية واسرائيل للفئة المهيمنة عقيدة للبقاء وللوجود القومي ــ ولكنها قومية تشمل داخل اطار الامة قطاعا واحدا من السكان . وتؤكد عقيدة التمييز العنصري والعقيدة الصهيونية على اهمية هوية وبقاء المجموع . وقد تساءلت صحيفة « داي ترانسفالر » الصادرة في جنوب افريقية (استشهد بها هـ. كاتزيف في **التمييز العنصري والبقاء**) : « هل هناك اي فرق حقيقي بين الطريقة التي يحاول بها شعب اسرائيل المحافظة على نفسه وسط شعوب غير يهودية وبين الطريقة التي يحاول بها الافريقانيون ان يبقوا كما هم ؟ » وكاتزيف نفسه الذي هو رئيس تحرير « السجل الصهيوني » الناطقة بلسان الصهيونيين في جنوب افريقية ، يقول (« التقرير الافريقي » مايو ١٩٧٠) انك : « لا تستطيع بكلمة واحدة ان تدعي ان لليهود حقا في السيادة والسلطة السياسية في احدى زوايا الارض (اسرائيل) ، كما يفعل صهيونيو جنوب افريقيه المغالين في صهيونيتهم ، وبالكلمة التالية توافق على المواقف الداعية الى سلب الحق المكتسب نفسه من ابناء البوير » .

اذن، نرى كيف انه باسم البقاء يضحى بحقوق غير البيض في جنوب افريقيه والفلسطينيين في اسرائيل (أولئك الذين طردوا من اسرائيل) من اجل مصالح فئة مستوطنة مهيمنة . وفيما يلي بعض القيود المفروضة على حقوق الافريقيين في جنوب افريقيه : ١. لا يحق لاي افريقي ان يقترع او ان يكون له راي في تحديد مستقبله . ٢. يحظر عليه امتلاك أرض في اي مكان ، حتى في منطقته « وطن » البانتوستان . ٣. يمكن ابعاده من اي منطقة وفي اي وقت ، لا فرق ان ولد وعاش هناك طوال حياته ، وليس له الحق في رفع دعوى امام المحاكم في هذا الشأن . ٤. لا يحق له مغادرة منطقته دون تصريح خاص . ٥. لا يحق له العمل في تلك المهن والاعمال المقتصرة كليا على البيض وفق « قانون حصر الوظائف » . ٦. لا يحق له الاضراب . ٧. لا يحق له تنظيم اي اجتماع يضم اكثر من عشرة اشخاص او الاشتراك بمثل هذا الاجتماع دون ترخيص بذلك .

وتهدف القيود في جنوب افريقيه الى ايجاد أيد عاملة رخيصة ليس هناك اية صعوبة

لتامينها ، وكذلك لمنع اية مقاومة من جانب السكان ، اما في اسرائيل فليس لاستخدام اليد العاملة العربية الاهمية ذاتها (مع ان ذلك آخذ في التزايد) ، ولكن عمليات الطرد الشامل لم تنجح كليا اذ اصبح تحت سيطرة اسرائيل منذ ١٩٦٧ حوالي مليون ومئة الف عربي بالاضافة لما عندها في السابق . وبسبب ذلك هناك اختلاف « على كيفية اخضاع الشعب العربي الفلسطيني وعلى ما اذا يجب اتباع نهج ديموجرافي (اغلبية يهودية) او نهج اقليمي (اسرائيل الكبرى) » ــ لوبيل ، **فلسطين واليهود** ، ص ١٢٧ ، ولكن هناك اتفاق ، كما في جنوب افريقيه ، بالنسبة لمعاداة الفئة الدنيا . ويقول العالم الاجتماعي الاسرائيلي بيرس (في « مجلة علم الاجتماع الاميركية » ، مايو ١٩٧١) ان ٩١ بالمئة من اليهود الذين انتقاهم كمينة في ١٩٦٨ اتفقوا على انه « من الافضل لو كان عدد العرب اقل » ، و٧٦ بالمئة اتفقوا على ان « العرب لن يبلغوا ابدا مستوى التقدم الذي بلغه اليهود » ، و٨٦ بالمئة قالوا انهم لن « يؤجروا بيتا لعربي » .

والتمييز يؤثر ايضا على التعليم ، ففي جنوب افريقيه يهدف نظام تعليم البانتو الى ابقائهم خاضعين للاقلية البيضاء ، فالتعليم الابتدائي والثانوي مجاني بالنسبة للبيض ولكن ليس كذلك بالنسبة للافريقيين . وفي ١٩٦٢ بلغت نفقات التعليم ١٢ راندا (كل راند = ١،٤٠ دولارا) لكل تلميذ افريقي ، و٦٢ راندا للملونين والهنود و١٤٧ للبيض . (« **التمييز العنصري : آثاره في التعليم والعلوم والثقافة والاعلام** » ، اليونسكو ، ١٩٦٧ ، ص ٤٢). وتوسيع قانون التعليم في الجامعات (١٩٥٨) استثنى في الواقع اختيار غير البيض للالتحاق بأي من جامعات جنوب افريقية الثماني . وبدلا عن ذلك ، تم انشاء كليات للجماعات الاثنية المختلفة : لجماعة اكسهوسا (فورت هير) ، الزولو (كلية نجويا) ، السوثو (تيرف لوب ، جامعة كلية الشمال) ، الملونين (كلية بيل فيل) ، والهنود (كلية سالزبري) . ولا يسمح لغير البيض ان يدرسوا الهندسة وطب الاسنان او ما يسمى عادة مهن ذوي الياقات البيضاء .

وكذلك يذكر تقرير نشرته « نيويورك تايمز » في ٢٩ يناير ١٩٧١ وجود فجوة واسعة بين العرب واليهود في مرحلة ما بعد التعليم الابتدائي في اسرائيل : « تقريبا ٦٠ بالمئة من اليهود ولكن ٢٠ بالمئة من العرب ممن تتراوح اعمارهم بين ١٤ و١٧ سنة هم طلبة نظاميون » . ويلاحظ صبري جريس ايضا في كتابه « العرب في اسرائيل » ان « مستويات التعليم في المدارس العربية منخفضة جدا بالمقارنة ليس فقط مع المدارس اليهودية في اسرائيل ، ولكن مع المستويات الحالية في جميع دول الشرق الاوسط ، ومع تلك التي كانت سائدة في فلسطين اثناء الانتداب » . وتقول « نيوزويك » (٨ فبراير ١٩٧١) ان المسؤولين يبررون عدم وجود مساواة مع العرب في اسرائيل على اساس مستواهم التعليمي المنخفض « مع ان اكثر الفروقات انتشارا موجودة في حقل التعليم بالذات » . وبسبب ضيق المجال في هذا البحث نشعر اننا لا نستطيع ان نفي موضوع عدم المساواة في اسرائيل او جنوب افريقيه حقه الكامل . ولكن من الواضح ان عدم المساواة والعدالة المنظمة للفئات الدنيا في المجتمعين (على شكل « مواطنية من الدرجة الثانية » مع ما يرافق ذلك من صعوبات للفئة الخاضعة) هي سمات لا يمكن اخفاؤها ، ويشترك فيها المجتمعان مع حليفهما الرئيسي ، الولايات المتحدة الاميركية .

ادوات القمع : تبرر جنوب افريقيه واسرائيل نظامي هيمنة المستوطنين على اساس بقاء الفئة المهيمنة ، فللمحافظة على زمام الامور في وجه تهديدات السكان الخاضعين تعمد الدولتان الى استخدام اجراءات بوليسية عدة . ففي جنوب افريقيه يشكل نظام التنقل افضل اداة للضغط المتواصل على الافريقيين ، الذين يفرض عليهم حمل دفتر التنقل في جميع الاوقات ، وذلك لان حملات التدقيق في حمل هذه الدفاتر تتم حتى اثناء الليل عندما

يكون الناس نياما . ويعتقل حوالي ١٥٠٠ شخص يوميا بموجب قانون التنقل هذا . وبالاضافة لنظام المراقبة هناك العديد من القوانين التي تسمح بالاحتجاز الوقائي والحظر (وهو نوع من الاقامة الجبرية يسمح بموجبه للاشخاص الذين تفرض عليهم باتصالات محدودة مع العالم الخارجي) والسجن لفترات مختلفة بتهم « التخريب » أو « الشيوعية » التي تشمل تقريبا اي نوع من النشاط يهدف الى خلق الاضطراب في النظام القائم .

وفي اسرائيل تشكل قوانين الدفاع (قوانين الطوارىء) التي وضعت في الاساس في ١٩٤٥ اثناء الانتداب البريطاني ضد السكان العرب واليهود اساس نظام السيطرة . ويقول ي. شابيرو ، الذي اصبح فيما بعد المدعي العام في اسرائيل ان « النظام الذي اقيم في فلسطين منذ صدور قوانين الدفاع لا مثيل له في اي بلد متحضر ، فلم يكن مثل هذه القوانين موجودا حتى في المانيه النازية » — استشهد بها صبري جريس في كتابه **العرب في اسرائيل** . وقد استخدم هذا النظام للحد من حرية الحركة في المناطق التي تعتبر مغلقة — كما انه يمكن فرض الاقامة على اي شخص في أية منطقة ، وكذلك فرض الاقامة الجبرية عليه في منزله ، كما انه يمكن احتجاز اي شخص لفترة غير محددة . وفي المناطق المحتلة مؤخرا يشكل الاعلان رقم ٣ اساسا لانظمة مماثلة . ومن الاجراءات الاخرى ، خاصة تلك التي طبقت في اعقاب حرب ١٩٦٧ عمليات ابعاد الفلسطينيين ، كما حدث بالنسبة لرئيسي بلديتي القدس ورام الله ، و« العقاب الجماعي » ضد القرى، كما حدث في بيت نوبا وبالو اللتين دمرتا في ١٩٦٧ . ويمكن تدمير البيوت فقط بحجة ان احد ساكنيها مشتبه بأنه من الفدائيين . وتم اخلاء بعض القرى ، مثل عمواس ، وهدمها عن بكرة أبيها لاسباب استراتيجية عسكرية أو لاسباب سياسية ، (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى كراسة المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل في حزيران ١٩٦٧) . وبالاضافة لهذه الاعمال « الانتقامية » في الداخل تقوم اسرائيل بغارات عبر الحدود ضد الاردن وسوريه ولبنان .

ولقد اصبحت مجزرة المدنيين العرب العزل في دير ياسين (ابريل ١٩٤٨) ومجزرة المدنيين السود العزل في شاربفيل بجنوب افريقيه (مارس ١٩٦٠) رمزا لحركات المقاومة في الشرق الاوسط وافريقيه الجنوبية ، اذ انهما تمثلان بالنسبة لهذه الحركات تجارب مجابهتها لعدد يفوقها عدة وعددا وباستطاعته ابادتهما ما لم تواجهه بحركات تحرير شعبية ، والدعاية الواسعة جدا لمجزرتي دير ياسين وشاربفيل هو انهما حدثتا نتيجة لسياسة رسمية في اسرائيل وجنوب افريقيه مع انهما تأثرتا بسبب غضبة الرأي العام العالمي عند وقوعهما مما دفعهما منذ ذلك الوقت الى اتباع اساليب مخفية نوعا ما لفرض السيطرة .

وافضل وثيقة حول « عنف التمييز العنصري » في جنوب افريقيه هي الكراس الذي كتبه أ. ساكس تحت هذا العنوان واصدره الصندوق الدولي للدفاع والمساعدة في لندن . ويشير هذا التقرير الى أن نصف الاعدامات « القانونية » في العالم تنفذ كل سنة في جنوب افريقيه ، وهناك حوالي مليون دعوى كل سنة بموجب القوانين العنصرية ، كما ان الاحتجاز دون محاكمة هو المصير الذي وقع بالنسبة للكثير من الافريقيين وغيرهم من الثائرين من الفئات العرقية الاخرى . وفي ١٩٦٨ بلغ عدد الذين هم تحت الحظر ٧٤١ شخصا .

ان مثل هذا القمع هو عملية منظمة ومتصلة . ولكن جنوب افريقيه ليست كاسرائيل من حيث وجود عازل داخل حدودها ضد حرب العصابات . ومع هذا ، فلجنوب افريقيه قوات لقمع العصابات في ناميبيه (جنوب غرب افريقيه) وزمبابوي (روديسيه) كما انها

هددت اكثر من مرة باجتياح زامبيه . وفي هذا المضمار تتبع جنوب افريقيه طريقة اسرائيل في الاعمال الانتقامية ضد جيرانها الذين يساعدون حركات التحرير الفلسطينية ، وكذلك التكتيك الذي اتبعته اسرائيل في حرب ١٩٦٧ . وتأمل جنوب افريقيه من وراء ذلك الى تخويف زامبيه وجعلها تعدل موقفها وتوقف تأييد قوات العصابات .

النيوكولونيالية في افريقيه : الدول الاستيطانية والبلدان المستقلة .

لقد أثار نضال السكان الاصليين في جنوب افريقيه وفلسطين عطف شعوب البلدان المستقلة التي لها صلة وثيقة بهاتين المنطقتين . فجنوب افريقيه واسرائيل تذكران الافريقيين في منطقة الصحراء الكبرى والعرب في الشرق الاوسط بالزمن الذي كانوا يرزحون فيه تحت نير الحكم الكولونيالي المباشر . وهذا يعني ان الدول « المعتدلة » وحتى « الرجعية » التي لها مصالح مشتركة مع الامبريالية الغربية تشعر انها مضطرة لتقديم ولو خدمة بسيطة لقضية التحرير . واما قضية التأييد الحقيقي للتحرير فهي مسألة اخرى ، لذا فان احد الاهداف الرئيسية للسياسة الخارجية لاسرائيل وجنوب افريقيه هي في ايجاد حوار مع الدول المعتدلة بقصد الوصول الى نوع من التسوية على حساب مصالح الشعوب التي تخضع للحكم الاستيطاني .

اتخذت « السياسة الخارجية » لجنوب افريقيه في هذا الشأن شكلا محددا خاصة في السنوات التي تلت ١٩٦٦ عندما اصبح فورستر رئيسا للوزراء ، وقد اقام فورستر سياسته على اساس « التجمع الجنوب ــ افريقي » ــ اي التحالف مع البرتجال والسيطرة غير الشرعية على ناميبيه (جنوب غرب افريقيه) وتأييد نظام ايان سميث في روديسيه . وما ان نالت سوازيلاند وليسوتو وبوتسوانا استقلالها من بريطانيه حتى سارعت جنوب افريقيه الى كسب النفوذ فيها اعتمادا على موقفها الضعيف ، مع ان بوتسوانا هي الوحيدة التي حاولت التفلت والتطلع لاقامة علاقات مع زامبيه في الشمال . وتشكل ملاوي تحت حكم الرئيس باندا اكثر مثال صارخ على الخضوع الكلي لسيطرة جنوب افريقيه ، فهناك علاقات ديبلوماسية بين البلدين ، كما ان العاصمة الجديدة لملاوي في ليلونجوي تبنى بمساعدة جنوب افريقيه ، زد على ذلك وجود مستشارين من جنوب افريقيه في دوائر الشرطة ووكالة الانباء وغيرهما من الدوائر الحكومية في ملاوي . وفي السنة الماضية توددت جنوب افريقيه الى عدد من دول المحيط الهندي التي بدأت تتجاوب مع ذلك ، فقد اقيم خط طيران مباشر بين جنوب افريقيه وجمهورية مالاجاسي التي تحدت بذلك قرار منظمة الوحدة الافريقية في هذا الشأن ، وتبادل البلدان ايضا الزيارات الرسمية في ١٩٧٠ حيث بحثت العلاقات المالية والتجارية ، وسمح للسياح من جنوب افريقيه بزيارة مالاجاسي . وفي نوفمبر ١٩٧٠ عقد اتفاق بين البلدين منحت جنوب افريقيه بموجبه قرضا الى مالاجاسي لتحسين مطارها ، وبناء فندق سياحي ، وقد بدىء بذلك بالفعل ، وهناك على بساط البحث مشروع بورتجالي ــ جنوب افريقي مشترك لبناء حوض جاف للناقلات الضخمة في مالاجاسي .

وكذلك بدأت موريشوس في بحث اقامة علاقات مع جنوب افريقيه . وقد تبادل الطرفان الزيارات البرلمانية كما ان هناك بحثا في منح موريشوس مساعدات مالية . واحد الاقتراحات في هذا السبيل هو ان تقيم موريشوس « منطقة لعمليات التصدير » حيث تمر البضائع من جنوب افريقيه ويختم عليها : « صنع في موريشوس » ومن ثم يعاد تصديرها الى الدول الافريقية الاخرى . ومن هذا يتبين ان لجنوب افريقيه مخططات ليس فحسب لمساعدة الانظمة على قمع حركات التحرير ، بل ايضا لاقامة علاقات نيوكولونيالية مع دول افريقيه مما يجعلها تلعب في القارة الدور الذي لعبته الولايات المتحدة في اميركه اللاتينية .

وآخر ما سمعناه عن جهود جنوب افريقيه للتوجه نحو الخارج هو اقتراح هوفويت — بويجني ، رئيس جمهورية ساحل العاج لاقامة « حوار » مع جنوب افريقيه . وقد قدم هذا الاقتراح للدول الافريقية في نوفمبر ١٩٧٠ وأيدته في ذلك الدول الواقعة تحت النفوذ الفرنسي النيوكولونيالي . وجاءت المبادرة في أعقاب زيارة قام بها فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيه ، الى فرنسه التي تعتبر أهم مصدر للسلاح الذي تحصل عليه جنوب افريقيه . ولكن منظمة الوحدة الافريقية اتخذت قرارا في اجتماع عقدته في حزيران ١٩٧١ بشجب مثل هذه المبادرات ومثل هذا الحوار الذي يستبعد ممثلي الشعوب الافريقية في جنوب افريقيه نفسها . وخلال عملية التصويت على مشروع القرار امتنعت عن التصويت سوازيلاند واربع دول من الناطقة بالفرنسية وهي داهومي وفولتا العليا والنيجر وتوغو ، أما مالاجاسي وملاوي وليسوتو وساحل العاج والغابون وموريشوس فقد صوتت ضد مشروع القرار ، وتغيبت عن الجلسة كل من أوغنده وجمهورية افريقيه الوسطى . وموقف اوغنده كان مفهوما لان اثنين من ممثلي الحكومة العسكرية كانا لتوهما قد عادا من زيارة لجنوب افريقيه .

ولقد اشتركت اسرائيل أيضا بمثل هذا الامتداد الديبلوماسي . ولكن في حين ان لبعض الدول العربية مصلحة مشتركة مع اسرائيل لـ « كبح جماح » تطرف الفدائيين الفلسطينيين (ومجزرة الاردن هي أفضل مثال صارخ على ذلك) الا انه ليس لاسرائيل علاقات كتلك القائمة بين جنوب افريقيه وليسوتو . وكانت اكثر جهود اسرائيل التي تكللت بالنجاح تلك التي تركزت في دول المرتبة الثانية وهي دول الصحراء الكبرى (مثل تشاد واثيوبيه واوغنده والكونجو) ، في محاولة لتطويق تأييد العرب لحقوق الفلسطينيين . واتسمت هذه الجهود بتقديم كميات محدودة من المساعدات لتأمين الاصوات المؤيدة في الامم المتحدة وبايجاد علاقات وثيقة واعتماد على برامج المساعدة الاميركية ، وايضا ايجاد سوق للتصدير و(في حالات معينة) الاشتراك الفعلي في تقديم الخبراء العسكريين . فقد قام ا. اياجا في بحث نشرته مجلة « بان افريكان جورنال » (الربيع والصيف ، ١٩٦٨) بوضع جداول بمواقف الدول الافريقية التي اشتركت في التصويت على القضايا المتعلقة بالشرق الاوسط خلال الدورة التي عقدتها الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٩٦٧ . وفي تحليله للنتائج صنف الدول فئتين ، فكان من مؤيدي اسرائيل بوتسوانا واثيوبيه وغانه وغامبيه وساحل العاج وليسوتو وملاوي وسيراليون وتوجو وليبيريه ومالاجاسي وفولتا العليا . وتضم الفئة الثانية دول الجزائر وبورندي ومالي والمغرب وموريتانيه وليبيه وغينيه وتنزانيه وتونس والسودان والصومال والجمهورية العربية المتحدة وزامبيه . وبالنسبة للتصويت على مشروع القرار المتعلق بضم اسرائيل للقدس ، طلبت ٩٩ دولة الى اسرائيل التراجع عن مطالبها بالقدس ، ومن بين العشرين دولة التي امتنعت عن التصويت كان هناك تسع دول (بما فيها جنوب افريقيه) .

والصفات التي تتسم بها المساعدات الاسرائيلية للدول الافريقية بحثت بكل تفصيل في كراسة « داود وجوليات يتعاونان في افريقيه » التي أعدها فريق افريقيه للابحاث ، الذين اثبتوا كيف ان المساعدات الخاصة أو الحكومية التي تقدمها اسرائيل الى الدول الافريقية تأتي من مصادر اميركية . وهذا ما اتفق على ما تسميته بأسلوب « الدولة الثالثة » وهو تحويل المنظمات الاميركية لمساعداتها عن طريق المؤسسات الاسرائيلية . ومثال على هذا الاسلوب هو معهد الدراسات العمالية الافرو — آسيوية في اسرائيل الذي يتلقى مساعدات عن طريق البرامج الدولية لاتحاد نقابات العمال في أميركه (الذي اكتشف منذ ذلك الوقت ان له علاقات وثيقة مع وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية). والفائدة التي تحصل عليها اسرائيل من وراء اتباعها لهذا الاسلوب هو انه عن طريق استثمار

رؤوس أموال بسيطة يمكنها ايجاد علاقات تجارية هامة . ويلاحظ ل. لوفر في كتابه **اسرائيل والدول النامية** النمو المتزايد لافريقيه كسوق ومصدر للمواد الخام لاسرائيل . ويلاحظ ايضا ان اكثر الزيادات في التجارة كانت مع الدول التي لها برامج تعاون فني مع اسرائيل ، وهذا هو الشكل الذي تسير عليه الدول الرأسمالية الغربية لاقامة علاقات نيوكولونيالية مع الدول النامية .

وانه لامر مثير للانتباه ان تكون قائمة الدول التي اقامت علاقات اقتصادية وعسكرية خاصة مع اسرائيل تشمل عددا من تلك الدول التي ابدت مؤخرا اهتماما باقامة حوار او اي أسلوب آخر للتفاعل مع جنوب افريقيه . وتبرز هنا دولة ساحل العاج التي أعلن رئيسها هوفويت — بويجني انه بالاشتراك مع رجل الاعمال الاسرائيلي موشيه ماير سينشىء « ريفييرا فرنسية » في ابيدجان ، عاصمة ساحل العاج ، كما ان الحرس الجمهوري في ساحل العاج مزود برشيشات عوزي الاسرائيلية . وفي تشاد واثيوبيه نشاط عسكري لاسرائيل في مقاومة حروب العصابات . ففي تشاد يتعاون الخبراء العسكريون الاسرائيليون والفرنسيون في عمليات ضد جبهة التحرير الوطني التشادي (انظر **افريكاسيا** ، ٢٠ تموز ١٩٧٠) ، وفي اثيوبيه تتعاون اميركه واسرائيل لدعم النظام الاقطاعي الاثيوبي ضد ثوار ارتريا والقلاقل الداخلية . وتقول **واشنطن ستار** (١٦ مايو ١٩٧١) : « بالاضافة للمساعدة العسكرية الاميركية يحصل هيلاسلاسي على كميات كبيرة من المساعدات الاسرائيلية . وبشكل رسمي فان الاسرائيليين هم الذين يدربون كوماندو الشرطة في ارتريا والقوات المتحركة ، ولكن يمكن لمس النفوذ الاسرائيلي على طول سلم القيادة في اثيوبيه . وفي اعقاب مقتل الجنرال يتشومي ايرجيتو ، في مكمن ، فرض القانون العسكري على المنطقة بأكملها . ويقول الديبلوماسيون ان الخبراء الاسرائيليين حرضوا الفرقة الثانية على الانتقام لمقتل ايرجيتو بالقيام بسلسلة من عمليات تمشيط المشاة في جميع انحاء البلاد نتج عنها حرق وتدمير عشرات القرى وقتل مئات بل آلاف من السكان » .

ولاسرائيل دور نشط في التدريب العسكري في أوغنده والكونجو اللتين لهما سياسة هي في أفضل الحالات مبهمة وغير متساوقة في علاقاتهما مع دول انظمة الاقلية البيضاء في جنوب افريقيه وروديسيه والمستعمرات البورتجالية في موزامبيق وانجولا . وتعتبرهما حركات التحرير في الدول الافريقية الجنوبية المضطهدة (بفتح الهاء) في صفوف « العدو » لتحالفهما مع المصالح الامبريالية الغربية . وفي الكونجو (كينشاسا) يعتبر نظام موبوتو أكثر الحكومات الافريقية ارتباطا بالمصالح الاميركية . وموقفه المتقلب تجاه الاستعمار البورتجالي يتضح من خلال وجود علاقات تجارية وديبلوماسية بينه وبين البورتجال ورفضه السماح لحركة التحرير الشعبي في انجولا التي تعتبر من أنشط حركات التحرير في انجولا من العبور في اراضيه . وفي أوغنده ، تتولى اسرائيل مهمة التدريب العسكري منذ ١٩٦٦ ، والخبراء الاسرائيليون يحيطون بالجنرال عيدي أمين ، الذي تلقى تدريبه في اسرائيل ، والذي تولى السلطة في يناير ١٩٧١ عندما قلب حكومة الرئيس السابق ميلتون اوبوتي الذي كان يطالب بابعاد الخبراء العسكريين الاجانب ويتحرك نحو اليسار داخليا عن طريق تأميم الشركات الاجنبية . ولكن منذ انقلاب امين واوغنده تتحرك نحو اليمين داخليا (مثلا ، بالغاء تأميم الشركات التي أممها سلفه) ، كما انها أدارت ظهرها لحركات التحرير بدأت تتقرب من جنوب افريقيه*.

---

* كتب هذا التقرير اواسط العام ١٩٧١ — ولذلك لا يتضمن اي ذكر للتحولات الاساسية في سياسة اوغنده التي بدأت تظهر مؤخرا .

جنوب افريقيه واسرائيل والامبريالية الاميركية

من الامور الاساسية لفهم جنوب افريقيه واسرائيل والعلاقات القائمة بينهما معالجتنا لمثل هذا الموضوع من خلال العلاقات الوثيقة للدولتين بالتوسع الاقتصادي المتواصل للدول الغربية ، وللامبريالية الاميركية على وجه التحديد . فكلتا الدولتين تقدمان نفسيهما للعالم كموقعين متقدمين لـ « الحضارة الغربية » في العالم الثالث ، وتبرزان اهميتهما العسكرية في عملية « احتواء الشيوعية » تبذلان اقصى الجهود للتأثير على الرأي العام والمسؤولين في الغرب ، وتتعاونان مع توسع النفوذ النيوكولونيالي الاميركي . ومع ان للولايات المتحدة مصالح اخرى في الشرق الاوسط وافريقيه مما ينجم عنه غالبا تباعد بسيط في الرأي بينها وبين اسرائيل او جنوب افريقيه ، الا ان التأييد الاميركي لهاتين الدولتين كان مستمرا وذا أهمية . فبالنسبة لاسرائيل فان دوافع الولايات المتحدة والفوائد التي يمكن ان تجنيها هي استراتيجية بالدرجة الاولى (هذا بالاضافة الى وجود علاقات وثيقة بين الحكومة الاسرائيلية والمنظمة الصهيونية الاميركية) . ولكن لتواصل التأييد الاميركي أهمية عسكرية واقتصادية لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة لاسرائيل . أما بالنسبة لجنوب افريقيه فان دوافع الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية والفوائد التي يمكن ان تجنيها فتختصر في الكسب الاقتصادي من وجود الثروات المعدنية واليد العاملة الرخيصة في جنوب افريقيه . ولكن هذا لا يمنع وجود علاقات عسكرية ايضا ، كما يظهر من خلال قرار الحكومة البريطانية الاخير لبيع أسلحة لجنوب افريقيه ، ومن خلال تزويد هذه الدولة بطائرات اميركية واسلحة فرنسية من جميع الانواع . (انظر **استراتيجية الدفاع في جنوب افريقيه** بقلم عبد المنتي ، **والبورتجال وحلف شمال الاطلسي** بقلم لجنة انجولا في امستردام ، و **افريقيه اليوم** ، تموز ـ تشرين الاول ١٩٧٠) .

وللولايات المتحدة سياسة مزدوجة في الشرق الاوسط وافريقيه : تأييد متواصل لاسرائيل ولانظمة حكم البيض في افريقيه الجنوبية ، ومحاولة تشجيع الدول « المعتدلة » المستقلة التي لن تقف في وجه المصالح الاميركية داخل حدودها ولن تدعم حركات التحرير الفلسطينية وفي جنوب افريقيه . وتجد الولايات المتحدة في تأدية دورها كـ « شرطي عالمي » أصدقاء مخلصين ونافعين في دول كاسرائيل وجنوب افريقيه ، رغم تسببهما لها في بعض الاحراج احيانا . وبالمقابل تحاول كل منهما الاستفادة من التأييد الاميركي لتعزيز وضعهما الداخلي .

وهكذا نرى ان الولايات المتحدة واسرائيل وجنوب افريقيه تقف صفا واحدا أمام نضال شعبي فلسطين وجنوب افريقيه لنيل حقوقهما . وهذا ينسجم والبنية الراسمالية الغربية العالمية ومقولاتها التي تشكل هذه الدول جزءا منها . وتتضمن الامبريالية العالمية المحافظة على علاقات الارتباط الاقتصادي للدول النامية بمراكز الراسمالية في العالم وتوسيع هذه العلاقات . ولكن النضالات التحررية القائمة على مبادىء تقرير المصير وتسلم الشعوب لمسؤوليتها في تنمية نفسها تشكل تحديا لعمليات الهيمنة الاقتصادية للراسمالية الغربية .

مراجعات

فؤاد حمدي بسيسو ، تاثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي (عمان ، البنك المركزي الاردني ، ١٩٧١)

ان ما يدفعني الى تقديم هذا الكتاب الى القارىء لا يقتصر على كون موضوعه ذا اهمية خاصة بل لان الكتاب نفسه يرقى الى مستوى الكتب التي تستحق الاهتمام والقراءة فهو يمحص تاثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي تمحيصا موضوعيا ومتسلسلا بحيث تنساب المعلومات فيه انسيابا منتظما ومنطقيا. ويقع الكتاب في ١٩٤ صفحة وفي اربعة فصول ، ويعتبر الفصل الاول من الكتاب مقدمة عامة تتناول مفهوم المقاطعة الاقتصادية عموما ومفهوم المقاطعة الاقتصادية العربية وتطورها التاريخي وجهازها وادواتها . فقد كانت المقاطعة الاقتصادية اداة مكملة للقوة العسكرية تستخدمها الدول في حروبها. وشهد العالم في القرن العشرين لجوء الدول الى المقاطعة الاقتصادية على اشدها خلال الحرب العالمية الاولى والثانية وذلك عن طريق الحصار البحري وحظر نقل سلع معينة وبيعها الى الخارج والرقابة على الاستيراد والتصدير واتباع نظام القوائم السوداء وشراء السلع الهامة من الدول المحايدة للحيلولة دون حصول العدو عليها وضرب المشروعات الاقتصادية مباشرة . وبالرغم من ان المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل لم تلجا الا لبعض هذه الادوات ، فقد امتد تطبيقها منذ احتلال فلسطين ، وقبل ذلك بصفة شعبية ، حتى الان . واتخذت المقاطعة العربية صورة مباشرة من حيث عدم الدخول مع اسرائيل مباشرة في تعامل تجاري او تبادل في الخدمات او السماح لحركة عناصر الانتاج فيما بين البلاد العربية وبينها ، وصورة غير مباشرة تمثلت في محاولة عرقلة العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وبين بقية انحاء العالم من حيث التجارة وتبادل الخدمات وحركة رؤوس الاموال . (يشير المؤلف اليها بالمقاطعة السلبية والمقاطعة الايجابية) .

ويعرض المؤلف في الفصل الثاني ، والذي يحتل اكثر من ثلث الكتاب ، اهم الجوانب من الاقتصاد الاسرائيلي التي يعتقد انها تتاثر اكثر من غيرها بالمقاطعة الاقتصادية العربية وهي الصناعة والتجارة الخارجية والتمويل الاجنبي . ومن اهم ما يبينه في هذا الصدد ما يلي : — ١) تولي السياسة الاقتصادية الاسرائيلية عناية كبيرة لتشجيع القطاع الصناعي وذلك من اجل غايات التصدير نظرا لضيق السوق المحلية . وقد بلغت نسبة الدخل الصناعي في الانتاج المحلي الاجمالي بسعر الكلفة ٢٥٪ عام ١٩٦٩ بينما تقدر نفس النسبة في الاردن بحوالي ١١٪ . كما استطاعت الصادرات الصناعية الاسرائيلية ان تزداد بمعدل سنوي يبلغ في المتوسط ٢١٪ خلال الفترة ١٩٥٠ — ١٩٦٦ . ٢) تلعب العلاقات التجارية الدولية اهمية كبيرة في الاقتصاد الاسرائيلي ليس فقط كمصدر للمواد الخام الضرورية والعديد من السلع الاستهلاكية والراسمالية بل ايضا كمجال للتصدير. فقد بلغت الاهمية النسبية للتجارة الخارجية ٥٤٪ من الدخل القومي سنة ١٩٦٨ . ويقدم المؤلف جداول تفصيلية حول حجم الصادرات والمستوردات وتركيبها السلعي وتوزيعها الجغرافي. وتتركز غالبية تجارة اسرائيل الخارجية مع البلاد الاوروبية والولايات المتحدة ، الا ان الاهمية النسبية لتجارتها مع الدول الاسيوية والافريقية آخذة في التزايد . ٣) تتدفق على اسرائيل رؤوس اموال اجنبية ضخمة سواء كانت في شكل تعويضات المانية (بمتوسط ١٤٧ مليون دولار سنويا) وتحويلات وهبات اخرى (بمتوسط ١٤٨ مليون دولار سنويا) وقروض مباشرة من الولايات المتحدة وقروض اخرى عن طريق بيع السندات الاسرائيلية (بمتوسط ٨٦ مليون دولار

سنويا) واستثمارات خاصة (بمتوسط ٥٦ مليون دولار سنويا) .

ولكي يبين تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي ، يحصر المؤلف في الفصل الثالث جميع العوامل التي يجب ان تدخل في الاعتبار فيما لو ازيلت هذه المقاطعة . ويعتمد في ذلك على الارقام الفعلية لتجارة اسرائيل الخارجية وعلى تقديرات مختلفة . وتظهر اوجه استفادة اسرائيل فيما لو انتهت المقاطعة الاقتصادية العربية المباشرة وغير المباشرة فيما يلي : — ١) احتمال استيراد اسرائيل من الدول العربية ما نسبته ١٦٪ من مجموع استيرادها بأسعار اقل مما تدفعه حاليا . ٢) احتمال تصدير ١٣٪ من مجموع صادراتها الى الدول العربية . واذا اخذنا بهذه الارقام ، فان تجارة اسرائيل مع الدول العربية ستنتهي الى عجز يتجاوز المئة مليون دولار سنويا . ٣) الاستفادة من تجارة الترانزيت من والى العراق والاردن والسعودية ودول الخليج عبر اسرائيل . وكذلك فيما بين الدول العربية الواقعة في آسيا وتلك الواقعة في افريقيا . ٤) الاستفادة من عائدات خطوط النفط والتي تقدر بحوالي ٦٠٥ مليون دولار سنويا . ٥) تقديم الخدمات المختلفة الى الدول العربية من سياحية وتعليمية وطبية . ٦) اقتطاع جزء كبير من مصاريف الدفاع والتسلح والتي بلغت ٤٨٠٤ ملايين ليرة اسرائيلية سنة ١٩٧٠ وتحويله الى مشاريع التنمية الاقتصادية . ٧) استخدام الايدي العاملة العربية في المشاريع الاقتصادية المختلفة . ٨) اجتذاب راس المال العربي او مشاركته في اقامة مشاريع مشتركة .

ويلاحظ ان جميع اوجه الاستفادة السابقة ترتبط بالمقاطعة المباشرة مع ان المؤلف ذكر عوامل اخرى تتعلق بالمقاطعة غير المباشرة ، الا انني لا اسلم بامكانية تطبيقها من ناحية وبالتالي لن يترتب عليها مجالات ملموسة من الاستفادة لو ازيلت فيما عدا زيادة الاستثمار والتعامل مع الشركات الاجنبية التي تتخلص من القيود العربية الناتجة عن وضعها في القائمة السوداء .

وينتقل المؤلف في الفصل الرابع الى تقييم المقاطعة الاقتصادية العربية عمليا من خلال العوامل التي سبق وان اثيرت . وقد توصل الى ان المقاطعة المباشرة كانت ناجحة ومطبقة فيما عدا بعض الحالات القليلة التي لجأت فيها اسرائيل الى التهريب او التحايل وراء اسماء شركات اجنبية او استيراد سلع عربية كالبترول من اطراف ثالثة. اما المقاطعة غير المباشرة فقد نالت قسطا من النجاح أقل بكثير من المقاطعة المباشرة، نظرا لعوامل تتعلق بالمقاطعة نفسها ولعوامل أخرى اسميها عوامل موضوعية تحد من مقدرة اية مقاطعة من بلوغ درجة عالية من النجاح .

ومن اهم العوامل التي تتعلق بالمقاطعة العربية لاسرائيل بالذات ما يلي : — أ) ارتباط اسرائيل بقوى اقتصادية يهودية منتشرة في معظم انحاء العالم المتقدم ارتباطا شديدا يجعل هذه القوى تعصف بكل عقلانية التفكير من حيث تقرير تجنبها لاحكام المقاطعة العربية سواء كان ذلك بالاتجار مع اسرائيل او بتمويلها او الاستثمار فيها.ب) الثغرات الموجودة في المقاطعة العربية كضعف اجهزة المقاطعة نفسها وبطئها وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد العربية والتخاذل في تطبيق قرارات المقاطعة . ج) نشاط اسرائيل في خلق الاجهزة لمقاومة المقاطعة العربية وعقد المؤتمرات وتقديم المساعدات الفنية لبعض البلاد النامية واستثارة القوى اليهودية في مختلف الدول وتبني التشريعات الملائمة والمشجعة للاستثمار الاجنبي وللتصدير . اما عن العوامل الموضوعية التي تؤثر في مدى نجاح المقاطعة العربية غير المباشرة لاسرائيل فهي : — أ) طول فترة المقاطعة مما جعل منها اسلوبا دائما لا يقتصر على فترة حرب تكون محدودة كما في التجارب الاخرى للمقاطعة ، ولا يساعدها في ذلك الاساليب الحربية للضغط الاقتصادي . ويؤدي طول الفترة هذه الى قلة الحماسة للمقاطعة وزيادة الروتين والمشاكل الادارية والمتابعة وغيرها . ب) ضعف الاهمية النسبية لتجارة اسرائيل في التجارة الدولية مما يجعل بالامكان تنشيطها مع مجموعة من الدول لا تخضع للضغط الاقتصادي العربي . وهذا يعني ان نجاح المقاطعة الاقتصادية يكون اكثر فعالية كلما قام بين دولتين كبيرتين او تحالفين كبيرين من الدول. ج) انفراد كل دولة عربية في رسم سياستها التجارية والاقتصادية بصفة عامة مما يقلل من فعالية المواجهة العربية للنشاط الاسرائيلي في الخارج نظرا لعدم تنسيق السياسات الاقتصادية العربية وتهرب بعضها من المسؤولية .

ويخلص المؤلف الى توصيات تتناول اجراءات تتعلق

بتقوية جهاز المقاطعة وتشديد الرقابة على المجالات التي تنفذ منها اسرائيل للتهـرب من المقاطعـة الاقتصادية العربية وبدعم نطاق الوحدة الاقتصادية العربية وتوسيعها .

ان هذا الكتاب يشتمل على حقائق وأرقام وملاحظات يحتاج اليها كل من يرغب في الاطلاع على المقاطعة الاقتصادية العربية او متابعتها وتقييمها من جديد . كما يحتوي ايضا على ملاحظات رئيسية تتعلـق بالاقتصاد الاسرائيلي . وهذا يعني ان المؤلف قد اعطى موضوعه وقتا كافيا وتابعه بأناة وتفكير ورجع الى كل ما يمكن ان يمت للموضوع بصلة بالرغم من صعوبة الحصول على بعض المراجع والمؤلفات المتعلقة بالاقتصاد الاسرائيلي .

الا أن موضوع المقاطعـة الاقتصادية العربيـة لاسرائيل لا زال في حاجة الى بحث وتمحيص اوسع وبأسلوب آخر :

١) اذ يقتصر الكتاب على تعداد لاوجه تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الاسرائيلي دون ان يصل الى تقدير رقمي اجمالي ولو باستخدام اسس افتراضية . فمثلا ، لم يقل لنا بأن المقاطعة العربية تحرم اسرائيل مـن زيادة دخلها القومي بمعدل ١٪ او ٢٪ سنويا . ولا زال هذا الموضوع متاحا امام المؤلف نفسه وغيره من الباحثين ، وفي اعتقادي انه يستحـق المتابعة . وفي الامكـان استخدام اساليب التحليل المتبعة في تقدير الاثار الستاتيكية والديناميكيـة المترتبة علـى التكامل الاقتصادي . ذلك ان زوال المقاطعة يؤدي الى نفس هذه الاثار مع ان درجتها او مداها يكونان اقل .

٢) لم يتعرض المؤلف الى حرب حزيران ١٩٦٧ من حيث آثارها على وضع المقاطعة الاقتصادية العربية للاقتصاد الاسرائيلي . فقد اصبح وضعها مختلفا عما كان عليه قبل حرب ١٩٦٧ . اذ اصبح في امكان اسرائيل ان تستخدم العمال العرب مـن سكان المناطق المحتلة الذين يبلغون حوالي المليون نسمة، واتسع السوق امام المنتجات الصناعية الاسرائيلية، وزادت الموارد الاقتصادية المتاحة لها من اراض وبترول وغير ذلك ، وتمكنت اسرائيل من الحصول على دخل سياحي جيـد عن طريـق الجسـور المفتوحة ، بالاضافة الى استيراد سلع عربية وجعل الجسور منفذا للصادرات من المناطق المحتلة ومجالا لحركة رأس المـال والتحويلات النقـدية . وفي اعتقادي ان دراسة اثر حرب حزيران ١٩٦٧ على فعالية المقاطعة الاقتصادية العربية تعتبر جوهرية ليس فقط للاغراض الدراسية البحتة بل ، واهم من ذلك ، لوضع سياسة عربية تجاه فتح الجسور من حيث افضلية استمرار فتحها من عدمه ، او المبادلات المسموح بها وغير المسموحة .

٣) لم يتعـرض المؤلف لدراسـة اثر المقاطعـة الاقتصادية العربية لاسرائيل على اقتصاديات البلاد العربية نفسها ، من حيث تحمـل نفقات مكاتب المقاطعة واجهزتها والخسارة من توقف التعامل مع شركات ومؤسسات قـد تكون شروطها افضل او سلعها انسب من منافسيها .. الخ . وقد بين المؤلف انه لن يتناول هذه الناحية . وتعتبر هذه الدراسة ضرورية لمعرفة كلفة المقاطعة على البلاد العربية .

الدكتور تيسير عبدالجابر

Samo, Dr. Elias, J., **The June 1967 Arab-Israeli War : Miscalculation or Conspiracy?** (Wilmette, Ill. Medina University Press International 1971).

ان هذا الكتاب خيب للامال وذلك لسببين ، اولا، لان العنوان ملفت جـدا للنظـر بسبب السؤال المطروح في الجزء الثاني منه والذي من شأنه ان يدفع القارىء الى الاعتقاد بأن مزيدا من الضـوء سيلقى في الكتاب على واحـدة من اكثر قضايـا العصر غموضا ، الا وهي حقيقة ما جرى في الشرق الاوسط في شهر نيسان (ابريل) وأيار (مايو) ١٩٦٧ قبيل معركة حزيران (يونيو) . وخيبـة

الامل هذه تبرز عندما لا نرى اية مقالة في الكتاب تلقي مثل هذا الضوء رغم وجود مقالة قبل الاخيرة بقلم الدكتور سموع نفسه تعالج الموضوع بشكل مباشر . فبعد ان يعرض الكاتب وجهات النظر المؤيدة والمعارضة لنظريتي الخطأ في الحساب والتآمر (مع افاضة غير ضرورية في استخدام التعابير السياسية) يخلص الى القول : « كل ما يمكن ان يقال هو ان المكان والزمان اللذين حدثت فيهما الازمة العربية — الاسرائيلية في ١٩٦٧ كانا مؤاتيين بشكل مثالي للممثلين الثلاثة (الولايات المتحدة وروسية واسرائيل) للتآمر ضد عبد الناصر . وقد كان بالامكان حدوث ذلك ، ويمكن ان يكون قد حدث » . وهنا يشير سموع في احدى الحواشي الى كتيب لي نشر في صيف ١٩٦٧ يقدم دليلا ملموسا على **وجود** تآمر . لذا ليس من اللائق بالدكتور سموع ان يقول بعد اربع سنوات ونصف السنة انه **يمكن** ان يكون هناك تآمر . وما دام الكتاب لم يكن ليجيب على التساؤل الوارد في العنوان ، وهو لم يفعل ذلك ، ارى انه لم يكن هنا ضرورة لطرحه على الاطلاق لان في ذلك تضليلا للقارىء بالنسبة لمحتويات الكتاب . والامر المؤسف هو ان المكتبات الاميركية ملأى بما من شأنه ان يقدم الدليل على وجود تآمر ، ولكن ذلك بحاجة الى قليل من التنقيب ، ولكن يظهر بأن الكتاب العرب هناك لديهم ما يشغلهم عن هذه الرياضة الذهنية وذلك بقضاء اوقات فراغهم بالتنزه وبالمناقشات التي لا طائل من ورائها .

اما السبب الثاني لخيبة الامل فهو ان المؤلف يحاول ان يجعل كتابه يظهر بمظهر « الموضوعية » ، ومن هنا نرى انه بالاضافة لمقالات لكتاب عرب ، يختار مقالات لكتاب اميركيين واسرائيليين وروس . (وبالمناسبة فان مقالة يوست « الحرب العربية — الاسرائيلية : كيف بدأت ؟ » والتي ظهرت اصلا في مجلة « فورين أفيرز » هي من أسوأ ما كتب اذ انها تهدف الى تبييض صفحة حكومة ليندون جونسون ، لذا فانها يجب ان تطمر تحت التراب بدلا من نشرها بهذا الشكل الواسع) . ومغالطة « الموضوعية » هذه لا بد وان تثير التساؤل التالي : لما كان الصهيونيون متحيزين بشكل فاضح في كتاباتهم وغير موضوعيين على الاطلاق ، ولما كانت المؤلفات التي يضعها الكتاب العرب في لغات غير العربية قليلة ، ومحدودة الانتشار ، لماذا تكتفي هذه الكتب بتخصيص الصفحات لوجهة النظر الاسرائيلية او الصهيونية ؟ هل هذا دليل جديد على مدى قوة غسل الدماغ الصهيوني للعقول في اميركة ؟

واخيرا ، أود أن اعرب عن عدم موافقتي على ما ورد في الجزء الاول من العنوان وهو « الحرب العربية — الاسرائيلية » . فالقتال في حزيران ١٩٦٧ لم يكن بين « العرب » واسرائيل ، فلم يشترك من الجانب العربي سوى دولتين ونصف الدولة (وهنا اترك لفطنة القارىء ان يحزر أية دولة كانت النصف) . ان استخدام كلمة «العرب» يقدم مادة دسمة للدعاية الصهيونية اذ انها تعزز مزاعمهم عن اسطورة « داود وجوليات » التي تصور اسرائيل الصغيرة تقف لوحدها في وجه دول عربية تفوقها اضعاف اضعاف . وفي الحقيقة لم يكن ما جرى في ١٩٦٧ « حربا » بكل معنى الكلمة وذلك لان القتال كان على نطاق ضيق ولان تلك الاشتباكات لم تكن سوى معركة في سلسلة معارك من حرب مستمرة . ان حزيران ١٩٦٧ كانت « الجولة الثانية في الحرب من اجل فلسطين » . وهنا ايضا يخدم استعمال كلمة « حرب » اللعبة الدعاوية الاسرائيلية ، فالاسرائيليون هم الذين دائما يصفون معاركهم بانها « حروب » مميزة لانهم في ذلك لا يرفعون من معنويات جنودهم فحسب عن طريق ايهامهم بانهم انتصروا في « حروب » وليس معارك ، ولكن ايضا لان اسرائيل تحاول عن هذه الطريق اخفاء حقيقة ما يجري ، وهو انها تخوض المعركة تلو الاخرى في سبيل هدف واحد . وعندما ينفضح امر اسرائيل على هذا الصعيد امام العالم ، سيوقن الجميع ان عليها ان تخوض المزيد من المعارك من اجل ذلك الهدف ، وهذا ما لا تريده اسرائيل ، وفي الوقت نفسه ما يتوجب على الكتاب العرب ابرازه والتأكيد عليه دوما عن طريق استخدامهم تعابير صحيحة ، واقعيا وعاطفيا .

جـ هـ جنسن

Vatikiotis, P. J., **Conflict in the Middle East,** (London: George Allen & Unwin Co., 1971).

غالبا ما يذكرني الكتاب بالجراح الذي لانه نظر في داخل جسدي صار يعتقد ان باستطاعته ان يخبرني ان لا شيء يدعو الى القلق في هذه الحياة . ولو ان الدكتور فاتيكيوتس ، استاذ العلوم السياسية في كلية الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن ، حصر مجال دراسته بكونه مؤرخ احداث لقدم لنا مساهمة يشكر عليها . وفي الحقيقة انه يقدم لنا معلومات مفيدة ، مشكوكا بها في بعض الاحيان ، عن التطورات الاخيرة ، خاصة حول بنى منظمات المقاومة وتشرذمها وقادتها ، وكذلك يقدم كتابه صورة محزنة حقا للصراعات والانشقاقات والمؤامرات والانقلابات والضعفات وظهور القبلية والعصبوية وغير ذلك من آلاف الامراض التي يرددها العرب يوميا كما تتحدث عنها صحفهم دائما . ولا جديد في كل ذلك سوى ان فاتيكيوتس جمعها في كتاب واحد . ومع هذا فان المادة مفيدة تماما وقليلون هم الذين يمكن ان يعترضوا على صحة الحقائق العميقة من نوع « تركية وايران ليستا عربيتين » . ان كتاب «الصراع في الشرق الاوسط» لا يعالج صراعا معينا بقدر ما يتطرق الى مجموعة من الخلافات والنزاعات ، بما في ذلك عدوان ١٩٦٧ . والصورة المهتزة التي يعرضها تختفي كليا عندما يورد امورا لا علاقة لها بالموضوع عن تركية وايران .

الى هنا كل شيء يسير على ما يرام ، ولكن المؤلف يقع في الفخ عندما يتمادى في مغامرته ويحاول تقليد دور الواعظ الحكيم ، فيقول ان الاسلام هومشكلة العرب ، التي هي عبارة عن اعتماد الرسول على السيف ، واغتصاب الخلافة والقيود التي فرضتها الشريعة والتي كانت مصدر الحكم العسكري والانقلابات وتجزؤ العالم العربي . فجأة يتذكر المؤلف ان تركية وايران مسلمتان . وهنا ايضا يرتكب المزيد من الاخطاء عندما يقول ان الاتراك والفرس ليسوا مسلمين بشكل صحيح . انهم بعيدون عن « عروبة الاسلام » و « الصعوبات السياسية التي يواجهها الاسلام ، ان لم نقل اخفاقه » . وهكذا بعد ان استنتج ان المشكلة بالنسبة للعرب هي في كونهم مسلمين ، قام بحركة بهلوانية فرأى ان المشكلة بالنسبة لهذا الدين هي في عروبته .

من هنا نرى ان الكتاب لا يسيء الى شعورالعرب والمسلمين فحسب ، فجميع علماء السياسة سيكتشفون ان محاولاته في التعصب الديني قد عفا عليها الزمن ، (لا يعتبر الاقتصاد عاملا له علاقة)، وادعاؤه بأن تركية اصبحت متمدنة ، او كما يعبر عنها هو « اوروبية » ، عندما تخلت عن الاسلام ، هو ايضا ادعاء ساذج . وهناك العديد من الحقائق التي تدحض رأيه ولكنه يعرف كيف يزوغ من وجه المشاكل التي يواجهها . فبكل لباقة احال مسألة الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية للخبراء المختصين بها لمعالجتها . وعندما قيل له ان المشاكل التي يعاني منها العرب ليست وقفا عليهم وحدهم بل ان غيرهم من الشعوب يعاني منها — الانقلابات العسكرية في اميركة اللاتينية اكثر منها في العالم العربي ، والنزاعات الدينية الدموية تحدث بشكل اكثر في ايرلنده ، وافغانستان دولة اسلامية ومع ذلك فانها من اكثر الدول استقرارا ، والحبشة تعتبر من اقدم الدول المسيحية ومع ذلك لم تصبح في مستوى الدول الاوروبية في مضمار التقدم — يرد بكل بساطة « انني اهتم بالوصف ... وليس بالمقارنة » .

لذا كان على فاتيكيوتس ، ضمن افقه المحدود ، ان يتبع المنهج الاسهل الذي يعتمد على المثل القائل « لم تبن رومه في يوم واحد » . والواقع لم يكن هناك اية دولة عربية مستقلة في ١٩١٦ ، كما ان عددا من هذه الدول لم ينل سيادته واستقلاله سوى منذ اشهر خلت . وهنا يرتكب المؤلف الخطأ الذي عادة ما يرتكبه غيره من المستشرقين وهو التطلع شمالا الى اوروبه بدلا من آسية وافريقية ، ومقارنة كل شيء بما يجري في لندن وباريس بدلا من نيجيرية او باكستان . وعلى طريقتهم ، مضى يشيد هرم سلبياته ، فالثورات العربية ليست ثورات والجمهوريات العربية ليست جمهوريات ، واصلاحات عبد الناصر ليست اصلاحات ، وهلم جرا . وبالاضافة الى ضمير الـ (انا) نراه مغرما باستعمال كلمة « ما يسمى » : ما يسمى اشتراكية عربية ، ما يسمى دول عربية تقدمية . وما يفوت عن بال فاتيكيوتس

وما يتعدى حدود افقه هو ان الرجل الذي صنع الدولاب اعظم من الذي صنع الطائرة . لذلك ، نراه غير قادر على معرفة ان الفلاح الامي الذى يعمل على جرار في احدى تعاونيات صعيد مصر اهم من نزول بورمان على القمر .

واخيرا لا بد ان نأسف لان ما يحرك المؤلف هو نوازعه وليس اراؤه ، ولان غياب فهم مركزي للتاريخ لديه قد ادى الى كل هذا التشويش الفكري . فالعرب تنقصهم الدستورية ، كما يقول فاتيكيوتس الديمقراطي ، والعرب فشلوا لانهم لم يقضوا على الديانات الاخرى ، مما يؤدي الى الفرقة ، كما يقول فايتكيوتس الفاشي ، وما كان العرب بحاجة له هو التطبيق الوحشي والاعمى للقوة ، كما يقول فاتيكيوتس التروتسكي ، و « العرب قاموا بتمرد وليس بثورة » لانهم غيروا الحكومات وليس النظم ، كما يقول فاتيكيوتس الماركسي ان النظرية السياسية الوحيدة التي يمكننا التوصل اليها من خلال هذا الخليط هي ان العرب سيئون ودينهم أسوء ، لذا فان هذا الكتاب انما يقدم ، بثلاثة جنيهات ونصف الجنيه ، مئتي صفحة من التشاؤم تحت اسم الواقعية . ايتها الواقعية ، كم من الجنيهات تسلب منا باسمك .

خالد القشطيني

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

احصائيات الاراضي والملكية في فلسطين ١٩٤٥

بقلم

سامي هداوي

(المسؤول في دائرة الاراضي في حكومة فلسطين)

اول كتاب تفصيلي حول ملكية الاراضي في فلسطين والمساحات المزروعة وعدد السكان فيها من العرب واليهود وملكية كل منهم للارض . ومساحات الاراضي التي اشتراها الصهيونيون (١٩٢٠ ــ ١٩٤٥) ، واراضي الحكومة . مع جداول كاملة بجميع اسماء المدن والقرى في فلسطين أيام الانتداب البريطاني .

بالانجليزية : ٢٦ صفحة تحليلية ، ١٤٢ صفحة جداول تفصيلية وخارطة ٦٠ x ١٠٠ سنتم بالالوان .

عدد محدود جدا من النسخ ١٠ ل.ل.

1) Amos Elon, **The Israelis, Founders and Sons** (Weidenfeld and Nicolson, London 1971).
2) V. D. Serge, **Israel, a society in Transition** (Oxford University Press, London 1971).

رغم ادعاء ناشر الكتاب الاول بأن الكتاب كتب بعاطفة قوية لكنه موضوعي ، الا ان الكتاب يمج بالعاطفة العمياء التي تحرمه من ادنى درجة من الموضوعية . كما ان هذه العاطفة العمياء تؤدي الى عرض موضوع « الآباء » (الذين اقاموا الدولة اليهودية في فلسطين) و « الابناء » (الذين بنوها ويحمونها) بشكل فيه الكثير من المغالطات ومن الحقائق المشوهة ، لكن يبدو ان الكاتب يصدق معظم ما يقوله ويأخذه على انه حقائق .

منطلق الكاتب صهيوني ، وبالتالي فان كل ما يقوله عن فلسطين وعن اليهود من آباء وابناء يتأثر بوجهة النظر الصهيونية . وهو يبدأ بوصف حالة اليهود المزرية في العالم في القرن التاسع عشر ، ويركز خاصة على يهود الاتحاد السوفياتي . ويقول انه كان يوجد امام اليهود ثلاثة طرق للخلاص من معاناتهم ومن الاضطهاد الغربي لهم ، وهي : (١) الهرب للعالم الجديد ، اميركا ، وخاصة لمدينة نيويورك التي اصبحت تمثل قدسا جديدة لليهود . (٢) المهرب السياسي الذي يضع الثورة كهدف نهائي له . ولذلك قام اليهود بحمل لواء الثورة السياسية ــ الاجتماعية في روسيا واوروبا الشرقية . يستشهد الكاتب بأن نصف اعضاء مؤتمر الحزب الروسي الديمقراطي الاشتراكي عام ١٩٠٣ كانوا من اليهود . (٣) الهرب من خلال القومية اليهودية . يقول الكاتب ان هذا المهرب جاء كرد فعل لاضطهاد اليهود في اوروبا ولنشوء حركات قومية اخرى . ويستشهد بمنشور صهيوني وزع في اوروبا الشرقية يقول « لقد تحرر عبيد اميركا وفلاحو روسيا . وتحررت بلغاريا . وقد حان الوقت لتحرير اسرائيل » . لقد تبنى الكاتب دون تحليل او تبرير المهرب القومي اليهودي ودافع عنه . ولم يحاول ان يبرر لماذا لم يقبل اليهود بالمهرب الاشتراكي الديمقراطي ، خاصة وانهم كانوا يحتلون مكان الصدارة في الحركة الاشتراكية! كما ان الكاتب تبنى المنشور الصهيوني دون ان يحاول باي شكل مناقشة جملة « تحرير اسرائيل » اذ لم تكن هناك اسرائيل ، ولم تكن فلسطين تعتبر ارضا محتلة ، الا اذا اعتبر اصحابها العرب محتلين وغاصبين . كذلك يقول الكاتب « ان الصهيونية كانت حتمية لليهود كحتمية الاشتراكية للبشرية في تطورها » مما يحول دون مناقشته لاي حل اخر للمشكلة اليهودية .

بعد ذلك يعطي الكاتب صفحات عديدة لمحاولة اثبات ان فلسطين في القرن التاسع عشر كانت ارضا وعرة مهملة مليئة بالمستنقعات وان الملاريا كانت متفشية فيها ، ليخلص الى القول انها ارض كانت تنتظر من يجلب الحضارة اليها ، ثم يذكر ان « الحضارة » الوحيدة في فلسطين في القرن التاسع عشر كانت في مستعمرة المانية يهودية خارج يافا . لكنه يؤكد نقطة اساسية حول القادة الصهيونيين وهي ان تصورهم السياسي قد أعماهم عن وجود شعب عربي وواقع عربي في فلسطين . ويستشهد باقوال بعض الصهيونيين الذين زاروا فلسطين و « اكتشفوا » ان فيها سكانا . لقد هرع ماكس نوردو الى هرتزل قائلا « لكن هناك عربا في فلسطين ! لم أكن اعلم ذلك ! اننا نرتكب اثما » . بعد ذلك ينتقل الكاتب الى الحديث بتفصيل واسهاب كبيرين يسببان مللا كبيرا للقارىء اذا لم يكن صهيونيا ، عن « ابطال » و « بطلات » من اليهود الذين « ناضلوا لتحرير وطنهم القومي وبنائه » . فهو يتحدث من صفحة ١٩٠ الى ١٩٥ عن « بطل » يهودي يدعى (ياد موردخاي) وعن العملية التي استشهد خلالها وعن التمثال الذي اقيم له الخ .. ويفعل الشيء نفسه حين يتحدث عن « بطل مظلي » (ص ٢٣٢ ــ ٢٣٥) يدعى (هارزايون) .

ثم يتحدث بتفصيل كبير عن حياة بن غوريون وموشي دايان وغيرهما من الزعماء الاسرائيليين . ومن الواضح ان هدف هذه القصص هو تقريب هؤلاء الاشخاص الى نفوس القراء ، واضفاء صفة البطولة عليهم وعلى الحركة الصهيونية ككل مما يخلق عطفا واعجابا كبيرين عند القراء تجاه هؤلاء الاشخاص وبالتالي تجاه اليهود والاسرائيليين عامة. والكتاب مليء بالمغالطات : فهو يحاول ان يظهر ان اليهود لم يسيئوا للعرب ورغم هذا اعتدى عليهم

العرب . ويظهر ذلك في مكانين : ففي صفحة ١٨٥ يكتب الحوار التالي بين ضابط عربي وعجوز يهودية . قال لها الضابط : « سوف نقتلك » . فسألته : « لماذا ؟ » فاجاب : « الا تعلمين اننا نقتل كل اليهود ؟ » فقالت : « لكنك لن تقتلني » . فسألها : « لماذا لا ؟ » فاجابت : « لانني لم أؤذك بتاتا » . كما يكتب حول النقطة نفسها صفحة ٢٢٣ « ان اليهود منذ قرن وهم يصارعون العدوان العربي عليهم في فلسطين اثناء محاولتهم العودة لاستيطان بلدهم » .

ويدافع عن العدوان الاسرائيلي بقوله ص ٢٢٤ « لقد فرضت الظروف على الاسرائيليين ان يعيشوا معظم حياتهم تحت السلاح في قلعة محاصرة » . وكان الاحرى به ان يسأل لماذا اسرائيل قلعة محاصرة ويخبرنا ما هي الظروف التي فرضت عليها تلك الحصار .

واخيرا يحاول الكاتب بكل وقاحة ان يصور القومية الفلسطينية بأنها « نوع من الصهيونية العربية » من حيث محاولتها استعادة الوطن . وهو يحاول دعم نقطته بقوله ان الفلسطينيين ما زالوا يستعملون الاسماء العربية للمدن والقرى الفلسطينية !! وهو يفترض ان ذلك نوع من الخيال والمثالية ، وان اي فلسطيني يفكر باستعادة فلسطين هو صهيوني عربي !! اي يريدنا ان نساوي بين الفي سنة مضت على خروج اليهود من فلسطين ، وبين عشرين سنة مضت على طرد الشعب الفلسطيني من ارضه .

وموضوع الكتاب الثاني مرتبط بموضوع الكتاب الاول ، وهو كيف تم الوصول لبناء الدولة الصهيونية في فلسطين . ويهتم هذا الكتاب بتطور الكيان اليهودي في فلسطين من مستعمرات الى دولة ومجتمع صناعي . ويختلف الكتاب الثاني عن الاول في طريقة العرض . فالكتاب الاول عرض عاطفي يعتمد قصصا وشخصيات واساطير ويتطرق الى تفاصيل كثيرة ، بينما الكتاب الثاني علمي وموزون في عرضه وهو يركز على عرض الحقب التاريخية للحركة الصهيونية ، وهي الفكرة او الحلم ، المستعمرات ، الوطن القومي ، الدولة ، ومشاكل الدولة .

هذا الكتاب مبني ايضا على افتراضات معينة تؤثر على نظرة كاتبه الى التطور التاريخي للحركة الصهيونية . فهو يبدأ من افتراض ان فلسطين وطن لليهود ويتكلم عن العودة كأنها امر طبيعي . ويظهر ذلك من قوله صفحة ٣ « عندما يتكلم المرء عن اسرائيل ، سواء عن ماضيها او حاضرها ، فهو يتكلم عن شيئين : عن ارض معينة في الشرق الاوسط وعن شعب معين له جذور في الشرق الاوسط » . ويضيف انه اسهل على المرء فهم فكرة الارض الموعودة من فهم فكرة الشعب اليهودي . ويقول الكاتب ايضا ان اليهود حملوا السلاح ضد العرب عام ١٩٤٧ لتحقيق هدفين : الاول الحفاظ على ارواحهم ووجودهم ، والثاني خلق دولة مستقلة خاصة بهم . الهدف الاول هدف كاذب لان وجود اليهود في فلسطين لم يكن في خطر عام ١٩٤٧ ولا قبله . اما الهدف الثاني فهو الهدف الحقيقي والوحيد لمحاربة اليهود لعرب فلسطين . ويحاول الكاتب بطريقة معينة ان يصور نكبة ١٩٤٨ على انها كانت نكبة للعرب واليهود معا ، لا بل لليهود اكثر منها للعرب ، اذ يقول بكل بساطة و «براءة» لقد أدت حرب ١٩٤٨ الى وجود مشكلة لاجئين معقدة اذ اصبح هناك مليون لاجيء يهودي ونصف مليون لاجيء عربي فلسطيني . ويضيف بوقاحة ان لجوء الفلسطينيين لم يكن متوقعا ولا معدا سلفا ولا مرغوبا به ، مع ان كل مخططات الحركة الصهيونية كانت تقوم اساسا على اجلاء الفلسطينيين عن فلسطين .

اما ما تبقى من الكتاب فيخصص لعرض مشاكل دولة اسرائيل بعد قيامها . وهذه المشاكل هي مشاكل عامة معروفة منها : هل الدولة ستصبح يهودية دينية ام علمانية ، مشكلة استيعاب المهاجرين الجدد ، مشكلة تخلف اليهود الشرقيين حضاريا وتكنولوجيا عن اليهود الغربيين في المجتمع الصناعي الحالي ، ومشكلة الاقلية العربية في فلسطين .

ان قراءة الكتاب الثاني مفيدة ، اما الكتاب الاول فقراءته غير مفيدة بتاتا لانه لا يتعدى كونه دعاية عاطفية محمومة .

باسم سرحان

هلدا شعبان صايغ ، **التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل** ، دراسات فلسطينية رقم ٨٥ ، (بيروت ، مركز الابحاث التابع لـ م.ت.ف. ١٩٧١)

اسرائيل ليست بلدا راسماليا بالمعنى الكلاسيكي ، كما انها ليست مستعمرة بالتاكيد . واسرائيل ذات طبيعة خاصة جدا ، وخصائص المجتمع الاسرائيلي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية شبه فريدة . ان اية محاولة لفهم المجتمع الاسرائيلي عن طريق التعميمات الكلاسيكية والتشبيهات الراسمالية المالوفة تظل غير قادرة على تقديم اية نتائج صحيحة ومنطقية على واقع دولة اسرائيل وحقيقتها . لذلك ان افضل وسيلة لفهم طبيعة المجتمع الاسرائيلي هي تقديم صور واقعية وامينة عنه في ماضيه وحاضره .

ان كتاب هلدا شعبان صايغ ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ، يساعد كثيرا في تكوين ابعاد وملامح الصور الواقعية والامينة عن ماضي المجتمع الاسرائيلي وحاضره . فهو — اي الكتاب — يوضح ابعاد الشرخ الحاصل في المجتمع الاسرائيلي منذ نشأة اسرائيل وحتى الان .

تعالج الكاتبة مشكلة التفرقة العنصرية بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين التي قامت في اسرائيل منذ تأسيسها . ولكثرة ما ورد في الكتاب من وثائق — يعود تاريخ معظمها الى الخمسينات والستينات — يمكن اعتباره احد المراجع الهامة التي تدحض ادعاءات المسؤولين الاسرائيليين والعناصر الصهيونية في العالم ، من ان مشكلة التفرقة العنصرية قد خفت حدتها ، او زالت ، بفضل جهود الدولة في العمل على دمج المهاجرين وصهرهم في « المجتمع الاسرائيلي الواحد » (!) .

التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل ، مشكلة حددت الكاتبة ابعادها عبر عدة جوانب : الاول ، تاريخي يعود عهده الى القرون الوسطى ،والثاني، يتعلق بالعوامل والاسباب التي ادت الى التمييز في اسرائيل في الوقت الحاضر . اما الجانب الثالث ، فيعدد مظاهر التمييز ، والرابع مظاهر الاحتجاج عند اليهود الشرقيين ضد هذا التمييز . اما الجانب الخامس ، فقد بحثت الكاتبة من خلاله مستقبل المشكلة في اسرائيل .

● ان ما يحدث الان في المجتمع الاسرائيلي من مظاهر التفرقة والتمييز بين اليهودي الاشكنازي (الاوروبي والاميركي) ، وبين اليهودي السفاردي (اليهودي الشرقي) ، يخالف تماما ما كان يحدث قديما من مظاهر التفرقة بين الاشكنازيين والسفارديين . فقديما ، « ظل الاشكنازيون منطوين على ذاتهم يتكلمون الفرنسية والالمانية حين نظروا الى اللاتينية في اوروبا على انها لغة الكنيسة وفلسفتها فلم يعنوا بها » . وهكذا بقوا معزولين عن الادب والثقافة. بينما كان السفارديون « اكثر واوسع ثقافة » بحكم اختلاطهم مع الشعوب التي عاشوا معها ، واطلاعهم على ثقافاتها وآدابها ، مما جعل ثقافة السفارديين « مزيجا من التوراة والتلمود ومن ارسطو وابن سينا ومن الميتافيزيا والعلم » . وتمتع السفارديون — لاجيال عديدة — بتميز على الاشكنازيين بالاضافة الى التميز الثقافي والذهني ، وهو تمكنهم من ان يثبتوا انفسهم في البلدان التي هاجروا اليها ، اذ كانوا « اغنى واكثر نفوذا من الاشكنازيين » . وقد بلغ تعالي السفارديين وكبرياؤهم ابعد الحدود ، واتخذ شتى المظاهر ، وكان منها مثلا « عدم تزوج اليهودي السفاردي او اليهودية السفاردية من الاشكنازيين ، واذا حدث هذا ، فان الفتى ، او الفتاة ، ينبذه مجتمعه » .

● الا انه — منذ بداية الهجرة في اوائل هذا القرن — انقلبت الآية ، واصبح الموقع المتفوق في صالح الاشكنازيين حيث نشأت تفرقة من نوع اخر اخذت بعدا حضاريا عميقا يعود تكونها الى عدة عوامل منها : « الرواسب الذهنية للتفرقة والخلافات القديمة » . فقد كان ترفع وتعالي السفارديين لعدة قرون على الاشكنازيين سببا في تكوين هذه الرواسب وازدياد حدتها . « لقد تركت المعاملة التي مارسها السفارديون اثرها العميق في نفوس الاشكنازيين الذين عاشوا عهودهم جميعها يحاولون — افرادا وجماعات — ان يتقدموا ويقفوا في موقف يوازي كبرياء السفارديين وتعاليهم ، وخاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر في انجلترا واميركا حيث كان السفارديون يتمتعون بنفوذ مادي واجتماعي لا يستهان به » .

وهناك عامل اخر ، وهو « تأصل عادة الاختلافات بين الطوائف والجاليات اليهودية » . فقد جاء

على لسان هرتزل نفسه قبل ان يؤمن بالصهيونية ما يشير الى هذا التأصل ، فقد قال : « لن يكون للوطن القومي أي معنى .. فحتى لو رجع اليهود الى وطنهم القومي ، فسوف يكتشفون في اليوم الذي يلي رجوعهم انهم لا ينتمون لبعض ، وانهم مختلفون لانهم تأصلوا في قوميات مختلفة » .ولهذا، ان ما يحدث في اسرائيل اليوم ان اليهودي الهنغاري يشعر بانه هنغاري ، حين كان يشعر انه يهودي وهو في هنغاريا .

ومن العوامل النفسية التي تلعب دورا في ازدياد حدة التفرقة شعور اوائل اليهود الاوروبيين — وخاصة الصهيونيين منهم — « بأسبقية اليهود الشرقيين في الاقامة في فلسطين » ، لذلك كانت ردة فعل هؤلاء الاوروبيين من اليهود « تجاه اليهود الاصليين في فلسطين ، وتجاه اليهود القدماء الذي كانوا قد استوطنوها قبلهم .. » . وهناك عامل نفساني اخر ، وهو اعتقاد الغربيين « باقتران اليهود الشرقيين الذهني بالعرب » . فهم — اي الشرقيين — يشبهون العرب « في شكلهم وطريقة حياتهم وفي كثير من تقاليدهم » . وبالرغم من ان اليهودي الشرقي يهودي قبل كل شيء ، ويجب ان لا يكون هناك ما يبعده عن « سائر اخوانه في الدين » ، فنجد ان من بين الغربيين من يقول : « من يعلم ، قد يأتي اليوم الذي ينحازون (اي الشرقيون) فيه مع العرب ، اذ ليس هناك كبير فرق بينهم وبين العرب » . ان الحديث عن العلاقة الذهنية لليهود الشرقيين مع العرب يشير الى عامل اخر للتمييز وهو تخوف المسؤولين من ان تصبح اسرائيل بلدا متوسطيا . ان في خطاب ديان امام اسرى حرب حزيران وهم يعودون الى بلادهم خير دليل على هذا التخوف ، فقد ورد على لسانه : « نحن اوروبيون بالرغم من ان بيننا كثيرا من اليهود الذين جاءوا من البلدان العربية » . ولم يفت الكاتبة ان تورد ردا على دايان حصلت عليه من نشرة الطائفة السفاردية التي تصدر في القدس ، وقد جاء في الرد « غريب ان يعيد وزير الدفاع الذي هو نفسه من مواليد الشرق (فلسطين) وليس من اوروبا ، غريب ان يتكلم بلغة سنة ١٩٢٠ ، وليس بلغة سنة ١٩٦٨ » . هناك العديد من الدراسات وضعها صهيونيون او من يتعاطف معهم تؤكد محاولات المسؤولين القصوى «تغريب» اليهود القادمين من بلدان شرقية بحجة تهذيبهم ورفع مستواهم . فالمسؤولون في اسرائيل الذين هم من الغربيين يريدون تغريب الدولة وتغريب السكان « متعمدين عدم الاعتراف بما للشرقيين من تقاليد وثقافة وحضارة » .

لا بد من الاشارة الى عامل اخير ، وهو الفروقات الدينية والاجتماعية الحاصلة في اسرائيل . يجمع المؤرخون اليهود على « ان الناحية الدينية هي اعمق واشد عند اليهود الشرقيين منها عند الغربيين من اليهود » ، ولكن هذا لا يعني ان يكون جميع الشرقيين « ارثوذكسيين » — اي متعصبين . فالاختلافات في النظرة الى الدين بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين غير المتدينين « هي من الامور التي تفرق بين الطائفتين » وتعطي الغربيين مجال اتهام الشرقيين بالتأخر والتمسك بالتقاليد القديمة والرجعية ، علما بأن « المحافظين من اليهود الغربيين اكثر تعصبا ، واسوأ حالا ، في محافظتهم على التقاليد المتأخرة ولا احد ينتقدهم ». ولعل اهم الفروقات الناتجة عن اثر البيئة هو حب التملك عند اليهود الشرقيين مما « ادى الى اختلاف في وجهة النظر عند كل من الفريقين بالنسبة الى نظام الكيبوتز » .

● تكفي الاشارة الى تصريحات المسؤولين في اسرائيل فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية لاثبات وجود هذه التفرقة على مختلف الاصعدة ووضوح مظاهرها . فقد ورد على لسان اشكول في رده على التشكي بان الوظائف تعطى للاشكنازيين الذين يعرفون لغة اليديش ولا تعطى لليهود الشرقيين ، قال : « ليست المسألة بسبب كونهم لا يعرفون اليديش ، انما هي بسبب كونهم لا يعرفون شيئا». واشكول ، هو نفسه الذي قال « ان كل المهاجرين متساوون ، انما هناك مهاجرون متساوون اكثر ». قد يعتقد ان الدولة الصهيونية تعمل صادقة على ازالة هذه الفروقات واذابتها ، الا ان وجود التمييز ضد الشرقيين الذي بدأ منذ قيام الدولة، واشتد في الخمسينات . واستمر في الستينات ، والذي لا يزال قائما حتى الان ، ان ذلك يدحض اكاذيب المسؤولين وادعاءاتهم ، الذين يحاولون تخفيف المشكلة « وطمس الحقيقة الى حد انكار وجودها ، او القول بانهم تغلبوا عليها كليا » . فقد قدمت رابطة مهاجري شمالي افريقيا خلال انعقاد مؤتمرها يومي ٤ — ٥ حزيران ١٩٦٨ نداء الى الحكومة والوكالة اليهودية طالبت فيه ان

تتوقفا عن الاهتمام والتخصيصات الزائدة التي تقدم لمهاجري (البلدان الغنية) ، وطلبت قراراتها « معاملة جميع المهاجرين بالتساوي واعادة النظر في السياسة المتبعة في الاحوال الاجتماعية والمعيشية والتعليمية والتوظيفية لكثير من عائلات المهاجرين الشرقيين الجدد » . ان الصهيونية تقع في تناقض واضح ، فهي تدعي بانها تسعى لاعداد ملجأ للمضطهدين (!) من يهود العالم وجنة للمتعبين والفقراء منهم من جهة ، حين تعمد الى الانتقاء بين المهاجرين ، « فتشجع منهم في الدرجة الاولى الاغنياء وهؤلاء الذين من بلدان غربية متقدمة » من جهة اخرى ! ان تخوف المسؤولين من ازدياد عدد اليهود الشرقيين فيها تخشى معه تحولها الى بلد متوسطي ، « تسعى جاهدة للحد منه بشتى الوسائل والطرق ، تريد بذلك ان تطمس هويتهم وتدمجهم الى حد الصهر في المجتمع الاوروبي » . وجدير بالذكر أن المثقفين الشرقيين يعون هذا وينقمون عليه لانهم « يعرفون ان لا أمل في التقدم في دولة اسرائيل الا اذا تطبعوا بطابع يهود الغرب او تخلوا عن تاريخهم وتقاليدهم وذهنيتهم » . فقد قال اليشر ، رئيس مجلس الطائفة السفاردية عن الذين يتكلمون عن المزج وينفذونه بشتى الطرق ، المزج ، ذلك يتمثل في « تطعيم كل اليهود بثقافة غربية اشكنازية والتجاهل كليا عن كل الثقافات الشرقية ، متبعين في ذلك ما اراده لورد ماكولي للهند : (خلق مجتمع من اناس هنود بدمهم وبلونهم ، ولكن انجليز بذوقهم وافكارهم وعاداتهم وثقافتهم) » .

● قابل — ولا يزال يقابل — مظاهر التفرقة العنصرية هذه،مظاهر احتجاج عند اليهود الشرقيين ضد هذه التفرقة . ولعل ابرز مظاهر الاحتجاج السابقة ثورة وادي الصليب — وهو حي في حيفا ذو اوضاع سكنية سيئة كان يسكنه اليهود الشرقيون — فقد دامت هذه الثورة اربعة ايام ، من ٩ — ١٣ تموز ١٩٥٩ . وكان من ضمن نتائج هذه الثورة ان استدعى الكنيست كبار اليهود المغربيين « ووعدوا بأن يعطوا حقوقهم وحقوق غيرهم من اليهود القادمين من البلدان العربية ، وشكلت لجنة للتحقيق في الاحداث ، وفي احوال اليهود الشرقيين » . ولعل من اكثر النقاط التي وردت في تقرير اللجنة طرافة والما حديث احد اليهود المغربيين بأن زوجته تؤنبه باستمرار على عدم العمل مع انه يستجدي ان يعطى حتى اسوأ الاعمال واكثرها اهانة ولا يجدها. فقد قال المغربي : « طلبت يوما ان ارى مدير مكتب اليد العاملة ، وكان ذلك منذ سنتين ، فقيل لي انه مشغول ولا يستطيع ان يراني وما زال مشغولا (!) » ، هذا بالإضافة الى احداث عديدة وقعت في فترات مختلفة في تل ابيب وغيرها من المدن والمناطق ، رفع المتظاهرون خلالها يافطات تقول : « نريد ان نعيش مثل الاشكنازيين الاوروبيين » ، « نريد بيوتا » ، « نريد ماء » ، « نريد عملا » . ولم تقتصر مظاهر الاحتجاج على التظاهر وحسب ، بل وصل الامر الى حد الهجرة من اسرائيل . فقد ورد على لسان الناطق باسم اليهود الهنود « اننا نريد العودة الى الهند لاننا لا نجد هناك اضطهادا وتفرقة في معاملتنا ، بيتما نعاني هنا في اسرائيل منها الكثير » .

لعل أبرز اخبار الاحتجاجات واقربها الى الرفض والعنف ، هي تلك التي نشرت عنها الصحف الاسرائيلية والعالمية في الشهور الاولى من عام ١٩٧١ عن قيام جماعة من الشباب اليهود الشرقيين بسلسلة من التظاهرات ، وكانت اعنف حلقة منها وأبرزها تلك التي « حدثت يوم ١٩٧١/٣/٣ نظمتها حركة الفهود السود ، وكل اعضائها من أصل شرقي ينتمون الى عائلات فقيرة ». وقد جاء في احد المناشير التي وزعت سؤال عن حق التظاهر في اسرائيل فقط « من حق اليهود الروس ، اليهود الذين ينتمون الى طائفة جولدا مئير ! » .

● ما هو مستقبل مشكلة التفرقة العنصرية في اسرائيل ؟ الكيان الاشكنازي الحاكم ، اذا اراد دمج الشرقيين في الحكم واشراكهم في تحمل المسؤوليات تعمد الى ادخال عناصر من اليهود الشرقيين موالية له ، اي انه يختار من يراه انه في جانبه ، ولا يشجع القيادات اليهودية الشرقية الصميمة . ان مشكلة التفرقة العنصرية في اسرائيل لم تحل ، « وليس هناك كبير امل في حلها نهائيا لان الشقة في اختلاف المستويات المعيشية بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين « تزداد مع مرور الزمن، ولا بد لهذا التباين في المستويات ان يزيد الحقد والكراهية بين الفريقين » .

كلمة اخيرة لا بد من قولها والتي تتعلق باشارة الكاتبة البسيطة في نهاية البحث الى اهمية التفرقة العنصرية في اسرائيل بالنسبة للعرب ، وخاصة

بعد أن رفع العرب شعار « الدولة الديمقراطية العلمانية » والتي يعيش في ظلها اليهود والمسلمون والمسيحيون في وئام وهناء ، وباشارة الكاتبة ايضا الى الامل الى كون اليهود الشرقيين « سيصبحون في المستقبل القريب الاغلبية الساحقة مما سيضعف من نفوذ الغربيين من اليهود المتزمتين والصهيونيين المتعصبين ، مما قد يكون له بحد ذاته اثر في القضاء على الصهيونية وارجاع البلاد الى أصحابها الشرعيين » .

قبل طرح شعار الدولة الديمقراطية العلمانية ، وقبل التهليل لتلك « الاغلبية الساحقة » من اليهود الشرقيين، لا بد من سرد بعض الملاحظات، على حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية ان تأخذها بعين الاعتبار اثناء محاولة فهم المجتمع الاسرائيلي ، خاصة ، ان كل الدلائل تشير على عدم توافر تحليل وفهم متكاملين لتركيبة المجتمع الاسرائيلي لدى أي من حركة التحرر الوطني العربية او الفلسطينية .

ان معظم الناس في اسرائيل ما زالوا يصنفون أنفسهم اجتماعيا من خلال البلدان التي جاءوا منها في الاصل ، وهذا النوع من الوعي الاجتماعي يشكل عائقا كبيرا في طريق الطبقة المضطهدة ويبعدها عن القيام باي دور فعال في المجتمع من حيث تبديله وهدمه .

ـ ان ثورية الطبقة المضطهدة في اسرائيل مرهونة بالدرجة الاولى بعملية انهيار المؤسسة الصهيونية وسقوطها عبر ضربات قوى الثورة والتحرر العربية ضد الدعاية الاساسية للصهيونية والمبرر الرئيسي لوجودها .

ـ لا تقتصر الخصائص التي تميز المجتمع الاسرائيلي على كونه مؤلفا من المهاجرين فحسب ، بل انه مجتمع مستوطنين ايضا . وتكون هذا المجتمع بواسطة عملية استعمارية لم تتوقف على امتداد الثمانين سنة الماضية ، علما بأن الطبقة المضطهدة تدخل في عداد هذا المجتمع .

ـ ان الصراع بين مجتمع المستوطنين والمجتمع الفلسطيني العربي لم يتوقف مما ترك اثاره البالغة في بنيان السياسة الاسرائيلية والاقتصاد الاسرائيلي وعلم الاجتماع الاسرائيلي .

ـ ان الاضطهاد القومي لشعب آخر وتشريده هو الاساس الاولي لقيام المجتمع الاسرائيلي المضطهد (بكسر الهاء) واستمراره بحيث يصبح الاضطهاد جزءا لا يتجزأ من حياته .

ـ هذا يعني بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي انه طالما بقيت الصهيونية سائدة سياسيا وايديولوجيا باعتبارها الاطار السياسي المقبول لا يمكن ان تصبح الطبقة المضطهدة (بفتح الهاء) الاسرائيلية طبقة ثورية باعتبارها مشاركة في الاضطهاد المذكور ومستفيدة منه .

ـ لا يمكن اعتبار الاسرائيليين جماعة تعتنق دينا معينا وحسب ، وبالتالي توقع موافقتهم السريعة للانضمام الى المسلمين والمسيحيين لتقاسم الحقوق في ظل دولة فلسطين الديموقراطية العلمانية ، لانه لا يمكن حذف حقيقة تاريخية هامة وهي ان هذه المجموعة اصبحت الى حد كبير تشكل كيانا قوميا له لغته الخاصة وحياته الاقتصادية والثقافية المميزة .

ـ اذن ، قيام الدولة الديمقراطية الشعبية مرهون بانهيار المؤسسة الصهيونية قبل اي شيء اخر ، وهذه مهمة حركة التحرر الوطني الرئيسية في المنطقة وذلك عبر ضربات متتالية توجه الى المؤسسات والاجهزة التي توفر الدعاية الاساسية للصهيونية ومبرر وجودها .

لا يمنع ذلك من القول ، ان هذا شعبان صايغ تضع بين أيدي العرب ـ على اختلاف اهتماماتهم واتجاهاتهم السياسية ـ وثيقة على جانب كبير من الاهمية ، يتحتم على جميع المهتمين بقضية العرب المركزية قراءتها والرجوع اليها في تحليل مجمل الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمجتمع المهاجرين . ان عرض الصور الواقعية والامينة عن ماضي المجتمع الاسرائيلي وحاضره يساعد كثيرا في تكوين فهم متكامل لطبقة المجتمع الاسرائيلي الخاصة ، وخصائصه شبه الفريدة .

مصطفى كركوتي

Samuel Rolbant, **Der Israeliche Soldat, Profil einer Armee,** (E. S. Mittler & Sohn, Frankfurt a. M., 1970).

يسعى رولبانت في كتابه « الجندي الاسرائيلي : صورة الجيش » الى تعريف القراء الغربيين بالجيش الاسرائيلي وذلك من خلال اسطورة النصر الساحق لعام ١٩٦٧ ، ومهيئا في نفس الوقت هذا الراي العام الغربي لخطوات اسرائيل المستقبلية من اجلَ تحقيق السلام الذي تريده وتتصوره . ويهدف من خلال العرض الى تبرير حروب اسرائيل واظهار تحرر الجيش الاسرائيلي من تصرف العسكريتاريا . ومن ميزات الكاتب كونه مدير معهد ميدوا للدراسات الاجتماعية والاقتصادية واستاذ علم الاجتماع في عدة معاهد عليا . كما انه اكتسب معرفة كبيرة بوضع الجيش الاسرائيلي من خلال عمله الطويل كضابط احتياط في قسم التربية والتعليم . تكمن فائدة الكتاب للقارىء العربي باحتوائه تحليلا اجتماعيا ونفسيا للجندي والجيش الاسرائيلي ، والقائه اضواء جديدة حول البناء الهيكلي والانساني لهذا الجيش . كما انه يعرض تصورا لتحقيق السلام النهائي يتجاوز التنكير الشخصي ويعكس بالاحرى راي الزعامة العسكرية — السياسية في اسرائيل . لن نخوض في موضوع الفصلين الاولين من الكتاب لتقليديتيهما ، اذ يتحدث الفصل الاول عن تطور القوات الحربية الاسرائيلية ويتحدث الفصل الثاني عن هيكل هذا الجيش . سنهتم بالفصول الاخرى والتي تدرس سيكولوجية الجيش (الفصل الثالث) وروح الجيش (الفصل الرابع) واخيرا العناصر الاساسية للنظرية العسكرية الاسرائيلية او منطق الحرب (الفصل الخامس) . لن نتقيد بتقسيم الفصول بل سنسعى الى ابراز ومناقشة مواضيع محددة .

بالرغم من افراد الكاتب مقطعا خاصا بالضباط الا انه يسعى دائما وخلال الكتاب الى القاء مزيد من الاضواء على نمط اختيار وتدريب وترقية الضابط، لما لهذا الضابط من اهمية قصوى في الجيش الاسرائيلي، حيث ترتكز عليه كامل آستراتيجية الهجوم .وتتطلب هذه الاستراتيجية سرعة الحركة والهجوم الدائم واختراق جبهة العدو وضرب طرق تموينه وتشتيت قطعاته وخلق حالة بلبلة في صفوفه اثر الصدمة النفسية واثر قطع الإتصال بين القطاعات وبينها وبين قواعد الانطلاق . ويترتب على سياسة الهجوم هذه ايجاد ضباط يتحلون بكفاءة عالية تؤهلهم قيادة فرقهم وجنودهم وتنفيذ الخطة العسكرية بدقة متناهية مع ثقة كاملة بالنفس للتصرف حسب المفاجآت وخصوصا للمقدرة على حسم المعركة لصالح اسرائيل وفي اقرب وقت ممكن ، وما يفرضه هذا الحسم من تعرض كبير لخطر الموت نتيجة الاندفاع الهجومي العالي ، الذي يرفض التوقف امام مقاومة العدو . فلذا يختار الضابط في اسرائيل اضافة لشرط المستوى الثقافي على اساس شروط اضافية اخرى ومنها المقدرة على البروز واظهار الشجاعة على رأس جنوده والتقدم الدائم بالرغم من الصعاب . يضاف الى ذلك توفر مستوى عال من الثقة بالنفس مع توفر ذكاء تكتيكي لمواجهة والتغلب على هذه الصعاب . ويعطي الكاتب امثلة على هذا المسلك من خلال هجوم حزيران ١٩٦٧ ، حيث استطاعت قطاعات عديدة ، انقطعت عنها المساعدة المرتقبة بسبب حجم وسرعة الهجوم ، التغلب على التجمعات المصرية التلقائية دون التخفيف من سرعة التقدم . ان المبدأ الاساسي الذي يخضع اليه الضابط والجندي هو الامانة في كتابة التقارير . وكان من نتيجة التأكيد على اهمية الشجاعة التفضيل الدائم لضباط صغار العمر نسبيا لتوفر ظروف موضوعية وذاتية تؤهلهم للتضحية غير المتناهية ، ومن الجدير ذكره ان مرشح الضابط يختار من بين المجندين بعد فترة ستة اشهر من التدريب العادي ويبقى خلال تاهيله باتصال دائم مع زملائه الجنود ليقودهم بعد ذلك في نطاق الخدمة الالزامية وفي فترة الاحتياط والاستدعاء .

يقوم الضابط في العصر الحديث بثلاثة ادوار وهي : قائد جنود يمتاز بشجاعة عالية ، ومدير عسكري واخيرا اختصاصي فني . ويرى الكاتب انه مع ارتفاع مستوى التقنية في الجيش يرتفع الالحاح على مقدرة الضابط الادارية ، ووصل هذا الالحاح الى حد بدا معه اهمال مفاهيم عسكرية قديمة . فلقد أصبحت روح القتال الشخصية لدى الضباط مسلكا محافظا تجاه وسائل واهداف المشاريع العسكرية ، لرفض هذه الروح في التطور التكتيكي والتطوير التنظيمي . وكتب المؤلف هذه الانطباعات

من خلال معايشته للتطور التنظيمي والتقني الذي شاهده الجيش الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ . حيث بات على هذا الجيش تغيير استراتيجيته بعد تحقيقه بعدا جغرافيا واصبح أمام ظروف جديدة تحتم عليه رفع تعداد الجيش العامل ومجابهة حرب الخنادق على القناة وما يرافق ذلك من ابتعاد بعض قطاعات الجيش عن داخل اسرائيل ، وكذلك الاستعداد لاجتياز القناة ووضع احتمال احتلال القاهرة ودمشق وعمان. ونتيجة لهذه الاستراتيجية الجديدة جهز الجيش بأسلحه حديثة ومعقدة تحتاج الى كفاءة تقنية عالية ـ وتتطلب مقتضيات هذه الاستراتيجية تطوير تدريب الضباط وتشجيع قسم منهم على البقاء في الجيش العامل مدة اطول .ومن ضمن هذا التشجيع تسهيل الترقي السريع .

ليس من المفروض على الضابط في الجيش الاسرائيلي ان يكون مثالا للجندي يهتدي به في جميع جوانب الحياة ، على الضابط فقط التحلي بالكفاءة اللازمة من ناحية الاستعداد والمستوى العسكري . ولكن عليه من جهة اخرى الاستحواذ على حد ادنى من معرفة التعامل مع الجنود . فيخضع الضابط لدورات خاصة يحصل من خلالها على معرفة بعلم النفس وعلم الاجتماع . وتهدف هذه الدورات الى توطيد العلاقة بين الضابط والجنود ومنع نشوء طبقية في الجيش والابقاء هكذا على الصورة الشعبية للجيش . وكان من الاهتمام البارز لدى المسؤولين الاسرائيليين، وعلى رأسهم بن غوريون، على دمج الجيش بالشعب وجعله محورا للتفاعل بين الفئات المتعددة ، قرارهم دمج العناصر المدينة مع باقي الجنود ، ولكن مع اعطائهم امتياز اتمام واجباتهم الدينية ، واخضاع الجيش في نفس الوقت لحد ادنى من الانضباط الديني . فيقدم لكل مجند جديد نسخة من التوراة ، كما يشرف رجال الدين على اعداد الطعام في الثكنات والنوادي العسكرية ، قد يكون هدف دمج المجتمع سببا في التشديد على الطقوس الدينية داخل الجيش ولكن من المؤكد ان السبب الاساسي هو مسعى حكام اسرائيل اعطاء الصورة الدينية للدولة الصهيونية خلافا لاقتناعهم واقتناع اكثرية اليهود الغربيين ، وذلك لكسب تأييد معظم اليهود الامريكيين ، الذين يمتنع معظمهم عن تطبيق تعاليم الدين ولكن يريدون فولكلوريا من اسرائيل تحقيق ذلك . ومن جهة اخرى لتجنب الانفصام التام بين الحياة الجندية والحياة المدنية قررت القيادة السياسية في اسرائيل الحاق المجندات بوحدات الجنود ، فيقمن بأعباء الخدمات الملائمة وذلك لايجاد احتكاك يومي بين الجنسين تشبها بالوضع في الحياة المدنية ، وفي نفس الوقت توجيه عنصر الرجال لاعباء عسكرية اخرى . ولقد اكدت الخبرات ان الفتاة لا تستطيع تحمل وطء المعارك وسرعة الهجوم ولذا ارتؤي ، خصوصا بعد حرب حزيران ، عدم ارسالها الى الخطوط الامامية والاكتفاء بنشاطها في الخطوط الخلفية .

لكن مبدأ الاندماج الكامل وتكافؤ الفرص لم يطبق على اليهود الشرقيين وميزة الكتاب القاءه اضواء ولو بطريقة موارية على وضع الشرقيين في الجيش. يعطي الكاتب احصاءات حول المستوى التعليمي للجنود الشرقيين ونوردها في آخر المراجعة على شكل جدول مقارن .

في عام١٩٦٧/١٩٦٨ كان ٧٥بالمائة من المجندين الجدد الذين لم ينهوا الدراسة الاساسية من الشرقيين. بينما كانت نسبتهم الى مجموع المنتهيين من هذه المرحلة الدراسية فقط ١٣ بالمائة . مما يظهر لنا اضافة الى الجدول الملحق مستوى الانخفاض التعليمي لهؤلاء الشرقيين . ومن السهل استنتاج موقف الجيش الاسرائيلي من هؤلاء الشرقيين ، وذلك في جو الاهتمام الكبير بالكفاءة الذهنية والعملية تجاوبا مع مستلزمات الحرب الحديثة ، ويعترف الكاتب ضمنا ان القسم الاكبر ممن يرفض الجيش استدعاءه للخدمة العسكرية هم من الشرقيين وذلك لسجلهم غير النظيف ، كما أن الجيش يطرد خلال المرحلة الاولى من التدريب قسما اخر لعدم انضباطيته . ويفسر الكاتب هذا الوضع بطريقة غير مباشرة من خلال تعليقه على الوضع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الشرقي في اسرائيل ، حيث يقبع الفقر وينخفض المستوى الثقافي والمهني ، ويترك الاولاد المدرسة باكرا ، فيمارسون اعمالا هامشية تذكي لديهم روح التمرد على المجتمع ، ويقر الكاتب ان المستوى الثقافي لمعظم الجنود الشرقيين لا تؤهلهم اكثر من العمل في فرق المشاة والتي تلعب دورا ثانويا في استراتيجية الجيش الاسرائيلي ، كما نستطيع الاستنتاج ان عددا وافرا منهم ملتحق بالاعمال البسيطة في الوحدات الاخرى . ويبدي الكاتب تفاؤلا غير مناسب من ان الوفا منهم وصلوا الى

درجة عريف ، وذلك نسبة لجيش لا يقل تعداده عن ٢٧٠ الف جندي . هنا نطرح التساؤل : ماذا يعني قول الكاتب من أن التناقض بين الجندي والضابط غير حاصل في اسرائيل لانتساب الضباط الى جميع افراد الشعب . لم نستنتج ذلك من خلال احصاءاته ولا من خلال تحليله . فحتى ان مراكز صفوف الضباط يحتلها الاشكنازيون . تتماثل في الحقيقة وظيفة الجندي الشرقي مع وظيفة الفتاة في الجيش اي تحرير الشباب المتعلم والكفؤ مهنيا (أي الاشكناز) من الاعباء البسيطة وتوجيههم نحو الاعباء الاساسية للجيش الاسرائيلي والذي هو بدوره من اعلى الجيوش تحديثا في العالم . لا نتلمس من تجربة الجيش الاسرائيلي تحسينا لوضع اليهودي الشرقي بل عكس ذلكنتلمس تفاوتا شاسعا بينه وبين الجندي الاشكنازي .

ويبدي الكاتب اسفه لفشل محاولة تعليم الشرقيين خلال المرحلة الاولى من الجندية . ويعلل ذلك ايضا بمسلك الشرقي المتمرد على المجتمع والذي يرفض على نفسه نعت المتخلف . ويعتقد المسؤولون عن التعليم (ومنهم المؤلف) أن سنوات الخدمة العسكرية ستخلق الحافز الفكري والمادي لاتمام التعليم الاساسي والحصول على مهنة . فعلا يهيىء الجيش دورات تعليم عادي وتاهيل مهني سريع بمساعدة مكاتب العمل وذلك بعد انتهاء الخدمة العسكرية . ولكننا لا نتبين تفاؤلا حقيقيا من قبل الكاتب بالرغم من توفر الجمل اللبقة حول نجاح التجربة . كما ان نسبة ٢٠ الى ٣٠ بالمائة من منتهي الخدمة العسكرية والمستفيدين من هذه الدورات لا تقول شيئا عن نسبة الشرقيين . فقد تحتوي هذه النسبة عددا كبيرا من الجنود المسرحين الاشكناز ، ممن تركوا المدرسة دون انهاء المرحلة الاساسية ، ولم يتعلموا مهنة مفيدة .

يسعى الكاتب الى اظهار موضوعية في تحليل الوضع العربي. يعترف بمقدرة الفرد العربي وتوفر اعداد كبيرة من الاختصاصيين لدى العرب لكنه يرجع الضعف العربي الى افتقار الشعب العربي للتنظيم والتعاون . ويعترف بحق العرب في فلسطين لكنه يضع هذا الحق في نفس مستوى «الحق» اليهودي مرددا القول بأن القومية اليهودية تقبل التعايش مع القومية العربية الفلسطينية الا ان الاخيرة ترفض هذا التعايش . وبالرغم من مسعاه الى اظهار عدم الكراهية تجاه العرب تجاوبا كما يدعي مع التربية الاسرائيلية ، الا انه في الحقيقة يعبر عن بعض النظريات العنصرية ، حيث يصور الرفض الجماهيري العربي لاسرائيل مرضا . واصبح العرب بنظره مشكلة لانفسهم . ولا يخفى علينا المعنى الحقيقي لهذا التشخيص . فالمرض الجماعي هذا ما هو الا مرض المرحلة الانسانية ــ الاجتماعية التي يعيشها العرب ، اي مرحلة تصادم البداءة مع الحضارة . يتطلب من العرب الاقتناع باسرائيل للتحرر من بدائيتهم هذه . وكما أن المستعمرين الاوروبيين استعملوا القوة لترويض السكان الاصليين ، وجب على اسرائيل استعمال لغة القوة الوحيدة التي يفهمها العرب . ولا يكتفي الكاتب بمظاهر القوة الاسرائيلية لاقناع العرب ، بل يذكرهم بقوة اسرائيل في التوراة . ويطلب من القادة العرب قراءة التوراة والتلمود لمعرفة قوة الجندي والجيش الاسرائيلي .

ويستهزىء من جهة اخرى بالدراسات العربية حول اسرائيل فطابعها بنظره بدائي . ولا ندري اي دراسات يريد . هل يريد من البحاثة العرب رفع لواء الاستيطان الصهيوني الاستعماري ؟ ام يريد منهم خلق التخاذل الشامل لدى الشعب العربي من خلال تصوير اسرائيل بدلا من التوجه الى تحليل مقومات العدو ؟ ام انه يريد منهم اتباع خطى قسم كبير من العالم المسيحي الذي يربط وجود اسرائيل وتوسعها بنصوص التوراة ؟

كما ذكرنا في البدء يحتوي الكتاب على تحليل للاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية الجديدة . وحان الوقت لالقاء الضوء عليها . لن نتحدث عن اسباب ومقومات الاستراتيجية المتبعة حتى حرب ١٩٦٧ . فلقد اضحت معروفة . ولكن سنتحدث هنا عن الاستراتيجية الجديدة . ويبدو لنا من خلال التحليل انه ليس بصدد عرض آراء خاصة بل يسعى الى تحضير الرأي العام الغربي لعدالة وسلامة الاستراتيجية الجديدة . ولما كانت هذه الاستراتيجية تعتمد كما سنرى على ربط الاعمال العسكرية بالاهداف السياسية مباشرة من خلال تسييس هذه الاعمال العسكرية ، فمن الاكيد مشاركة الكاتب من خلال شخصه والمؤسسة المشرف عليها على بلورة هذه الاهداف السياسية . يعترف رولبانت ان الاستراتيجية الاسرائيلية التقليدية لم تحقق السلام الاسرائيلي بالرغم من تحقيقها نصرا كاسحا . ولذا يتوجب على الاستراتيجية الجديدة

تحقيق هذا السلام . ولقد مهد الاحتلال الجديد لاكتساب خبرة في هذا المجال . اذ استطاعت الخطوات الاسرائيلية بمشاركة الجيش اقناع اهالي الضفة الغربية بفائدة التعاون مع اسرائيل (تناسى الكاتب ذكر غزة) . كما اكد لهم الاحتلال ان اسرائيل ليست بعدوانية كما صورها لهم الزعماء العرب . واستفادة من هذه الخبرة يجب تطوير الاهداف السياسية للعمليات العسكرية والتي من اهدافها احتلال القاهرة ودمشق وعمان . ان الهدف المباشر من الاحتلال المرتقب تعريف الفرد العربي بالفرد والجندي الاسرائيلي وبالمعاملة الاسرائيلية . وازالة عن طريق هذا الاتصال ما غرس لديهم من اوهام (!!) حول عدوانية اسرائيل والجيش الاسرائيلي . ويتطلب مثل هذا الاحتلال دراسة جميع الوسائل القادرة من جانبها التأثير على العرب لتحقيق هذه الامنية . ولذا يجب دراسة قضية الحوار مع الزعماء والشباب ، وتهيئة الادارة الرسمية المنتجة . وكان الكاتب يتوقع (في اوائل عام ١٩٧٠) ان تقوم القوات الاسرائيلية باجتياز القناة وضرب القوات المصرية ، بسبب تضايق اسرائيل من حرب الاستنزاف التي كانت قائمة حينذاك وتكلف اسرائيل الكثير من الارواح والاموال دون الحصول على نتائج ايجابية . وتستطيع مصر مع الوقت توفير قوة نار تفوق قوة النار الاسرائيلية ، كما يدعم مصر احتياطي سكاني كبير ، يؤهلها للاستمرار الطويل . وهكذا نجد ان الغرور اوصل اسرائيل الى حد يفوق كل تصور . انها تتناسى تجربة غزة وتأخذ الضفة الغربيةجاهلة منها فلسفة . واوصل حمى البقاء والتسلط اسرائيل الى حد يجرها في حال عودة العرب الى حرب الاستنزاف الى الدخول في رحى المغامرة الكبرى . وكانت المانيا النازية قد سبقت اسرائيل الى اتباع نمط هذه المغامرة ونعرف جميعنا النتيجة . الا اذا كانت اسرائيل تأمل عون الولايات المتحدة واماني الولايات المتحدة . يأمل الكاتب نجاح الاستراتيجية الجديدة وفي حال فشلها يرى بالاحتلال الطويل ضغطا يحقق الاستسلام العربي الشامل .

	عام ١٩٦١	عام ١٩٦٧/١٩٦٨
الجنود الحاصلون على دراسة من ١٢ سنة واكثر	٩ ٪	١٣،٥ ٪
الجنود الحاصلون على دراسة ثانوية غير منتهية	١٦ ٪	٢٢،٠ ـ ٪
الجنود الحاصلون على الدراسة الاساسية (٨ سنوات)	٤٠ ٪	٤٤،٥ ٪
الجنود غير المنتهين الدراسة الاساسية	٣٦ ٪	٢٠،٠ ـ ٪

ملاحظة : مجموع نسب عام ١٩٦١ تفوق ١٠٠ ٪ ويرجع الخطأ الى المؤلف .

نبيل بدران

Shlomo Avinery (ed.), Israel and the Palestinians (St. Martin's Press, N. Y., 1971).

قام بتحرير هذا الكتاب وجمع مواده والتقديم له مطولا شلومو افينيري رئيس قسم العلوم السياسية ورئيس مؤسسة اشكول للابحاث في الجامعة العبرية في القدس . ومع ان الموضوع العام الذي يدور حوله الكتاب هو « اسرائيل والفلسطينيون » كما يدل على ذلك العنوان الا ان الموضوع الحقيقي للكتاب هو فكرة الدولة الفلسطينية بهدف ابراز اهميتها والدعوة الذكية الى اقامتها باعتبارها المخرج المعقول الوحيد من المازق الحالي للصراع العربي ـ الاسرائيلي وباعتبارها لا تمس سيادة اسرائيل من ناحية وتعطي الشعب الفلسطيني وطنا وارضا ودولة من ناحية اخرى . بطبيعة الحال تتطرق مقالات الكتاب الى مواضيع متعددة اخرى تتعلق بعلاقة الشعب الفلسطيني باسرائيل وخاصة في الضفة الغربية ، الا ان الفكرة المحورية تبقى البحث عن مخرج من المازق عن طريق الدولة الفلسطينية (في الضفة الغربية مثلا) . في الواقع يريد هذا الكتاب ان يقول انه بمعزل عن اقامة مثل هذه الدولة لا مخرج من الصراع والحروب في المنطقة على الاطلاق . هذا لا يعني ان المقالات الواردة في الكتاب لا تختلف فيما بينها بالنسبة للحماسة التي تبديها لفكرة الدولة والتمنيات التي تبنيها عليها كذلك لا يعني انها لا تختلف بالنسبة لتحديد طبيعة الدولة ونوعية العلاقة التي ستربطها باسرائيل . الا ان الاختلافات تبقى في النهاية حول جزئيات الموضوع وتفاصيله وليس حول مبدئه وجوهره . يضم كتاب افينيري مقالات لعدد من الكتاب الاسرائيليين المعروفين مثل هاركابي ويآري الياف عضو الكنيست والامين العام لحزب العمل الاسرائيلي وعطاالله منصور عضو هيئة تحرير جريدة « هآرتس » وعزيز شحاده وهو محام من رام الله يقدمه محرر الكتاب على انه « من القيادات الفلسطينية البارزة جدا في الضفة الغربية » ، بالاضافة الى عدد من اساتذة الجامعات في اسرائيل من الذين كتبوا حول علاقة الفلسطينيين باسرائيل . وجدير بالذكر ايضا ان الكتاب يضم نص حديث اذاعي لموشي دايان دافع فيه عن نفسه في وجه النقد الذي وجهته اليه بعض الاوساط الاسرائيلية بسبب دعوته الشاعرة فدوى طوقان الى منزله . ومن نافل القول ان الكتاب معاد تماما لحركة المقاومة الفلسطينية ويشدد على قضية امن اسرائيل بالمفهوم العسكري الضيق للعبارة وهو غير محبذ لفكرة الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة .

يظهر التشديد على ضرورة اقامة الدولة الفلسطينية في مواضع عديدة من الكتاب . على سبيل المثال يذهب بعض الكتاب ، بما فيهم آفينيري نفسه ، الى اعتبار الملك حسين عقبة اساسية في وجه تحقيق الدولة الفلسطينية والى القول انه بدون التخلص منه لا يمكن لمثل هذه الدولة ان تقوم بصورة جدية . كما يقول كل من ايحود سبرينزاك (الاستاذ المساعد في قسم العلوم السياسية في الجامعة العبرية في القدس) وآفينيري بانه كان سيكون مسرورا لو ان حركة المقاومة تمكنت من الاستيلاء على السلطة في عمان في شهر ايلول ١٩٧٠ ، اذ ان ذلك كان من شأنه ان يضع الحركة في موقع المسؤولية ويعطيها دولة تهتم بها وبكل مشاكلها ومشاغلها ، مما سيجعل فتح اقل تشبثا بمواقفها « المتطرفة » كما ان اعطاء الفلسطينيين « مكانا لهم تحت الشمس » سيهدىء كثيرا من شعورهم الساخط بأنهم اصبحوا «منبوذي الشرق الاوسط» . ويذكر الكتاب بهذا الصدد انه مع ان عددا من القادة الاسرائيليين كانوا قلقين مما قد يحدث لو نجحت حركة المقاومة في اسقاط العرش الهاشمي والاستيلاء على السلطة الا انهم كانوا على استعداد ايضا للتعايش مع الوضع الجديد والتكيف معه . وتأييدا لهذا الرأي يشير الى التصريح الذي اطلقه آلون عشية معركة ايلول في الاردن حيث قال ان اسرائيل ستكون مستعدة للتفاوض حول معاهدة سلام مع الفلسطينيين في عمان اذا كانوا هم على استعداد لذلك ، تماما كما كانت ترغب في التفاوض على تسوية مع الملك حسين (مقدمة الكتاب) .

يبدو ان الكتاب يمثل وجهة نظر تيار معين في الاوساط المثقفة والسياسية الاسرائيلية وله صلات وانصار في الدوائر الحاكمة (والمخابرات بلا شك) وهو يعمل على طرح افكار ومشروعات من النوع المذكور على الرأي العام الاسرائيلي والفلسطيني والدولي بحيث تتواجد هذه الافكار الى جانب

غيرها من الاراء المطروحة حول تسوية الصراع العربي الاسرائيلي وتبقى قيد التداول باعتبارها احتياطي شبه جاهز يمكن اللجوء اليه (أو الى اجزاء منه) من قبل الدوائر الاسرائيلية الحاكمة حسب تطور ظروف الصراع المحلية والدولية ووفقا لما يستدعيه توازن القوى ونموه بين اطراف الصراع . اي ان فكرة الدولة الفلسطينية باقية قيد التداول الجدي بالرغم عن ارتفاع وانخفاض اسهمها من حين لاخر الا انها تظل مشروعا احتياطيا متوفرا للسلطات الاسرائيلية يمكنها اللجوء اليه اذا دعت الحاجة الملحة الى ذلك . ويتميز هذا الاتجاه الصهيوني المتجدد ، كما يبين ذلك الكتاب ، بمحاولة الظهور بمظهر من يراجع الموقف الصهيوني التقليدي في النظر الى الشعب الفلسطيني (أي « النيولوك » الصهيونية) واتباع تكتيك جديد في التعامل معه يتناسب مع المرحلة الحالية . ويرتكز هذا التيار في نظرته « المجددة » على الاسس التالية : (١) الاعتراف الصريح بوجود الشعب الفلسطيني والشخصية الفلسطينية . (٢) الاعتراف بوجود الوعي الوطني وحتى القومي الفلسطيني . (٣) الاعتراف بالظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني من جراء قيام دولة اسرائيل . (٤) تصوير الصراع مع الصهيونية على نحو درامي او مأساوي ، اي على اساس كونه صراعا مؤسفا ومحتما بين « حقين » (اي حق كل من الشعب الفلسطيني واليهودي في فلسطين) نتج عنه وضع مأساوي شبيه بالترجيديات اليونانية . والهدف من هذا التجميل الادبي لمفهوم الصراع هو اخفاء واقع معين وهو قيام اسرائيل على عملية استعمارية استيطانية أدت الى قهر شعب آخر واضطهاده وتجريده من وطنه . (٥) الاستنتاج بأن الحل الوحيد المعقول والممكن للصراع هو الذي يعطي الشعب الفلسطيني حقوقه القومية وعلى اسرائيل تحقيق هذا الحل عن طريق مساعدة الفلسطينيين على اقامة دولة مستقلة متحالفة مع اسرائيل (في الضفة الغربية وحدها او مضافا اليها الضفة الشرقية) . كما يحدد شمعون شامير (استاذ الدراسات الشرق اوسطية في جامعة تل ابيب) في مقاله أهدافا اضافية لهذا التيار تتلخص في تحقيق الاعتراف العربي بأنه من المستحيل تدمير اسرائيل في المستقبل المنظور ، استخدام الفرص التي خلقتها حرب ١٩٦٧ لانهاء الصراع « وانقاذ ما يمكن انقاذه من المجتمع الفلسطيني الذي يسير في طريقه الى الانحلال » ، وتحسين الاوضاع المعيشية للفلسطينيين مع تحقيق حد أدنى من أهدافهم القومية المعقولة (أي الدولة الفلسطينية) (ص ٢٥) .

وفي رأي الجنرال المتقاعد بيليد (وهو دكتور في التاريخ الاسلامي والادب العربي) تكمن المشكلة السياسية الاساسية بالنسبة للفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال (بما فيهم عرب ١٩٤٨) في تمكينهم من التعبير عن سياستهم السياسية وكيفية تحقيق ذلك بدون الدخول في مشاحنات حول الحدود . كما يؤكد الجنرال ان جزءا كبيرا من نزاع الاسرائيليين مع الشعب الفلسطيني يكمن في حرمانه من كل فرصة للتعبير عن سيادته لذلك يستنتج الجنرال « ان افضل ما يخدم مصالح اسرائيل هو زوال العرش الهاشمي، باعتباره غريبا عن الفلسطينيين، واتاحة الفرصة أمام الشعب ليعبر عن سيادته الفلسطينية ، اذا كان يرغب في ذلك » (ص ١١٦). كذلك يقترح عطاالله منصور انه على اسرائيل ان تشجع خلق المصالح المحلية وتنميتها في الضفة الغربية كمقدمة لاقامة الدولة الفلسطينية (ص١٢٥).

ومن ناحية اخرى يهدف الكتاب الى الايحاء بأن المواجهة التي تمت بين الشعب الفلسطيني والاسرائيليين بعد الاحتلال ادت الى قيام مناقشة عامة وواسعة في اسرائيل حول الشعب الفلسطيني وقضيته ، كما يذكر آفينيري ان الرأي العام الاسرائيلي يسير الان باتجاه انفتاح اكبر على القضية الفلسطينية ، لذلك يشدد على ان جوهر النزاع هو في حقيقته بين الاسرائيليين والفلسطينيين ولا يمكن تسويته الا باتفاقهما . لذلك يعمد الكتاب الى ابراز اسماء عربية ليبرهن على رغبة سكان الضفة الغربية في قيام دولة فلسطينية مرتبطة باسرائيل . اما الاسماء التي يبرزها فهي عزيز شحادة ومنصور عطاالله عن طريق ادخال مقالاتهم في الكتاب ، والشيخ الجعبري باعتباره زعيم منطقة الخليل ، وعدد من اصحاب المهن الحرة في رام الله (لم يرد ذكر لاسمائهم باستثناء الدكتور الفاروقي) بالاضافة الى بعض اعضاء الاسر المهمة في القدس . كذلك يأتي الكتاب على ذكر شخصية قيادية من القدس شغلت منصب وزير في احدى الحكومات الاردنية لانه قام بجولة محاضرات دعا فيها الى ضرورة اعتراف الفلسطينيين باسرائيل واقامة علاقات سلمية معها وان ضمان حقوق كل من الشعبين الفلسطيني والاسرائيلي لا يمكن ان تتحقق

الا عن طريق تطبيق مبدأ التقسيم . كذلك ورد ذكر لوزير سابق آخر ورئيس بلدية احدى مدن الضفة الغربية لانه دعا في جامعة تل ابيب الى السلام مع اسرائيل واقامة علاقة فيدرالية بين الدولة الفلسطينية واسرائيل . كما يذكر الكتاب ان احد وجهاء القدس ، كان مسؤولا عن السياحة في الضفة الغربية قبل الاحتلال وكان في يوم ما ضابطا في الجيش السوري ، أعلن في مهرجان انه توصل الى قناعة بأن التسوية لا يمكن ان تكون عن طريق الدولة الثنائية او عن طريق الاتحاد الفيدرالي بين اسرائيل والدولة الفلسطينية وانما عن طريق تعايش الشعبين على اساس الجوار (أي قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية على أقل تعديل) — وقد اغفل الكتاب اسماء هؤلاء الاشخاص عمدا . كذلك يذكر الكتاب ، بهذا الصدد ، المجموعة التي تصدر صحيفة « القدس » والملتفين حولها ويعطيها قدرا كبيرا من الاهمية لانها تنشر مقالات تدعو الى تسوية « واقعية » للنزاع مع الاسرائيليين من خلال مبادرات يقوم بها الفلسطينيون في الضفة الغربية ، وهناك اشارة الى ان عدد هذا النوع من المقالات قد ازداد بصورة ملحوظة منذ الضربة التي تعرضت لها المقاومة في الاردن في أيلول ١٩٧٠ (ص ٢٦ — ٢٧) .

يضاف الى كل ذلك عدد من التأكيدات من قبل الكتاب بأن الراي العام الشعبي في الضفة الغربية قد تبدل بالنسبة للموقف من اسرائيل وهو يميل الان الى الرغبة في تحقيق السلام « بأي ثمن » (ص ٢٨ ، ١١٩ ، ١٢٢) . ونلاحظ هنا اولا ، ان المؤلفين الذين يطرحون الراي الاخير حول موقف جماهير الضفة الغربية لا يأتون بأي برهان او بينة من اي نوع لتأييد اقوالهم باستثناء انطباعاتهم الشخصية ومحادثاتهم مع بعض الوجهاء العرب والمتعاملين مع الاحتلال ، لذلك يضطرون الى تقديم هذه الانطباعات بصورة تقريرية وكأنها حقائق بديهية مما يضعف من قيمتها وقوتها في نظر اي قارىء يتمتع بشيء من الحس النقدي . ثانيا ، واضح جدا ان مجوعة الاسماء العربية التي يبرزها الكتاب في الدعوة للدولة الفلسطينية تنتمي كلها الى صف القيادات والوجاهات التقليدية والرجعية التي سقطت تاريخيا ولم يعد لها اي رصيد شعبي حقيقي ، والسبب الوحيد لاستمرارها في الهيمنة وتمكنها من اسماع صوتها على هذا المستوى يعود الى دعم سلطات الاحتلال لها في مراكزها ، تماما كما كان النظام الملكي يفرضها على الشعب الفلسطيني في السابق . ان العبرة الاساسية التي نستخلصها في هذا الكتاب هو ان مشروع الدولة الفلسطينية ما زال حيا يرزق وموجودا في الاجواء ومطروحا في الاوساط الامبريالية باعتباره اجراء احتياطيا ممكن ان تتصرف على اساسه اسرائيل في حال اضطرارها الى ادخال تبديل جذري ومفاجىء على الخريطة السياسية القائمة في المنطقة حاليا ، وكل هذا يدعو القوى الثورية الفلسطينية والعربية الى ضرورة اليقظة المستمرة ازاء احتمال لجوء اسرائيل الى خطوات واجراءات توصل في النهاية الى الدولة الفلسطينية التابعة والخاضعة لاسرائيل .

صادق جلال العظم

J. Hajjar, **L'Europe et les destinées du Proche-Orient,** (1815 1848) Bloud et Gay 1970.

اذا قلنا ان اهم المراجع والدراسات والابحاث المتعلقة بالشرق العربي وبقضاياه ومشكلاته السياسية والاجتماعية والتاريخية قد نشرت في اللغات الاجنبية او قام بتأليفها مستشرقون غربيون، فاننا لا نكون قد تجاوزنا الحقيقة كثيرا . وكتاب المؤرخ العربي السوري ج. حجار « أوروبا ومصائر الشرق الادنى » هو من ضمن الدراسات التاريخية العديدة التي كتبت باللغة الاجنبية والتي تتناول بالبحث الحقبة التاريخية الاولى في تاريخ العرب المعاصر ، تلك الحقبة التي شهدت ولادة الحركة القومية العربية وبداية المخططات الاوروبية الاستعمارية لتقاسم المنطقة العربية ولزرع القواعد الامامية وتعميق التجزئة على كل المستويات . ولكن قبل ان نحاول تقييم هذا الكتاب الضخم والمدعم بالوثائق والمراجع القيمة لا بد لنا من عرض سريع لاهم الموضوعات التي يتناولها . ان هدف المؤلف الاساسي كان اعادة كتابة تاريخ الكنيسة المسيحية في الشرق الادنى . الا أن أبحاثه ودراساته قادته الى الاقتناع بأن تاريخ الكنيسة لا يمكن ان يدرس بعيدا عن التاريخ العام للمنطقة بكل ما يعنيه هذا من تاريخ اجتماعي وسياسي واقتصادي خاصة وان دور الكنيسة (المحلية والاجنبية) كان يتعدى المجال الديني والتبشيري ليتعاطى بأمور سياسية بحتة . هذا عدا عن التجاوزات الخطيرة وتحول رجال الكنيسة في الكثير من الاحيان الى أدوات مباشرة وغير مباشرة بيد الاستعمار الاوروبي ليحقق بواسطتها مشاريعه ومخططاته في المنطقة . من هنا كان من الضروري على المؤرخ ان يعالج ظاهرة محمد علي وفكرة الوحدة العربية والقضية الفلسطينية . وهذا ما فعل . وهنا تكمن ، في رأينا قيمة الكتاب .

يتألف هذا الكتاب من قسمين رئيسيين :

القسم الاول وهو بعنوان « الاستقرار الاوروبي والاضطرابات الشرقية » ويمتد من عام ١٨١٥ الى عام ١٨٣٣ . وفي هذا القسم يتكلم المؤرخ عن البعثات التبشيرية البروتستانتية و« اكتشافها » للشرق وللقدس وكيف بدأت الاماكن المقدسة في فلسطين تثير المنافسة الاوروبية المتمثلة بصراع الطوائف من بروتستانت وكاثوليك وارثوذكس .

ثم بعد وصف مطول لهذا الجو ينتقل للكلام عن تجربة محمد علي الذي انشأ أول دولة عربية موحدة وكان أول من أدخل التحديث والاصلاحات العديدة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والتربوي الى الشرق وكيف ان تجربته الرائدة أثارت غضب أوروبا فنشأ تحالف لم يسبق له مثيل بين السلطان العثماني « المسلم » وبين أوروبا المسيحية من أجل هدف واحد : القضاء بأي شكل على محمد علي . ويشير المؤرخ الى ان اوروبا التي كانت دائما تبدي قلقها على « مصير » الاراضي المقدسة وعلى مصير المسيحيين في الشرق لم تتوان لحظة عن التحالف مع السلطان العثماني الذي كان دائما يمثل بالنسبة اليها « عدو المسيحية رقم واحد » ضد محمد علي الذي كان اول من اتخذ اجراءات دينية متحررة واعطى الطوائف المسيحية كل حقوقها في ممارسة شعاراتها الدينية وساواها بالطوائف المحمدية . ويتكلم المؤرخ طويلا عن تجربة محمد علي ونضاله المستمر من أجل الحرية والاستقلال والتنمية وكيف ان اوروبا عارضته على طول الخط وأعادته الى « حجمه الطبيعي » كوال بسيط وصغير من ولاة السلطنة العثمانية المتداعية، وكيف ان الوحدة العربية اخذت تبرز بقوة وكيف ان أوروبا فطنت الى هذا « الخطر الجديد » فحاولت بكل الوسائل ابعاد كابوسه فكانت النتيجة اختيار فلسطين لتكون الحاجز الطبيعي في وجه أية وحدة عربية محتملة .

ونصل الى **القسم الثاني** من الكتاب وعنوانه : « من المطامح المصرية الى الوصاية الاوروبية » ويمتد من عام ١٨٣٣ الى عام ١٨٤٨ ويعالج فيه المؤلف قضية الوحدة العربية وارتباطها آنذاك بالاستقلال المصري ويطرح فيه السؤال التالي : هل كانت الامبراطورية العربية المحتملة تهدد التوازن الاوروبي ؟ ولا يعطينا المؤلف جوابا على هذا السؤال الكبير الا أنه بشرحه وتوسعه في الكلام على عنف ردة الفعل الاوروبية يظهر لنا مدى تخوف اوروبا من أي انبعاث عربي حقيقي . وقد ظهر الجواب على هذا السؤال واضحا من خلال تحركات السياسة الاوروبية آنذاك التي تميزت بالامور التالية : اثارة الفتن الطائفية (مسيحيين —

مسلمين) خاصة في سوريا ، استغلال الخصوصيات الاقليمية لكل بلد (في لبنان وسوريا وفلسطين)، الاعتماد على الجواسيس والعملاء (القنصليات — المرسلين) ، العمل العسكري المباشر (مساعدة عسكرية بروسية وروسية للجيش العثماني — تدخل عسكري مسلح) ، التفكير بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ليكون قاعدة أمامية للاستعمار الاوروبي في المنطقة ولافشال اي تحرك عربي تحرري في المستقبل .

وبالنسبة لهذه النقطة الاخيرة بالذات ، يخصص المؤرخ حوالي مئتي صفحة (من ص ٣٢٥ الى ص ٥١٦) للكلام عن المشاريع الكثيرة التي بحثت آنذاك والمتعلقة بمصير فلسطين . وهو يشدد على مشروعين رئيسيين فشلا في ذلك الوقت وهما : مشروع بارسال اليهود الى فلسطين ومشروع تدويل القدس . والجدير بالذكر ان هذين المشروعين قد برزا بشكل واضح مباشرة بعد تصفية محمد علي وهذا ما يدفعنا الى القبول بوجود علاقة متينة وعضوية بين أحداث المنطقة ككل والقضية الفلسطينية بشكل خاص .

هذه هي الخطوط العريضة لهذا الكتاب الضخم والذي لا غنى عنه للباحث في تاريخ المنطقة العربية المعاصر ، خاصة وانه يعتمد في مراجعه على الوثائق الاوروبية (المحفوظات الديبلوماسية لكل من النمسا وبروسيا وروسيا وفرنسا وبريطانيا) وعلى اهم ما كتب حتى الان عن تاريخ المنطقة . الا ان الثغرة الوحيدة في هذا المجال (وهذا في رأينا لا يعود الى المؤلف) هو عدم وجود اية مراجع عثمانية والسبب في ذلك هو ان الحكومة التركية لم تفرج حتى الان عن الوثائق والمحفوظات المتكدسة لديها . ثم ان المؤلف يضيء لنا حقبة مجهولة من تاريخنا المعاصر ما زالت مضاعفاتها وآثارها جاثمة على الاحداث الراهنة . فهو قد أضاء لنا الحقبة التي شهدت ولادة القومية العربية (وهذا حسب تقرير القنصل النمساوي بون بروكش الذي قال بالحرف الواحد : « انني أرى الاعجاب المتزايد بمحمد علي في كل البلاد الناطقة باللغة العربية وأرى **يقظة الروح القومية العربية** » ...) وولادة أول دولة عربية موحدة . كما أشار الى التاريخ الذي بدأت فيه معركة الاستعمار ضد الوحدة العربية ونتائج هذه المعركة التي نعيشها اليوم (انشاء دولة اسرائيل — تعميق التجزئة العربية) وهو وان لم يشر بصورة مباشرة الى هذا الترابط العضوي الا ان السياق العام للكتاب : اهتمام اوروبا بالشرق — التذرع بحماية المسيحيين — تجربة محمد علي — القضية الفلسطينية — استقلال لبنان القائم على الطائفية ، كل هذا يؤكد الترابط ويظهر بشكل واضح ان الوحدة العربية هي خطر حقيقي يهدد المصالح الاستعمارية لانها السبيل الى التقدم والتنمية والاستقلال .

وفي النهاية نرى من المفيد ان نضع امام القارىء هذا المقطع من المقدمة التي وضعها المؤلف لكتابه : « ان ليبرالية محمد علي قد فتحت الشرق الاوسط أمام السياح والحجاج الاوروبيين ، فأصبح الوضع السياسي لمدينة القدس والامتيازات التي منحتها السلطة الاسلامية للحجاج المسيحيين موضع تساؤل ، لم تعد هذه الحقوق والواجبات كافية . وهنا تفتق خيال الحكومة النمساوية عن مشروع بتدويل الاماكن المقدسة . وقد رفض هذا المشروع بالاجماع الا ان الكثير من المؤسسات الدينية والسياسية والثقافية ستتمخض عنه وتتحول الى تلاع للنفوذ الغربي . فازاء النظام الكنسي الشرقي، الارثوذكسي بشكل خاص ، المدعوم من روسيا ، تقام ابرشية انكلو — بروسية لخدمة مؤمنين لا وجود لهم في الاصل وتعاد اقامة البطريركية اللاتينية وذلك لارجاع تقليد يعود لزمن الصليبيين. والرابط بين مختلف هذه المؤسسات المتنافسة ليس رابطا عفويا ابدا . وبالاضافة الى هذه المؤسسات أخذت تولد المشاريع السياسية — الاجتماعية الطموحة التي تفتقت عنها مخيلات بعض منظمات الفرسان الصليبيين وبعض كبار رجال المال اليهود . فكان هناك مشروع بانشاء مملكة اريستقراطية صليبية في لبنان وآخر بعودة كثيفة لليهود الى فلسطين . كان هناك الكثير من المشاريع والكثير من المؤسسات والكثير من البذور للمستقبل ايضا » .

كل هذا يدفعنا الى التساؤل : هل هذا الكتاب كتاب تاريخ ام هو قصة تنبؤية ام ان التاريخ يعيد نفسه ؟ ان الاجابة على هذا تكمن في قراءة هذا الكتاب القيم والذي سد نقصا كبيرا في المكتبة التاريخية العربية .

ماجد نعمة

رد اولي على كتاب "لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة" لمحمد ابو شلباية

الدكتور عدنان العمد

هذا الكتاب هو أول كتاب سياسي يصدر في القدس العربية منذ الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ . وقد صدر الكتاب في اواخر العام الماضي (٨٦ صفحة) والمؤلف محمد ابو شلباية ربما يكون الاسم الوحيد المعروف من بين المعلقين السياسيين العرب في الجرائد العربية الصادرة تحت الاحتلال مثل جريدة القدس وهي جريدة الجهاد سابقا وقد جرى بعد الاحتلال تعديل كبير على هيئة تحريرها واتجاهها واسلوبها . وقد سبق لمحمد ابو شلباية ان قدم العديد من الاراء التي طرحها في الكتاب في عدة مقالات وتعليقات في جريدة القدس وجريدة الانباء (وهي جريدة تصدر بالعربية في المناطق المحتلة قبل عام ١٩٦٧) وقد دارت هذه المقالات والتعليقات حول موضوع « دولة فلسطينية » في المناطق المحتلة متعايشة مع دولة اسرائيل وقائمة على أساس الانتخابات المحلية او على اساس وجود تجمع فلسطيني سياسي داخل المناطق المحتلة يستطيع الى حد ما تمثيل الشعب الفلسطيني والتعبير عن مشاكله وتطلعاته نحو المستقبل ، لهذا فان الكتاب يبدو للقارىء الذي سبق واطلع على تعليقات ابو شلباية وكأنه اعادة لهذه الآراء على شكل كتاب . ومحور هذه الاراء يدور حول فكرتين اساسيتين هما : ١) ان الشعب الفلسطيني شعب مخدوع عربيا ودوليا وان جميع الاطراف تتآمر على مستقبله ومصيره وانه لغاية الان لم تتوفر له فرصة للاختيار او لتقرير المصير . ٢) بعد سلسلة الهزائم العربية والفلسطينية ليس هنالك من طريق للشعب الفلسطيني سوى تشكيل دولة في المنطقة المحتلة عام ١٩٦٧ على ان تكون هذه الدولة متعايشة ومتصالحة مع اسرائيل ومستقلة مرحليا عن الاردن وباقي الدول العربية .

حول هاتين الفكرتين يقدم ابو شلباية تشكيلة من الاراء السياسية والاجتماعية والعسكرية تتراوح بين « عقد سلام متكافىء وحر وقائم على نيل كل ذي حق حقه المشروع » (ص ٦) وبين « قيام اتحاد الجمهوريات العربية الذي سيضم الدولة الفلسطينية وجميع الدول العربية ودول الاقليات القومية في الوطن العربي كاليهود في فلسطين والاكراد في العراق والزنوج في السودان والبربر في دول المغرب العربي » (ص ٨٦) . وحول فكرة عقد السلم المتكافىء وفكرة قيام اتحاد الجمهوريات العربية يضم الكتاب خمسة فصول هي : اقامة دولتين في فلسطين ، ماعز وضان ، تسليم الضفة، المنظمات الفلسطينية ، ماذا يريد الفلسطينيون . وسوف نستعرض ونحلل هنا ما تحتويه هذه الفصول ، ليس فقط من أجل معرفة ماذا يقول الكاتب ولكن ايضا لاظهار الهوة الفكرية العميقة التي تفصل بين تفكيره ومعالجته للمشاكل المطروحة — باعتباره احد الذين يعيشون الاحتلال يوميا — وبين تفكير ومعالجة قيادة الثورة الفلسطينية لهذه المشاكل — باعتبارها القيادة التي تعيش نضال الشعب الفلسطيني يوميا وتقود هذا النضال في مناطق التشرد واللجوء منذ عام ١٩٦٧ .

وربما يساعدنا هذا الاستعراض الى تبين أسباب ودوافع هذه الهوة ، هذا اذا اعتبرنا ابو شلباية يمثل وزنا سياسيا لفئة او طبقة من الفلسطينيين الذين دفعتهم ظروف النكسة الى اليأس والانهزامية وقبول الامر الواقع حيث يبدو لهذه الفئة ان تغيير

الامر الواقع مستحيل بدون مساهمة اسرائيل في هذا التغير بالشكل الذي يضمن لها ليس فقط السيادة المطلقة على الاجزاء المحتلة عام ١٩٤٨ ولكن بضمان شكل من السيادة العسكرية والاقتصادية (الاتحاد الفيدرالي) على المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ . اذا كان ابو شلبابة يمثل حقا مثل هذا الاتجاه — وهذا تخمين يحتاج الى المزيد من الاستقصاء — فان الكتاب يمكن اعتباره جزءا من الردة السلبية على الاحتلال والتي بدأت تعم أوساطا رسمية وشعبية عديدة في الوطن العربي منذ قبول بعض الحكومات العربية للحلول السلمية (قبول الهدنة ، قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، مهمة يارينج ، مشروع روجرز ، وساطة منظمة الوحدة الافريقية) .

وبغض النظر عن الحجم الجماهيري الضئيل الذي تمثله فكرة قيام دولة فلسطينية « مستقلة » تحت ظروف الاحتلال والاغتصاب الاسرائيلي اذا ما قيست بالحجم الجماهيري الذي تمثله فكرة قيام دولة فلسطينية ديموقراطية تحت ظروف الكفاح المسلح لاجل تحرير كل شبر من الارض المحتلة كشرط اساسي لقيام مثل هذه الدولة ، سنحاول بالقدر الذي تستطيع أدوات التحليل السياسي مساعدتنا في ذلك ، ايضاح ابعاد الهوة الفكرية التي تفصل بين المنطلق الثوري والمنطلق الاستسلامي في النظر الى حل مشكلة الاحتلال ، وسوف يؤدي هذا الايضاح الى تبيان مدى تأثير هذه الهوة على مسيرة التحرير الفلسطينية .

والهدف من هذا التحليل هو ليس اعطاء كتاب ابو شلبابة أهمية أكثر من التي يستحقها بقدر ما هو اعتبار الكتاب نموذجا للاراء والافكار التي يمكن ان تنشأ لدى فئة من المثقفين تعيش اليوم في فلسطين تحت عوامل سياسية واجتماعية تتحكم فيها قوانين الاحتلال وتوجهها مصالح القوة المحتلة . ويدل وجود مثل هذه الافكار وعملية الاقدام على نشرها في كتاب انه بينما ترفض قيادة الثورة الفلسطينية اي تفكير في وضع الثورة موضع مساومة في سوق العروض السياسية لاقامة دولة فلسطينية تكرس الاحتلال محليا ودوليا وتقدم ثمنا لهذا الرفض آلافا من الشهداء تعلو في المناطق المحتلة — وفي بعض العواصم العربية — اصوات (لم يجر لغاية الان تقييم وزنها سياسيا) تدعو الى اضفاء الشرعية على واقع الاحتلال الاسرائيلي باعتبار الدولة الاسرائيلية شريكة لشعب فلسطين في أرضه ولا بد ان تلتقي هذه الدعوة (سواء بقصد او بغير قصد) مع ادعاءات السلطات المحتلة بديموقراطية الاحتلال وانسانية الحكم في المناطق المحتلة اذا ما قورنت بما يلاقيه الانسان الفلسطيني اينما حل . (هذا الادعاء ادعاء محبب لجميع الاجهزة الصهيونية العاملة حاليا في الداخل والخارج وقد كرره اكثر من مسؤول اسرائيلي في مناسبات عديدة وهو أكثر الادعاءات استعمالا في المناقشات والندوات التي يشترك فيها يهود او صهاينة للرد على انصار الثورة الفلسطينية في الخارج .)

وفي اعتقادنا ان اظهار خطر هذه الافكار لا يتم بمجرد استعراضها وتحليلها ومعرفة دوافعها ومصادرها اذ أن هذه العملية تتطلب دراسة وتحليل كل ما يصدر وينشر ويوزع من ادب سياسي وصحافي واعلامي داخل المناطق المحتلة (١٩٤٨ و ١٩٦٧) . ولكنه يمكن القول بثقة ان أمر مواجهة خطر هذه الافكار يتطلب بجانب المقاومة المسلحة وتقوية قواعدها والاكتاب في تنظيماتها السياسية والعسكرية في داخل المناطق المحتلة ايجاد المؤسسات والروابط الاجتماعية والاقتصادية المتيئة بين قيادة الثورة الفلسطينية وجماهيرها في المناطق المحتلة ، فاذا كانت العمليات العسكرية تحقق حاليا جزءا نسبيا من ايجاد التفاف شعبي عفوي حول هذه القيادة فان تنظيم هذا الالتفاف وترجمته الى رفض جماهيري مطلق لاي مظهر من مظاهر الاحتلال يتطلب في المرحلة الاولى التركيز على التثقيف السياسي والتوعية الاعلامية الهادفة الى ايجاد فكر ثوري سائد في المناطق المحتلة لا تستطيع عملية الاحتكاك اليومي بالسلطة المحتلة واجهزتها ان تنفذ من خلاله — مباشرة او غير مباشرة .

تحليل محتوى الكتاب حسب تسلسل فصوله

الفصل الاول : اقامة دولتين في فلسطين : ان عنوان هذا الفصل كما يتبين من الآراء المطروحة فيه يعيد الى الاذهان مشاريع التقسيم العديدة التي تبركتها سلطات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية قبل عام ١٩٤٨ والمشروع الجديد الذي يقترحه ابو شلبابة في هذا الفصل ليس الا عملية تجميل لوجه قبيح أطل على الجماهير الفلسطينية في عدة مناسبات عسيرة كلما احتدمت رغبات هذه الجماهير الحقيقية مع مرحلة من مراحل تنفيذ المخطط الاستعماري الصهيوني للاستيلاء على

فلسطين (١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٧) .

في صفحة ٩ من الكتاب يتساءل الكاتب هل قضية فلسطين من التعقيد بحيث لا يقدر احد من الاقوياء وغير الاقوياء على حلها ؟ ويستشهد بعدة قضايا معقدة تم حلها بأقل ما يمكن من الكوارث اذا ما قيست بالكوارث التي تمخضت عنها القضية الفلسطينية ويذكر على سبيل المثال الجزائر وجنوب اليمن وكوريا وكوبا . وينسى الكاتب في هذا المجال أن قضية الجزائر كلف حلها اكثر من مليون شهيد جزائري ونتج عن حلها استقلال الجزائر واعلان سيادة الشعب الجزائري على جميع اراضيه . وان الحكومة الفرنسية سبق وان عرضت على الشعب الجزائري عدة مشاريع « سلمية » مثل الحكم الذاتي ضمن الدولة الفرنسية ومثل التمثيل البرلماني للجزائر في البرلمان الفرنسي ولكن اصرار الشعب الجزائري على النضال من أجل السيادة الحقيقية والكاملة على ارضه هو الذي أجبر فرنسا في النهاية على الانسحاب كليا من الجزائر واعتبارها دولة ذات سيادة ذاتية . وقد دخلت الجزائر الساحة الدولية كدولة امنولة في تاريخ التحرر والاستقلال وعلى اثر معركة استقلال وليس على أساس مفاوضات استقلال وقد تمت هذه المفاوضات بعد معارك شديدة بين الجيش الفرنسي وقوات جبهة التحرير الجزائرية وكانت اقرارا لانتصار الثورة الجزائرية وليس استجداء منها لمنح الاستقلال .

أما مشاكل جنوب اليمن وكوبا وكوريا فلا تقل معارك استقلالها نضالا وتضحية عن معارك استقلال الجزائر . ولا بد من التنبه هنا الى أن الكوارث التي يصاب بها شعب مستسلم لا يمكن قياسها تاريخيا بالكوارث التي تأتي نتيجة للنضال حيث ان هذه الاخيرة هي التي تصنع تاريخ الامم والدول اما كوارث الاستسلام فهي التي يتم بواسطتها سحق الامم والدول والغاء وجودها السياسي والحضاري وهذا بالذات (وهو ما يعيه ابو شلباية ولكنه ربما تحت ظروف الاحتلال لم يتحول وعيه لاكثر من الرفض اللفظي للاحتلال او المطالبة بتحويل الاحتلال الى سلم متكافىء) هو ما تقف بوجهه الان الثورة الفلسطينية .فالثورة الفلسطينية — كفكرة وممارسة — ترفض ان يتقلص وجود الشعب الفلسطيني الى دويلة تابعة لاسرائيل مع الامل او التمني بأن تصبح هذه الدويلة فيما بعد جزءا من دولة عربية موحدة لا يمكن فصل العمل من اجل قيامها عن العمل من اجل انهاء السيادات الاجنبية (ومنها اسرائيل) عن الوطن العربي .

مرة اخرى يجب التشديد هنا عند مقارنة الكوارث والحلول التي نتجت عنها لعدة قضايا قومية او سياسية في التاريخ على أن القضايا التي اتبعت الشعوب في حلها اسلوب الكفاح المسلح ضد قوى محتلة مثل الجزائر وفيتنام وكوريا — باعتبار الوجود العسكري الامريكي احتلالا — او قوى محلية عميلة مثل كوبا وفيتنام الجنوبية كانت نتيجة الحل اعادة السيادة للقوى صاحبة الحق الاصيل في النزاع ولم يحدث ان نال فيها كل ذي حق حقه فكما لا يمكن تجزيء السيادة او منحها بالتقسيط كذلك لا يمكن تجزئة الحق ومنحه بالمطالب السلمية كما يحلو للطرف القوي في النزاع ان يوحي او يوهم الطرف الضعيف في المراحل الاولى من النضال او في لحظات يكون فيها الطرف الضعيف وكل ما ينتج عنه من فكر وتصرف واقعا تحت عوامل نفسية وفيزيولوجية ضاغطة — اجهزة اعلام الثورة المضادة ومؤسستها العسكرية .

اما تصوير القضية الفلسطينية على انها نزاع بين اطراف متساوية في شرعية مطالبها (يتحدث ابو شلباية في صفحة١٠ عن مصالح الشعبين الفلسطيني واليهودي ويقول بالحرف الواحد « تتلخص القضية الفلسطينية باختصار شديد في وجود شعبين فوق ارض فلسطين هما الشعب الفلسطيني والشعب اليهودي . ») فهو وقوع لا عذر فيه في مأزق تاريخي لا يمكن الخروج منه سوى باعتبار الحق اليهودي في فلسطين متساويا ومنافسا للحق الفلسطيني وهذا اعتبار مغلوط تاريخيا . ان مثل هذه الفرضية المغلوطة تتطلب عملية تزييف دينية وتاريخية وقد قامت الحركة الصهيونية وحكومة اسرائيل فعلا بمثل هذه العملية وليس رفض الشعب الفلسطيني للوجود الاسرائيلي في فلسطين سوى جزء من مرحلة التصدي لهذا التزييف . وقد تبرع عدة مؤرخين حياديين — من بينهم ارنولد توينبي وبرتراند رسل وماكسيمرودنسون — بايحاء من وعيهم للتاريخ ودراستهم الحيادية للوثائق والاحداث لفضح ادعاءات اسرائيل في حق اليهود التاريخي في فلسطين — وحتى قرار قبول اسرائيل في الامم المتحدة عام١٩٤٨ لم يتخذ على أساس وجود مصلحة

للشعب اليهودي في فلسطين او وجوده كجزء من سكانها الاصليين ولكنه اتخذ نتيجة تآمر سياسي لعبت فيه المصالح الاستعمارية البريطانية والامريكية والصهيونية الدور الاول . وقد بدأت مراحل هذا التآمر بمنح الحكومة البريطانية وعد بلفور للورد روتشيلد واشرافها بعد ذلك على تنظيم الهجرة اليهودية اللاشرعية الى فلسطين وانتهت المرحلة الاولى من هذا التآمر باعلان الدولة الاسرائيلية والحماية الدولية التي منحتها اياها الدول الكبرى . اذن فالقول هنا بأن « الشعبين الفلسطيني واليهودي » قد رحبا بحل التقسيم وآمنا به عند اعلان الامم المتحدة له سنة ١٩٤٧ (ص١١) ليس فقط تجنيا على حقائق التاريخ ولكن يوجد فيه تجن اكثر على نضال الشعب الفلسطيني ومقاومته للانتداب وللتقسيم وللوجود الاسرائيلي .

اذا كان من الممكن فرضا لكاتب فلسطيني ان يكون قد سها عن ما حدث في فلسطين منذ عام ١٩١٧ فانه من غير الممكن ان يسهو عن مشاعر الشعب الفلسطيني تجاه التقسيم عام ١٩٤٧ ، واذا كان الكاتب يذكر « ان حزب العمال والحزب الشيوعي الفلسطيني قد أيدا اقامة دولتين في فلسطين ، وهذا يعني ان الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني قد ايدت ذلك الحل وباركته » (ص ١٢) فانه يرتكب هنا عدة اخطاء في جملة واحدة عدد كلماتها خمس وعشرون كلمة ، فبجانب خطأ التعميم والتبسيط الساذج لامور اكثر تعقيدا واعمق جذورا فانه ينسب مجموع الحركة الوطنية الفلسطينية عام ١٩٤٧ الى جزئين لا غيرهما دون أن يقدم على ذلك دليلا ملموسا واحدا سوى اعتقاده هو بذلك .

ولاجل اسقاط منطق هذه الجملة وما بناه الكاتب من هرطقة فكرية على هذا المنطق يجب اولا التفريق بين عدة مسائل أهمها ثلاث : ١) هل كانت قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني تمثل عام ١٩٤٧ حقا (وفي مسألة قومية) الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني خاصة والمسألة تتعلق باقتطاع جزء من وطنه واقامة دولة صهيونية عليه . ٢) ألم يع الحزب الشيوعي الفلسطيني آنذاك ان التقسيم كان سيجر على العمال والفلاحين مصائب وخسائر تفوق في حجمها وشدتها المصائب الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تجرها عليهم عمليات الاستغلال للرأسمال الفلسطيني المحلي ؟ ٣) ان اتهام ابو شلباية للفئات التي عارضت التقسيم من اجل مصالحها الخاصة ونتيجة لوقوفها آنذاك على رأس الحركة الوطنية بسبب امتلاكها الثروات في فلسطين بأنها سبب جميع الكوارث والمآسي فيه تضخيم لحجم الدور الذي لعبته هذه الفئة وفيه خلط غير منطقي بين محاولته تصوير التقسيم على انه من مصلحة الطبقة العاملة واعتقاده بخيانة القيادات الفلسطينية التقليدية عام ١٩٤٧/١٩٤٨ لانها عارضت التقسيم .

ان شعار مقاومة ورفض التقسيم عام ١٩٤٧ لم يكن ملكا لفئة واحدة او طبقة فلسطينية معينة فقد صبت في هذا الشعار مجموعة الشعارات القومية والاجتماعية لكافة العناصر التي كانت تتفاعل داخل الحركة الوطنية في فلسطين . ومحاولة نسب هذا الشعار لفئة واحدة هي القيادات التقليدية عام ١٩٤٧ لتبرير قبول الحزب الشيوعي الفلسطيني للتقسيم والارتفاع بهذا القبول الى مرتبة اعتباره عملا وطنيا ومتطابقا مع مصلحة الجماهير الفلسطينية يدل على عدم ادراك الكاتب لمدى الترابط والتلاحم بين القضية الوطنية والقضية الاجتماعية لهذه الجماهير .

ان لقاء القيادات « المصلحية » والجماهير الكادحة حول شعار قومي موحد لا يعني ان الشعار بحد ذاته كان خاطئا بقدر ما يعني ان الحركة الوطنية آنذاك كانت تعكس التركيب السياسي والاجتماعي القائم في فلسطين ، وان هذا التركيب قد مكن فئة ضئيلة (بغياب المؤسسات الديموقراطية) من تصدر مراكز القيادة على اساس قومي محافظ ودفع بفئات سياسية اخرى الى منزلقات فكرية على اساس اجتماعي بحت وقد انكشفت خطورة هذين الاتجاهين اذا انفرد احدهما في حسم القضية ، مع مرور الزمن ومع انكشاف ما يعنيه تقسيم فلسطين عمليا واقامة دولة اسرائيلية على اراضيها . لهذا فان استنتاج ابو شلباية بأن الثورة العربية الكبرى او ما يسميه بالنكبة الهاشمية « قد ساهمت في وضع البلاد تحت الاستعمار الغربي ولعبت دورا كبيرا في محاربة الحل العادل للقضية الفلسطينية الداعي الى اقامة دولتين في فلسطين » (ص ١٦) هو استنتاج يضع العنوان الصحيح على ظرف الغلاف ولكنه يخطىء في الرسالة التي داخل الظرف فيوجهها الى شخص آخر . ان هذا الاستنتاج يسقط من اي حساب عقلاني لانه لا يوجد هنالك

حل عادل لقضية فلسطين على اساس اقامة دولتين اذ ان اقامة الدولة الاسرائيلية عام ١٩٤٨ هي سبب القضية أصلا . اما بالنسبة للثورة العربية فيرى فربما يكون تاريخ هذه الثورة مليئا بالاخطاء القومية والسياسية ومليئا بالتهافت السياسي والطموح الشخصي وربما كانت هذه الثورة (وهي في الاصل حركة استقلال) وما تفرعت عنها من قيادات في سوريا والاردن والعراق ولبنان قد أخطأت في تقدير اخطار الصهيونية ولكنه من غير المعقول القول بأنها كانت تحارب حلا عادلا للقضية الفلسطينية قائما على اساس ايجاد دولتين في فلسطين اذ ان هنالك بجانب عدم وجود اي حد ادنى من العدل في مثل هذا الحل ، فان عدة ادلة كافية في تاريخ القيادات السياسية العربية والفلسطينية تشير الى انها كانت اقرب في تفكيرها السياسي وارتباطاتها البريطانية والفرنسية الى مشروع الدولتين منها الى مشروع ارساء السيادة العربية على فلسطين وان الذي افشل هذا التقارب كان نضال الشعب العربي والشعب الفلسطيني الذي وان كان كافيا لردع قيادات عام ١٩٤٧ عن قبول التقسيم الا انه لم يكن كافيا لمنع اقامة دولة اسرائيلية في فلسطين ولا زال هذا النضال قائما على اساس رفض وجود دولة صهيونية في وسطه. وبالنسبة لما يسميه الكاتب حلا عادلا للقضية الفلسطينية فانه منذ ظهرت المطامع اليهودية الصهيونية في فلسطين لم يظهر اي حل عادل للقضية الا اذا كانت مقاييس العدل تتغير وتتبدل حسب الظروف والاوضاع والاهداف التي تستعمل فيها هذه الكلمة .

يعتمد تفسير ابو شلباية لفشل مشروع اقامة دولتين بجانب الدور الذي يلبسه للقيادات الفلسطينية والعربية ، على نظرية وقوف المتطرفين من العرب واليهود في وجه الحلول المعتدلة . وملخص هذه النظرة هو ان المتطرفين من الجانبين الذين عارضوا ايجاد دولتين (حل التقسيم) هم من الجانب العربي العرب القوميون بقيادة الهيئة العربية العليا ومن الجانب اليهودي اليهود الصهيونيون بقيادة المتطرفين في الحركة الصهيونية ، ويسترسل قائلا ان معارضة هذين الطرفين هي التي افشلت مشروع التقسيم ووصلت بالقضية الفلسطينية الى ما هي عليه اليوم .

ان هذه النظرية تبدو قابلة للمناقشة اليوم فقط لان ما حدث بعد رفض التقسيم كان أسوأ بالنسبة لشعب فلسطين مما كان سيجره التقسيم في المدى القصير ولكن المعارضة الشعبية للتقسيم والتي كانت تنمو ببطء (وبدون تنظيم سياسي حزبي) في كل بيت عربي وفلسطيني وفي عقل وشخصية كل مواطن عربي وفلسطيني ، هذه المعارضة كانت مبنية على حدس بعيد الرؤيا عميق الابعاد في فهم مخططات الحركة الصهيونية لهذا فان سني اللجوء بعد عام ١٩٤٨ على الرغم من قسوتها وصعوبة الظروف التي رافقتها لم ينتج عنها رد فعل فلسطيني يطالب بالتقسيم بقدر ما نتج عنها رد فعل يطالب باعداد شعب فلسطين والشعوب العربية لخوض معركة استرداد فلسطين . وقد كرر رد الفعل هذا نفسه عام ١٩٦٧ حيث كانت جميع التوقعات الصهيونية قائمة على اساس ان نتائج الحرب ستعمل على ايجاد قيادات فلسطينية وعربية تقبل بالصلح والتعايش مع كيان صهيوني في فلسطين . ولكن الذي حدث فلسطينيا هو ظهور المقاومة الفلسطينية للاحتلال الجديد (١٩٦٧) والقديم (١٩٤٨) وعربيا التفاف الجماهير العربية التفافا شبه مطلق حول شعارات المقاومة واعادة بناء الجيوش واقامة وحدة عسكرية وسياسية وكلها شعارات أبعد ما تكون عن شعار اقامة دولتين في فلسطين احداهما صهيونية .

اما بالنسبة لاتهام الكاتب الدول العربية الدائرة في فلك السياسة البريطانية عام ١٩٤٨ — الاردن والعراق — (ص ١٨) بتشجيع الفلسطينيين على الهجرة والتهديد بقذف اليهود في البحر فان استعمال هذه الاحاجيج في هذا المضمار بالذات والقول بأن سيارات الجيش الاردني والعراقي اخذت تعمل ليلا ونهارا في نقل عشرات الالاف من اللاجئين الفلسطينيين الى شرق الاردن* فانه قول لا يحتاج فقط الى الاثبات ومعرفة جميع العوامل النفسية

* لقد اثبتت عدة دراسات محايدة من اهمها كتاب جون ديفيس « السلام المراوغ » — بالانكليزية — على ان الارهاب والدعاية الصهيونية والخوف من المستقبل هي العوامل التي لعبت الدور الاساسي في نزوح الفلسطينيين عن أراضيهم عام ١٩٤٨ ، كما ان من طبيعة الانسان انه لا يغادر ارضه لمجرد نداء او تحريض خارجي يوجه له الا اذا كان وراء هذا النداء خوف حقيقي على حياته .

والسياسية التي رافقت عملية الهجرة ولكنه يحتاج أكثر من ذلك الى تبيان المغزى الذي يقف وراء ترديد قصة لجوء وهجرة الفلسطينيين (وكأن الشعب الفلسطيني قبل باللجوء كبديل للتقسيم) خاصة وان الكاتب يستنتج من كل هذا بأن كل ما حدث تم لان القوى المتآمرة على الشعبين أفسدت الحل الصحيح للقضية (ص ٢٠) اي الحل الذي يدعو له الكاتب وهو اقامة دولتين في فلسطين .

الفصل الثاني : ماعز وضان : في هذا الفصل يقدم الكاتب صورة اخرى مشوهة للواقع السياسي والاجتماعي الذي عاشه الشعب الفلسطيني في الاعوام التي تلت عام ١٩٤٨ . والصورة مشوهة لان الكاتب على امتداد هذا الفصل يتحدث عن الفلسطينيين على انهم جماعة من المثقفين المتمدنين وعن الاردنيين على انهم جماعة من البدو الجهلة ، اي انه يتكلم من منطق التفرقة بين أردني وفلسطيني وبواسطة هذه التفرقة يحاول تفسير كل ما حدث بين الشعب والدولة او الشعب والسلطة في الاردن في العشرين سنة الماضية وقد أدى به موقفه التفريقي هذا الى اهمال دور الحركة الوطنية في الاردن اهمالا تاما . كما انه في هذا الفصل يلجأ ثانية الى التعميم والتبسيط فيصور الشعب الفلسطيني في الاردن « فريسة اللصوص المحترفين ... لصوص الدولة ولصوص وكالة الغوث ... ولصوص يرفعون شعارات التحرير وانقاذ فلسطين وتخليص اللاجئين » (ص ٣٢) . ويستنتج بعد ذلك من كل ما جرى للشعب الفلسطيني في الاردن نفس الاستنتاج الذي وصل اليه في الفصل الاول : اي اقامة دولتين في فلسطين (ص ٣٣) .

ان الاجهزة الاعلامية التي تريد ان تدفع الفلسطيني « في يأسه » الى تفضيل اسرائيل عن الاردن او التي تريد ان تدفع الاردني في يأسه الى فصل الاردن كليا عن القضية الفلسطينية هي أجهزة تتفق في الاسلوب والهدف على اعتبار اسرائيل القوة الوحيدة القادرة على حل القضية الفلسطينية وهذا بالذات ما تريده حكومة اسرائيل . (ونعني بهذه الاجهزة جميع الجهات الامريكية والاوروبية الغربية وابواقها في العالم العربي التي فهمت احداث الاردن عام ١٩٧٠ و١٩٧١ على انها صراع عمودي بين الفلسطيني ابن الساحل والاردني ابن الصحراء لكي تبني على ذلك ادعاءها بأن الفلسطينيين اقرب بتفكيرهم وطريقة معيشتهم الى الاسرائيليين اصحاب الخبرة والتجربة الاوروبية لهذا فان من الافضل لهم العودة للتفاهم مع الاسرائيليين) .

اذا اعتبرنا اللجوء الى التفرقة بين اردني وفلسطيني نوعا من السطحية في التفكير السياسي فذلك لاننا متأكدون بأن حركة التحرير الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية بطبيعتهما لا تقيمان وزنا لمسألة التفرقة ، اذ ان كلا الحركتين ترفضان الاحتلال وترفضان اقامة دولة فلسطينية بين الاردن واسرائيل وهما حركتان متفرعتان عن حركة التحرر والوحدة العربية والتفرقة الاقليمية لا مكان لهما في الفكر والممارسة السياسية لكلاهما وهما حريصتان على وحدة التراب الفلسطيني مثل حرصهما على وحدة الضفتين من الاردن .

الفصل الثالث : تسليم الضفة : في هذا الفصل يصور الكاتب ما حدث عام ١٩٦٧ استمرارا لما حدث عام ١٩٤٨ . اما دخول مصر الحرب فيعتبره توريطا لمصر في حرب مع اسرائيل (ص ٤٠) من قبل الملك حسين الذي يقول الكاتب انه اكمل ما بدأ فيه جده الملك عبدالله . والفصل بمجمله لا يخرج عن التحدث داخل حلقة التسليم والتآمر والتخاذل وليس فيه ما يستحق التعليق لانه ترديد لا مبرر له لما جاء في الفصل الثاني .

الفصل الرابع : المنظمات الفلسطينية : في هذا الفصل يلجأ الكاتب الى اسلوب اعمق تحليلا (نسبيا) للاحداث والظواهر التي رافقت حرب حزيران ١٩٦٧ . ويبدأ الفصل بالقول « ان الفرق الرئيسي بين حرب السويس ١٩٥٦ وحرب حزيران ١٩٦٧ هي ان حرب السويس وقعت بتحالف فعلي بين اسرائيل وكل من بريطانيا وفرنسا ومن وراء ظهر الولايات المتحدة الامريكية ، وحرب حزيران قامت بها اسرائيل برضى من الولايات المتحدة الامريكية مع بقاء بريطانيا وفرنسا على الهامش » (ص ٥١) . ويبني على هذا الفرق حكما سياسيا ملخصه ان الولايات المتحدة لا تريد هذه المرة فرض الانسحاب على اسرائيل من سيناء لانها تشاركها بجني ثمار الاحتلال ولان الولايات المتحدة غير راضية عن علاقة مصر بالاتحاد السوفياتي ، اما الانسحاب من الضفة الغربية والقدس العربية فانه متعلق بالمراهنة الامريكية على الملك حسين وعلى الشعب الفلسطيني او عليهما معاً (ص ٥١—٥٢). ظهور المقاومة — وبالذات منظمة فتح — يرجعه الكاتب الى سبب غريب هو مرور فترة طويلة دون

ايجاد حل « وامتداد الامور بشكل واسع وسريع الى الاوساط الشعبية ... وتمثل هذا الامتداد في ظهور المنظمات الفلسطينية » . واذا كان الكاتب هنا يستثني فتح استثناء متحفظا باعتبارها ظهرت قبل عام ١٩٦٧ فانه يفسر هذا الظهور « بالحياة القاسية التي عاشها الفلسطينيون » . ثم يوجه للمنظمات قائمة من الانتقادات والنصائح بأسلوب « لو .. ويا ليت ... واذا لم .. » من مستوى ما ظهر من مقالات مطبوخة بسرعة في الصحافة العربية قبل وبعد أيلول ١٩٧٠ . ثم يعدد الكاتب اسباب ضعف المقاومة فيقول انها « انتهازية الدول العربية ... مخططات التصفية ... تدخل الانظمة واستغلالها للمنظمات ... سرعة انبثاق المنظمات وضيق الوقت المتاح لها » . ثم يستنتج من هذه العجالة في تعداد الاسباب بأن المقاومة بقيت « تتأرجح بين أهداف غير واضحة ، وغير واقعية ، وجعلها بالتالي ترسو حول شعار خيالي يطالب بدولة « فلسطينية ديموقراطية للمسلمين واليهود والنصارى » ورفع شعار التحرير من النهر الى البحر ، وازالة الكيان الصهيوني ، والدولة اليهودية ، فوقعت بذلك في نفس الخطأ الذي وقعت فيه الهيئة العربية العليا (الفلسطينية) اثر اعلان قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ » (ص ٥٥) .

وفي تعرضه للدولة الديموقراطية يبدو ان الكاتب لم يوفق في فهم الشعار او فهم محتواه ، فهو يقول : « ان اقامة دولة فلسطينية واحدة للعرب واليهود يعني سيطرة الصهيونية على فلسطين كلها عسكريا واقتصاديا » (ص ٥٦) لان وراء يهود اسرائيل القوة العسكرية ويهود العالم الاغنياء والثقافة والخبرة والتصنيع ، بينما ليس وراء الفلسطينيين سوى انظمة عربية متناحرة ومجتمعات نصف عشائرية ونصف اقطاعية (ص ٥٦) . وفي طرح المعادلة بهذا الشكل خطآن كبيران . الخطأ الاول هو الاعتقاد بأن اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية يمكن ان يتم دولة تحرير الارض الفلسطينية بأكملها ودون تغيير البنية السياسية والاقتصادية في اسرائيل والدول المحيطة بها ، والخطأ الثاني هو اعتقاد ابو شلبابة ان اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية كما تطرحها المنظمات الفلسطينية هو مسألة تناحر او منافسة بين مجتمعات متأخرة واخرى متقدمة وبالتالي اعتبار اسرائيل نموذجا للدولة المتقدمة . والظاهر ان ابو شلبابة لم يكتف بنسف شعار الدولة الديموقراطية فقد اضاف للموضوع قوله ان « تجارب البلدان ذات القوميات المتعددة مثل قبرص والعراق والسودان قد اكدت استحالة تعايش تلك القوميات في دولة واحدة بينما يصبح تعايشها ممكنا جدا اذا اقيمت لكل قومية دولة خاصة » (ص ٥٦) .

وكما يسقط الكاتب شعار الدولة الديموقراطية يسقط كذلك شعار « التحرير من النهر الى البحر » ويتهم المقاومة بأن رفعها لهذا الشعار « يعني ببساطة انها لم تستطع تقييم وزنها المحلي والعربي والدولي » (ص ٥٧) . ان هذا الكلام معروف بالادب السياسي تحت اسم الانهزامية العقلانية او الانهزامية الواقعية . اما نبوءة الكاتب بأن هذه الشعارات ستجعل المنظمات تلاقي نفس مصير الهيئة العربية العليا فهو دليل فهم غير ذكي للتاريخ ولتطور عقليات الشعوب وقياداتها . اما البديل عن الشعارات المذكورة فهو في رأي المؤلف « العمل الدبلوماسي ... والتخلص من امراض الستالينية والطفولة ... ومظاهر سيطرة عقلية الطبقة الوسطى » (ص ٥٧) . وهذا البديل لا يفهم منه شيء سوى عدم الايمان بالمقاومة وعدم فهم المكان الذي تحتله منذ ظهورها فلسطينيا وعربيا ودوليا . ان عملية انتقاء الاسلوب والتنظيم في العمل الفدائي عمل سبق وان قامت به المنظمات نفسها ضمن عملية النقد الذاتي التي تلت احداث أيلول ١٩٧٠ ولكن ابو شلبابة يستنتج او يريد ان يستنتج امورا اخرى من هذه الانتقادات ، امورا تتماشى ضمنا مع نوعية التفكير التي مهد لها وشرحها في الفصل الاول من الكتاب . وللدلالة على هذه النوعية من التفكير نورد المثل التالي : يقول الكاتب في صفحة ٦٤ « ان الخطأ الاكبر للمقاومة هو رفض الخطوة المصرية التي خطاها الرئيس جمال عبدالناصر عندما وافق على مقترحات وليام روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية » (ص ٦٤) . ان ابو شلبابة يلوم بأسف شديد المقاومة لعدم تأييدها مشروع روجرز لان حكومة مصر وعبدالناصر وافقا على المشروع . والظاهر ان ابو شلبابة لم يقرأ بتمعن الفقرة في مشروع روجرز التي تشترط انهاء العمل الفدائي كشرط اساسي لقيام حل امريكي للقضية كما انه لم يلاحظ ان هنالك اختلافا كبيرا بين منطلق القبول بالحلول الامريكية للقضية الفلسطينية ومنطلق التحرير الذي يقوم عليه فكر

المقاومة المسلحة والمنظمات الفلسطينية . وينسى الكاتب انه ذكر في صفحة ٥١ من كتابه ان الولايات المتحدة هي التي تجني هذه المرة ثمرات انتصار اسرائيل . ونحن نقول ان مشروع روجرز هو اكبر ضمانة لجعل هذه الثمار مضمونة الى الابد فيما لو نفذ وكانت المقاومة الفلسطينية والمنظمات التي تقودها ثمنا لتنفيذه .

الفصل الخامس : ماذا يريد الفلسطينيون : يوحي هذا العنوان للفصل الاخير من الكتاب ان الكاتب بعد الجهد الذي ابداه في الفصول الاربعة السابقة قد توصل الى معرفة ما يريد الفلسطينيون فهو يقول في مطلع هذا الفصل « انه يستطيع ان يدعي بانه يتحسس بعمق مطالب الغالبية الساحقة من شعبنا الفلسطيني في المناطق المحتلة » (ص ٦٩) . وكأن التاريخ يمكن ان يقوم على اساس احاسيس فرد ما . وفي هذا الفصل المليء « بالتحسس العميق لمطالب اغلبية الشعب الفلسطيني » كما يدعي الكاتب يحاول ابو شلباية تقييم المواقف الفكرية والسياسية للشعب الفلسطيني . وينتهي هذا التقييم بدعوة المنظمات الفلسطينية الى تبني فكرة اقامة دولة فلسطينية خاصة بالشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وذلك لاعتقاده بانه يعرف ماذا يريد الشعب الفلسطيني في هذه المنطقة .

فالشعب الفلسطيني براي ابو شلباية يريد التالي : ١) ان يكون للفلسطينيين جناح سياسي — دبلوماسي يؤمن بالعمل الدبلوماسي (ص ٧٣—٧٤) . ٢) السير مع مصر في سياسة الحل السلمي . ٣) منح الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير على اساس التقسيم واقامة دولتين . ٤) التعويض عن اللاجئين الفلسطينيين وعلى اليهود اللاجئين الى اسرائيل من دول عربية (ونريد ان ننبه الكاتب هنا ان هذا المطلب يتردد على لسان الرسميين الاسرائيليين في كل مناسبة تناقش فيها مشكلة اللاجئين الفلسطينيين دوليا). ٥) ان تكون القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية والقدس اليهودية عاصمة لاسرائيل على ان تظل مدينة موحدة .

ويعتقد الكاتب ان مطالب الفلسطينيين هذه يمكن ان تتحقق في حالة وضع المناطق المحتلة تحت اشراف الامم المتحدة لفترة من الزمن الى ان تقوم فيها انتخابات برلمانية قائمة على الديموقراطية البرلمانية وتعدد الاحزاب . فالشعب الفلسطيني كما يرى الكاتب قد مل الدكتاتورية والحكم الفردي وهو يريد الديموقراطية الحزبية البرلمانية . ويستغرب الكاتب في ص ٧٥ معارضة المنظمات الفلسطينية للدولة الفلسطينية المقترحة كما يستغرب الحملة الاعلامية التي تشنها المنظمات باستمرار على مشروع هذه الدولة حاليا ويقول ان بديل هذه الدولة هو احد اختيارين « الاحتلال او العودة للنظام الاردني » . ولا يتردد على بال ابو شلباية ان التحرير قد طرح نفسه كبديل اكثر قدرة على الاقناع ليس فقط منذ عام ١٩٦٧ ولكن منذ عام ١٩٢٠ مرورا بعام ١٩٣٦ و١٩٤٨ عندما رفض الشعب الفلسطيني كل الحلول التي كانت تدور حول التقسيم .

ويعتبر ابو شلبايه الدعوة ضد « الدولة الفلسطينية المتعايشة مع اسرائيل » عملا يقوم به « مندسون في اعلام المنظمات » (ص ٧٥) . ويستمر في هذا الادعاء فيقول ان « البعض الذين يهاجمون الدولة الفلسطينية قد انعزلوا عن الشعب وهم يجهلون جهلا تاما الواقع الجديد الذي أخذ يحدث في المناطق المحتلة ... في افكار الناس وفي اوضاعهم الاقتصادية والامنية ... انهم يجهلون ويتجاهلون انه كان لديموقراطية اسرائيل تأثير على عقول الناس وان عشرات الالاف من العمال اخذوا لاول مرة يتقاضون رواتب لم يكونوا يحلمون بها وكانوا جميعا ايام الحكم الهاشمي يتضورون جوعا » (ص ٧٦) .

علينا عند هذا الحد وبعد النقاط التي أبديناها حول آراء اخرى مشابهة في الكتاب ان نتصدى بشدة لهذا النوع من رؤية الامور ، اذ انه لا يمكن باي منطق كان (وحتى لو افترضنا ان حياة الانسان تقوم على اساس مادي مطلق) وتحت اي اعتبارات موضوعية كانت او ذاتية لا يمكن بتاتا اعتبار الاحتلال يؤثر ايجابيا في عقول الناس وظروف معيشتهم، كما لا يمكن التصور ولو تحت اشد انواع المؤثرات السيكولوجية والمادية على الفرد او الجماعة ان هنالك رفاهية وديموقراطية وعدالة اجتماعية تحت اي نوع من انواع الاحتلال . فكل التقارير والتجارب التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال تشير الى ان مخطط تنفيذ الاستيلاء النهائي على المناطق المحتلة يقوم على اساس محاولة التعويض عن الحكم العسكري بخلق مظاهر رفاهية شفافة ، انها مشاريع البناء والتعمير وشق الطرق التي تقوم بها سلطات الاحتلال في القدس وغزة وغيرها فانها تقوم على اساس خدمة الاهداف

الاستراتيجية وبرامج الاستيطان والهجرة الصهيونية ولتسهيل عمليات الكشف والايقاع بحركة المقاومة المسلحة وعناصرها الفعالة .

اما مخطط الاغراء الاقتصادي والاشباع المالي لفئات التجار والمستثمرين (منح القروض والديون السهلة) فانها وان كانت تبدو ظاهريا نوعا من التسهيلات المالية لبعض المجالات الاقتصادية (مثل الاستيراد عن طريق اسرائيل او تسويق البضائع الاسرائيلية) فانها عند التمعن في دوافعهـا ونتائجها لا يمكـن تفسيرها خارج اطار برنامج دمج الحياة الاقتصادية العربية في المناطق المحتلة في المؤسسات الاسرائيلية القائمة تمهيدا للهيمنة كليا على جميع فروع الانتاج والتسويق والخدمات في تلك المناطق — وان اي تفسير متسرع لهذه الامور خارج هذا الاطار مرفوض كليا سواء كان مبنيا على نظرية « الاستعمـار الاصلاحي » او نظرية « الرفاهية قبل الحرية » .

اما مسألة العمال وارتفاع دخولهم فيكفي للدلالة على رفض قبول مثل هذه المسألة لتبرير ادعـاء « ديموقراطية اسرائيل » الاشارة الى ان نسبة العمال بين المقاتلين والمنتظمين في حركة المقاومة تتعدى الـ ٥٠ ٪ ونسبتهم بين الذين يقبعون في سجون اسرائيل والمناطق المحتلة لا تقل عن ذلك .

في هذا الفصل الاخير يتطرق ابو شلبايه الى النظام الاجتماعي والاقتصادي للدولـة المقترحة فيرفض الاشتراكية ويقدم فيها آراء غريبة مثل قوله انها لا تعني سوى « زيادة الفقر والبطـالة والتشرد » وطالما ان الشعب الفلسطيني في رأي الكاتب ابو شلبايه يرفض الاشتراكية فان « مسؤولية كبرى تلقى على عاتق واشنطن تجاه الشعب الفلسطيني » (ص ٨٣) . وعليه فالكاتب يطالب الولايات المتحدة تقديم العون والمساعدة والحماية للدولة الفلسطينية مذكرا اياها بمبادىء واشنطن ولنكولن .

وينهي الكاتب كتابه هـذا بتفاؤل مفاجىء ويطمن الدول العربية بأن الدولة الفلسطينية التي يدعو لها ستصبح في المستقبل جزءا من جمهورية عربية كبرى تضم بين دولها اسرائيل ايضا .

كلمة اخيرة لا بد منها قبل ختام هذا الرد الاولي على كتاب ابو شلبايـه « لا سلام بدون دولـة فلسطينية حرة » — كان من الاسهل علينا قبل البدء في عرض رأينا في الكتاب ومحتويات فصوله الخمسة ان نعتبره غير ذي قيمة ولا يستحق المناقشة وعليه فالافضل اهماله ولكننا ، كما بينا في مطلع البحث ، لا نعتبر الكتاب اكثر من نموذج للاطلاع على نوع من التفكير المنتشر ليس فقط لدى اشخاص في المناطق المحتلة . فهذا النوع من التفكير وان كان يعبر عن نفسه بكثير من الحذر والمداراة والهمس داخـل وخارج المناطق المحتلة الا انه يتخذ بين فترة واخرى شكل قفـزات فكرية مفاجئـة ترافق التحركات السياسية لجماعة فكرة دولة فلسطينية في الضفة الغربية او فكرة اتحاد فيدرالـي بين اسرائيل والضفة الغربية والضفة الشرقية . ولان مثل هذه المشاريع ، سواء جاء الاعلان عنها في مقالات او كتب او اتصالات سياسية ، تشكل جزءا خطيرا من حملة اجهاض حركة رفض الاحتلال في المناطق المحتلة فان التصدي لها وافراغها من اي وزن سياسي فلسطيني يتطلب اولا معرفتها بالضبط ومن ثم معرفة مصدرها والمحيط الاجتماعي والاقتصادي الذي تنتج عنه . وهذه الافكار التي وردت في الكتاب المذكور في حالة اعتبارها تمثل اتجاها فكريا ناتجا عن صدمة الهزيمة واستمرار الاحتلال يأتي خطرها ليس فقط لمجرد وجود فئـات لا زالت تستطيع التصريح والاعلام عنها ولكن في خطر تحويلها الى هدف سياسي لتجمع سياسي محلي في الضفة الغربية وقطاع غزة ومطالبة المقاومة بتبنيها (ص ٦٩) .

اما ما يقدمه الكتاب لتوضيح الهوة الفكرية التي تفصل بين فكر المقاومة وفكر بعض قطاعات المثقفين في الضفة الغربية فيمكن تلخيصه بالنقاط التالية :

اولا : لقد اعتمدت المقاومة ومنظماتها اعتمادا نسبيا على الاعلان عن العمليات العسكرية ولم تستطع لغاية الان ربط الشعب الفلسطيني في الداخل (سياسيا) بتنظيماتها القائمة وهذا يعود بالدرجة الاولى الى عدم وجـود تنظيم سياسي جماهيري للمقاومة في داخل المناطق المحتلة وبالدرجة الثانية على انعدام أدب واعلام المقاومة الشعبية في فلسطين والاردن قبل عام ١٩٦٧ أصلا واشتراك جميع الاجهزة الاعلامية العربية آنذاك في شطب موضوع المقاومة المسلحة والدفاع المدني والمناعة الفكرية ضد افكار العدو مـن برامجها والاكتفاء بالتنديد بالصهيونية واستنكار اسرائيل والتحدث عن عدو لا نعرف عنه سوى انه استولى على جزء من فلسطين عام ١٩٤٨ ، اما مقاومة هذا العدو ومواجهته سياسيا واقتصاديا وعسكريا فلم يكن لها وجود في أعلام الخلاص الذي سينزل من السماء .

ثانيا : مما لا شك فيه ان تراجع المقاومة النسبي بعد أيلول ١٩٧٠ قد اوحى للذين لم يقتنعوا بشعاراتها ولم يؤمنوا بأهدافها ان الوقت قد حان للتعبير عن بديلهم للمقاومة وساعدهم في ذلك ان الفرد او الجماعة التي تعيش تحت شروط الاحتلال (وخاصة الفرد الذي لا يملك الصلابة النضالية والعناد الثوري) تتأثر بما تراه وتسمعه وتلمسه من قبل العدو*. وينتج عن هذه الاوضاع والاعتياد عليها نوع من التفكير والتصرف الذي يبدو واقعيا بمقاييس المعيشة اليومية ولكنه عندما يقاس بمصير شعب ومستقبل اجيال قادمة يبدو فكرا انهزاميا استسلاميا وربما يكون عدم التفكير كليا افضل منه (المقاومة السلبية القائمة على اهمال وجود الاحتلال وعدم التعامل مع مؤسساته ودوائره وعدم البيع او الشراء من مؤسساته التجارية والتسويقية ورفض التحدث او الحوار معه واغلاق جميع الابواب الاجتماعية في وجهه) .

ثالثا : ان القاعدة الاساسية لتعبئة الجماهير سياسيا وراء المقاومة تبدأ بايصال فكر المقاومة لها وخلق جماعات وحلقات ومراكز لانتقال وتفاعل واتصال الاشخاص والافكار التي تدعم موقف رفض الاحتلال . واذا كان هذا يبدو شبه مستحيل في ظروف احتلال مثل الاحتلال الاسرائيلي وما يرافق هذه الظروف من تحركات محلية وعربية ودولية تحوم حول امكانيات صلح وسلم يرضي الجميع الا انه لا يبدو مستحيلا كليا مع وفرة السكان ووجود الاتصال اليومي بينهم بالاضافة الى الاذاعات ومحطات التلفزيون العربية والفلسطينية والمقابلات واللقاءات بين آلاف من الاهالي في المناطق المحتلة واقربائهم واصدقائهم من خارج هذه المناطق .

رابعا : لا بد من فتح حوار علمي وديموقراطي بين الثورة وقيادتها في الخارج والشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة وفي مناطق التجمعات الفلسطينية في الخارج اذ انه ثبت بأن المجلس الوطني الفلسطيني لم يوفر الساحة اللازمة لمثل هذا الحوار . ووسائل ايجاد هذا الحوار تعتمد على الظروف والاماكن والمواضيع وهي وسائل ليست معدومة او مستحيلة فالثورة وقيادتها يجب ان تكون على لقاء مستمر مع جماهيرها . وليس من شك بأن اعلام المنظمات الفلسطينية عمل الكثير على بلورة افكار عديدة اصبحت الان جزءا من تفكير كل فلسطيني وكل عربي مؤمن بالثورة . (من هذه الافكار مثلا الايمان بالتحرير والكفاح المسلح ورفض الحلول الاستسلامية ووجوب خلق اوضاع اقتصادية واجتماعية تساعد على عملية التحرير واقتران الوحدة بالتحرير) . ولكن المهم حاليا هو تحويل هذه الافكار الى مؤسسات وقرارات والى طريقة في التصرف بحيث يصبح من الممكن سد اي فجوة اعلامية يمكن لكتاب من نوع الكتاب المطروح على البحث ان ينفذ منها ويجد تجاوبا لما يدعو اليه . وهذا يتطلب وضع اهمية قصوى على الاعلام الداخلي للثورة وعدم الاعتماد فقط على الشعور الطبيعي العفوي في رفض الاحتلال وكذلك توسيع مفهوم الاعلام لكي يشمل الثقافة والتربية الثورية وزرع الثقة بالقيادات وكفاءاتها .

وفيما يخص الدولة الفلسطينية الديموقراطية (الدولة التي سيتم قيامها بعد تحرير فلسطين ويكون اليهود فيها مواطنين كالعرب ويخضعون لدستور الدولة وليس لهم دستور يميزهم عن باقي المواطنين وتمنح لهم نفس الحقوق الممنوحة للمواطن الفلسطيني) ... كبديل للاحتلال وكبديل للدولة الفلسطينية في الضفة الغربية يجب التركيز على اشتقاق معالم هذه الدولة ونظامها الاجتماعي والحلول التي ستقدمها للمسألة اليهودية من خلال النضال اليومي ومن خلال نماذج الكفاح المسلح وتصرفات القائمين به والقائمين عليه واذا كانت الصهيونية والدول الرأسمالية قد لجأت الى حل المسألة اليهودية باقامة دولة صهيونية في فلسطين فان مفهوم الشعب الفلسطيني والشعب العربي للمسألة اليهودية لا يقوم على اساس اللاسامية والخلاص من اليهود ولكنه قائم على اساس التعايش مع اليهود كجزء من امة وحضارة عربية معادية للاستعمار الغربي وللصهيونية .

خامسا : ان المواطن الفلسطيني في المناطق المحتلة يقع حاليا فريسة لحرب نفسية تتكون اسلحتها من

* يقول ابو شلبايه في هذا الصدد ان هنالك شخصيات فلسطينية كانت تؤيد فكرة الدولة الفلسطينية المتعايشة عندما كانت هذه الشخصيات متواجدة في الضفة الغربية بعد الاحتلال مباشرة ولكنها أصبحت تعارض وتحارب هذه الفكرة عندما أصبحت خارج المناطق المحتلة وقريبة من المنظمات .

الاحتلال والاعتقال والارهـاب والتخويف والتهديد وتتوجه هذه الحرب الى تركيبه الفكري حيث تتنازع بنيته الفكرية عدة جهات تتكلم معه بلهجات مختلفة واساليب متعددة (اذاعة ـ تلفزيون ـ جريدة ـ اشاعة ـ تحقيق بوليس ـ توقيف ـ استجواب ـ الخ) تشترك جميعها في الغاء هويته الفلسطينيـة وانتزاع ما ورثه من قيم ومفاهيم تقوي تعلقه بالارض وبحقه في تقرير مصيره على هذه الارض بالـذات وتضعف ايمانه في جدوى الدفـاع عن هذا الحق بجميع ما هو قادر على استعماله من ادوات الدفاع.

وكتاب ابو شلبايه يمكن اعتباره « حـرب نفسية اهلية » اي انه يتكلم مع الفلسطيني كفلسطينـي ويضع نهاية الاحتلال كبداية لاي حل ، ولكن نهاية الحل عنده هي بداية الدولة الفلسطينية المتعايشة مع الكيان الصهيوني . ويظهر كتابه هذا في اواخر عام ١٩٧١ في الوقت الذي بدأت سلطات الاحتلال فيه تفكر « جديا » في اقامة انتخابات بلدية تحـت الاحتلال كخطوة اولى لاضفاء الشرعية على الاحتلال وايجاد مرتكز فلسطيني محلي يتماشى مع مخطط الاستيلاء والاستيطان .

بقي ان نقول بأن انفصال الجبهة الداخلية للثورة عن الجبهة الخارجية وعدم توفر قيادة وحزب وجبهة وطنية تقوم بوظائف تحريك الوحدة الوطنية باتجاه مقاومة الاحتلال كان عامـلا شبه مـلازم للكفـاح الفلسطيني ضد الصهيونية وان الثورة الفلسطينية، وان توفر لديها الفكر السياسي الواضح والهدف القريب والبعيد المدى ، الا انه لم تتوفر لها الاداة الموحدة لترجمة هـذا الفكـر الى عمـل سياسي وعسكري الا لفترة قصيرة خلال احـداث ايلـول ١٩٧٠ في الاردن وبعد هذه الاحداث عادت التكتلية في الخارج الى وضعها السابق . اما في الداخـل فقد اوجد غياب هذه الاداة الموحدة ساحة سياسية فيها مكان كاف لتحركات فلسطينية معروفـة حتى قبل ١٩٦٧ ولاراء فلسطينية معروفة ايضا حتى قبل ١٩٦٧ والكتاب الذي امامنا الان هو نموذج لهـذه الاراء .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

كتـاب

العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨

بقلـم

حبيب قهوجي

يقدم حبيب قهوجي المناضل الفلسطيني ومؤسس حركة الارض في فلسطين المحتلة ، يقدم في هذا الكتاب سجلا كاملا لحياة العرب تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ مدعوما بالوقائع والشواهد والاسماء التي لا يمكن لاي باحث ان يلم بها ما لم يكن قد عاشها بنفسه . والكتاب عمل ضخم يقع في احد عشر فصلا تتناول الوضع السكاني والجغرافي والطائفي والمهني والاجتماعي والتعليمي والثقافي لعرب الارض المحتلة ، كما تتناول السياسات الاسرائيلية تجاه الاراضي العربية ويقدم بالوقائع شواهد مذهلة عن صمود القرية العربية وعن تمسك العرب بهويتهم الوطنية رغم كل الوسائل الرامية الى تشويه هذه الهوية وطمسها.

٥٩٠ صفحة من الحجم الكبير ١٠ ل. ل.

اسرائيليات

البنك المركزى الاسرائيلي : الدكتور يوسف شبل

تلعب المصارف المركزية في البلدان النامية والبلدان المتقدمة على حد سواء دورا كبيرا في تحقيق الاهداف الاقتصادية التي ترسمها الحكومات المعنية والتي تتلخص عادة في تحقيق معدل مرتفع للنموالاقتصادي وزيادة حجم العمالة وتحقيق الثبات الاقتصادي . ويختلف حجم الدور باختلاف النظام الاقتصادي السائد وطبيعة تركيبه ومدى تطور السوق المالي والوزن الذي يعطيه النظام الاقتصادي للسياسة النقدية كأحد ادوات السياسة الاقتصادية . على انه يمكن القول بان هنالك وظائف يؤديها البنك المركزي عادة مهما بلغ الخلاف في العوامل المشار اليها، وهذه الوظائف هي: ١ ــ القيام بطبع النقود والاشراف على كمية النقد المتداول . ٢ ــ مراقبة نشاط المصارف التجارية للتأكد من سلامة عملياتها والتزامها بحد ادنى من السيولة لايجاد توازن مقبول بين عاملي المخاطرة والربح . ٣ ــ مد المصارف التجارية بما تحتاجه من سيولة في اوقات الازمات والتقتير عليها عندما تبدو اثار تضخمية في الاقتصاد. ٤ ــ التاثير على كمية وسائل الدفع عن طريق التاثير على حجم الاحتياطي المتوافر للمصارف التجارية من خلال وسائل اربع : ا ــ عمليات السوق المفتوحة . ب ــ تقييد سعر الحسم ج ــ تقييد نسبة الاحتياطي للمصارف التجارية اي النسبة بين الموجودات السائلة والمطلوبات . د ــ التاثير الكيفي على حجم التسليفات عن طريق تحديد الحد الادنى الذي يتوجب على المستهلك دفعه لامتلاك موجودات سائلة معنية . ٥ ــ قبول ودائع من الحكومة والمصارف التجارية وبالتالي القيام بدور المصرف لكل من الحكومة والمصارف التجارية . ونجاح البنك المركزي في تحقيق اهدافه يتوقف على توفر شروط ثلاثة : ا ــ وجود قانون نقد وتسليف مرن قادر على استيعاب كافة التطورات المالية ويستطيع ان يوفر للبنك المركزي مسالك العمل . ب ــ وجود سوق مالي متطور وشامل بحيث يستوعب المصارف التجارية والمصارف الاستثمارية ومصارف الرهونات . وهذا التطور والشمول ضروري لنجاح اي سياسة نقدية يقررها البنك المركزي . ج ــ توفر ادارة حكيمة للبنك المركزي تستطيع استقراء المؤشرات النقدية والمالية بحيث تتدخل في الوقت المناسب لاتخاذ الاجراء المناسب . ورغم ان التنسيق ضروري بين البنك المركزي ووزارة المالية حتى لا تتضارب السياسة النقدية مع السياسة المالية ، فقد درجت معظم بلدان العالم على اعطاء البنك المركزي نوعا من الاستقلال في العمل حتى لا يقع تحت اية مؤثرات خارجية قد تجعله غير قادر على القيام بمسؤولياته .

فترة ما قبل البنك المركزي

لم يكن للبنك المركزي الاسرائيلي وجود بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٤ رغم ان هذه الفترة كانت حافلة بالمشاكل الاقتصادية . وقد قامت وزارة المالية بدور البنك المركزي خلال هذه المدة حيث كانت قيمة على كل من السياسة المالية والنقدية في البلاد . ولم يكن غياب البنك المركزي مجرد صدفة بل هو نتيجة عوامل عديدة وسياسة مرسومة تتلخص بما يلي :

اولا : ان الجهاز المصرفي الاسرائيلي كان في فترة انتقال من عهد الانتداب البريطاني حيث تمت تصفية البنوك العربية وضعف مركز البنوك الاجنبية مثل بنك باركليس والبنك العثماني . كما ان المصارف الاسرائيلية لم تكن قد تبلورت بعد بشكلها الحالي اذ ظهرت الى الوجود « تعاونيات مالية » لا تملك خصائص المصارف التجارية تماما .

ثانيا : ان وضع الليرة الاسرائيلية لم يكن قد استقر

تماما نظرا لوجود الجنيه الاسترليني في التداول خلال فترة طويلة من الزمن اثناء وجود الانتداب البريطاني .

ثالثا : ان طبيعة المشاكل التي واجهت الاقتصاد الاسرائيلي في تلك المرحلة كانت وثيقة الصلة بالسياسة المالية اكثر من ارتباطها بالسياسة النقدية . فامتصاص الاعداد الكبيرة من المهاجرين اليهود وبناء مرافق السكن والمواصلات والتجهيزات الانشائية الاخرى دفع الحكومة الاسرائيلية الى ممارسة سياسة « الانفاق بعجز » على نطاق واسع . كما ان الحكومة كانت تحدد اسعار كثير من السلع الامر الذي جعل وجود سياسة نقدية امرا ثانويا في تلك المرحلة . وخلال الفترة ما بين عام ١٩٤٩ — ١٩٥١ لم تحاول الحكومة الاسرائيلية تحديد حجم التسليفات التي يمنحها القطاع المصرفي، ذلك ان الحكومة نفسها كانت تستعمل النظام المصرفي لتمويل سياسة « الانفاق بعجز » على نطاق واسع . فقد تركت السندات الحكومية التي بحوزة الجمهور على اساس انها موجودات سائلة وبالتالي شكلت قاعدة للتوسع في حجم التسليفات. وكانت اول محاولة لتحديد الحد الادنى للسيولة قد جرت في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٥٠ حين قررت وزارة المالية ان تلتزم المصارف العاملة بنسبة سيولة على مجموع ودائعها في حدود ٤٥٪[1]. وفي نيسان (ابريل) ١٩٥١ قررت وزارة المالية رفع النسبة المذكورة الى ٥٠٪ في محاولة للحد من التوسع النقدي الكبير الذي بدأت اثاره تظهر على مستوى الاسعار . وحيث ان الرقابة على حجم الاحتياطي لدى المصارف التجارية لم تكن شديدة فقد كانت المشكلة التي واجهت وزارة المالية آنذاك هي في كيفية الحد من قدرة المصارف التجارية على استعمال احتياطيها للتوسع في التسليف وكيفية توجيه هذه التسليفات نحو المجالات الانتاجية التي تريد الحكومة تشجيعها مثل قطاع الصناعة . ويمكن القول بأن هذه الفترة كانت انتقالية ولم تكن هنالك حاجة ماسة لانشاء بنك مركزي .

انشاء البنك المركزي

في الرابع والعشرين من اب (اغسطس) ١٩٥٤ أقر الكنيست القانون الخاص بانشاء أول بنك مركزي في اسرائيل وفي الثالث من ايلول (سبتمبر) من نفس العام اصبح القانون موضع التنفيذ عندما تم نشره في الجريدة الرسمية . وسنحاول ان نوجز للقارىء اهم بنود هذا القانون وهو يقسم الى ثلاثة عشر قسما تحت العناوين التالية :
١ — تفسير القانون . ٢ — بنك اسرائيل واعماله. ٣ — رأس مال البنك ، صندوق الاحتياط ، وتوزيع الارباح . ٤ — الحاكم ونائب الحاكم صلاحيات ومهام كل منهما . ٥ — اللجنة الاستشارية والمجلس الاستشاري طريقة تعيينهما واعمالهما . ٦ — وسائل الدفع . ٧ — اعمال القطع الاجنبي . ٨ — الاعمال التسليفية للبنك . ٩ — تنظيم سيولة المؤسسات المصرفية . ١٠ — تنظيم التسليفات المصرفية . ١١ — البنك كوكيل مصرفي ومالي للحكومة . ١٢ — نشر التقارير وتدقيق البيانات المالية . ١٣ — احكام متفرقة .

القسم الاول يحدد التعاريف الواردة في القانون في حين ان القسم الثاني (المواد ٢ — ٤) يحدد اعمال البنك على انه يهدف الى ما يلي :
١ — تثبيت قيمة العملة في اسرائيل وخارجها .
٢ — العمل على تحقيق مستويات مرتفعة للانتاج والدخل والعمالة واستثمار رؤوس الاموال في اسرائيل .

وفي القسم الثالث (المواد ٥ — ٧) يحدد القانون كرأس مال البنك بعشرة ملايين ليرة اسرائيلية وذلك عن طريق قيام الحكومة الاسرائيلية باصدار ما قيمته عشرة ملايين من السندات المالية وايداعها لدى البنك المركزي على ان تقوم الحكومة بتسديد هذه السندات على اقساط حسب اتفاق بين حاكم البنك المركزي والحكومة . وتنص المادة السادسة من القسم الثالث على ان يقوم البنك بايجاد صندوق احتياطي حيث تودع فيه الارباح المتحققة من عملياته حتى تتساوى قيمتها مع رأس مال البنك . ويحدد القسم الرابع (المواد ٨ — ١٩) من القانون صلاحيات وسلطات حاكم المصرف ونائبه كما يحدد مدة تعيين الحاكم بخمس سنوات يمكن اعادة انتخابه بعد انتهاء المدة . كما حرمت على المرشح ان يكون نائبا في الكنيست او ان يكون حاملا لاسهم في مصارف تجارية .

ويدعو القسم الخامس من القانون (المواد ٢٠ — ٢٦) الى انشاء لجنة استشارية ومجلس

١ — Economic Planning Authority, *Israel Economic Development* (Jerusalem: Govt. Press, 1968), p. 235.

استشاري تكون مهمة اللجنة فيها تقديم كافة الاستشارات للحاكم بينما تكون مهمة المجلس تقديم المشورة فيما يتعلق برسم وبند السياسة النقدية.

اما القسم السادس (المواد ٢٧ — ٣٥) فيحدد وسائل الدفع في الاقتصاد الاسرائيلي ومسؤولية البنك المركزي تجاه النقد المطبوع والمتداول وضرورة الاحتفاظ بغطاء مقابل هذا النقد . وتنص المادة (٢٩) على ان جميع النقد هو التزام بالدفع من قبل البنك المركزي وان على البنك المذكور ان يحتفظ بموجودات تمثل غطاء للنقد المتداول . وقد استثنت المادة المذكورة النقد الذي بحوزة البنك المركزي واعتبرته لا يشكل جزءا من موجوداته ومطلوباته .

وفي القسم السابع (المواد ٣٦ — ٤١) يتناول عمليات القطع الاجنبي التي يستطيع البنك المركزي القيام بها ويحصر التعامل مع الحكومة والوكالة اليهودية «والكيرن كيميت» ومؤسسة مصرفية واحدة خارج اسرائيل ومؤسسة مالية دولية . وتنص المادة (٣٨) على انه يمكن للبنك المركزي ان يقترض من مؤسسات دولية وحكومات اجنبية وان يكفل هذا القرض برهن بعض موجوداته بعد اخذ موافقة الحكومة واللجنة المالية في الكنيست . كما نصت المادة (٤٠) على ضرورة تشاور الحكومة مع حاكم البنك المركزي قبل اتخاذ اي قرار يتعلق بسعر القطع الاجنبي .

ويحدد القسم الثامن من القانون (المواد ٤٢ — ٤٨) عمليات التسليف التي يستطيع البنك المركزي ممارستها ومنها تقديم تسهيلات مصرفية للمصارف التجارية عن طريق خصم السندات المالية واعطاء قروض لقاء سندات واسهم . كما تنص المادة (٤٥) على انه يمكن للبنك ان يقدم تسليفات مؤقتة الى الحكومة لتمويل مشاريعها على ان لا تزيد هذه التسليفات عن ٢٠٪ من مجموع قيمة الميزانية العامة للدولة (لا يدخل فيها الميزانية الانمائية) . كما نصت المادة (٤٦) على انه يمكن للبنك ان يشتري ويبيع السندات الحكومية واي سندات تحمل فائدة محددة . ويستطيع البنك المركزي قبول ودائع من المصارف التجارية

اما القسم التاسع (المواد ٤٩ — ٥٦) فيتناول تنظيم سيولة المصارف التجارية حيث يستطيع البنك المركزي ان يطلب من المصارف التجارية الاحتفاظ بنسبة معينة من السيولة مقابل الودائع التي بحوزتها او كنسبة مئوية معينة من مجموع موجوداتها . وفي حالة اخفاق اي مصرف الالتزام بنسبة السيولة فانه يتوجب عليه دفع فائدة معينة تساوي الفرق بين الموجودات السائلة المطلوبة حسب القانون والموجودات السائلة التي يحتفظ بها المصرف بالفعل .

اما القسم العاشر (المواد ٥٣ — ٥٦) فيحدد نسبة الموجودات الى رأس المال كما يعطي البنك المركزي صلاحية فرض قيود على طريقة فتح الاعتمادات المصرفية . والمادة ٥٦ تنص على انه بامكان الحاكم بعد التشاور مع اللجنة الاستشارية واخذ موافقة الحكومة على ان يحدد الحد الاعلى للفائدة التي يستطيع مصرف تجاري ان يدفعها على ودائعه وحتى نسبة العمولة التي يتقاضاها المصرف من عملائه .

والقسم الحادي عشر (المادة ٥٧) تحدد دور البنك كعميل مالي للحكومة حيث يقوم بادارة قروض الدولة وان يحتفظ بودائع الحكومة وان يقوم بكافة الاعمال المصرفية التي تتطلبها الحكومة .

واخيرا فالقسم الثاني عشر (المواد ٥٨ — ٦٢) يحدد التقارير الدورية التي يتوجب على البنك نشرها عن وضعه المالي وكذلك تقريره السنوي عن وضع الاقتصاد الاسرائيلي . اما القسم الثالث عشر (المواد ٦٣ — ٨٠) فيتناول أحكام متفرقة ومنها موضوع سرية المصارف وتمثيل الحكومة الاسرائيلية لدى المؤسسات المالية الدولية وغيرها.

ويشرف البنك المركزي (سنة ١٩٦٨) على عدد كبير من المصارف والمؤسسات المالية موزعة على الشكل التالي : مصارف تجارية ٢٧ . جمعيات تسليف تعاونية ١٦ . مصارف استثمار ورهونات ٢٠ . مؤسسات مالية ١٧ . والمجموع ٨٠ مؤسسة . المصدر : بنك اسرائيل — **التقرير السنوي** ص ٤٦٥ .

السندات حسب القطاع

(مليون ليرة اسرائيلية)

القطاع	عملة محلية	عملة اجنبية
الزراعة	٩٠٩	—
الصناعة	١٦٥٠٨	١٢٩٠٢
التجارة	—	٥٠٨
الخدمات العامة	—	١٣٠٠

المؤسسات الوطنية	—	٤٢٤٠
الخدمات	١٤١	—
المجموع	١٧٦٤٨	١٩٠٤٠
المجموع الكلي ٣٩٦٤٨		

المصدر : بنك اسرائيل — **التقرير السنوي** ص ٤٥٠

الجهاز التنفيذي للبنك المركزي

يتألف الجهاز التنفيذي للبنك المركزي الاسرائيلي على النحو التالي : أ — حاكم المصرف ويعين من قبل رئيس الدولة بموجب توصية من الحكومة لمدة خمسة اعوام . ب — تقوم الحكومة بانتخاب نائب للحاكم بعد التشاور مع الحاكم . ج — لجنة استشارية من سبعة اعضاء . د — مجلس استشاري يتألف من خمسة عشر عضوا سبعة منهم اعضاء اللجنة الاستشارية .

اما حاكم المصرف منذ انشائه حتى منتصف العام ١٩٧١ فهو « دافيد هورويتز » وهو من ابرز الاقتصاديين الاسرائيليين وله مؤلفات ومقالات عديدة في الاقتصاد الاسرائيلي ومشاكله وقد خلفه في هذا المنصب موشي ساندبرج .

واللجنة الاستشارية يرأسها « ي. شورن » ومجموع اعضائها سبعة وتقوم اللجنة المذكورة بتقديم المشورة الى حاكم المصرف في كل ما يتعلق بجوانب ومشاكل السياسة النقدية مثل اجراءات السيولة واحتياطي القطع الاجنبي واندماج المصارف والترخيص بانشاء مصارف جديدة وكذلك عمليات السوق المفتوحة وعلاقة البنك المركزي بالمؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي وغيره .

أما المجلس الاستشاري فيضم عددا من الاقتصاديين ورجال المال البارزين ، ويجتمع على الاقل مرة كل شهرين لابداء الرأي حول القضايا المطروحة .

تقييم دور البنك المركزي

بعد ان استعرضنا بايجاز نشأة البنك المركزي واهم البنود الواردة في قانون انشائه فاننا سنحاول تقييم دور البنك المركزي خلال الفترة ١٩٥٤ — ١٩٧٠ في محاولة للاجابة على السؤال التالي : هل نجح البنك المركزي في تحقيق الاهداف الاقتصادية والمالية التي انيط القيام بها ؟

للاجابة على هذا السؤال من الافضل فصل موضوع **مراقبة** المصارف التجارية عن موضوع **فعالية** السياسة النقدية التي اتبعها البنك . ففي مجال المراقبة يمكن تلخيص الوضع على الشكل التالي: أ — في تركيب النظام المصرفي ، للبنك المركزي الكلمة النهائية بالنسبة لافتتاح مصارف جديدة او افتتاح فروع جديدة لمصارف موجودة . ب — في الاطار القانوني — هنالك ثغرات عديدة بالنسبة لمراقبة راس المال المكتتب به وعمليات شراء وبيع الاسهم وعلاقة المصارف بعضها ببعض . ج — في تحديد سعر الفائدة — ينص القانون الحالي على ان الحد الاعلى لسعر الفائدة هو ١١٪ في حين ان البنك المركزي يحدد سعر الفائدة على ودائع المصارف التجارية لديه . ويؤثر البنك المركزي تأثيرا كبيرا على حجم ارباح المصارف التجارية نظرا لارتفاع حجم الودائع التي تمتلكها المصارف المشار اليها لدى البنك المركزي .

اما بالنسبة لموضوع السياسة النقدية فقد جاء في احد الدراسات النقدية حول دور البنك المركزي ما يلي : « ارتكز نظام البنك المركزي في ممارسة السيطرة النقدية على استعمال نسب مختلفة بالنسبة لاحتياطي المصارف التجارية . ولم تكن هذه الوسيلة فعالة نظرا لان البنك المركزي لا يستطيع التحكم بحجم الاحتياطي المتوفر لدى المصارف التجارية . وحيث ان هنالك امكانية حصول المصارف التجارية على موجودات سائلة اضافية اما عن طريق تحويل القطع الاجنبي المتراكم او عن طريق ودائع نقدية ، فان فعالية الرقابة النقدية تتوقف على قدرة البنك المركزي على تخفيض حجم الاحتياطي . « وحيث ان البنك المركزي امتنع عن استعمال « عمليات السوق المفتوحة » فلم يعد بامكانه تحديد كمية الاحتياطي المتوفر لدى المصارف التجارية »(٢). ويتابع الكاتب تحليله لدور البنك المركزي فيؤكد ان التعديلات التي ادخلت على نظام المراقبة كانت في الشكل اكثر منها في جوهر الموضوع . ويخلص الكاتب الى تأكيد نقطتين : **أولا** : ان جزءا من التسليفات الموجهة الى قطاع الصناعات التصديرية وهو القطاع الذي كانت الحكومة ترغب في تشجيعه كان يتسرب الى تجارة الجملة والمفرق وقطاعات اخرى لا ترغب الحكومة في تشجيعها . **ثانيا** : ان البنك المركزي لم يستطع التحكم في جميع مصادر التسليفات بل كل ما في الامر انه كان يؤثر تأثيرا جزئيا بدليل

٢ — Meir Heth, *Banking Institutions in Israel* (Jerusalem: Falk Institute, 1966) p. 306.

ان كمية وسائل الدفع في الاقتصاد الاسرائيلي كانت دائما تزداد بنسبة اكبر من الزيادة في الدخل الحقيقي .

ويلاحظ ان البنك الاسرائيلي المركزي حقق نجاحا جزئيا في منع حدوث توسع نقدي . ويرجع السبب الرئيسي الى عدم لجوء البنك المذكور الى «عمليات السوق المفتوحة » على نطاق واسع بسبب ضيق السوق المالي ورغبة الحكومة في عدم حدوث منافسة بين وزارة المالية التي تطرح سندات حكومية دائما والبنك المركزي . وبذلك فقد البنك المركزي اهم اسلحته للتأثير على كمية وسائل الدفع مباشرة . والواقع ان البنك المركزي كان يلجأ الى استعمال الوسائل الكيفية اكثر من لجوئه الى استعمال « الوسائل الكمية » للتأثير على كمية وسائل الدفع وبالتالي محاولة التحكم في مستوى الاسعار . وللتدليل على ذلك نذكر ان البنك المركزي لم يستعمل « اعادة الحسم » للسندات المالية للتأثير على سعر الفائدة كما هو الحال في البلدان التي تملك اسواقا مالية متطورة ، كما انه لم يمكن المصارف التجارية التي تحتاج الى مزيد من السيولة ان تستعمل هذا الاسلوب بل اقتصرت موافقته على حسم سندات للسلع التصديرية بسعر فائدة زهيد بقصد تشجيع الصناعات التصديرية . « ولعل اهم سبب لعدم استعمال سلاح « اعادة الحسم » يعود الى ان هنالك حدا اعلى لسعر الفائدة لا يمكن تخطيه » . وحتى عام ١٩٥٧ كان سعر الفائدة القصوى حسب القانون ٩٪ ثم ارتفع الى ١١٪ في نفس العام(٣).

وانصافا للواقع نقول ان النجاح الجزئي الذي حققه البنك المركزي كان نتيجة للتضارب المستمر بين اهداف السياسة الاقتصادية . فزيادة رصيد اسرائيل من العملات الاجنبية كان يزيد من حجم الموجودات السائلة في الاقتصاد الاسرائيلي وبالتالي كان يترك اثارا تضخمية في الوقت الذي كانت تحاول فيه الحكومة منع مستوى الاسعار العام من الارتفاع . لذلك كان من اهم المشاكل الاقتصادية كيفية التوفيق بين الحفاظ على ثبات مستوى الاسعار وتحسين وضع ميزان المدفوعات .

ولعل اهم سبب لنجاح البنك المركزي الجزئي في الماضي وامكانية عدم نجاحه في المستقبل يعود الى القيود الكمية المفروضة على عملية انتقال الموارد داخل الاقتصاد الاسرائيلي . وهذه القيود موجودة في اسواق السلع والقطع الاجنبي وكذلك في اسواق عوامل الانتاج . وعندما تتقرر اسعار هذه الامور بقرارات ادارية وعن طريق المساومة الجماعية فان السياسة النقدية التي تعمل من خلال التأثير على كمية وسائل الدفع وحجم التسليفات في الاقتصاد تفقد الكثير من فعاليتها واليتها . ويبدو حتى الان ان التنسيق الضروري بين وزارة المالية والبنك المركزي حتى لا تتعارض السياسة النقدية والسياسة المالية لم يكتب له النجاح في اسرائيل.

٣ — N. Halevi & R. Klinov - Malul, *The Economic Development of Israel* (New York: Frederick A. Prager, 1968), p. 264.

مصادر البحث

١ — Economic Planning Authority, *Israel Economic Development* (Jerusalem, Govt. Press, 1968).

٢ — N. Halevi & R. Klinov - Malul, *The Economic Development of Israel* (New York: Frederick A. Prager, 1968).

٣ — M. Heth, *Banking Institutions in Israel* (Jerusalem: Maurice Falk Institute, April 1966).

٤ — Bank of Israel, *Bank of Israel Law* (Jerusalem: Govt. Press, 1954).

٥ — D. Horowitz, *For Economic of Israel* (London: Pergamon Press, 1967).

٦ — Bank of Israel, *Annual Report*.

الصحافة في اسرائيل : د . اياد القزاز

ان اول ما يميز الصحافة في الارض المحتلة عن غيرها في البلدان الاخرى هو تمركزها في مدينة واحدة وهي تل ابيب . فجميع الصحف اليومية عدا اربع منها تصدر في هذه المدينة . والصحف التي لا تصدر في تل ابيب تطبع في القدس ومعظمها تصدر باللغات الاجنبية(١). وتعود اسباب تمركز الصحف في تل ابيب الى عدة عوامل نجملها بما يلي . ١ — ان تل ابيب منذ بنائها في بداية هذا القرن كضاحية بالقرب من يافا من قبل المهاجرين اليهود الاوائل لفلسطين ، بنيت على اساس انها مدينة يهودية صرفة وقد تركزت فيها منذ البداية نشاطات اليهود المختلفة بما فيها الصحافة اليهودية ولو رجعنا الى تاريخ الصحف الاسرائيلية التي صدرت قبل انشاء الكيان المحتل ١٩٤٨ لوجدنا ١— ان ٩٩ بالمائة منها قد صدر في تل ابيب. ٢— ان تل ابيب اكبر مدينة في اسرائيل من ناحية السكان اذ يبلغ عدد نفوسها حوالي ٣٨٨،٠٠٠ نسمة اي ما يقرب من سبع سكان اسرائيل الكلي(٢). كما ان تل ابيب كانت عاصمة الكيان المحتل بعض الوقت والعاصمة كما هو الحال في معظم اقطار العالم تتمركز فيها معظم المؤسسات الحكومية وفيها تجري مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية وبذلك تنمو فيها الصحف اكثر من غيرها من المدن لقرب الصحف من مصادر الاخبار التي تتعلق بسياسة البلد الداخلية والخارجية . ٣ — صغر مساحة الارض المحتلة اذ تبلغ حتى ١٩٦٧ حوالي ٧٩٩٣ ميلا مربعا(٣) . وصغر المساحة جعل بامكان الصحف الصادرة في تل ابيب ان تصل الى اي منطقة في اسرائيل في ظرف ساعة او ساعتين بالطائرة وبمعنى آخر يستطيع القارىء في أي مكان ان يقرأ الجرائد الصادرة في تل ابيب بعد سويعات من صدورها . ومثل هذا الوضع لا يشجع على تطوير ونمو الجرائد المحلية اذ مثل هذه الجرائد لا تستطيع على منافسة الجرائد التي تصدر بالعاصمة والتي تتمتع بقدرات مالية وادارية كبيرة مما يجعلها قادرة على تحطيم الجرائد المحلية . ٤ — ان طرق المواصلات في اسرائيل على درجة عالية من التقدم اذ ان جميع المدن والقرى مرتبطة بطرق برية مبلطة صالحة لسير السيارات في جميع فصول السنة كما ان جميع المدن المهمة مرتبطة بخطوط جوية مع العاصمة هذا وكثيرا ما تستعمل الصحف الكبرى الطائرات لايصال الجرائد باسرع وقت ممكن لانحاء القطر . ٥ — يتكون المجتمع الاسرائيلي من عدة اجناس وحضارات وعناصر قومية مختلفة بل ان الكثير من الشباب الاسرائيلي لا زال مرتبطا بكثير من الروابط العائلية والقرابية مع افراد لا زالوا يعيشون في مجتمعات متعددة منتشرة في جميع اقطار العالم . ان مثل هذا الوضع يشجع القارىء الاسرائيلي على الاهتمام بالامور الدولية والاحداث الخارجية اكثر من اهتمامه بالامور المحلية . اي ان ارتباطات الاشخاص المحلية ليست باهمية الصلات التي تربطهم مع الاشخاص في الخارج وبذلك فان اخبار تلك المجتمعات على جانب كبير من الاهمية لكثير من افراد المجتمع الاسرائيلي وطبعا ان الصحف التي تصدر في تل ابيب اقدر على اشباع رغبة الفرد الاسرائيلي للتعرف على ما يحدث في المجتمعات المتعددة لاتصالاتها الخارجية وقربها من السفارات الاجنبية وغير ذلك .

وتتميز الصحافة في اسرائيل عن غيرها بكثرتها وتعددها . فسكان الارض المحتلة لا يتجاوزون ثلاثة الملايين ولكن مع هذا تصدر هناك ٢٥ صحيفة يومية ، ٥٠ مجلة اسبوعية ، ١٥٠ مجلة تصدر كل اسبوعين او شهريا و ١٠٠ مجلة فصلية وحوالي ٧٠ مجلة اخرى تصدرها الحكومة(٤). وعدد ما يطبع من الجرائد اليومية يبلغ حوالي نصف مليون نسخة وهي نسبة عالية جدا بالنسبة للسكان اذ تبلغ حوالي ٢٠ لكل مائة شخص وهي اعلى نسبة في الشرق الاوسط حيث تأتي بعدها لبنان التي تبلغ النسبة فيها عشرة لكل مائة شخص(٥). ويعود تعدد الصحف الى الاسباب التالية ١ — كثرة الاحزاب السياسية في اسرائيل . فما لا يقل عن اثني عشر حزبا سياسيا ممثلا في الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) بالاضافة الى الاحزاب الاخرى الممثلة في هذا المجلس(٦). ولمعظم هذه الاحزاب السياسية صحف ومجلات ناطقة باسمها تصدر باللغة العبرية وغيرها من اللغات الاجنبية بما فيها العربية . والواقع ان معظم الجرائد اليومية هي جرائد حزبية(٧). ٢ — تنوع العناصر التي يتكون منها

المجتمع الاسرائيلي فمعظم الشبان والشيوخ قد ترعرعوا في دول وحضارات متعددة وقد هاجروا الى اسرائيل في اوقات مختلفة . وقد ساعد هذا التنوع الحضاري واللغوي على نمو وتعدد الصحف وخاصة الاجنبية منها لكي تشبع رغبات وميول المهاجرين . ٣ — ارتفاع نسبة التعليم في اسرائيل اذ تبلغ اكثر من ثلاثة وتسعين بالمائة عند اليهود(٨)، كما ان حب المطالعة والاطلاع على درجة عالية وهذا يصح بصورة خاصة عند اليهود الاوروبيين الذين جلبوا هذه التقاليد من البلاد التي هاجروا منها . ٤ — عدم تأسيس محطة التلفزيون الى ما قبل اربع سنوات مما دفع المواطنين الى الاعتماد على الجرائد والمجلات لقضاء الوقت والتعرف عما يحدث في داخل البلاد وخارجها .

ويخصص قسم كبير من مساحة الصحف للاخبار العالمية والخارجية وبصورة خاصة الولايات المتحدة ، اوروبا وروسيا والشرق الاوسط ويظهر هذا بصورة خاصة في الجرائد التي تصدر باللغات الاجنبية وعلى العموم ان الجريدة التي تصدر بلغة اجنبية معينة تخصص مساحات اكبر لاخبار الدولة او المجتمع الذي يتكلم تلك اللغة فجريدة جروسليم بوست الانكليزية والتي تصدر بالقدس تخصص مساحات كبيرة لاخبار الولايات المتحدة وانكلترة وتنشر كثيرا من الاخبار حتى نتائج المباريات الرياضية لمختلف الالعاب مثل الباسبول وهذا الامر طبيعي اذ ان هذه الجرائد التي تصدر باللغات الاجنبية تشبع ميول الجماعات المختلفة التي هاجرت الى الارض المحتلة .

ومن اهم الاسباب التي تدفع الصحف الاسرائيلية الى تخصيص مساحات كبيرة للاخبار الخارجية هو ان اسرائيل بوضعها الحالي تعتمد كثيرا على القوى الخارجية . فبقاؤها وتطورها يعتمد الى حد كبير على المعونات التي تقدمها امريكا والدول الغربية والتي تعد بآلاف الملايين من الدولارات فما يجري مثلا في الولايات المتحدة مهم جدا لحياة وبقاء اسرائيل . فالانتخابات الامريكية والتنافس بين الحزب الجمهوري والديمقراطي قد يقرر نوعية ومقدار المعونة التي ستحصل عليها اسرائيل وكذلك نوع السياسة الخارجية التي ستتبعها امريكا تجاه اسرائيل. لذلك نجد الصحف الاسرائيلية تزخر باخبار الانتخابات الامريكية وتنشر عنها الكثير من التفاصيل الوافية وعن المرشحين وفلسفتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية وارائهم تجاه اسرائيل .

وتصدر في اسرائيل كثير من الصحف باللغات غير العبرية فمن ٢٥ صحيفة يومية ، تسع تصدر بلغات غير عبرية وهي العربية والانكليزية والفرنسية والبولونية واليديشية والهنغارية والالمانية والرومانية والبلغارية(٩). وقد صدرت جميع الجرائد غير العبرية عدا اثنتين(١٠) بعد ١٩٤٨ حيث ازداد عدد المهاجرين من مختلف اقطار العالم الذين لا يعرفون العبرية واصبحت الحاجة ماسة الى اصدار جرائد بلغات متعددة لاجل اشباع رغبات وميول وحاجات هؤلاء المهاجرين . كما ان الاحزاب السياسية عملت على اصدار جرائد بلغات متعددة من اجل ترغيب هؤلاء المهاجرين وتشجيعهم للانضمام لهذه الاحزاب .

ويبدو ان عدد الجرائد « الاجنبية » اليومية آخذ بالانحسار وخاصة في السنوات الاخيرة فقد تقلصت من ١٢ جريدة في اوائل الستينات الى تسع في اوائل السبعينات وحاليا لا يزيد عدد توزيع الجرائد الاجنبية عن ١٩ بالمائة من التوزيع الكلي لجميع الجرائد اليومية(١١) كما ان معظم محرري هذه الجرائد لا يودون التفرغ كليا لمثل هذه الجرائد ويفضلون الاشتغال الى جانب ذلك بالجرائد العبرية لكي يضمنوا مستقبلهم في عالم الصحافة(١٢). هذا ولولا المعونات المالية الكبيرة التي تحصل عليها هذه الجرائد « الاجنبية » من الاحزاب السياسية والمؤسسات الاخرى لانقرض الكثير منها اذ ان الدخل الذي تحصل عليه من التوزيع والاعلانات قليل جدا ولا يكفي بتاتا تغطية كلفة اصدار الجريدة . وتعود اسباب انحسار الجرائد غير العبرية الى ازدياد الذين يعرفون العبرية اذ تبلغ نسبة المولودين في الارض المحتلة حاليا اكثر من ٤٠ بالمائة كما ان معظم المهاجرين قد تعلموا العبرية اما في المدارس او في دورات خاصة نظمتها الحكومة الاسرائيلية لتعليم اللغة العبرية او في الجيش الذي يعتبر اكبر مؤسسة لتعليم اللغة والثقافة والقيم العبرية(١٣).

وتعتبر جريدة جروسليم بوست من خيرة الجرائد، العبرية وغير العبرية ، في اسرائيل . وتصدر هذه الجريدة بالانكليزية . وقد تأسست عام ١٩٣٢ تحت اسم فلسطين بوست ثم غيرت اسمها الى جروسليم بوست في ١٩٤٨ عند تأسيس دولة اسرائيل . وتصدر هذه الجريدة في الصباح ومحررها تد لوري

ويبلغ توزيعها ٢٤ الف نسخة في ايام الاسبوع و الف نسخة في يوم السبت(١٤). وتعتبر هذه من المصادر المهمة للمراسلين الاجانب اذ حدون عليها للتعرف عما يجري في اسرائيل كما انها مصدر اساسي لجميع المهتمين باسرائيل الذين لا يعرفون العبرية فجميع المكتبات الكبرى في الولايات المتحدة مشتركة بهذه الجريدة(١٥). وعلى العموم تتميز مقالات واخبار هذه الجريدة بالجدية .

اما الجرائد غير العبرية الاخرى فمعظمها لا تتمتع بجودة في الطباعة ولا قوة في المقالات التي تنشر فيها . كما ان معظم هذه المقالات عبارة عن ترجمات لما ينشر في الصحف العبرية والصحافة الاجنبية . ورغم ان عددا كبيرا من سكان اسرائيل يتكلمون اللغة العربية الا ان الصحافة العربية غير متطورة حتى بالمقارنة مع الصحافة غير العبرية الاخرى التي تصدر في اسرائيل . فقبل ١٩٦٧ كان ما يقرب من نصف سكان اسرائيل على المام ودراية كبيرة باللغة العربية ويضم هذا العدد العرب الذين بقوا في الارض المحتلة والبالغ عددهم ٣٠٠ الف واليهود العرب الذين هاجروا من العراق ومصر واليمن وشمال افريقيا . وحتى لو فرضنا ان اليهود العرب يفضلون الجرائد العبرية على الجرائد العربية بعد تعلمهم للغة العبرية فان هذا لا يبرر مطلقا عدم تقدم وتطور الصحافة العربية اذ ان معظم الصحف العربية اليومية لا يزيد عدد توزيعها عن ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ نسخة . ويبدو ان هناك اربعة اسباب مسؤولة عن هذا الوضع . ١ ــ ان معظم العرب من سكان الريف (٧٥ بالمائة) بينما لا تتجاوز هذه النسبة ١٨ بالمائة عند اليهود(١٦) . ٢ ــ ان اجراءات العدو ابقت مستوى العرب الثقافي والتعليمي متخلفا بالنسبة لليهود ، اذ نسبة الامية عالية بينهم وخاصة في فئة العمر ١٤ فما فوق اذ تبلغ هذه النسبة حوالي ٥٢ بالمائة(١٧) . ٣ ــ ان معظم المحررين في الصحف العربية هم من اليهود مما يقلل ثقة العرب بهذه الجرائد وما ينشر فيها . ٤ ــ واخيرا يفضل معظم العرب الاستماع الى محطات الإذاعة الموجهة لهم من الاقطار العربية المجاورة ويستغنون بها عن وسائل اعلام العدو .

واول جريدة يومية صدرت بالعربية بعد تأسيس دولة اسرائيل هي جريدة اليوم وقد اصبحت لسان حال منظمة العمال الاسرائيلية (الهستدروت) في عام ١٩٦٠ وبلغ توزيع هذه الجريدة حوالي ٣٥٠٠ نسخة في ايام الاسبوع و ٥٠٠٠ في يوم الجمعة . وقد احتجبت عن الصدور في عام ١٩٦٨. وحاليا توجد جريدتان يوميتان الاولى الاتباء وتصدر في القدس وتابعة لجريدة جروسليم بوست الانكليزية ومحررها يهودي . اما الجريدة الثانية فهي القدس ومحرروها هم من الفلسطينيين القاطنين في الضفة الغربية التي احتلتها اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ والى جانب هذه الجرائد اليومية يصدر الهستدروت والاحزاب السياسية مجلات اسبوعية او شهرية او فصلية باللغة العربية . هذا بالاضافة الى صحيفة الاتحاد لسان حال الحزب الشيوعي (ركاح) .

ان اكثر الصحف انتشارا هي الجرائد المستقلة التي تأسست معظمها بعد تأسيس دولة اسرائيل . ونظرة سريعة على جدول الجرائد اليومية ترينا على ان توزيع الصحف المستقلة يفوق كثيرا توزيع الصحف المرتبطة بالاحزاب السياسية . فجميع الصحف التي يزيد توزيعها عن ٥٠ الف نسخة هي صحف مستقلة بينما لا يزيد توزيع معظم الصحف الحزبية عن ٢٥ الف نسخة يوميا . وهناك عدة اسباب مسؤولة عن قلة انتشار الصحف الحزبية اهمها : ١ ــ كثرة وسرعة الاندماجات والانشقاقات بين مختلف الاحزاب السياسية . وقد رافقت هذه الخاصية الحياة السياسية لليهود منذ بداية هجرتهم الى فلسطين الى يومنا هذا وترجع اسباب الاندماجات الى كثرة الاحزاب السياسية ورغبة بعضها في تقوية مركزها ونفوذها عن طريق اتحادها فيما بينها لكي تستطيع ان تفوز ببعض المقاعد في البرلمان الاسرائيلي كما ان بعض الاحزاب تتشابه في الكثير من آرائها وافكارها كما نشاهد ذلك في الاحزاب الدينية واليمينية . هذا ومما يجب التأكيد عليه ان هذه الاندماجات قد لا تستمر طويلا فبعضها يتكون قبل الانتخابات بأمد قصير وتستمر لفترة محدودة بعدها تنشطر من جديد(١٨) وتصاحب ظاهرة الاندماجات والانشقاقات بين الاحزاب ظهور واختفاء كثير من الجرائد اليومية التي تصدرها الاحزاب المندمجة والمنقسمة . وطبعا مثل هذا الوضع لا يشجع الفرد الاسرائيلي على الاشتراك في مثل هذه الجرائد لانه لا يستطيع ان يضمن استمرار حصوله على الجريدة لفترة من الزمن . ٢ ــ تؤكد الصحف الحزبية على المقالة والامور الحزبية . وعلى العموم يمكن وصف الصحافة الحزبية على انها

صحافة رأي لا صحافة خبر . فما يجري يوميا على النطاق الدولي والمحلي لا يؤكد كثيرا اذ كثير ما تفضل الصحف الحزبية على نشر مقالة اوخطاب لاحد افراد الحزب بدل نشر خبر عالمي او محلي. وطبعا مثل هذا الوضع لا يشجع الفرد الاسرائيلي المتعطش لمعرفة ما يحدث على النطاق الدولي والمحلي على شراء الجرائد الحزبية .

وقبل ان ننتهي من بحث موضوع الصحافة المستقلة او الحزبية علينا ان نشير الى ان الجرائد المستقلة الكبرى تعتمد في توزيعها على البيع في الاكشاك ومكتبات بيع الصحف والكتب والمجلات . بينما تعتمد الصحف الحزبية في بيعها على الاشتراكات(١٩) ومعظم المحررين في الصحف الاسرائيلية هم من اصل اوربي . وقد دلت الدراستان اللتان قام بهما استاذ الاجتماع رافائيل جيل في الخمسينات(٢٠) حول الصحفيين الاسرائيليين على ان غالبيتهم العظمى هم من اوربا . وفيما يلي جدولا تفصيليا يوضح اصل الصحفيين كما جاء ذلك في تينك الدراستين .

اصل الصحفيين

مولود في	دراسة عام ١٩٥٥ بالنسبة المئوية	دراسة عام ١٩٥٩ بالنسبة المئوية
اوربا	٨٢	٧٩
فلسطين المحتلة	١٤	١٥
آسيا	٣	٣،٥
افريقيا	٥	١
غير معروف	١	١،٥
عدد المشتركين في الدراسة	٣٧٠	٤٠٠

ورغم ان هذا الجدول يشير الى حدوث بعض التغير الطفيف عن اصول المشتغلين بالصحافة الا انه يشير بصورة لا يغامرها الشك على ان الغالبية الساحقة او ثمانين بالمائة هم من اصل اوربي او امريكي وعلى ان نسبة الاسيويين والافريقيين قليلة جدا ولا تتعدى الخمسة بالمائة علما بان نسبة المهاجرين من هاتين القارتين الى اسرائيل يشكل اكثر من ٤٠ بالمائة من مجموع السكان الكلي لاسرائيل . ورغم ان الستينات من هذا القرن قد شهدت بعض التغير في خلفيات المشتغلين في عالم الصحافة فلا زالت الاغلبية العظمى ذات خلفيات اوروبية وامريكية . ونظرة سريعة على كتاب دليل الشخصيات الاسرائيلية لعام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ تشير على ان معظم الصحفيين الذين وردت ترجمة حياتهم في هذا الكاتب هم من اصل اوربي او امريكي فمن ١٣٤ ترجمة وردت في هذا الكتاب للصحفيين الاسرائيليين ثلاثة فقط تعود الى صحفيين ولدوا في العراق وجنوب افريقيا اما الباقون فمن مواليد اميركه واوربه . هذا ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان نفس هذا الشيء يصح بالنسبة للمؤسسات السياسية والاجتماعية والعسكرية في اسرائيل . فمثلا ان الحكومة التي تشكلت في عام ١٩٦٩ عقب انتخابات الكنيست لعام ١٩٦٩ ضمت ٢٤ وزيرا بينهم وزير واحد من اصل شرقي وهو شلومو هليل المولود في العراق(٢١). كما ان قادة الجيش وكبار الضباط هم من اصل اوربي(٢٢).

والخاصية الثانية التي يؤكد عليها جيل في دراستيه هي ان معظم المشتغلين في الصحافة في اسرائيل هم من الرجال اذ لا تزيد نسبة النساء على خمسة بالمائة(٢٣). ويعزو جيل ذلك الى كون الصحافة هناك ذات طابع سياسي وان المواضيع غير السياسية لا تحتل مكانا مرموقا فيها مما ادى الى عدم رغبة اشتغال النساء فيها .

اما الخاصية الثالثة التي يشير اليها جيل فهي ان معظم الصحفيين في اسرائيل قد حصلوا على ثقافة اعلى من المرحلة الثانوية وهذا يصح بصورة خاصة على اولئك الذين جاءوا من اوروبا وامريكا. اما الخاصية الرابعة فهي ان متوسط اعمار المشتغلين بالصحافة مرتفع جدا اذا قورن بسكان اسرائيل فحوالي ٨٩ بالمائة من الصحفيين تتعدى اعمارهم الثلاثين(٢٤).

واخيرا يشير جيل الى ان عددا كبيرا من المشتغلين بالصحافة وخاصة القدامى سبق لهم ان اشتغلوا ومارسوا الصحافة في اوربا او امريكا قبل هجرتهم الى اسرائيل وقد نقل هؤلاء خبرتهم عند مجيئهم لاسرائيل .

وتعتمد الصحافة الاسرائيلية في حصولها على الاخبار الداخلية على وكالة الصحافة الاسرائيلية التي تسمى آيتم . شكل هذه الوكالة في عام ١٩٥٠ مجموعة من الصحفيين المشتغلين في الصحف اليومية ، ويدير الوكالة لجنة تمثل مختلف الصحف اليومية التي تشترك فيها . وحاليا تغطي هذه الوكالة جميع انحاء فلسطين

المحطة اذ لها مراسلون ومخبرون في جميع ارجاء البلاد ولها مركزان كبيران في تل ابيب والقدس . وتجهز هذه الوكالة الصحف المحلية والاذاعة بالاخبار الداخلية وبعض اخبار هذه الوكالة مصدرها مركز الاعلام الحكومي كما ان هذه الوكالة تقوم بترجمة ما تحصل عليه من وكالات الانباء العالمية مثل رويتر ووكالة الانباء الفرنسية . وتطبع الوكالة نشرة اسبوعية ونشرة مالية باللغة الانكليزية(٢٥).

اما الاخبار الخارجية فتعتمد الصحف الاسرائيلية على المصادر التالية . أ ــ وكالة الانباء الاسرائيلية وتعود ملكيتها الى وكالة الانباء البرقية اليهودية التي مركزها في نيويورك ولندن . وغرض هذه الوكالة هو توزيع ما يردها من اخبار من الوكالة الام في نيويورك ولندن . ب ــ وكالات الانباء العالمية مثل رويتر ، وكالة الانباء الفرنسية وكالة اليونايتد برس ، وكالة الاسوشيتد برس .. الخ وبعض هذه الوكالات لها مراكز كبيرة يشتغل فيها عدد من الموظفين لتوزيع اخبار الوكالة على الصحف المحلية . ج ــ واخيرا تعتمد الصحف الاسرائيلية على مراسليها بالخارج وخاصة في الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا .

وتخضع الصحف الاسرائيلية للرقابة العسكرية . وتتخذ هذه الرقابة طابعين : الطابع الاول هو ان الرقيب العسكري يحذر ويمنع الصحف من نشر بعض الاخبار التي تتعلق بأمن الدولة الخارجي والداخلي وبذلك تظهر بعض الصحف وعليها عبارة رقابة بدل الخبر او المقال المراد نشره . والطابع الثاني هو ان الرقيب العسكري يوزع على المحررين عددا من المواضيع التي يجب على اصحاب الصحف تجنب الكتابة عنها وطرقها . وفي الاعم والاغلب يفضل المحررون عدم الخوض في مثل هذه المواضيع(٢٦).

بدأت الرقابة العسكرية عملها منذ الساعات الاولى لتأسيس دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ . ودائرة الرقابة العسكرية تابعة الى الاستخبارات العسكرية، وللدائرة ثلاثة مراكز في تل ابيب والقدس وحيفا . وهي تحت اشراف ضابط برتبة عميد يعين من قبل وزارة الدفاع . وحوالي ٤٠ بالمائة من الذين يشتغلون في هذه الدائرة هم من الجيش والبقية من الاحتياط . ويتمتع جميع اعضاء الدائرة بثقافة عالية وهم متخصصون في حقول مختلفة وعلى علم ودراية بلغات اجنبية مختلفة(٢٧). وبالاضافة الى دائرة الرقابة العسكرية توجد محكمة خاصة لتميز قرارات دائرة الرقابة في حالة اعتراض اصحاب الصحف على تلك القرارات وعلى محكمة التمييز ان تصدر قراراتها في مدة لا تتجاوز الـ ٤٨ ساعة لان الاخبار تفقد قيمتها بسرعة. وتتألف محكمة التمييز من ثلاثة اشخاص يرأسها محام وعضوية ضابط ومحرر من احدى الصحف . وباستطاعة رئاسة اركان الجيش ان تنقض قرار محكمة التمييز اذا لم يكن القرار قد صدر بالاجماع ، ولم يحدث مثل هذا الامر الا مرة واحدة في خلال الـ ٢١ سنة الماضية . وفي السنوات العشر الاخيرة استمعت محكمة التمييز الى ١٠٠ قضية ربحت دائرة الرقابة العسكرية تسعين قضية بينما ربح محررو الصحف عشر قضايا(٢٨).

لقد عملت الرقابة العسكرية الاسرائيلية على تخدير اصحاب الصحف وعدم اكتراثهم بما تقوم به الرقابة من كبت لحريات النشر . فمثلا القي القبض على أحد محرري الصحف المثيرة وحوكم بصورة سرية وسجن لمدة سنة لنشره مقالا يحتوي على بعض المعلومات السياسية المتعلقة بالامن ولم تحاول الصحف الاسرائيلية اثارة هذا الموضوع رغم علمها به ولم تشر اليه الا عندما نشرت الخبر جريدة النيويورك تايمز الامريكية في عددها ١٧ شباط ١٩٦٧ . كما أن الصحف لم تحتج في حادثة مصادرة تقرير عربي عن عدوان ١٩٦٧ اعيد طبعه في اسرائيل(٢٩).

واهم ثلاث صحف اسرائيلية :

أ ــ **معاريف** (المساء) : جريدة مسائية مستقلة تأسست في عام ١٩٤٩ وتصدر بالحجم الصغير وصاحب ومحرر الجريدة هو الدكتور اسرايل كارلباخ . وتعتبر من اوسع الجرائد توزيعا وانتشارا . بلغ توزيعها في البداية ٣٠ الف نسخة باليوم وقفز هذا الرقم الى ٧٥ الف نسخة في عام ١٩٦٠(٣٠) وحاليا يبلغ توزيعها ١٦٠ الف نسخة في ايام الاسبوع و٢١٠ الاف نسخة يوم الجمعة . وتضم هذه الجريدة عددا كبيرا من المحررين والموظفين الذين يشتغلون بدوام كامل في مركز الجريدة في تل ابيب او فروع الجريدة في انحاء مختلفة من فلسطين(٣١). كما أن للجريدة ١٨ مراسلا اجنبيا . ثلاثة منهم من نيويورك وباريس ولندن . ويختلف اسلوب الجريدة عن بقية الجرائد الاخرى اذ تعتمد على الاثارة فلا تتورع عن نشر بعض اخبار الجرائم تحت عناوين كبيرة ومثيرة بينما تمتنع

معظم الصحف الاخرى عن نشر مثل هذه الاخبار . وتملك الجريدة حاليا أكفأ محررين فنيين في اسرائيل وهما ابراهام كشون وهو يحرر العمود الفكاهي ودوش الكاريكاتوري الذي عمل على تطوير وتقديم الكاريكاتور في الجريدة بصورة يومية ومستمرة وقد اعتبر هذا حدثا مهما في تاريخ الصحافة الاسرائيلية . ومما يجدر ذكره ان نشر الكاريكاتور بالجريدة كان من الاسباب المهمة في شيوعها وانتشارها(٣٢).

ب — **هآرتس** (الارض) : جريدة صباحية مستقلة تصدر في تل ابيب . وتأتي بعد جريدة معاريف من حيث التوزيع والانتشار حيث يبلغ توزيعها حاليا ٧٧ الف نسخة في ايام الاسبوع أي حوالي نصف توزيع جريدة معاريف . ومحرر الجريدة حاليا هو جرشون شوكن وقد تأسست الجريدة عام ١٩١٩ وحاليا تصدر بـ ١٢ — ٢٠ صفحة وللجريدة ملحق اسبوعي يصدر في يوم الجمعة تبلغ عدد صفحاته ٦٠ — ٧٠ صفحة ويضم مقالات في الاقتصاد والاداب والاجتماع والسياسة وهذه المقالات على مستوى عال نسبيا من الدقة والتحليل كما يضم الملحق حقولا خاصة بالسينما والمسرح والفن والراديو والازياء .

توكد الجريدة على الاخبار العالمية وعادة تظهر في الصفحة الاولى والثالثة اما التعليقات فتظهر على الصفحة الثانية . وتعتمد جريدة هآرتس في اخبارها على مراسليها في الخارج وخاصة في الولايات المتحدة وكذلك وكالة الانباء اليهودية . وبالاضافة الى ذلك تعمل الجريدة على اعادة نشر بعض المقالات التي تظهر في الجرائد العالمية الكبرى مثل النيويورك تايمس الاميركية ولوموند الفرنسية(٣٣). واهم ما يميز هذه الجريدة عن بقية الجرائد الاخرى هي جديتها ومستواها الرفيع في نشر المقالات الجيدة كما أن هذه الجريدة تتميز بآرائها المستقلة وليس للجريدة موقف معين تجاه الحكومة او يعتمد موقفها على الموضوع الذي تعالجه وهي في أغلب الاحيان تنتقد الحكومة ولكن انتقادها معتدل ولذلك يقرأ الجريدة معظم رجالات الحكومة وكبار الموظفين اذ عن طريقها يتعرف هؤلاء على آراء الطبقة المثقفة ونخبة البلاد التي تعتبر هذه الجريدة لسان حالهم غير الرسمي .

ج — **دافار** (الكلمة) : جريدة صباحية تصدر في تل ابيب ويبلغ توزيعها حاليا ٤٠ الف نسخة تأسست في عام ١٩٢٥ ومحررها يهودا كوتهلف وهي لسان حال الهستدروت — منظمة العمال الاسرائيلية — والى حد كبير تمثل الحزب الحاكم الذي يضم الاغلبية المسيطرة على منظمة العمال. تركز هذه الجريدة على اخبار العمال ومنظماتهم اكثر من الاخبار الاخرى . ومن المحررين السابقين الذين حرروا فيها موشي شاريت (الذي أصبح رئيسا للوزراء في عام ١٩٥٣ و١٩٥٤) كما أن بن غوريون نشر فيها عددا كبيرا من المقالات في اواسط الخمسينات مما أدى الى ارتفاع توزيع الجريدة .

وجريدة دافار ليست جريدة مثيرة ففي كثير من الاحيان تدفع الاخبار الانية المهمة جانبا من اجل نشر خطاب احد المسؤولين في حزب العمال(٣٤). وكل عدد من اعدادها يحتوي على مقالات وتحقيقات بقلم احد المسؤولين الكبار في الحكومة . هذا ومما يساعد على نشر الجريدة حاليا هو استعمال الجريدة للكاريكاتور وصلتها القوية بالحكومة عن طريق الحزب الحاكم(٣٥). واخيرا تملك الجريدة مطابع حديثة(٣٦).

---

١ — Ralph L. Lowenstein "The Daily Press in Israel : An Appraisal after Twenty Years" *Journalism Quarterly*, Vol. 42, Summer 1969, p. 326.

٢ — Ministry For Foreign Affairs "*Facts About Israel, 1969*" p. 44.

٣ — Department of the Army Pamphlet "*U.S. Army Area Handbook for Israel*" Washington U.S. Government Printing Office, 1970, p. VII.

٤ — John C. Merrill "*Handbook of World Press*", p. 229.

٥ — رالف لوينشتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٣٢٥ .

٦ — اياد القزاز « الاحزاب السياسية الاسرائيلية » ، **مجلة الآداب** ، مجلد ١٨ ، العدد الثالث ، آذار ١٩٧٠ ، ص ص ٤٤—٤٨ .

٧ — Moshe Zak "The Contemporary Press of Israel" *Gazette*, Vol. VII, No. I, 1961, p. 1.

٨ — J. C. Hurewitz *"Middle East Politics! The Military Dimension"*, New York Frederick A. Prager Publishers, 1969, p. 358.

٩ — *The Middle East and North Africa 1970-71.*London, Europa Publication Limited, 1970, p. 367.

١٠ — الجريدتان اللتان صدرتا قبل ١٩٤٨ هما جروسليم بوست الانكليزية ويديعوت حاداشوت — اخبار الاخبار — Yediot Hadshot الالمانية انظر : رالف لوينشتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٣٢٩ .

١١ — *Ibid,* p. 329.

١٢ — موشيه زاك ، **المصدر السابق نفسه** .

١١ — اياد القزاز ، « الجيش الاسرائيلي ودوره في المجتمع » ، **دراسات عربية** ، السنة السادسة ، العدد ٩ ، تموز ١٩٧٠ ، ص ١١٤ .

١٤ — *"The Middle East and North Africa 1970-71"* p. 368.

١٥ — Ernest Stock "The Press of Israel, Its Growth in Freedom" *Journalism Quarterly,* Vol. 31. (Fall 1954) p. 542.

١٦ — Elias Shoufani "The Palestinians Under Israeli Occupation, *Arab Areas Occupied by Israel in June 1967,* Chicago. Association of Arab - American University Graduates, Information Papers, No. I Sept. 1970, p. 21.

١٧ — رالف لوينشتاين ، **المصدر السابق**، ص ٣٢٩ .

١٨ — اياد القزاز « الاحزاب السياسية الاسرائيلية » **مجلة الآداب** مجلد ١٨ عدد ٣ ، آذار ١٩٧٠ ص ٤٤—٤٩ .

١٩ — Department of the Army Pamphlet, *Ibid.*

٢٠ — Raphael E. Gill "Journalists in Israel: A Statistical Portrait" *Journalism Quarterly.* Vol. 36 Winter 1959, pp. 57-62, and Raphael E. Gill "Press Corps of Israel Statistical Trends 1955-1959" *Gazette,* Vol. VII (1961), pp. 283-290.

٢١ — علي الدين هلال « صراع القوى في اسرائيل » **مجلة السياسة الدولية** ، ١٩٧٠ ، ص ٦٠ .

٢٢ — اياد القزاز « الجيش الاسرائيلي ودوره في المجتمع » ، **دراسات عربية** ، السنة السادسة ، العدد ٩ ، تموز (يوليو) ١٩٧٠ ، ص ١١٣ .

٢٣ — R. E. Gill "Press Corps of Israel Statistical Trends 1955-1959" p. 284.

٢٤ — **المصدر السابق نفسه** .

٢٥ — Department of the Army Pamphlet, *Ibid.,* pp. 229-31.

٢٦ — Ralph L. Lowenstein "Military Press Censorship in Israel" *Military Review,* Vol. L., February 1970, pp. 3-9.

٢٧ — *Ibid,* p. 6.

٢٨ — *Ibid,* p. 6.

٢٩ — *Ibid,* p. 9.

٣٠ — Elchanan Kramer "The Development of the Evening Press in Israel" *Gazette,* Vol. VII (1961) p. 16.

٣١ — *The Middle East and North Africa* 1970-71, p. 368.

٣٢ — E. Kramer *"The Development of the Evening Press in Israel"* p. 15.

٣٣ — John C. Merrill *"The Elite Press"* New York, Pitman Publishing Corporation, 1969, p. 89.

٣٤ — John C. Merrile p. 232.

٣٥ — Department of the Army Pamphlet, *Ibid.,* p. 227.

٣٦ — *Ibid,* p. 227.

تعليم العلوم الانسانية في فلسطين المحتلة : الدكتور احمد طربين

ان الارتباط العضوي بين اهداف المجتمع الاسرائيلي وحاجاته وبين اهداف التعليم الاسرائيلي يظهر بوضوح تام ، نظرا لطبيعة دولة اسرائيل التي قامت على اساس اجتذاب يهود العالم من مواطنهم الاصلية وحشدهم في فلسطين على صعيد واحد . وتبرز عملية التربية والتعليم كأهم وسيلة لتحقيق اهداف رئيسية ثلاثة : ١ ــ بناء مجتمع يهودي موحد يتألف من الجماعات اليهودية التي تجمعت على ارض فلسطين . ٢ ــ بناء دولة عصرية ذات قوة مادية ومعنوية . ٣ ــ حماية التراث اليهودي ونشره وتعميق الشعور به بين الناشئة اليهود في اسرائيل، كيما تصبح واسطة العقد ومركز الاتصال بين يهود العالم ، ولتصبح المعبرة الاولى عن قيم الشعب اليهودي ومنجزاته .

ويعتبر الهدف الاول هو الهدف الاهم الذي لا يتحقق الهدفان الاخران بدونه . فقد أورد القانون الرسمي للتعليم الذي صدر عام ١٩٥٣ ، اهداف التعليم على النحو التالي :

« ارساء الاسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم وعلى محبة الوطن والولاء للدولة وللشعب اليهودي ، وعلى ممارسة الاعمال الزراعية والحرفية ، وعلى التهيئة لوجود رائد، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادىء الحرية والمساواة والتسامح والتعاون ومحبة الجنس البشري »(١). وفي عام ١٩٥٩ اورد البيان الوزاري تفسيرا لعبارة (قيم الثقافة اليهودية) بقوله : « ستسعى الحكومة في المدرسة الابتدائية كما في المدرسة الثانوية والدراسات العالية ، الى تعميق الوعي اليهودي بين شبان اسرائيل ، وعلى ترسيخ جذورهم في ماضي الشعب اليهودي ، وفي تراثهم التاريخي وعلى تقوية العلاقات الاخلاقية التي تربط بين هؤلاء الشبان ، وبين اليهود في العالم ــ هذه العلاقات التي تنمو في وعي المصير المشترك وفي الاستمرار التاريخي الذي يوحد بين يهود العالم جميعا عبر الحدود والازمنة »(٢).

ولسنا في معرض شرح التناقض الحتمي في مضمون هذا الهدف ، بين تكوين مجتمع يوحده تراث تاريخي ديني قديم ، وبين بناء دولة عصرية تعتمد لا على العقل والعلم وحدهما ، وانما على هذا التراث التاريخي الديني القديم بالذات . وهو تناقض بين المعطيات الفكرية والروحية يوجه سياسة الدولة والتعليم . وبين متطلبات العلم الحديث ومستلزمات بناء الدولة العصرية . ويظهر تارة في التصادم بين الصهاينة السياسيين من ناحية ، وبين المتشددين الارثوذكس المتدينين من ناحية اخرى ، وينعكس هذا التصادم على الصعيد التعليمي ، فيبرز الاتجاه الديني الذي تمثله الاحزاب المتدينة وعلى رأسها (المزراحي) ، والاتجاه العلماني الذي تمثله الاحزاب العمالية والاشتراكية ، ويقابلهما نظام للتعليم المدني ونظام للتعليم الديني. والصهيونية التي تستغل الدين لاجتذاب يهود العالم الى فلسطين كان لا بد ان تواجه الصدام المحتوم مع اليهود الشرقيين الذين يختلفون عن اليهود الغربيين حضاريا بحكم اتصال هؤلاء بالغرب الاوربي في حضارته وتاريخه . فاليهود الغربيون ، سواء كانوا صهاينة ام غير صهاينة ، كانوا يلتقون مع الصهيونية في ارتباطها بمصادر الحضارة الغربية التي تتجه الى العلم والعقل.ومن هنا برزت مشكلة عدم التجانس بين اليهود الغربيين (الاشكناز) وبين اليهود الشرقيين (السفارديم) ، مما حدا بالسلطات للعمل على (تغريب) اليهود الشرقيين عن طريق حفز مشاعر التعلق بالارض التي تجمع اليهود وتوحد آمالهم ، وخاصة اذا اقترن ذلك بالمبالغة في تعظيم أعمال الرواد الاوائل الذين اسهموا في تأسيس دولة اسرائيل ، وهم في كثرتهم من اليهود الغربيين الذين يروق لهم دائما ان يشبهوا منجزاتهم بمنجزات الرواد المكتشفين الامريكان في القارة الجديدة من حيث تفانيهم في حب العمل والتعاون والكشف والتقدم . على أن تنمية الروح العسكرية بين مختلف فئات المجتمع الاسرائيلي هي عامل مساعد على صهرها في بؤرة من التجارب والمشاعر المشتركة. ويتم ذلك بواسطة التدريب العسكري (الجدناع) المفروض على طلبة المدارس الثانوية . ويتم أيضا في طلائع الشبيبة المحاربة (ناحال) المرابطة في مستوطنات الحدود. هذا بالاضافة الى ان خريجي المدارس الثانوية لا يسمح لهم بدخول الجامعة الا بعد قيامهم بالخدمة العسكرية التي هي بحد ذاتها وسيلة اساسية من وسائل توحيد الثقافة والمشاعر ، مضافا اليها اللغة

العبرية التي هي لغة التدريس في جميع مواضيع الدراسة، ما عدا في المدارس العربية(٣).

ومنذ مرحلة التعليم الابتدائي ، تحتل الدراسة الدينية مكانة بارزة في المناهج سواء في المدارس الدينية او المدنية . وفي حين تعالج كثير من المواضيع تحت أسماء مختلفة مثل دراسة الوطن ، والتاريخ، واللغة العبرية ، من الزاوية الدينية ، تؤكد المناهج على تنمية الوعي اليهودي لدى الاطفال بقصد تأصيل علاقة الطالب اليهودي بتراثه القديم من خلال دراسته الدينية . ويوجه الاهتمام كذلك الى التربية الاجتماعية التي تعرض للاحداث الراهنة والمشاكل والازمات التي تتحدى الكيان الاسرائيلي لبعث الحس الاجتماعي لدى الطالب ، ولتقوية روح المواطنة فيه .

وفي المرحلة الثانوية تبدأ شعب التخصص بعد الصفين الاولين (التاسع والعاشر) . واكثر الفروع انتشارا هي الانسانيات ، والرياضيات — علوم ، ثم فروع الدراسات الشرقية. والمناهج في المرحلة الثانوية تتضمن اللغة العبرية ، وهي اجبارية في جميع الصفوف والفروع ، واصبحت اجبارية في المدارس العربية منذ عام ١٩٥٢ فضلا عن أنها لغة التعليم في الجامعات . وتتضمن المناهج كذلك العلوم الاجتماعية وهي التاريخ والجغرافيا والاخلاق . وموضوعان اساسيان يجري تدريسهما في جميع الفروع هما : التاريخ العام في العصر الحديث ، وتاريخ الشعب اليهودي . وتتضمن المناهج كذلك دراسة التوراة والتلمود والقانون ، والغاية منها تثبيت القيم اليهودية في نفوس الناشئة كما وردت في الكتب الدينية ومضامين تعلق الناشئة بأرض الوطن !

تعليم العلوم الانسانية في مرحلة التعليم العام :

نبدأ بالحديث عن تعليم العلوم الانسانية في مرحلة التعليم ليس فقط لان هذه المرحلة هي الموصلة منطقيا وعمليا الى مرحلة التعليم الجامعي فقط ، وانما أيضا لان الاهداف الاسرائيلية من وراء تعليم هذه العلوم واحدة ومتكاملة في كلا المرحلتين . ففي مرحلة التعليم العام تتحقق هذه الاهداف عن طريق التدريس والتلقين للناشئة في المدارس الابتدائية والثانوية . وفي المرحلة الجامعية تتحقق هذه الاهداف بواسطة اختيار المواضيع وتوجيهها في المحاضرات وحلقات البحث في قالب ظاهره التجرد الموضوعي والبحث العلمي ، وباطنه الدس والتزييف والتشكيك والتهديم ، لموضوعات التاريخ والتراث العربي بوجه خاص .

يجري تعليم العلوم الانسانية والاجتماعية في مختلف مراحل التعليم العام وفق مناهج وزارة المعارف والثقافة التي تراعي الهدف العام للتعليم وهو خلق المواطن المحب لدولته وللشعب اليهودي. ولا حاجة الى القول بأن المواضيع التي تدرس في المدرسة العربية هي نفسها التي تدرس في المدرسة اليهودية مع تعديل في موضوع التربية الدينية . كما أن لغة التدريس في المدرسة العربية هي اللغة العربية بالاضافة الى بعض التعديل والتوجيه في موضوع التاريخ . ولذلك فحسبنا ان نقتصر الحديث على تعليم العلوم الانسانية في المدارس العربية على اساس ما تسعى اسرائيل الى تجاهله او اضعاف تأثيره من أحداث التاريخ العربي سياسيا وحضاريا في المدارس العربية ، هو نفسه ما تغفله بطبيعة الحال في المدارس الاسرائيلية . ومن ناحية اخرى فان تركيزنا على كيفية تعلم العلوم الانسانية في المدارس العربية يكشف لنا عما يشغل بال عدونا من أحداث تاريخنا ومواطن القوة فيه فنسعى — بعكس ما يفعل عدونا — الى تقوية تأثيرها ، او نتعمق في دراسة نواحي الضعف فيه وفي حاضرنا لنعرف وجه الحق في ما يركز عليه لدمغنا بالضعف والانحلال والتفكك . ان التعديل والتوجيه اللذين ادخلتهما وزارة المعارف والثقافة على موضوع التاريخ في المدارس العربية يهدف الى ملاءمة الاغراض الاسرائيلية ، ونظرة على تفاصيل هذا التعديل في مناهج مواضيع التاريخ والاجتماعيات والتربية الاسلامية ، ومطالعة الكتب المقررة لتدريس هذه المواضيع ، تعكس الاهداف الصهيونية من تعليمها . من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

١ — يبدأ تدريس التاريخ منذ الصف الخامس الابتدائي بمعدل حصة واحدة اسبوعيا ، ويشمل موجزا للتاريخ القديم ، ويضم المواضيع التالية : تطور الحياة البشرية في الشرقين الادنى والاوسط (٥ حصص) ، العبرانيون (١٠ حصص) ، الامبراطورية الفارسية (٣ حصص) ، الجزيرة العربية (٥ حصص) ، اليونان (٧ حصص) . ويظهر من ذلك ان ثلث البرنامج المقرر للصف الخامس مخصص لدراسة تاريخ العبرانيين.ويجري

تدريس بقية المواضيع من زاوية علاقتها باليهود في فلسطين . مثلا يركز المنهاج في دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم على « انتشار المستوطنات المزدهرة اليهودية في الجزيرة ولا سيما في الجنوب كاليمن وحضرموت والحجاز وبنو قريظة ، بنو قينقاع ، خيبر ، وادي القرى ، يثرب ، ثم يهود الحميريين وبوسف ذو نواس »(٤). وفي دراسة الامبراطورية الفارسية يركز على « كورش وتصريحه لليهود بالعودة الى اسرائيل ثم بناء الهيكل الثاني». وفي دراسة تاريخ اليونان يركز على « مقاومة اليهود في اسرائيل انتشار الديانة اليونانية بينهم ، ثورتهم على اليونان ، المكابيون ، يهودا المكابي وانتصاراته »(٥). وعلى ذلك فان تعليم التاريخ في الصف الخامس يدور حول العبرانيين ، والقصد هو ترسيخ الاعتقاد بأن فلسطين بلد يهودي منذ القديم .

٢ — ويحتوي منهاج التاريخ للصف السادس (حصتان اسبوعيا) على المواضيع التالية : الرومان (٦ حصص) ، البيزنطيون (٧ حصص)، التاريخ الاسلامي (٣٦ حصة) ، مراجعات عامة (٥ حصص) . ويتضح من هذا أن التاريخ الاسلامي يشكل ٥٦ ٪ من مقرر تاريخ الصف السادس ، ولكن هذا حكم عام مضلل . ذلك ان مواد هذا التاريخ الاسلامي يجري تدريسها وعرضها وكأنها سلسلة من الغزوات والحروب المستمرة وعمليات القتل والخصومات والسلب والنهب ، داخل المجتمع العربي نفسه وضد الامم الاخرى. وتبدو فلسطين من خلال كل ذلك وكأنها بلد يهودي قاسى من الغزوات الاسلامية ، كما قاسى من قبل الغزو اليوناني والروماني . ويركز الكتاب على الخلافات والصنعات في التاريخ الاسلامي بين علي ومعاوية ، والخلافات بين الفرق الدينية ، والصراع بين الامويين والعباسيين بشكل يرمي الى انقاص المكاسب والانتصارات العربية عبر الاجيال ، مقابل تعظيم التاريخ اليهودي وتضخيمه. ويخصص الكتاب فصلا لما يدعوه بالجهود اليهودية في الحضارة الاسلامية مثل « التعاون بين اليهود وبين العرب في المجالات السياسية والثقافية ولا سيما في الاندلس وفي مصر الفاطمية والايوبية ، موشى ابن ميمون ، الذي عاش في عصر صلاح الدين الايوبي ، وابن حبيرول الشاعر اليهودي الاندلسي ، وفي تاريخ الرومان والبيزنطيين يركز منهاج التاريخ على الشخصية اليهودية في فلسطين، متجاهلا الشعوب الاخرى ، فتجسم ثورات اليهود ضد الرومان والبيزنطيين بشكل بارز لاعطائهم صفة الشعب الحي القادم للغزو الحضاري . »

٣ — أما في الصف السابع فلا يدرس التاريخ العربي مطلقا في حين ان سدس حصص التعليم مخصص للعلاقات القائمة بين الجاليات اليهودية في الخارج وأرض اسرائيل . ويشمل منهاج التاريخ للصف السابع (حصتان اسبوعيا) اوربا في القرون الوسطى (١٢ حصة) عصر النهضة (٨ حصص) الامبراطورية العثمانية (١٠ حصص) علاقات يهود المهجر (١٠ حصص) الثورة الامريكية (٥ حصص) الثورة الفرنسية (١٠ حصص) ثم مراجعات عامة (٥ حصص) . وقد جاء في المنهاج عن الهدف المرتقب من تدريس (علاقات يهود المهجر) ما نصه : « فهم الحقيقة التاريخية وهي استمرار العلاقة الروحية بين يهود المهجر وبين ارض اسرائيل وحركات العودة بمختلف العصور كأحد مظاهر تلك الاستمرارية في العلاقة »(٦).

٤ — ويشمل منهاج الصف الثامن على تاريخ : اوربا بعد نابليون والثورة الصناعية (٥ حصص)، الشرقان الادنى والاوسط في القرن التاسع عشر (٧ حصص) ، الحرب العالمية الاولى والثانية وما بعدها (١٣ حصة) ، دولة اسرائيل (٣٠ حصة) ، مراجعات عامة (٥ حصص) . ويتضح ان نصف منهاج التاريخ في هذا الصف مخصص لدراسة دولة اسرائيل ، فضلا عن الاشارات الكثيرة الى اليهود في اقسام المناهج الاخرى فمثلا عند دراسة النازية يجري التركيز على « اضطهاد النازية لليهود وثورات اليهود في غيتو وارسو»(٧). كما يركز المنهاج عند الحديث عن الامم المتحدة على محاكمة مجرمي الحرب النازيين(٨) في حين انه يمر سريعا بالحديث عن استقلال الشعوب العربية بعد الحرب الثانية (حصة واحدة اسبوعيا) ، وبدلا منه يركز على (ادخال النفوذ السوفييتي في مصر والشرق) »(٩). ويلاحظ ان خطة المنهاج ترمي الى تجهيل الطالب بتاريخ العرب والعروبة في القديم والحديث ، وتجاهل الحركات العظيمة للفتح العربي والحضارة العربية ، وتأريث الانقسامات والعداوات وجعلها حية في نفوس العرب ، تأزم العلاقات الطائفية في سورية ولبنان ، والخصومة بين الدروز والموارنة سنة ١٩٦٠) الخ ...

ولا يختلف منهاج العلوم الانسانية والاجتماعية في المرحلة الثانوية عن سابقتها الابتدائية في هدفها العام وانما هي استمرار للاتجاه ذاتـه وتأكيد لسياسة التهويد . وينص منهاج التاريخ في المدرسة الثانوية العربية على الهدف التالي : « ان يفهم الطالب اهمية دولة اسرائيل لشعب اسرائيل فـي جميع العصور وان يتغلغل في قرارة نفسه الشعور بالمصير المشترك للشعبين العربي واليهودي في الماضي والحاضر ، وذلك لتنمية الشعور فيه بمسؤوليته الفردية في تطوير اركان الدولة وتطورها ولاثارة روح الاستعداد لخدمتها وللقيام بواجبه »...(١٠) وتنعكس ذات الاهداف التي عرضنا لها في منـاهج تعليم التاريخ في المرحلة الابتدائية ، على المرحلة الثانوية . فعندما يعالج منهاج الصف التاسـع موضوع التاريخ القديم يولي اهمية خاصة لحضارة العبرانيين ، ويناقش تاريخ الشعوب القديمة مـن زاوية علاقاتها بالعبرانيين . كما يركز عند دراسة تاريخ اليونان على « حكم اليونان في اسرائيـل وثورة المكابيين وحكم البطالسة في اسرائيل..»(١١) وكذلك عند دراسة الرومان يركـز على « حكـم الامبراطورية الرومانية في يهودا ، واسس النزاع بين الرومان واليهود »(١٢). امـا منهاج الصف العاشر فيتناول تاريخ العرب في العصور الوسطى، وفي تاريخ العرب يبرز المنهاج الجوانب المعتمة فيه ، كانما هي سمات أساسية محتومة في التاريخ العربي كله ، ويهتم بالمنازعات بين الخلفاء والامـراء ، ويوسع في ما يسميه « توثيق عرى التعاون بين اليهود وبين العرب في المجالات السياسية والثقافية ولا سيما في الاندلس وفي مصر الفاطمية والايوبية — حسداي بن شبروط ، موشى بن ميمون ، شلومو بن حبيرول »(١٣). وفي الصف الحادي عشر يركز منهاج التاريخ على « احوال اليهود في العالم من القرن السابع عشر حتى العشرين »(١٤)، اما في الصف الثاني عشر فتدور مواد المنهاج في معظمها حول قيام دولة اسرائيل ومراحل تكوينها .

يتضح من هذا العرض ان تاريخ العبرانيين يشكل القسم الاكبر من تعليم التاريخ في المدرسـة الثانوية العربية ، بينما لا يشكل تاريخ العرب الا جـزءا بسيطا يعرض بطريقة مشوهة ومزيفـة . وخلال سنوات الدراسة الثانوية الاربع ، يخصص للتاريخ العربي (٣٢) حصة فقط ، مقابل تخصيص (٣٨٤ حصة) للتاريخ اليهودي ، وبينما يجري تفصيل احداث هذا التاريخ اليهودي — وهي قصيرة المدى زمانا ومكانا وقليلة التأثير — يحذف معظم التاريخ العربي مثل فتح العرب للاندلس والحضارة العربية هناك التي دامت اكثر من ٧٠٠ سنة . وطبيعي ان يبالغ برنامج التعليم في المدارس اليهودية في تدريس التاريخ اليهودي . وينعكس هذا التحيز الصارخ على اسئلة التاريخ في امتحان الدراسة الثانوية العامة ، فبينما تبدو الاسئلة المتعلقة باليهود رحبة متسعة وجادة يبدو مـن خلالها الخط السياسي الرسمي لدولة اسرائيل ، تظهر الاسئلة المتعلقة بالتاريخ العربي وكأنها احجيات تشيع فيها الحركات المبتذلة والمسالك الشائنة والخصومات المتنوعة . وتتجاهل تماما عظماء الرجال في الامة العربية خلال عصورها ، من ذلك مثلا ان الطالب العربي في هذه الامتحانات لا يسأل مطلقا عن النبي (ص) ولا عن الخليفة هارون الرشيد ، ولا عن معاوية او صلاح الدين .

ملاحظات عامة على تعليـم العلوم الانسانيـة والاجتماعية كما تبدو مـن خلال الكتب المقـررة لها(١٥): تتلخص الاهداف الصهيونية التهويدية فيما يلي :

اولا : ايهام الطالب العربي واليهودي بأن فلسطين ارض يهودية منذ أعماق التاريخ القديم ، والعمل على طمس معالم عروبتها بوسائـل اهمهـا :

١ — اختراع اسماء عبرية لجميع اسماء الاماكن والانهار والجبال والاقاليم والخلجان ، مثل (صفات) بدل صفد ، (بيت شمان) بدل بيسان ، (وادي هبسور) بدل وادي غزة ، (جبال يهودا) بدل جبال القدس والخليل ، (بئر شيباع) بدل بئـر السبع الخ(١٦). ٢ — ويترتب على هذا ايهام الطالب العربي واليهودي بأن الوجود اليهودي لم ينقطع عن فلسطين طوال العصور ، فالرومـان والبيزنطيون والفرس والعرب هم اقوام غازية بحيث يقصد اظهار فلسطين وكأن غالبية سكانها مـن اليهود ، وهؤلاء خرروهـا جزئيا من آخـر هذه الغزوات في حرب الاستقلال عام ١٩٤٨. ٣ — تلفيق علاقة تاريخية بين الاقاليم والمدن والنواحـي في فلسطين وبين العبرانيين ، بحيث يتراءى للقارىء ان اليهود هم سكان البلاد الاصليون وانهم يمثلون غالبية السكان ، ويحملون لواء مقاومة الغـزو الاجنبي ابتداء بالحكم الروماني وانتهاء بالحكم العربي والبريطاني . من ذلك مثلا ما ورد في كتاب

(معالم البلاد وجغرافيتها) المقرر للصف الثامن : « ان اعلى جبال اورشليم هو جبل النبي شموئيل ٨٨٥م ، ويظهر هذا الجبل للرائي من بعيد وعلى قمته بناء قديم اقيم فيما يقال على قبر النبي شموئيل اليهودي »(١٧).

ثانيا : تهيئة الطلبة العرب لقبول نوايا اسرائيل التوسعية عن طريق الايحاء لهم بأن هذا التوسع أمر طبيعي ، وحفز همم الطلبة اليهود وتوجيهها نحو التوسع . وحين يتناول المنهاج جغرافية اسرائيل ، يتحدث عن حدود اسرائيل الحالية ، وحدود اسرائيل الطبيعية ، ويعرض لمساحتها وكأنها ارض اسرائيل الكبرى بأقسامها الطبيعية ومناخها الخ ... وتحدد اسرائيل الطبيعية او الكبرى في كتب المواد الاجتماعية على الشكل الاتي(١٨): حدود اسرائيل الطبيعية هي من الشمال نهر القاسمية ، ومن الجنوب وادي العريش حتى خليج ايلات ، ومن الشرق غور الاردن ، ومن الغرب البحر الابيض المتوسط . وجدير بالملاحظة ان تعبير (غور الاردن) يبقى غامضا الى أن يرد تعريفه في كتاب الصف الثامن : « غور الاردن يقسم بلاد اسرائيل الى قسمين ارض اسرائيل الغربية وارض اسرائيل الشرقية » .

ثالثا : الحط من شأن العرب اجتماعيا واقتصاديا ، ونعتهم بالتخلف والضعف وتثبيط عزائمهم وتخذيل همهم بالنيل من ثقة العربي بنفسه وبقومه ، وبالايحاء له بأن اسرائيل تعمل على رفع مستوى حياته في المسكن والمشرب والمعاش .

رابعا : الايحاء للطالب بفكرة تفكك المجتمع العربي، وذلك بالتأكيد على الخلافات بين الطوائف الدينية والعرقية المشكلة له ، فثمة خلاف بين الشيعة والسنة ، وبين الدروز والموارنة ، وبين المسلمين والاقباط ، وبين البربر والعرب الخ... فقد جاء في كتاب الجغرافية للصف الخامس في معرض الحديث عن سورية « لقد تحصن الدروز في قراهم لكثرة أعدائهم مما اضطرهم الى الدفاع عن انفسهم ضد هجمات الاعداء »(١٩). ويفهم من سياق العبارة ان الاعداء هم العرب ، ويريد المؤلف ان يتقرب من الدروز بقوله انهم كاليهود الاسرائيليين مهددون بعدو مشترك ، هو العرب ، والقصد هو الدس والافتراء واثارة النعرات الدينية بين طوائف المسلمين وطوائف المسيحيين . ويظهر ذلك بوضوح وجلاء في كتاب عنوانه (مدنيات اسرائيل) يستعمل في الصفوف الابتدائية الاربعة من الصف الخامس حتى الثامن ، ويلاحظ فيه القارىء بسرعة مقدار الاسهاب والتفصيل في عرض الانقسامات الطائفية ثم الضرب مرة بعد مرة على وتر ان اسرائيل كانت ملتقى الاديان منذ العصر القديم حيث كان الجميع يعيشون في أمان ووئام وسلام ، وانها ما زالت كذلك . والمهم ان العرب يظهرون في طوايا الكتاب وكأنهم طائفة كغيرها من الطوائف ، بقصد محاولة الايهام بأن الخلاف بين العرب والصهيونيين هو خلاف ديني لا قومي ، ولذلك يتوجب العمل على تذويب الخلافات بين الاديان وبالتالي القضاء على النفرة بين العرب والصهيونيين ، والتسليم بأن اسرائيل هي المكان المثالي لتعايش جميع الطوائف . ويبدو هذا الامر ضروريا وطبيعيا خاصة ان اليهود كانوا أكثر من غيرهم تسامحا مع الطوائف الاخرى ، ففي سياق الحديث عن الطائفة الارثوذكسية يظهر الظلم والحيف الذي يوقعه اليونانيون الارثوذكس على أبناء طائفتهم من العرب ، ويتجلى ذلك في عدم سماح اليونانيين بوصول عربي ارثوذكسي الى منصب البطريرك ، وفي عدم السماح باقامة الصلوات باللغة العربية . اما الدروز ، فيذكر الكتاب نفسه انه لم يعترف بهم كطائفة مستقلة لا في ايام الحكم التركي ولا ايام الانتداب البريطاني ، ولكن اسرائيل اعترفت بهم ، وذلك بتطبيق قانون التجنيد الاجباري بالنسبة للدروز ١٩٥٧(٢٠).

وفي غمار محاولات التقرب من المجموعة العربية ، وتحت باب اختيار مهنة للتلاميذ ، يبدو التلميذ العربي (احمد) معجبا بالمهندس اليهودي (آلون) الذي كان أعد الخرائط والتصاميم لبناء بيت (احمد). « وليس المهندس (الون) وحده صاحب الفضل اذ المقصود ان الدولة كلها هي مثل (آلون) واحسن ، اذ انها تهتم بالسكان وخاصة الاقليات والمحرومين منهم فتحسن احوالهم »(٢١)! وهكذا نجد تحت صورة آلة زراعية كلمات : الالات الزراعية الحديثة دخلت القرية العربية . وتحت باب اين تتجه ، اي ما المهنة التي تختارها ، يبرز التركيز على المهن الحرفية واليدوية ، وترد قصة فحواها ان الاستاذ كلم والد احد الطلاب في الصف واقنعه بارسال ابنه الى مدرسة صناعية بدلا من الجامعة لان الاولى تفيده أكثر ولأنه يحبها . والهدف من ذلك هو ابقاء العرب كطبقة تمتهن الاعمال اليدوية بدل الطموح الى ميادين التجارة والسياسة والعلم . ويستحسن الكتاب اختيار

الطالب لمهنة والده او قريبه . وهذه (سامية) اختارت مهنة التعليم مثل اختها كما اختار (سامح) مهنة الزراعة كوالده وكذلك (منير)(٢٢). ولكن هذه السياسة التعليمية الهادفة تقع في التناقض حين تضع سلطات الدولة العقبات والصعوبات الكثيرة في وجه تطوير الزراعة العربية ، فتصادر عشرات الالوف من احسن الاراضي الزراعية العربية ، وتحرم المزارعين العرب من الآلات الحديثة للارتقاء بها . وتعمل على الحيلولة دون تسويق جيد للمنتجات الزراعية العربية ، وفقا لسياسة تعسفية عنصرية تنتقص من قدر مهنة الزراعة وتهبط بقيمتها ، بينما تعمل الحكومة على تطوير الزراعة الاسرائيلية وتوسيعها وتقويتها بالقروض والمساعدات على حساب الزراعة العربية ، فتخفض اسعار المحاصيل العربية بالنسبة الى مثيلاتها من المحاصيل اليهودية ، وتضطر المزارع العربي الى بيع محاصيله الى شركات استغلالية تهدر ثمار جهده وعمله وتذهب بمعظم رزقه . وهكذا فان توجيه الطلبة العرب ليكونوا مزارعين هو بمثابة دفعهم الى العمل على اراض اغتصب اليهود معظمها ، وابقوا اكثر من نصف السكان القرويين العرب العاملين في الزراعة دونما ارض ، يعيشون اجراء داخل القرية او خارجها .

ولا يفوت واضع مناهج التعليم ان اسرة الطالب العربي لا بد ان تعارض ما تهدف اليه الدولة من هذا التوجيه ، ولذا يصبح التشكيك بالقيم العربية القديمة هدفا في ذاته . وخلق هوة بين الطالب واهله ، لا تقتصر على دفعه للتمسك بالقيم الجديدة (لبلادنا)(٢٣) فحسب ، وانما ايضا لاصلاح اهله وذويه ، والقصد هنا مزدوج للايقاع بين الطالب واهله وانتزاعه من نطاق سيطرة مفاهيم وقيم البيئة الاسروية التي ترعرع فيها ونشأ عليها ، مع الايحاء للطالب بأن اهله يحملون افكارا قديمة وخاطئة ، فاذا تلقن الطالب في المدرسة افكارا معينة عن الطوائف الدينية وعن الديمقراطية ، وحاول ابوه افهامه معنى القومية ومساوىء الاحتلال وغصب الحقوق رفض الطالب الاقتناع على اساس ان ما تعلم في المدرسة هو الصحيح والافضل(٢٤)!

واخيرا لا آخرا لا بد في مجال الحديث عن خطط اسرائيل تجاه الطلبة العرب في فلسطين المحتلة ، من القول ان خطط التعليم في اسرائيل تهدف الى تحويل القسم الاعظم من الطلبة العرب الى جماعة من الجهلة او انصاف المتعلمين ، والى انقاص الوعي القومي عندهم، وبلبلة افكارهم امام المجتمع اليهودي ، والحق ان نسبة مئوية كبيرة من خريجي المدارس الابتدائية العرب يقرأون ويكتبون اللغة العربية بصعوبة ، وبدلا من ان يتعلم الطلبة نتاج عقول فحول الشعراء والكتاب العرب ، تشحن ذاكرتهم بقطع ادبية مبتذلة لكتاب مغمورين ، هذا الى ان تعليم التوراة الزامي في المدارس الثانوية العربية في حين ان معاني الديانتين الاسلامية والمسيحية لا تدرس ابدا . وكذلك لا تدرس بعض سور القرآن الكريم في المدارس الابتدائية العربية ، ومحرم ايضا تدريس سورة (الممتحنة) في مدارس اليهود لانه ورد فيها آيتان تحضان على الجهاد ضد الذين قاتلوا المسلمين واخرجوهم من ديارهم .

وحين تقرر تدريس مادة (التربية الاسلامية) بعد ست عشرة سنة من قيام اسرائيل ، تركز منهاجها على الجانب الاخلاقي التهذيبي في الاسلام ، وخلا من المواد التي تتعلق بشؤون الحكم او تنظيم المجتمع او الجهاد في سبيل الله ، ضد المعتدين الغاصبين . وتركز على مواضيع الاخلاق والصلاة والمعاملات . وفي موضوع السيرة النبوية يحرص المنهاج على عدم التعرض لعلاقة المسلمين باليهود في بداية الدعوة الاسلامية وموقف اليهود منها ، وهنا يكتفى بذكر الحادثة دون توضيح الاسباب مثل طرد الرسول لبني قريظة او بني النضير. الخ...

تعليم الانسانيات في مرحلة التعليم العالي والجامعي:

بعد أن أحطنا بأهداف تعليم العلوم الانسانية في مرحلة التعليم العام ، ننتقل الى المرحلة الجامعية. يجري تدريس الانسانيات في جامعات اسرائيلية اربع هي : الجامعة العبرية في القدس ، جامعة تل ابيب ، جامعة بار ايلان ، وجامعة حيفا .

وتعتبر **الجامعة العبرية** في القدس اقدم الجامعات في فلسطين المحتلة ، وتعتبر الدراسات الانسانية فيها متقدمة على الجامعات الاخرى التي تأسست بعد قيام الدولة عام ١٩٤٨ . ولقد كان للجامعة العبرية قصب السبق خاصة في ميدان الدراسات اليهودية منذ أول انشائها ، بقصد توثيق العلاقة الروحية التي تربط بين ابناء الجاليات اليهودية في بلدان (المهجر) ، والتي تربط تلك البلدان باسرائيل باعتبارها المركز الوحيد للشعب اليهودي .

وتضم كلية الانسانيات(٢٥) في الجامعة العبرية معهد الدراسات اليهودية ويدرس فيه : التوراة ، التلمود ، الادب العبري ، الفلسفة اليهودية والتصوف ، اللغة العبرية ، التاريخ اليهودي ، اليهودية المعاصرة ، الادب اليديشي . وتضم ايضا معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، ويدرس فيه : الحضارة الاسلامية ، تاريخ البلدان الاسلامية ، اللغة العربية وآدابها ، الدراسات الآسيوية ، الدراسات الافريقية . وتضم الكلية ايضا فرعا للانسانيات بوجه عام، ويشتمل التدريس فيه على مواد : الفلسفة ، الدين المقارن ، التاريخ ، الآثار ، الجغرافية ، اللغة اليونانية وآدابها ، اللغة اللاتينية وآدابها ، تاريخ اليونان والرومان ، دراسات كلاسيكية ، اللغة الفرنسية وآدابها ، اللغة الايطالية وآدابها ، اللغة الاسبانية ودراسات امريكية لاتينية ، دراسات رومانسية (اللغات واللهجات المشتقة عن الرومانية واللاتينية) ، اللغة الانكليزية وآدابها ، دراسات امريكية ، دراسات روسية ، ادب مقارن ، تاريخ الفن ، علم الموسيقى ، لغويات ، علم مصر القديمة ، علم آشور القديمة ، تربية . كما يشتمل التدريس على مواد متداخلة : التوراة والتاريخ اليهودي ، الادب العبري واللغة العبرية ، التاريخ اليهودي وتاريخ الفكر اليهودي .

ولكي ينال الطالب شهادة البكالوريوس في الانسانيات يتوجب عليه ان يدرس ثلاث سنوات يتقدم في نهاية كل منها امتحانات في مواد موضوعين رئيسيين يختارهما اما من : آ ــ كلية الانسانيات ، ب ــ كلية العلوم الاجتماعية ، ج ــ موضوع من كلية الانسانيات وموضوع من كلية العلوم الاجتماعية ، د ــ موضوع من كلية الانسانيات وموضوع متداخل ومتصل باقسام اخرى . يضاف الى ذلك ان الطلبة في مختلف اقسام الكلية مطالبون باخذ مواد مساعدة ، مع تركيز على مواد اللغة العبرية . والطلبة من خارج اسرائيل مطالبون باتقان العبرية قبل بدء الدراسة او اثنائها .

وجدير بالذكر انه بعد انشاء دولة اسرائيل برزت الحاجة الى تكوين جهاز من الخبراء في شؤون الشرق الادنى خاصة ، ليعملوا في الخدمات الحكومية ، ليس فقط في ميدان تطوير السياسة الاجتماعية ، والثقافية فحسب وانما لاقامة دورات دراسية متعمقة باللغتين العربية والفارسية ، بغية افساح المجال لامكانات دراسة ادب وثقافة وتاريخ شعوب هذه المنطقة من القارة الآسيوية . وفي نطاق تلبية حاجات التغلغل الاسرائيلي في الدول الجديدة التي استقلت حديثا في آسيا وافريقيا ، جرى توسيع ميدان الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية ، وانعقدت فيها دورات دراسية باللغة الصينية، وادخل الى برامج التدريس مواد التاريخ المعاصر لبلدان جنوب شرق آسيا ، والتطورات الاجتماعية للصين الحديثة . وتقرر كذلك تأسيس برنامج لدورات دراسية اساسية عن الهند والصين واليابان للاحاطة باللغة والادب والتطور الاقتصادي والاجتماعي في كل منها .

جامعة تل ابيب(٢٦): تأسست عام ١٩٥٤ ، وتضم خمس كليات هي كلية الانسانيات ، كلية العلوم ، كلية الطب ، كلية العلوم الاجتماعية ، كلية الحقوق . وتمتد الدراسة في كلية الانسانيات على ثلاث سنوات يحصل الطالب في نهايتها على شهادة البكالوريوس وتتشابه مواضيع الدراسة والاقسام في كلية الانسانيات في جامعة تل ابيب مع مثيلتها في الجامعة العبرية . وفيما يلي بعض الشروط الواجب توفرها في طالب الدراسة في احد اقسام الكلية التالية :

التلمود ــ يدخله الطلبة الذين تلقوا تربية دينية كافية ، حيث يدرسون موضوعا رئيسيا من الموضوعات التالية : التوراة ، اللغة العبرية ، التاريخ اليهودي ، تاريخ الشرق الاوسط وافريقيا ، الرياضيات . وينصح الطلبة باستشارة رئيس قسم التلمود بخصوص اختيارهم للموضوع الرئيسي الثاني المطلوب لشهادة البكالوريوس .

اللغة العبرية (لغويات) ــ يقبل فيه حملة شهادة الدراسة الثانوية (الماترك او البغروت) مع اعتبار علامات اللغة العبرية . وينصح القسم الطلبة بأن يختاروا الموضوع الرئيسي الثاني من الدراسات اليهودية مثل : التوراة ، الادب العبري ، التلمود، الفلسفة اليهودية ، التاريخ اليهودي ، اللغويات اليهودية الخ.

الادب العبري : تؤخذ بعين الاعتبار علامة الطالب في اللغة العبرية .

التاريخ العبري : يشترط نيل الطالب علامة لا تقل عن (٧٠) في التاريخ بشهادة الدراسة الثانوية ، مع اتقان للانكليزية والمام بالالمانية او الفرنسية .

الفلسفة : لا شروط .

الفلسفة اليهودية : تؤخذ بعين الاعتبار علامة الطالب في الدراسات اليهودية ، وتتطلب طبيعة الموضوع في هذا القسم ان يختار الطالب موضوعه الرئيسي الثاني مما يلي : التوراة ، التلمود ، اللغة العبرية ، الادب العبري ، التاريخ اليهودي، الدراسات الكلاسيكية ، الفلسفة .

دراسات الشرق الاوسط القديمة — يمكن للطالب ان يختار الموضوعين الرئيسيين من هذا القسم ، شريطة ان يبرهن على معرفة بالتاريخ التوراتي ، واتقان اللغة العبرية ، وتؤخذ بعين الاعتبار علاماته في شهادة الدراسة الثانوية . ويختار الطالب موضوعه الرئيسي الثاني مما يلي : التوراة ، التلمود ، اللغة العبرية ، الادب العبري ، التاريخ اليهودي ، الادب (عام) ، الجغرافية ، علم النبات ، علم الحياة ، تاريخ الشرق الاوسط وافريقيا ، احد المواضيع الرئيسية في كلية العلوم الاجتماعية .

الدراسات الكلاسيكية : بفرعيها اليوناني واللاتيني. وينصح الطلبة باختيار موضوعهم الثاني من الاقسام التالية : التلمود ، الادب العبري ، التاريخ اليهودي ، الفلسفة ، الفلسفة اليهودية ، التاريخ (عام) ، الحضارة الفرنسية ، اللغة الانكليزية ، الشعر والادب المقارن ، الفنون المسرحية ، علم الاجتماع ، علم السياسة .

التاريخ (عام) : يقبل الطلبة على اساس معدلهم العام في شهادة الدراسة الثانوية .

تاريخ الشرق الاوسط وافريقيا : يقبل الطلبة على اساس مؤهلاتهم الشخصية ، وينصحون باختيار موضوعهم الثاني من واحد من اقسام التاريخ او الجغرافية او من اقسام كلية العلوم الاجتماعية .

الحضارة الفرنسية : يطلب معرفة مسبقة بالفرنسية ، ويعقد امتحان لهذه الغاية باللغة والانشاء والقواعد مع فحوص شفهية .

اللغة الانكليزية: يشتمل القسم على شعبتين: شعبة اللغويات وشعبة الادب الانكليزي والامريكي . واختيار برامج الشعبتين يعادل الموضوعين الرئيسيين المطلوب تغطيتهما لنوال البكالوريوس . ومثل هذا البرنامج المركب ينصح به خاصة من سيتخذون تدريس اللغة الانكليزية مهنة لهم .

ويطلب من المرشحين لدخول هذا القسم معرفة مسبقة بالانكليزية ، ويشترط نجاحهم في امتحان دخول القسم .

الشعر والادب المقارن : يطلب من المرشح نجاحه في امتحان دخول القسم ، من معرفة مقبولة بالانكليزية ، ويمكن ان يختار الطالب موضوعه الرئيسي الثاني من الاقسام التالية : الادب العبري ، الحضارة الفرنسية ، اللغة الانكليزية ، الفنون المسرحية ، التوراة ، الفلسفة ، علم النفس ، علم الموسيقى .

فنون المسرح : حدد عدد الطلبة في هذا القسم لعام ١٩٦٨/١٩٦٩ بثمانية وعشرين طالبا ، يؤخذون بأفضلية علاماتهم في شهادة الدراسة الثانوية وفي المقابلة الشخصية التي تعقد لمعرفة احاطتهم بشؤون المسرح والدراما ، ولمعرفة قابلياتهم واستعدادهم للعمل ، ويتطلب دخول هذا القسم معرفة متقدمة باللغة الانكليزية .

علم النفس : يتطلب دخوله النجاح في مسابقة الدخول لمعرفة اهلية الطالب ، بالاضافة الى اخذ علاماته في شهادة الدراسة الثانوية بعين الاعتبار. وينصح الطلبة باختيار موضوعهم الرئيسي الثاني من مواد : الاحصاء ، علم الاجتماع ، علم الحيوان (برنامج نوعي يتلاءم مع دراسة علم النفس) ، الفلسفة ، الرياضيات (برنامج خاص) .

علم الموسيقى : يؤخذ الطلبة بناء على افضلية علاماتهم في الشهادة الثانوية ، اضافة الى نجاحهم في المقابلة الشخصية لامتحان معرفته بالهارمونيا وبالاشكال الموسيقية .

الجغرافيا : يؤخذ الطلبة بناء على افضلية علاماتهم في الشهادة الثانوية ، اضافة الى نجاحهم في المقابلة الشخصية . وينصح الطلبة باختيار موضوعهم الرئيسي الثاني من اقسام : التاريخ (عام) ، تاريخ الشرق الاوسط وافريقيا ، دراسات الشرق الاوسط القديمة ، بلدان نامية ، اقتصاد ، علم الاجتماع .

دراسات في اللغات الاجنبية : يطلب في نهاية السنة الاولى ان يبرهن طلبة القسم على سوية اعلى من سويتهم في شهادة الدراسة الثانوية في واحدة من اللغات : الانكليزية ، الفرنسية ، الالمانية

اللغة الانكليزية : تعقد مسابقة لتحديد سوية الطلبة المرشحين في احدى فئات اربع بحسب قوتهم

او ضعفهم. ويسجل الضعاف منهم في دورات صيفية تعقدها الجامعة .

هذا وقد انشىء في جامعة تل ابيب عام ١٩٦٣ قسم خاص بالتاريخ العسكري وذلك للقيام بدراسات في التاريخ العسكري، وخاصة ما يتعلق منه بفلسطين. ويشترك في اعمال هذا القسم عدد من كبار ضباط الجيش الاسرائيلي وعدد من اساتذة الجامعة وغيرهم(٢٧). وفي نهاية عام ١٩٦٥ الحق بجامعة تل ابيب مركز رئوفن شيلواح الذي تأسس عام ١٩٥٩ لبحث الشؤون الراهنة لبلدان الشرق الاوسط وآسيا وافريقيا ، ويركز على دراسة الاقليات في الوطن العربي ، ويقوم بنشاطاته تحت عاية الجمعية الشرقية الاسرائيلية التي تصدر مجلة ربعية اسمها هامزراحي هاحاداش — الشرق الجديد . وفي صيف عام ١٩٦٩ تم الاتفاق بين جامعة تل ابيب ورئاسة الاركان الاسرائيلية على ان يدرس ضباط مدرسة الاركان في جامعة تل ابيب للحصول على دراسة جامعية . وينص الاتفاق على ان يستمع ضباط مدرسة الاركان الى محاضرات في مواضيع التاريخ والجغرافية ، على ان يستكملوا دراساتهم في مواعيد اخرى لاحقة لغرض الحصول على شهادة البكالوريوس(٢٨). وفي عام ١٩٦٩ اقامت جامعة تل ابيب معهدا لبحوث الاثار القديمة يعمل في نطاق كلية العلوم الاجتماعية ، ويهدف الى اعداد اجيال من الباحثين وعلماء الاثار الاسرائيليين الذين يحاولون الايهام بوجود علاقة واشجة بين ما يسمى بشعب اسرائيل وارض اسرائيل(٢٩).

جامعة بارايلان : هي الجامعة الاكثر يهودية ، تأسست في رامات غان بين تل ابيب وبتاح تكفا (١٩٥٣) ، وافتتحت رسميا عام ١٩٥٥ . أنشأتها منظمة مزراحي الامريكية (الحركة الصهيونية الدينية) ، وسميت الجامعة باسم رئيس المنظمة السابق مئير بارايلان ، يديرها مجلس امناء مقره في نيويورك وكبار اساتذتها من خريجي الجامعات الامريكية ؛ وتتميز الجامعة بطابعها الديني وولائمها للتقاليد اليهودية ولطريقة الحياة اليهودية ، وتهدف الى خلق جيل من الشبان المتعلمين يجمعون بين تمسكهم بالعقيدة الدينية والموضوعات العلمية والعصرية . وتهدف كذلك الى ادخال النظام الجامعي الامريكي الى اسرائيل ، وتسهيل تبادل الطلبة مع الولايات المتحدة ، وخلق جسر ثقافي بين البلدين . وتتألف جامعة بارايلان من ثلاث كليات هي : ١ — كلية الدراسات الانسانية وتشمل قسم اللاهوت اليهودي (التوراة ، التلمود ، اغادا ، ميدراش) ، التاريخ اليهودي ، الادب العبري ، وقسم اللغات والاداب (اللغة العبرية ، اللغة العربية ، اللغة الانكليزية ، اللغة الفرنسية ، اللغة اليونانية ، اللغة اللاتينية) . ٢ — وكلية العلوم الاجتماعية وتشمل اقسام التاريخ والفلسفة، وعلم الاجتماع ، والاقتصاد ، وعلم النفس ، والتربية ، وعلم السياسة . ٣ — وكلية العلوم باقسامها .

وهذه الجامعة تسعى لتنمية البحوث والدراسات في جميع ميادين الثقافة اليهودية والثقافة العامة . وتسعى كذلك الى التعريف بالتعاليم اليهودية ، والى تقوية الولاء للتقاليد اليهودية . والجامعة باطلاعها على الاحتياجات الخاصة لدولة اسرائيل ولليهود في « المهجر » تبغي تدريب اجيال من الادباء والعلماء المشبعين بحب اسرائيل والملمين بشعور من الواجب، تجاه الشعب اليهودي . وتسعى ايضا الى اعطاء الفرصة لزعماء الطوائف اليهودية المقبلين في « المهجر » ، كيما يتزودوا بالتعليم العالي او على الاقل بجزء منه في اسرائيل .

وفي نطاق الجامعة تأسس في صيف عام ١٩٧٠ معهد لدراسة تاريخ اليهود الشرقيين بغية اعطاء معلومات مفصلة ومستندات عن تاريخ اليهود في البلدان الاسلامية(٣٠) ومؤخرا افتتح فرع للجامعة في صفد (١٩٦٨/١٠/٢٢) حيث يتلقى الطلبة دروسا في المواد المتعلقة بالعلوم التاريخية والاقتصادية والاجتماعية ، واللغة العبرية وعلم النفس(٣١). وتخصص جامعة بارايلان ربع مجموع مساقات الطالب للعلوم الدينية اليهودية .

جامعة هيفا : تأسست عام ١٩٥٢ واقتصرت على معهد للقانون والاقتصاد ، وفي عام ١٩٥٤ انشىء فرع العلوم الانسانية، وفي ١٩٥٧ انشىء فرع للعلوم الاجتماعية ، وفي عام ١٩٦٧ افتتح فرع للدراسات الاسلامية (تاريخ الاقطار الاسلامية) ، كما افتتح فرع للفلسفة عام ١٩٦٨ . وتتألف الجامعة اليوم من كليتين : كلية الدراسات الانسانية وكلية العلوم الاجتماعية . وتضم هاتان الكليتان خمسة عشر قسما أهمها : التوراة ، اللغة العبرية ، التاريخ اليهودي ، التاريخ العام ، اللغة الفرنسية وآدابها ، اللغة الانكليزية وآدابها ، اللغة العربية

وآدابها ، الجغرافية ، التربية ، علم الاجتماع ، وعلم السياسة . وزاد عدد طلبة الجامعة من ٥٦٥ عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ الى ١٨٢٩ عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، منهم ٤٥٥ طالبا في كلية العلوم الاجتماعية و١٣٧٤ طالبا في كلية العلوم الانسانية ، كما زاد عدد أعضاء هيئة التدريس في الفترة ذاتها من ٩٢ الى ٢١٦ .

مدد الدراسة : يحتاج الطالب الى ثلاث سنوات للحصول على شهادة البكالوريوس من كلية العلوم الانسانية وكلية العلوم الاجتماعية . ويحتاج الطالب الى سنتين اخريين للحصول على شهادة الماجستير ، ويطلب منه كتابة رسالة في موضوع تخصصه . اما الدكتوراه فيحصل عليها الطالب بعد نواله الماجستير ، وليس لها زمن محدد .

ويشترط في جميع كليات الجامعات في فلسطين المحتلة ان يحضر الطالب المحاضرات وحلقات البحث ولا يجوز الانتساب وعدم الحضور مطلقا . ولكن تقدم الجامعة بعض التسهيلات للطلبة الذين يتعذر حضورهم في اوقات الدراسة الصباحية المعتادة ، وذلك بعقد دراسات مسائية لهم كما هو الحال في جامعة حيفا . وفي جامعة تل ابيب يجري تدريس القانون والعلوم الاجتماعية في المساء لمدة ثلاث سنوات، اما في السنة الرابعة فيشترط ان يقضيها الطالب في الدراسة الصباحية المعتادة كبقية الطلبة النظاميين .

البحوث والدراسات العليا (تحليل وتقييم) :

اذا اتفقنا على ان المستوى العلمي الذي يتمتع به اي قسم في اي جامعة انما يقاس بالعدد السنوي للمقالات والبحوث العلمية التي يصدرها العاملون في هذا القسم ، فاننا سنتخذ هذا المقياس اساسا في محاولتنا تقييم الانتاج العلمي في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية الذي جرى تنفيذه في الجامعة العبرية بالقدس . وفي اعتقادنا ان هذا لا يضير تحليلنا وتقييمنا لنشاط البحوث والدراسات، لان الجامعة العبرية لا تعتبر اقدم الجامعات في فلسطين المحتلة واقواها في الدراسات الانسانية والاجتماعية فحسب ، وانما ايضا اغزرها انتاجا وارقاها سبلا في هذا الميدان . وقد توفر لنا مصدر هام بالانكليزية اصدرته الجامعة العبرية عام ١٩٦٦ بعنوان تقرير ابحاث يشمل العامين ١٩٦٤ و١٩٦٥ ويصف في قسمه الاول والاصغر نتاج الباحثين والعلماء في العلوم الانسانية . ويصف في قسمه الثاني والاكبر نتاج الباحثين والعلماء في العلوم الاساسية الاخرى . كما وقع لنا مؤلف عنوانه (العلم والتعليم العالي في اسرائيل)(٣٢) يعتمد المصدر نفسه (تقرير ابحاث) في عرضه وتحليله لبحوث العلوم الاساسية التي قامت في كل من الجامعة العبرية بالقدس ، ومعهد وايزمن في رحوبوت ، ومعهد التخنيون (معهد اسرائيل التكنولوجي) في حيفا ، من حيث النوع والكم ، وفي احصائه لعدد البحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية التي قام بها اربعة اقسام هي : اللغة الانكليزية والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع .

وتبين الجداول التي يحتويها الكتاب ان عضو هيئة التدريس في الجامعات الاسرائيلية ينشر في المتوسط مؤلفا واحدا فقط في العام الواحد . فاذا اخذنا بعين الاعتبار جميع افراد القوة العاملة في هذه الاقسام ، والتي تتألف (بالاضافة الى من هم محاضرون فما فوق) من حملة الدكتوراه ، وطلبة الدكتوراه والماجستير ، نجد (حتى في حالة استثناء طلبة الماجستير من افراد القوة العاملة) ان معدل النشر السنوي لعضو هيئة التدريس يهبط الى اقل من مؤلف واحد في العام الواحد ، الامر الذي لا يعطي انطباعا حسنا عن الاقسام المؤهلة لمنح درجة الدكتوراه .

ويلاحظ من عرض (تقرير ابحاث) ان الاهتمام بالقضايا المحلية كثيرا ما يغلب على الابحاث المتعلقة بالعلوم الانسانية والاجتماعية ، لدرجة تجعل من المتعذر ان يطبق الدارس بشأن هذه العلوم مقاييس موضوعية عالمية . وفيما يلي عرض لبعض مشروعات هذه البحوث الانسانية والاجتماعية التي جرى ويجري تنفيذها برعاية مختلف معاهد الجامعة العبرية ، وتحت اشراف عدد من الاساتذة الكبار ، يعاونهم اساتذة مساعدون واحيانا علماء من خارج الجامعة ، وسنعتمد في ما سنورده بهذا الشأن على كتيب بالانكليزية اصدرته الجامعة العبرية عام ١٩٦٩(٣٣).

مشروعات البحوث في معهد الدراسات اليهودية :

١ — مشروع لنشر التوراة بالعبرية بالاستناد الى اقدم المخطوطات التوراتية المكتشفة مثل مخطوطات البحر الميت ، مقتبسات من الادب الحاخامي ، بحيث يشتمل المشروع على مادة لم يسبق استعمالها

في اي نشرة سابقة للتوراة . ٢ ــ مشروع يرمي الى فهرسة تامة للوثائق المتعلقة بالجاليات اليهودية في كل بلد من بلاد « المهجر » ، في كل مدينة وقرية من اوروبا ، منذ بدء الاستيطان اليهودي فيها حتى نهاية العصور الوسطى . ٣ ــ مشروع تنظيم محفوظات الفولكلور اليهودي في كل مظاهره ، في الجامعة العبرية ، وقد تم جمع اكثر من ٨٠٠٠ اقصوصة شعبية ، نشر معظمها ، حول عادات الزواج والدفن ، والطب الشعبي والامثال . ٤ ــ بحث عن التقاليد اللغوية لدى الجماعات اليهودية ، يرمي الى تقصيها عند يهود « المنفى » عن طريق جمع المعلومات المعتمدة على الروايـة الشفوية . ٥ ــ تحليل احصائي عن اللغة العبرية الحديثة والادب العبري الحديث ، وعن الشعـر العبري في العصور الوسطى .

مشروعات في معهد اليهودية المعاصرة: ١ ــ برنامج البحوث في هذا المعهد يتسع للبحث والتوثيق . وقد انشأ مجموعة مـن الوثائق الاساسية عـن الجماعات اليهودية ومؤسساتها في العالم ، وزاد عليها قسم التاريخ الشفوي من خلال المقابلات التي اجريت مـع بعض الشخصيات المختارة ، وذلك بقصد رسم صورة كاملة لحياة اليهود في العصر الحاضر. ٢ ــ مشروع دراسات الجماعات اليهودية في العالم ، ويجري بالتعاون بين المؤرخين وعلماء الاجتماع في الامريكيتين واوربا وفلسطين المحتلة . وقد بدىء به فعلا وعقدت مؤتمرات بشأنه في القدس وبونس آيرس ونيويورك ولندن وبروكسل ، وقد انجلت عن تشكيل هيئات محلية تعمل مع معهد اليهودية المعاصرة في الجامعة العبرية بالقدس . ٣ ــ مشروع الديموغرافيا اليهودية والاحصاء : ويجري بالتعاون مع المؤسسات اليهودية المركزية في شتى انحاء العالم بقصد ترقية جمع المعلومات الاحصائية لتكون في خدمة الهدف النهائي وهـو تأسيس مركز عالمي في القدس للبحث الديموغرافي اليهودي . وتركز اهتمامـه مبدئيا على انشـاء ببليوغرافيا شاملة ومركز توثيق . وقد صدر عن المشروع مجلدان: الديموغرافيا اليهودية واحصاءات ببليوغرافية (١٩٢٠ ــ ١٩٦٠) ، والببليوغرافيا العالمية لاحصاءات الصحة اليهودية . ٤ ــ بحث عن تاريخ الحـركة الصهيونية واليشوف (يهود فلسطين) الجديد في اسرائيل: وتتطلب خطط البحث التعاون مع المؤسسات اليهودية في الخارج ليشمل البحث تاريخ الحركة الصهيونية في مختلف بلدان العالم . ويعنـى البحث ايضا بموضوع تاريخ الاستيطان اليهودي في فلسطين المحتلة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا . ويجري العمل بالتعاون بين اساتذة التاريخ واساتذة قسم علم الاجتماع ومدرسة الخدمة الاجتماعية . ٥ ــ بحث عـن التعليم اليهودي في بلدان «المهجر». ٦ ــ بحث عن علم النفس الاجتماعي لليهود في العصر الحاضر ــ وثمة مشروعان ، في سلسلة البحث : الاول عن مواقف الشباب الاسرائيليين من يهوديتهم ومـن الجماعات اليهودية في الخارج . والثاني عـن الهوية السلالية (الجنسية) والقيم الحضارية لطلبة المدرسة الثانوية في فلسطين المحتلة . ٧ ــ بحث عن تاريخ اوربا في فترة الحكم النازي (١٩٣٣ ــ ١٩٤٥) .

مشروعات معهد الدراسات الاسيوية والافريقية :

١ ــ مشروع قاموس لكلمات الشعر العربي القديم: ويشتمل على فهرسة آثار جميع الشعراء العـرب المعروفين منذ ما قبل ظهور الاسلام حتى نهايـة العصر الاموي . ٢ ــ طبعـة جديدة للقامـوس العربي ــ العبري . ٣ ــ الجغرافية التاريخيـة لفلسطين اثناء الحكم التركي . ٤ ــ سجل بالنقوش والمخطوطات في فلسطين المحتلـة بقصد تتبعهـا وتصويرها وفك رموزها ثم نشرها ، حتى نهايـة الحكـم التـركي (١٩١٨) . ٥ ــ التطـورات الاجتماعية والثقافية الحديثة في مصر وتركيـا . ويتالف الجزء الاول من المشروع من تهيئة فهرسة منظمة للمراجع عن موضوعات الصحف العـربية والتركية حول شتى الموضوعات في هذا الميـدان منذ عام ١٩٣٠ وما بعده . ٦ ــ التاريخ الحديث والمعاصر للعرب في فلسطين . ٧ ــ الترجمة من العربية الى العبرية وبالعكس ، ويرمي المشروع الى الاسهام في تسهيل فهم المثقفين العرب واليهود لتراث كل منهم ولقضاياه الحاضرة . ٨ ــ توثيق التجربة الاسرائيلية في افريقيا .

مشروعات عامة اخرى : ١ ــ بحث الجغرافيـة التاريخية للارض المقدسة تحت حكم الصليبيين ، وهدف المشروع هو جمع المعلومات من مصادر تعود الى القرون الوسطى عن مملكة القدس اللاتينية من وجهة نظر الطوبوغرافية والتاريـخ الارضـي الاقليمي. وقد نشرت خريطة فلسطين ايام الصليبيين كبداية استهلال للمشروع . ٢ ــ سجل النقوش

والمخطوطات اليونانية واللاتينية في فلسطين — جمعها وتسجيلها ونشرها. ٣ — بحث عن الحفريات الآثارية — وهو جزء من برنامج ينفذه معهد الآثار بالتعاون مع الاجهزة العلمية الاخرى . ويعالج مختلف الفترات الحضارية الاولى : في ما قبل التاريخ وفترة الهيكل الثاني ، وفترات رومانية وبيزنطية . ٤ — اطلس عن فلسطين المحتلة (اسرائيل) . وهو دراسة في جغرافية المدن بفلسطين المحتلة ودراسة عن مدينة القدس قام بها قسم الجغرافيا ، وتشكل اساسا لسلسلة من الخرائط الاقليمية والمورفولوجية . وقد صدر الاطلس بالالوان وبالمعلومات الرمزية الكاملة عن مختلف وجوه الحياة المدنية .

بعض مواضيع الاطروحات المقبولة في الجامعة العبرية لنيل الدكتوراه في الانسانيات والعلوم الاجتماعية والقانون[٣٤] (١٩٦١ — ١٩٦٢) : ١ — الخروج من مصر . ٢ — الزمان والمكان في التفكير التوراتي . ٣ — المظاهر القانونية والايديولوجية لاعادة توزيع الارض في بلاد اليونان القديمة . ٤ — النشاط الاقتصادي للاريستوقراطية الانكليزية اليهودية في التجارة العالمية في القرن الثامن عشر . ٥ — نقد الارسطوطاليسية لدى المفكرين اليهود في القرون الوسطى . ٦ — الهاغانا والبالماخ ضد خلفية السياسية الصهيونية في الحرب العالمية الثانية . ٧ — تأثير الهجرة الكثيفة على الاجور في اسرائيل (١٩٤٨ — ١٩٥٨) . ٨ — رقابة الدولة في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والجمهورية البولونية .

التعاون بين علماء الانسانيات الاسرائيليين وبلدان العالم: يشعر اساتذة العلوم الانسانية والاجتماعية في المعاهد والجامعات في فلسطين المحتلة انهم لن يحققوا اي نجاح ملحوظ اذا انعزلوا عن العالم الخارجي ، ولذا فانهم يقيمون صلات شخصية ومباشرة بعضهم ببعض داخل فلسطين المحتلة ، ويتبادلون الزيارات مع الاساتذة والعلماء الاجانب خارج فلسطين المحتلة ، ويحضرون المؤتمرات العالمية التي تدور حول اختصاصات معينة ، ويتبادلون نتائج البحوث وخططها غالبا قبل قيامهم بنشر هذه النتائج بعام على الاقل . كذلك تقوم الجامعات والمعاهد باستدعاء الاساتذة الزائرين من الخارج لالقاء محاضرات عن احدث بحوثهم ودراساتهم ، وللمشاركة في التعليم والابحاث ، وقد تمتد اقامتهم حتى العام الواحد . ويسافر الاساتذة الجامعيون الاسرائيليون مرة واحدة على الاقل في العام ، لحضور المؤتمرات وزيارة مراكز الابحاث الاجنبية ، كما يشاركون في مؤتمرات المستشرقين التي يسهم فيها عدد منهم . ولم يتوفر لنا احصاء عن مؤتمرات وندوات العلوم الانسانية والاجتماعية التي شارك فيها باحثون جامعيون من فلسطين المحتلة ، ولكن عدد المؤتمرات التي انعقدت في فلسطين المحتلة ما بين ١٩٦٦ — ١٩٦٨ ، هو ٧٣ مؤتمرا . منها ١٠ للصحافة والسياحة و١ للآثار و٢ للعلوم الاجتماعية .

وغالبا ما يقوم المعهد او الجامعة باستضافة المحاضرين الاجانب ، الامر الذي يدل على ان المساعدات التي يتلقاها العلماء والباحثون في فلسطين المحتلة كافية نوعا وكما . وقد حذر بعض الكتاب الاسرائيليين من الاخطار التي تتهدد دولة صغيرة كاسرائيل بسبب انعزالها العلمي . هذه الاخطار التي تكمن في احتمال فقدان روح المنافسة بين العلماء والمعاهد ، وفي احتمال جمود المستويات العلمية ومحافظتها على وضع السكون العادي دون احراز اي تقدم ، الامر الذي يهدد باخماد الروح العلمية لدى العلماء ويذهب بمواهبهم وامكاناتهم . ولذلك تحرص الجامعات والمعاهد على توثيق صلاتها مع الدوائر العلمية المناظرة لها في الخارج، بالاطلاع اليومي على آخر تطورات العلوم والابحاث فيها .

تطور الجامعات وبروز بعض المشاكل : آمن الصهاينة باهمية الجامعات ومراكز البحوث في عملية (بناء الدولة) ، ومنذ اوائل القرن الحالي ارتفعت الدعوة لانشاء معهد علمي ينبعث منه « دفع روحي ومادي جديد لكيان الامة المريض » . وبرزت الجامعة العبرية الى الوجود في فلسطين حين قام وايزمن بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى (١٩١٨) بوضع حجر الاساس للجامعة على جبل المكبر في مدينة القدس ، وكان الحجر عبارة عن اثني عشر حجرا تمثل القبائل اليهودية الاثنتي عشرة التي يقال انها كانت موجودة في فلسطين . وبدأ الصهاينة يستخدمون سلاح العلم لترسيخ فكرة الوطن القومي اليهودي قبل عام ١٩٤٨ ، وفكرة الدولة اليهودية وحماية مكاسبها ، والتطلع الى تحقيق اهدافها المرحلية التوسعية بعد عام ١٩٤٨ ، لذلك حظي التعليم العالي بمكانة مرموقة وادى خدمات كبيرة

في تعميق الفكر اليهودي ، وفي توسيع الدراسات اليهودية ، على ما رأينا .

وقد تحسنت السوية العلمية في الجامعات وتطورت برامجها فاصبحت تمنح درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه في مختلف انواع التخصص ، وتطورت فيها الدراسات والبحوث وعقدت المؤتمرات والندوات لمناقشة نتاجها في داخل فلسطين المحتلة لتدعو اليها المهتمين في شؤون الشرق الاوسط وخاصة من دول اوربا الغربية وامريكا ، فتعقد لهم دراسات متخصصة وتشرح لهم اوضاع المنطقة ومشاكل اسرائيل من الزاوية الصهيونية ، عن طريق الندوات والمحاضرات . ومدت الجامعات كذلك نشاطها الى الدول الاسيوية والافريقية وخصصت المنح لابنائها الطلبة ، اجتذابا لعطفها وكسب تاييدها ، وقد بلغ عدد هؤلاء الوافدين (١٣٠٠) طالب في عام ١٩٦٦/١٩٦٧ ، وبذلك تكون الجامعات قد شاركت كثيرا في خدمة الاهداف الصهيونية . وقد ارتفعت اعداد الاساتذة والطلبة في الجامعات الاسرائيلية ، فبينما كان عدد الاساتذة من رتبة محاضر فما فوق (٢٩٣) للعام الدراسي ١٩٤٨/١٩٤٩ ، اذا به يرتفع الى (٤٤٩٩) في العام الدراسي ١٩٦٨/١٩٦٩ اي بزيادة (١٥) ضعفا . كما ارتفع عدد الطلبة في الفترة نفسها من (١٦٣٥) الى (٢٨٥٢٠) اي بزيادة (١٧) ضعفا . وبلغ عدد طلبة الانسانيات في الجامعة العبرية للعام الدراسي ١٩٦٧/١٩٦٨ (٤١٠٤) مقابل (٣٣١) استاذا من رتبة محاضر فما فوق وذلك من اصل (١١٥٨٦) طالبا هو مجموع عدد طلبة الجامعة العبرية بمختلف كلياتها ، وموزعون على الزراعة (٩٠٩) والعلوم (١٨٦٢) والطب (٨٢١) والحقوق (١٤٠٠) والعلوم الاجتماعية (٢٩٩٠)[٣٥]. ويبين الجدول الاتي عدد الطلبة والهيئة التدريسية في كلية الانسانيات بالجامعة العبرية وجامعة تل ابيب وجامعة بار ايلان للعام الدراسي ١٩٦٧/١٩٦٨[٣٦].

ـ الجامعة العبرية : هيئتها التدريسية ٣٣١ ، طلبتها ٤١٠٤ ، الماجستير ٦٨ ، الدكتوراه ١٠ .
ـ جامعة تل ابيب : هيئتها التدريسية ٤٢٠ ، طلبتها ٢٥٠٥ ، الماجستير ١٧ ، الدكتوراه ـ .
ـ جامعة بار ايلان : هيئتها التدريسية ٢٠٥ ، طلبتها ١٥٣٧ ، الماجستير ١٨ ، الدكتوراه ـ .

ويواجه التعليم الجامعي في اسرائيل مشكلة زيادة عدد الطلبة في كليات الانسانيات والعلوم الاجتماعية، وعلى الرغم من اهتمامها بهذين الميدانيين غير انها تسعى جاهدة لتوجيه الطلبة نحو ميادين العلوم الاساسية والتطبيقية وفقا لاحتياجاتها واهدافها . كما يواجه التعليم الجامعي مشكلة التمييز بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ذلك ان عدد اليهود الشرقيين (من اصل آسيوي وافريقي) الذين يتمكنون من اجتياز مرحلة التعليم العام ويصلون الى الجامعة لا يزيد عن عشرة بالمائة من مجموع الطلبة الاسرائيلية . فقد بلغ عدد الشرقيين عام ١٩٦٦/١٩٦٧ (٢٥٠٩) طلاب من اصل (٢٨٥٢٠) طالبا برغم ان الشرقيين لا يقلون عددا عن الغربيين بل يزيدون عليهم باكثر من (١٤٠) الفا حسب المصادر الاحصائية الصهيونية الرسمية لعام ١٩٦٧[٣٧]. ويتصف اليهود الشرقيون بانخفاض مستوى معيشتهم وتدني مستواهم الثقافي والمهني. بعكس الغربيين الذين يسيطرون تماما على كل مرافق الدولة ويتمتعون بافضل مستويات المعيشة والثقافة . اما العرب فتقدر عددهم المصادر الاحصائية الصهيونية عام ٦٧/٦٦ ٣١٢٠٥ الفا يعيش معظمهم في المنطقة الشمالية ، ونسبة الطلبة العرب في الجامعة العبرية نسبة ضئيلة جدا ، تتراوح بين ١ و ٢ بالمائة من مجموع طلبة الجامعة، برغم انهم حوالي ١١ بالمائة من السكان ومعظمهم يلتحق بكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية والحقوق. ولا يلتحق احد من الطلبة العرب بجامعة بارايلان نظرا لصبغتها الدينية . اما جامعة تل ابيب فليس ثمة دلائل على وجود الطلبة العرب فيها . اما معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) فقد انتسب اليه ثلاثة طلاب عرب في العام الدراسي ١٩٦٤/١٩٦٥ ، في حين ان معهد وايزمن يحظر دخول الطلبة العرب اليه نظرا لتخصصه في البحوث العلمية ذات الصلة بأمن الدولة . كذلك بلغ عدد الطلبة العرب في جامعة حيفا (٩٠) طالبا للعام الدراسي ١٩٦٦/١٩٦٧ .

ويبدأ العام الدراسي في مطلع شهر تشرين الاول وينتهي في شهر تموز ، ويقسم الى ثلاثة فصول كل منها عشرة اسابيع ، وينطبق هذا على الجامعة العبرية وجامعة تل ابيب . اما جامعة بار ايلان فينقسم في العام الدراسي الى فصلين دراسيين كل منهما اربعة شهور .

ويعتمد تعليم الانسانيات على المحاضرات والندوات،

مع تركيز خاص على البحث والتقصي ، ويتقدم الطلبة لاداء امتحانين اولهما في نهاية الفصل الدراسي الاول والثاني في نهاية الفصل الدراسي الثاني لدى الانتهاء من تعليم مواضيع المساقات .

وثمة فجوة متسعة في الجامعات بين ما تتطلبه دراسة الانسانيات وما ينجزه الطالب الاسرائيلي فعلا . ويرجع احد اسباب هذه الفجوة الى اقبال كاهل الطلبة باختيار مجموعتين كاملتين (موضوعين رئيسيين) من المواد والموضوعات لنيل البكالوريوس . يختار الطلبة مثلا اقتصاد وعلم السياسة ، او علم الاجتماع والتاريخ . ثم انه لا يوجد تنسيق سليم بين مدرسي هذه المواد ، فكل منهم يفرض على الطلبة ما يشاء من المراجع المتصلة بمادته بالاضافة الى كتابة الابحاث وحضور المحاضرات وحلقات البحث ، دون ان يكترث هذا المدرس بطلبات المدرسين الاخرين الذين يلقون على الطلبة اعباء مماثلة . ثم ان معظم الطلبة لا يحضرون جميع المحاضرات المطلوبة ، وكثير منهم يقراون مذكرات المحاضرات التي اخذها زملاؤهم الحاضرون ، او يقراون مذكرات الطلبة القدامى . ويشكو بعض الاساتذة — بدورهم — من عدم توفر الكتب الجامعية لموادهم باللغة العبرية — وهي لغة التعليم في الجامعة . ويرون ان الطلبة يكتفون بمذاكراتهم المأخوذة عن المدرس اثناء المحاضرة بسبب قصور النصوص الاصلية العبرية والنصوص الاجنبية المترجمة الى العبرية ، وعدم وفائها بالقصد المطلوب . ويشكو الاساتذة ايضا من ان الطلبة لا يقراون الا القليل جدا من هذه الكتب .

ويورد واحد منهم شكلواه صراحة بقوله : « لدي طلبة قدموا الامتحان في موادي التي لم يحضروها ولم يجدوا الوقت لقراءة اي واحد من الكتب الموصوفة لهم للرجوع اليها (وهي متوفرة في مكتبة الجامعة) ، وانما اعتمدوا فقط على مطالعة مذكرات المحاضرات التي كتبها زملاؤهم ، وكرروا لي في الامتحان نفس كلماتها دون اية محاولة فهم للتحليل المستقل(٣٨). ولكن هذا الاستاذ نفسه واسمه ادوين صموئيل (نجل هوربرت صموئيل اول مندوب سام في فلسطين وهو يهودي صهيوني) يفسر ويبرر لجوء الطلبة للغش والتحايل في الامتحان، بانتقال كواهلهم بالمواد المختلفة بحيث « يحضر كثير منهم الامتحان دون ان يتهيأوا له ، فيتحتم عليهم ارتكاب الغش »(٣٩). هذا الى ان ضعف الطلبة الاسرائيليين عموما باللغات الاجنبية وخاصة الانكليزية هو احد اسباب الرسوب في بعض ميادين الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، نظرا لان كثيرا من مراجعها ليست بالعبرية التي هي لغة معظم الطلبة . وفي الوقت نفسه الطلبة الذين لا يتكلمون العبرية من الطلبة الاجانب ، ليس لديهم استعداد ملائم لتعلم اللغة العبرية ، ولذا يفشلون في فهم الجزء الاكبر من المحاضرات بالعبرية .

بعض اهداف تعليم الانسانيات في مرحلة التعليم الجامعي الاسرائيلي : بعد ان عرضنا — جهد المستطاع — لاهم موضوعات الدراسة والبحث في شتى اقسام العلوم الانسانية والاجتماعية ، يهمنا ان نرسم صورة اقرب الى الصحة من الطريقة التي يجري من خلالها تعليم هذه الموضوعات ذات الاهمية البالغة في بلورة فكر صهيوني موحد ، يحدد الوسائل والغايات ، ويحشد كافة الطاقات لحماية عملية الغصب والعدوان المستمر التي تمارسها الزعامة الصهيونية على ارض فلسطين المحتلة . وكما نود لهذه الصورة ان تعكس الفلسفة التي تهيمن على عمليات التعليم والدراسة في قاعات المحاضرة وحلقات البحث نظريا وعمليا . ولكن المعلومات التي عثرنا عليها لم تكن وافية بالقصد وهذا امر طبيعي ومفهوم ما دامت تشكل جزءا من سياسة غير معلنة . ولذا لجانا الى طريقة توجيه الاسئلة الى بعض من درسوا في الجامعة العبرية من الطلبة العرب ، واستطعنا بالاستماع الى اجوبتهم ان نخرج — دون خطأ كبير — بصورة لا نقول انها دقيقة شاملة ، ولكن نقول انها صحيحة تتفق تماما مع المؤشرات الاساسية التي حددناها في مرحلة التعليم العام ، وتتفق ايضا مع طبيعة المواد الدراسية ووجهة موضوعات البحث والاطروحات التي يركز عليها الاساتذة مما مر بنا تفصيلا ، ومع مقتضيات سياسة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الحاكمة والقائمة على التزييف والقهر والعدوان .

بينما كان تعليم العلوم الانسانية في مرحلة التعليم العام يهدف الى تحقيق مبدأ الانصهار والاندماج والتلاحم المطلوب لدمج الطلبة اليهود في فلسطين، فان التعليم في المرحلة الجامعية يخضع الطالب فضلا عن ذلك لعملية اخرى هي اعداده للانخراط في الاطر القيادية للدولة . وبما ان هذه المرحلة تكاد تكون حكرا على اليهود الغربيين ، فان عملية الانصهار والتوحيد ترتطم هنا بعقبة كؤود يزيدها تعقيدا ضآلة

نسبة التزاوج بين اليهود الشرقيين والغربيين ، بقدر ما يزيدها صعوبة مسعى الحركة الصهيونية الدائب للعثور على صيغة ملائمة تقضي على التناقض المحتوم بين تكييف التقاليد اليهودية القديمة لتلائم البرامج السياسية ، وبين اخضاع حاجات اليهودي المعاصر نفسيا واجتماعيا لسلطان الفلسفة الصهيونية غير العملية . او بعبارة اخرى ان المطلب الصهيوني المزدوج في ضرورة الانبعاث اليهودي القديم ، وضرورة المشاركة في اوجه الحياة العصرية ، هو مطلب عزيز المنال ، فلم تستطع الصهيونية استرداد الماضي التراثي اليهودي القديم ، ولا وفرت سبيلا يتسم بالمرونة والسعة لنمو اليهود وتطورهم في اطار الحياة العصرية . واذا استمر هذا التناقض بين (اليهودية) و (الصهيونية) فلا بد ان ينجم عنه انحلال داخلي يؤدي الى تفكك المجتمع وسقوط الدولة .

وبينما يسهم التعليم الجامعي في توحيد الطلبة اليهود وصهرهم في بوتقة المجتمع الموحد استكمالا لمرحلة تعليم العلوم الانسانية والاجتماعية في مرحلة التعليم العام ، تنعكس الآية بالنسبة للطلبة العرب الذين يقبلون على دراسة هذه العلوم في الجامعات، فتصبح امتدادا منطقيا لاهداف تعليم الانسانيات في مرحلة التعليم العام من حيث حرص الاساتذة — جهد الامكان — على التشكيك بمقدرة العرب على مواجهة اسرائيل حاضرا ومستقبلا ، ومن حيث الدأب على تجسيم النقائص والعيوب التي لا يخلو منها شعب من الشعوب ، ثم تضخيمها وتخصيص العرب بها . ومن حيث مكافحة الوعي القومي العربي الداعي الى وحدة اقطار الامة العربية ، وذلك من طريق تحليل شرائح المجتمع العربي ، لابراز ما عفى عليه الزمان وما جرفته روح العصر، من عنعنات وخصومات ، لتبدو صورة المجتمع مشوهة تكتنفها الخلافات الطائفية والعنصرية والعشائرية ، ويغرقها الجهل والتخلف والانقسام والاستغلال . صورة مجتمع عاجز لا يقوى على الوقوف ، بله على عمل شيء ، وتمارس الصهيونية هذا الدس والتزييف والتضليل ضد كل من تشعر انه يقف في وجه باطلها وعدوانها من العرب او غيرهم .

وفيما يلي سنعرض لنموذج حي واقعي كيما يعطينا صورة تقريبية عن اساليب تعليم تاريخ الشرق الاوسط والحضارة العربية اللذين اختارهما الطالب العربي(٤٠) الذي امدنا بهذه الصورة ، على اساس انهما يشكلان الموضوعين الرئيسيين لنوال البكالوريوس من معهد الدراسات الاسيوية والافريقية في الجامعة العبرية .

تبدا الدراسة في السنة الاولى بمناهج البحث والمحاضرات النظرية في موضوعي التخصص والمواد الاخرى المتممة المطلوبة . اساتذة هذين الموضوعين مطلعون تماما على اللغة العربية ، ومعظمهم من دول اوربا وخاصة من المانيا . ويشرع الطلبة بالبحوث في السنة الثانية ، ويصيب الواحد منهم بحث او بحثان في العام . تبقى دراسة التاريخ ملتزمة المنهج العلمي الموضوعي الى ان تصطدم — اثناء الدروس النظرية والعملية — بمعتقدات الصهيونية ومبادئها ، فتنحرف قليلا وكثيرا عن جادة الموضوعية . فاذا عرض الاستاذ للنبي العربي (ص) وطرده اليهود من المدينة ، زعم ان اليهود لم يتآمروا على النبي ، وانما الكتاب العرب يلفقون هذه الفرية عن قصد . واذا عرض لحركات التحرر العربي احاطها بشباك المقاصد الشخصية المريبة ورماها بالوصولية والعمالة للاستعمار ، واذا تحدث عن فترة الانتداب البريطاني في فلسطين ، ادعى ان الانكليز كانوا دائما معادين ومناهضين لليهود والصهاينة ، وموالين للعرب . واذا تناول الاقطار العربية في النصف الثاني من القرن العشرين ، اسهب في الحديث عن طوائفها المتناحرة المتعادية التي تأبى كل منها ان تنصهر في بوتقة الدولة الواحدة لكيلا تفقد كيانها المستقل ، فالاقباط في مصر ضد المسلمين ، والبربر في المغرب ضد العرب ، والسنة في العراق ضد الشيعة حينا وضد الاكراد حينا اخر . والدروز في لبنان ضد الموارنة ، والزيود في اليمن ضد الشوافع الخ... وذلك طبقا لخطة ما زالت سياسة اسرائيل تتبعها للوقيعة بين الطوائف . فاذا قصدت اشعال نار الفتنة بين المسلمين والمسيحيين العرب ، انزلت بالمسلمين اضطهادا اشد مما تنزل بالمسيحيين(٤١). وهذا هو جوهر السياسة المسيطر على تعليم التاريخ العربي عموما ، والتاريخ العربي المعاصر خصوصا . واذا تكلم الاستاذ على الحضارة العربية ، تجاهل الجوانب المضيئة منها وعكف على نبش جزئيات ميكروسكوبية مشبوهة او مدسوسة، ليتابعها بدقة ويحاول دعمها بمرويات شعوبية اخرى في محاولة لدمغ المجتمع العربي بالانحلال والفساد

والتفكك . من ذلك مثلا أن موضوع (الزنا) يجري تدريسه على مدى العام الدراسي، ويقتضي اصوله منذ ما قبل الاسلام لدى القبائل العربية حتى ما بعد ظهور الاسلام والاختلاط باهالي البلدان المفتوحة من الاعاجم . كذلك يجري تخصيص ساعتين اسبوعيا ولمدة عام دراسي كامل لدراسة موضوع اللصوص في بغداد ، بينما يتحرى بالتساؤل المشكك عن عدد غير العرب في علم الرياضيات او الطب والفلسفة الخ ... ويلاحظ اهتمام الاساتذة بتقصي اصول الطوائف الاسلامية خاصة ، كيف انشقت وتباعدت ثم تطورت وما هي فرقها ومذاهبها واين موطن اتباعها حاليا . وهنا يشيد الاستاذ بالحضارة الايرانية التي بزعمه صمدت امام طغيان الحضارة العربية الاسلامية الجديدة واستطاعت ان تحافظ على الصبغة الايرانية القومية ، في حين ان « الحضارة » البربرية انهارت ، وهذا يفسر كراهية الفرس للعرب الذين حاولوا « تهديم حضارة الفرس العريقة » . فاذا وصل الاستاذ الى موضوع صلات ايران بدول الخليج والشرق الاوسط ، اسهب في شرح اصول المودة المستمرة بين ايران واسرائيل « فكلاهما شوكة في جنب العرب » ، ومنذ التاريخ القديم كانت صلات البلدين واشجة ، ان كورش ملك الفرس هو الذي سمح لليهود بالعودة الى اسرائيل واقامة الهيكل الثاني .

ومن ناحية اخرى فالاستاذ يكون موضوعيا دقيقا في سرده وتحليله لامور لا تتصل بالصهيونية او اسرائيل. كأن يتحدث مثلا عن موضوعات التاريخ العالمي الحديث. وبما انه لا يستطيع ان يغفل بعض النواحي المضيئة في التاريخ العربي سياسيا وحضاريا، فانه يلجأ الى تكييفها بحيث ينقص من تأثيرها المعنوي على نفوس الطلبة العرب واليهود على السواء ، متبعا في ذلك القاعدة المعروفة : ان كل ما يحبه العرب يكرهه الاسرائيليون ! ومع ذلك فهناك بعض الاساتذة الكبار الذين تعلموا خارج فلسطين وخاصة من اليساريين يحاولون التحرر من القيود في معالجة الموضوعات بحرية ونزاهة وجرأة .

وفي قسم علم الاجتماع من كلية العلوم الاجتماعية في الجامعة العبرية(٤٢) ـ يدرس الطلبة منهج البحث الاجتماعي بواقع محاضرتين اسبوعيا ، اضافة الى علم البيليوغرافيا وطرق التفتيش على المصادر واستعمالها . ويدرسون ايضا مقدمة الى علم الاجتماع بواقع ثلاث محاضرات اسبوعيا ، في كتاب الفه الاستاذ نفسه . وفي السنة الثانية تبدأ الابحاث ، مثل قسم تاريخ الشرق الاوسط وبقية اقسام العلوم الانسانية والاجتماعية ، ويجري تقسيم الطلبة الى فئات متعددة كل منها عشرون طالبا ، ينطلقون لدراسة المجتمع على الطبيعة بارشاد الاستاذ وتوجيهه . يدرسون مثلا القرى العربية في المثلث وما حوله من حيث وضع العائلة القروية ، ووضع العمال العرب الذين يأتون من القرية الى المدينة . هل كان هؤلاء العمال يعملون فلاحين على ارضهم ؟ لماذا تركوا الارض واصبحوا عمالا في المصانع والمؤسسات بالمدن ؟ هل تغيرت مفاهيمهم ؟ هل يسكنون مع عائلاتهم وما هو التغيير الذي جد على حياتهم ؟ ما هي علاقاتهم بعضهم ببعض ؟ ما هي نظرتهم الى الوضع السياسي (الاحتلالي) القائم ، اين يحبون ان يعلموا ابناءهم ، هل يحبون انجاب الاطفال بكثرة كآبائهم؟!

يلاحظ من سلسلة الاسئلة هذه انها موجهة تهدف الى دراسة اوضاع العمال ، لمعرفة مدى ارتباطهم وتعلقهم بالارض التي كانوا يعملون عليها ، لان مخطط الصهيونية هو تهجير السكان العرب من ارضهم عن طريق ترغيب الفلاحين بترك ارضهم والهجرة الى المدن حيث الاجور المرتفعة والحياة المرفهة . وتلجأ الصهيونية الى وسائل متعددة لتحقيق ذلك ، مثل فرض ضرائب مرتفعة على المنتجات الزراعية في القرى العربية ، او اختلاق ازمة ، ثم التلويح باجر مرتفع لعمل مريح في المدن، وهنا يسهل اغراؤهم بالهجرة خارج فلسطين المحتلة ، الى كندا او استراليا مثلا كما جرى بالفعل . وجدير بالذكر ان نتائج السبر الاجتماعي، والاتجاهات السياسية المعارضة التي قد تسفر عنها ـ كعداء العرب لاسرائيل ـ يجري تنسيقها وتحليلها وارسالها الى الجهات المختصة في دوائر الامن والجيش ، حيث يعكف المسؤولون على دراستها لمعرفة دلالتها وللافادة منها في ترسيخ الكيان الاسرائيلي ، والاحاطة بسبل معالجة الاوضاع المتدهورة بتوقع حدوثها قبل استفحالها .

ويلاحظ هنا ايضا ان الابحاث ، لا المحاضرات النظرية ، هي التي تستحوذ على حصة الاسد من الدراسة ، ولا بد للطالب من كتابة بحث او بحثين بعد القيام بعملية مسح اجتماعي او خلافه مع فئته ، ثم تجري مناقشة نتائج هذه البحوث في

حلقات جماعية للتأكد من سلامة استنتاجاتها واستقامة معالجتها .

اما الطلبة اليهود فانهم ينتهجون نهج اساتذة الجامعة في معالجة المشاكل والموضوعات المنحة المطروحة عليهم . وآخر ما طالعناه في صدد قيام الجامعة بحل مشاكل المجتمع الاسرائيلي هو ان استاذين اسرائيليين من دائرة العلوم الاجتماعية في جامعة تل ابيب وهما الدكتور رينيه شابيرا ومنشيه حداد ، بحثا ، بدعوة من دائرة التعليم العالي التابعة للجنة التنفيذية للهستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود في اسرائيل) عن الفوارق في درجة التمثيل الطلابي بين مجموعات السكان الاسرائيليين وفقا للدخل والانتماء العرقي ، فقد هال المسؤولين واقع كون ابناء الاثرياء في الجامعات اكبر بكثير من عدد ابناء الفقراء ، كما هالهم ان ابناء اليهود الشرقيين يشكلون نسبة صغيرة (١٢٪) من مجموع طلبة الجامعات المبتدئين علومهم فيها ، و ٣٪ من بين خريجي هذه الجامعات . ولذلك سارعوا الى العمل على تضييق الثغرة بين الطوائف الشرقية والغربية في مرحلة التعليم العالي عن طريق وضع الخطط والدراسات لمعالجة الفجوة المتسعة بدرجة التمثيل الطلابي ، برغم المصاعب الهائلة التي تكتنف تنفيذها . وقد اتضح من البحث الذي اجراه الاستاذان الاسرائيليان : ١ — ان احتمالات التعلم للشبان اليهود الشرقيين في مؤسسات التعليم العالي هي اقل بكثير من احتمالات تعلم الشبان الذين ينتمون الى الطبقات الميسورة. ٢ — ان الثغرة القائمة بدرجة التمثيل الطلابي سوف تستمر بين المجموعات العرقية المختلفة في المستقبل ايضا ، ولكن رغم هذا يجوز توقع الابتداء بعملية تضييق بطيء للثغرة القائمة خلال السنوات القادمة . ٣ — ان لوضع العائلة تأثيرا على احتمالات قبول الطالب في مؤسسات التعليم العالي ، وبقدر ازدياد دخل العائلة تصبح الاحتمالات افضل . مثال على ذلك ان معدل الدخل الشهري للعائلة في اسرائيل يبلغ (٧٨٠) ليرة اسرائيلية . فيجب ان يكون معدل الدخل الشهري لعائلات الطلاب (٩٢٠) ليرة اسرائيلية . اي زيادة نسبة ١٨٪ على دخل العائلة العادية . ٤ — انه بالاضافة الى الوضع المادي ، هنالك تأثير الوضع الثقافي للاهل . فمن الارقام التي وردت في البحث يتضح ان احتمالات دخول الشاب لمؤسسات التعليم العالي هي أكبر بـ (١٣) ضعفا من احتمالات دخول الشاب الذي يفتقر والده الى الثقافة . ٥ — وثمة عامل آخر هو وضع العمل وطبيعته ، فقد تبين ان اعلى تمثيل طلابي في مؤسسات التعليم العالي يتمتع به ابناء المدراء والموظفين — فان نسبة تمثيلهم تزيد (٦) اضعاف على ابناء عمال البناء(٤٣).

ان عملية التعليم انما هي عمل هادف وعمل للتغيير واعادة البناء والتأثير المحدد على العقل والنفس معا ، بغية احداث الاثر المطلوب وتوجيه الحركة والسلوك في مسار معين .

والصهيونية ودولتها اسرائيل ، ادركت خطورة سلاح التعليم في التأثير والتوجيه واستعملته بما يدعم اهدافها وحاجاتها . ولطالما نادت الزعامة الصهيونية في فلسطين المحتلة بان ما تحتاجه هو نوعية الطلبة الجامعيين الذين يتمتعون بمستوى علمي عال لان مستقبل (اسرائيل) متوقف اولا وقبل كل شيء على كفاءة مواطنيها ، وخاصة اولئك الذين يتولون مهام التخطيط والادارة في المجالات العامة وفي الحقل الصناعي . ولا شك في ان (اسرائيل) تقف اليوم في مصاف الدول المتقدمة من حيث نسبة حملة الشهادات الجامعية بين سكانها، وقد اظهر التقدم العلمي الذي احرزته على وجود فجوة في كيان المجتمع الاسرائيلي بين كل من اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، وحسبنا ان نشير الى ان اليهود الشرقيين الذين كانوا يؤلفون ٥٥٪ من مجموع السكان في عام ١٩٦٨ لا يمثلهم سوى نسبة واحد بالمائة (١٪) تقريبا من مجموع اعضاء هيئة التدريس في الجامعات الاسرائيلية وعلى الرغم من ان البحث العلمي في اسرائيل يتميز بالتركيز على العلوم البحتة والتكنولوجية التطبيقية ، فان البحث العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية يسخر لخدمة احتياجات المؤسسة العسكرية ، وتنقاد نشاطاته وموضوعاته لمطالب القطاع العسكري الذي يعتبر المحور الذي تدور حوله مختلف وجوه نشاط المجتمع الغاصب في كل مستوياتها .

ويتميز ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية — كسائر ميادين العلوم في الجامعات والمعاهد العليا — بانتاج علمي متزايد النمو ، ويتجلى بالصلات الوثيقة القائمة بين الباحثين الاسرائيليين والمؤسسات العلمية في الخارج ، كما يتجلى بنشاطه في نشر المقالات والابحاث بمعدل لا يقل عن

مثال واحد في العالم ، وكذلك بنسبة عالية من الاشتراك في المؤتمرات القومية والعالمية التي تنعقد داخل فلسطين المحتلة وخارجها ، الامر الذي يتيح الاتصال المباشر بحركة التقدم العلمي بكل ما يثيره من حماس واندفاع للبحث لدى الاساتذة والعلماء .

وبما ان هذه الجهود العلمية بشتى وجوهها ومستوياتها موجهة اساسا نحو تعميق جذور الكيان الاسرائيلي حاليا وتكريس خططه العدوانية التوسعية مستقبلا ، لذلك يتوجب علينا ان نرد على هذا التحدي باتخاذ التدابير والخطط المعاكسة والمقابلة لابطال خططه والقضاء على تدابيره . وهنا يبرز المقصد الاساسي من هذا البحث ، وهو صوغ المقترحات الكفيلة بحشد الطاقات العلمية التي تتطلبها المواجهة المصيرية المحتومة من اجل البناء والتحرير . وفيما يلي ما نراه من هذه المقترحات التي تنصب على ميدان العلوم الانسانيةوالاجتماعية خاصة :

١ ــ تعليم العلوم الانسانية والاجتماعية بحيث يكون لها مردود فعلي لا على الصعيد النظري الاكاديمي فحسب ، وانما ايضا ، واهم من ذلك، على صعيد المواجهة مع العدو من اجل معرفة افضل لمخططاته ونواياه ونواحي القوة والضعف فيه . وبكلمة : ان نفعل كما يفعل عدونا حين يحلل مجتمعه ومجتمعنا شرائح يعكف على دراستها لتكون في خدمة احتياجاته واهدافه .

٢ ــ توجيه تعليم العلوم الانسانية والاجتماعية بحيث تزيد من ارتباط الطالب الجامعي بارضه وتضاعف من تعلقه بها وتفانيه للدفاع عنها ، ولتثير في نفسه معاني الكرامة وقيم الثورة والتحرير. فقد ثبت في النكبة الاخيرة ان صلابة الطالب العربي ليست بالقدر الكافي . وكثيرة هي السبل التي يمكن للاساتذة بمعاونة الطلبة ، ان يسلكوها للقيام بدورهم في تبيان الفضائل الفردية والاجتماعية التي يجب ان تتوافر في جماهيرنا لتصمد امام الغزو الصهيوني الاستعماري .

٣ ــ تنشيط دراسات الوعي القومي والاستناد على اسس متينة من العلم الصحيح من اجل معرفة حقيقة اساسية ، هي ان العرب أمة واحدة على الرغم من تعدد دولها ، وان هذه الامة لا يمكن ان تنال المكانة التي تستحقها ، حتى ولا ان تحافظ على كيانها في عالم اليوم ما دامت اقطارها متفرقة متناحرة ومجزأة ولذا ينبغي التعمق في دراسة الاحوال الراهنة في مختلف اقطار الوطن العربي ، من وجوه السياسة والادارة والاقتصاد والاجتماع والتشريع والادب ، درسا علميا يقوم على مقارنة هذه الاحوال مقارنة دقيقة لاظهار الفروق والمشابهات القائمة بين هذه الاقطار من الوجوه المذكورة وسواها . ثم بحث عوامل هذه الفروق والمشابهات لمعرفة اصولها ، واستكشاف الظروف التي اوجدتها ، واخيرا تحري الوسائل الكفيلة بازالة الفروق والاختلافات وزيادة التقارب والتشابه بين الاقطار العربية . فقد آن لنا ان ندرك حقيقة اولية هي ان مواجهة الغزو الصهيوني الاستعماري، الذي يتحدى صميم وجودنا القومي والحضاري ، لا بد ان تتم في نطاق وحدوي ، ولا بد ان يحققه المجتمع العربي الاشتراكي الموحد .

٤ ــ ان تعليم القضية الفلسطينية ــ حقائق وتحليلا وتفسيرا واهدافا ووسائل ــ لا يمكن ان يفي بافراضه في مرحلة التعليم الجامعي والعالي اذا اقتصر على كلية دون اخرى وقسم دون آخر. فاذا كان المطلوب من المجابهة ان تكون شاملة ، فانه يجب على خريجي الجامعة ــ كل حسب تخصصه ــ ان يحصلوا ، قبل انتقالهم الى مراكز المسؤولية في المجتمع ، على المعرفة العلميةالكافية باساسيات الحقائق المتصلة بقضية فلسطين ، وخصوصا في الوضع الراهن ، بما للراهن من خطورة في الحاضر ومن آثار خطيرة في المستقبل . وذلك عن طريق جعلها مقررا اجباريا قائما بذاته يتطلب النجاح فيه كغيره من المقررات الاساسية .

---

١ ــ منير بشور ومصطفى الشيخ يوسف ، **التعليم في اسرائيل** ، منشورات مركز الابحاث م.ت.ف. بيروت ١٩٦٩ ، ص ٤١ . وسنشير اليه باسم بشور فيما يلي .

٢ ــ **المصدر نفسه** .

٣ ــ بشور ، ص ٤٤ــ٤٥ .

٤ ــ بشور ، ص ٢٠٦ ، مقتبسا عن (منهج الدراسة للمدرسة العربية الابتدائية الرسمية للصفين الخامس والسادس) ، منشورات وزارة المعارف والثقافة للعرب ، ص ٤٧ .

٥ ــ **المصدر نفسه** .

٦ ــ **منهج الدراسة للصفين السابع والثامن** ، ص ٢٦٩ ، عن بشور ، ص ٢٠٧ .

٧ ــ **المصدر السابق** ، ص ٢٠٨ .

٨ ــ **المصدر السابق** .

٩ ــ **المصدر السابق** .

١٠ ــ دولة اسرائيل ــ وزارة المعارف والثقافة ، ادارة المعارف والثقافة للعرب ، **مناهج الدراسة في المدارس الثانوية** ، ص ١٠٢ .

١١ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢٢٤ .

١٢ ــ **المصدر نفسه** .

١٣ ــ **المصدر نفسه** .

١٤ ــ **المصدر نفسه** .

١٥ ــ انظر بشور ، ص ٢٠٨ــ٢١٢ .

١٦ ــ انظر كتاب **بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ــ١٩٦٧)** للدكتور انيس صايغ ــ منشورات مركز الابحاث ــ بيروت ، ١٩٦٧ .

١٧ ــ **معالم البلاد وجغرافيتها** (تل ابيب ١٩٦٣) ص ٧٩ ــ نقلا عن بشور ، ص ٢٠٩ .

١٨ ــ **معالم البلاد وجغرافيتها** (تل ابيب ١٩٦٣)، ص ٧٩ ــ نقلا عن المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

١٩ ــ عن بشور ، ص ٢١٠ .

٢٠ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢١١ .

٢١ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢١٢ .

٢٢ ــ **المصدر نفسه** .

٢٣ ــ **المصدر نفسه** .

٢٤ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢١٣ .

٢٥ ــ The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem 1969.

٢٦ ــ Tel Aviv University Information 1968-1969.

٢٧ ــ **هآرتس** ١٩٦٣/٩/٢ .

٢٨ ــ الاذاعة العربية من اسرائيل بتاريخ ١٥/٧/١٩٦٦ .

٢٩ ــ تعليقات الاذاعة الاسرائيلية ١٩٦٩/٨/١٦ .

٣٠ ــ صحيفة **الجيروزاليم بوست** ١٩٧٠/٦/٣ .

٣١ ــ صحيفة **هاتسوفه** ١٩٦٨/١٠/٢٣ .

٣٢ ــ مؤلف الكتاب باحث عربي هو الدكتور انطوان زحلان ، ونشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ١٩٧٠ .

٣٣ ــ The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem 1969.

٣٤ ــ عن كتاب عنوانه : *Abstracts of Theses Approved for the Degree of Doctor Philosophiae Ph. D. & Doctor Juris (J.W.R.D.) in the Hebrew University of Jerusalem During the Academic Year* 1961-1962, Jerusalem 1964.

٣٥ ــ *Stat. Abst. of Israel* 1968 No. 19 p. 544.

٣٦ ــ *Ibid.*, pp. 544-546.

٣٧ ــ *Stat. Abst. of Israel* 1967, No. 18.

٣٨ ــ مقال لادوين صموئيل في : *Public Administration in Israel & Abroad* ــ Universities in Israel, A Twenty Years Programme, 1964, Jerusalem 1965.

٣٩ ــ **المصدر نفسه** .

٤٠ ــ طرح كاتب البحث أسئلة محددة على الاستاذ عبدالحفيظ محارب الباحث في م.ا. باعتباره خريج هذا القسم سابقا، فتفضل بالاجابة عنها مشكورا.

٤١ ــ انظر صبري جريس **العرب في اسرائيل** ج ١ ص ١١١ ــ منشورات مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٧ .

٤٢ ــ طرح كاتب البحث أسئلة محددة على السيدة حنة جريس باعتبارها خريجة هذا القسم سابقا ، فتفضلت بالاجابة عنها مشكورة .

٤٣ ــ جريدة **دافار** ١٩٧٠/١٢/١ .

نظرة الصهيونية واسرائيل للوثائق : الدكتور نادر العطار

أصبحت الوثائق في هذا العصر عدة الحرب الباردة، والمستودع الكبير الذي يحفظ التاريخ القومي للاجيال القادمة ، ويغذي الجيل الحاضر بأعمق مشاعر الوطنية . وقد عمدت دول العالم الى انشاء مديريات خاصة بالوثائق ، ومستودعات كبرى لها ، وجهاز غني من الموظفين يقوم على شؤونها ، يصونها من عاديات الطبيعة والتأثيرات البيولوجية وطوارىء الاحداث ، وينظم شؤونها ويسهل الاطلاع عليها للجميع ، ويمد العالم ودوائر الدولة الاخرى بما تطلبه من هذا المنهل الذي لا ينضب . ولم يغفل العدو الصهيوني عن هذه الحقيقة ، بل لقد بدأ باستجماع الوثائق وتنظيمها قبل مشروع التقسيم بكثير ، حرصا على كسب الرأي العام العالمي ، فلما أقر مشروع التقسيم في منظمة الامم المتحدة ، بادر الى تأسيس مراكز الوثائق الواحد تلو الاخر ، ووضع القواعد اللازمة لتنظيمها وتحقيق غايته منها تحت ستار من تقصي العلم ، وطلب المعرفة .

اعتمد تنظيم الوثائق في فلسطين المحتلة على (قانون الوثائق) ، الذي ناقشه الكنيست خلال عدة سنوات ، وأقره في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٥٥ (رقم ٥٧١٥ للعام ١٩٥٥) ، ثم اتخذت الخطوة الاولى لوضعه موضع التنفيذ في شهر آب (اغسطس) من عام ١٩٥٦ ، فقد شكل المجلس الاعلى للوثائق ، وعين مدير الوثائق ، وكانت وثائق الدولة قد انشئت منذ عام (١٩٤٩) فكان من الضروري ان يسن لها تشريع ينظم عملها ويحدد صلاحياتها ، وكان هناك عدد كبير من الوثائق التاريخية لا سلطة للدولة عليها قبل التقسيم ، فكان على المديرية الجديدة تنظيمها وترتيبها حسب معطيات علم الوثائق الحديث ، لتؤدي الغاية التي أعدت من اجلها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كانت أهم الوثائق المتعلقة بالتاريخ اليهودي في حوزة السلطات المحلية (في المدن والقرى على السواء) والمؤسسات العامة والخاصة ، ولدى اشخاص كانوا قد اهتموا مراكز مرموقة في الحياة العامة لعشرات السنين ، فكان لا بد من حفظ هذه الثروة العلمية في اطار قانون الوثائق بشكل مدروس .

والواقع ان سيطرة الصهيونية على فلسطين المحتلة سبقتها مقدمات كثيرة تمت خلال حياة جيلين او ثلاثة ، دلت على نية مبيتة ضد ارض فلسطين بالذات ، هاجر خلالها عدد كبير من اليهود الى هذا البلد العربي العريق ، واستقروا في مئات القرى والمستعمرات والمدن التي كانت لها أجهزة ادارة مختلفة تكدست فيها كمية ضخمة من الوثائق . ثم ظهرت المنظمة الصهيونية العالمية التي أخذت على عاتقها منذ سنة ١٨٩٧ شؤون الهجرة ، وتوطين المهاجرين اليهود في قلب العالم العربي وتخطيط سياسة معينة لتحقيق ذلك ، فأنشأت لنفسها سنة ١٩١٩ مركزا صغيرا لوثائقها التاريخية في برلين ، نقل سنة ١٩٣٣ الى القدس ووسع حتى اصبح (الوثائق الصهيونية المركزية) — التي سيأتي ذكرها فيما بعد — ، وكانت هناك اجهزة اخرى احتفظت بمجموعات من الوثائق المتعلقة بنشاطاتها، كالاتحاد العام للعمال (وهو امتداد للحركة العمالية المؤسسة سنة ١٩٣٤) الذي انشأ (وثائق الحركة العمالية اليهودية ومتحفها) .

ويعتبر الصهاينة ان وثائق التاريخ اليهودي والمؤسسات اليهودية لا تقتصر على ما يوجد منها داخل فلسطين المحتلة فحسب ، بل ان قسما كبيرا من ذلك كان في يوم من الايام مبعثرا في جميع انحاء العالم ، وان اليهود في فلسطين المحتلة هم جزء من « الشعب اليهودي » في العالم ، وتاريخهم هو التاريخ الطويل للشعب المذكور بشكل عام ، منذ عصر التوراة حتى ايامنا هذه ، ومن هنا كانت الرغبة العامة في ان تتمركز في القدس مختلف الوثائق الاصلية والمصورة(١) التي تلقي الاضواء على التاريخ اليهودي ، وتؤمن اساسا وثائقيا للبحث التاريخي الذي وصل بدوره الى حياة جديدة في فلسطين المحتلة . وقد أدى ذلك الى ايجاد «الوثائق التاريخية اليهودية العامة» التي أسستها الجمعية التاريخية في اسرائيل ، بدأت بداية متواضعة ثم نمت ، خصوصا بعد الحرب العالمية الاولى ، حتى تحولت الى مستودع كبير للوثائق المتعلقة بتاريخ بني اسرائيل . وفي الوقت نفسه ، انشئت مؤسسة وثائقية اخرى لجمع المواد المطبوعة والمخطوطة عن الحكم النازي لاوربا ، تلك الفترة

التي قتل فيها عدة ملايين من اليهود كانوا يشكلون القسم الاعظم من يهود أوربا ، بالاضافة الى عدد أصغر من الوثائق المتعلقة ببعض الحركات والاشخاص .

لذلك لم تقتبس سلطات العدو التنظيم الوثائقي المتبع في البلاد الاخرى ، حيث كانت كل دولة تمارس سيادتها القومية وتتجمع لديها وحدات وثائقية منسجمة اداريا وعلميا ، ورغم ان دور الوثائق لدى العدو استفادت من تجارب الامم الاخرى في هذا المضمار ، الا انه ترتب عليها ان تشق طريقها على ضوء ظروفها وحاجاتها للتأثير على الحقيقة التاريخية بشكل يجعل الرأي العام العالمي يأخذ بوجهة نظرها رغم وضوح الحق العربي ، ومن هنا كان الخطر الكامن في تنظيم وثائقها بشكل مدروس ، وحاجتنا الى تنظيم علمي يقابله .

ويشكل قانون الوثائق والانظمة الملحقة به الاطار العام الذي نظمت ضمنه جميع الوثائق الموجودة في مختلف دور الوثائق في فلسطين المحتلة . وقد نص القانون على ان يعين المدير من قبل رئيس مجلس الوزراء ، وان يكون هو المرجع الاعلى لادارة الوثائق ، والمسؤول عن مديرية وثائق الدولة التي يقوم عليها مدير اخر يعتبر نائبا عنه ، كذلك اصبحت وثائق ما يسمى بجيش الدفاع الاسرائيلي (الوثائق التاريخية للقوات المسلحة الاسرائيلية التي اسست سنة ١٩٤٨) تشكل قسما من وثائق الدولة ، وتقع بالتالي تحت اشراف المدير العام للوثائق . أما مدير الوثائق العسكرية فتابع لوزارة الدفاع . ويساعد المدير العام مجلس أعلى للوثائق ، وهو هيئة استشارية مزودة بصلاحيات خاصة لاتخاذ القرارات الحاسمة عند الاحتكام اليه ، ويتألف من ممثلين عن مختلف الوزارات ، وعن الوثائق التاريخية والمكتبة الوطنية ومكتبة الجامعة ، بالاضافة الى عدد من الخبراء في التاريخ وعلم الوثائق ، ويجتمع المجلس عادة مرتين في السنة للاستماع الى التقرير السنوي ومناقشته ، والنظر في القواعد والانظمة الجديدة وغير ذلك ، وترتبط به لجان يعينها المدير العام ، منها لجنة التصرف بالوثائق (رئيسها مدير وثائق الدولة أو مدير الوثائق العسكرية) وهي تدرس أمر اتلاف بعض الوثائق المحولة الى المديرية العامة من مختلف المراجع المدنية او العسكرية لعدم الحاجة اليها ، ومنها لجنة التنسيق للوثائق العامة ، ورئيسها المدير العام ، مهمتها تحقيق التعاون بين مختلف الاجهزة القائمة على شؤون وثائقية وذلك بتحديد مدى نشاط هذه الاجهزة والتنسيق فيما بينها ، ومنها لجنة المصطلحات الوثائقية التي تبناها مجمع اللغة العبرية ومهمتها اعداد ثبت كامل للالفاظ المتعلقة بعلم الوثائق باللغة العبرية ، ومنها لجنة حفظ المواد الوثائقية وترميمها ، وهي تدرس امور ترميم الوثائق من حيث موادها ، والمحافظة عليها بشكل يجعلها جاهزة للاستعمال دائما . ويخول قانون الوثائق المدير العام حق مراقبة المحفوظات في جميع مؤسسات الدولة والسلطات المحلية ، وينطبق هذا طبعا على مراكز الوثائق ، والمديريات التي تقوم على سجلات وثائقية والمؤسسات العامة فيما يتعلق بالوثائق فقط واتلافها أو نقلها الى وثائق الدولة لحفظها بشكل سليم ، وقد أولي اتلاف الوثائق اهمية خاصة ، كما اتخذت بعد ذلك خطوة اخرى وهي اخضاع محفوظات وزارات الدولة ومؤسساتها الى تفتيش أصولي ووضعت خطة موحدة لتنظيم هذه المحفوظات بغية تسهيل تفتيشها في المستقبل .

وفيما عدا وثائق الدولة ، اعترفت السلطات المعنية بدور الوثائق التاريخية التالية ، بناء على توصية المدير العام باعتبارها (وثائق عامة) : الوثائق الصهيونية المركزية (القدس) ، الوثائق التاريخية العامة اليهودية (القدس) ، الوثائق المركزية (بد ناشم) بالقدس ، وثائق الحركة العمالية ومتحفها (تل ابيب) ، وثائق حركة الكيبوتس المتحدة (عين حارود) ، وثائق معهد جابوتنسكي في اسرائيل (تل ابيب)، وثائق وايزمن (روحوفوت)، وثائق الصهيونية الدينية (القدس) . وبموجب التعليمات والانظمة الصادرة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٧ ، اخضعت هذه الوثائق الى نوع من اشراف المدير العام ، والزمت برفع تقرير سنوي مفصل عن نشاطاتها ، والمواد الوثائقية التي تحصل عليها ، والتغييرات الطارئة على اجهزتها ، والقضايا الجديرة باهتمام المدير العام. أما الوثائق الموجودة في حوزة الافراد ، فقد وضعها قانون الوثائق تحت اشراف مدير وثائق الدولة ضمن الصلاحيات التي اعطاه اياها على الوثائق بشكل عام ، سواء الحكومية منها او العامة ، وذلك لضرورة جمع وثائق الحياة الاجتماعية اليهودية عبر العصور ، وعدم الاقتصار على الوثائق

الرسمية التي لم يكن لها مديرية خاصة قبل التقسيم ، وقد أودع الجهاز التنفيذي الصهيوني (الذي خدم كجهاز نصف رسمي) أوراقه في (الوثائق الصهيونية المركزية في القدس) ، ولديها اكبر مستودع للوثائق في فلسطين المحتلة ، كما ان الوثائق العامة للتاريخ اليهودي التي استهلها الجمعية التاريخية الاسرائيلية جمعت وثائق المجتمعات اليهودية الاوروبية ، الا ان هذين المستودعين لا يمثلان الا قطاعا واحدا من حياة اليهود ، ويفتقران الى الوثائق الخاصة ، كوثائق الاشخاص الذين لعبوا دورا في الحركة الصهيونية ، بل ووثائق ابن الشارع ومراسلاته واوراقه . ويقول المسؤول عن وثائق العدو « يجب عدم استعمال القسر ، بل يمكن بالتعاون ، والاقناع ، الحصول على مثل هذه الوثائق »(٢)، وقد أمكن فعلا جمع الاف الملفات المتعلقة بالمؤسسات الخاصة ، والشخصيات التي كان لها دور بارز في الحياة العامة والحركة الثقافية ، أما الوثائق التي بقيت في حوزة اصحابها فقد خول القانون مجلس الوثائق الاعلى ، ورئيسه (المدير العام للوثائق) بعض الاشراف عليها ، بحيث أوجب على الفرد ان يسجل الوثائق الموجودة في حوزته في السجل الوطني للوثائق دون اعطاء الحق لاي كان بمطالعتها او استخدامها الا اذا سمح هو (اي المالك) بذلك . « ولم تشتر مديرية وثائق الدولة اية مجموعة وثائقية ، بل كان يكفي اقناع المالك بانه لشرف كبير له ولاحفاده ان يسلم الوثائق التي بحوزته الى مديريات الوثائق ، لان هذا يحفظ ذكراهم بشكل افضل بكثير من نصب من الحجر»(٣).

كذلك وضعت وثائق المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية تحت مراقبة مدير الوثائق ، على ان تحفظ على حدة وثائق المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي شكلت من قبل الدولة او ساعدت الدولة على تشكيلها ، ولكن يجب ان تسجل في سجل الوثائق الخاصة ، كما يشرف مدير الوثائق أيضا على وثائق الاتحادات التجارية ، وهي هامة جدا باعتبارها قوة ذات تاثير في الدولة تساهم في المشاريع العمرانية والتعاونية وانشاء المصانع الكبيرة ، ولها مديرية خاصة لوثائقها ، وقد عمد السكرتير العام لهذه الاتحادات التجارية ، الى تاليف لجنة خاصة مهمتها تحري حالة الوثائق في مختلف المؤسسات العمالية ، والتنسيق فيما بينها ونقلها الى الوثائق العمالية . تبقى مسألة التأمين على الوثائق ، وترى سلطات العدو انه لا لزوم له « على ماذا نؤمن ونحن نتعامل مع مادة لا يمكن تعويضها ؟»(٤).

والاجراءات المتعلقة بالاتلاف معقدة نوعا ما (حفظا للمصلحة ..!) . فقد عمد واضعو القانون الى تجنب الاتلاف الاعتباطي للوثائق ، وذلك بفرض الرقابة المشددة ، ونشر قوائم الوثائق العامة والخاصة، ولكن التجربة اظهرت ان هذه الاجراءات يمكن ان تبسط ، واعد مشروع تعديل قانوني بهذا الصدد ، وتتبع مديرية الوثائق لرئاسة الوزارة كما تقدم ، ويحتل مديرها مرتبة مدير عام في الدولة، وتعتبر الوثائق الخاضعة لمراقبته تحت السلطة الادارية للمؤسسات التي انشأتها او تمولها .

وتحتفظ وثائق الدولة بجميع الوثائق التي خلفتها الادارات السابقة لفلسطين ، وخصوصا ملفات الانتداب البريطاني التي لم تتلف أو تنقل عند مغادرة البريطانيين لفلسطين ، وتودع جميع وزارات الدولة ومكاتب رئيس الدولة ، والمجلس ، والمحاكم ، وثائقها في مديرية الوثائق عندما لا تعود بحاجة اليها في الاعمال الرسمية ، على ان تكون لها قيمة تاريخية تبرر حفظها في مديرية الوثائق بشكل دائم، وجميع المؤسسات المتعلقة بالدفاع الوطني تودع محفوظاتها في وثائق ما يسمى بجيش الدفاع الاسرائيلي التي تعتبر جزءا من وثائق الدولة . وبين الاشياء الهامة التي تم الحصول عليها خلال السنين العشر الواقعة بين ١٩٥١ — ١٩٦١ ، يحسن التنويه بالاشياء التالية بصورة خاصة : ١ — ملفات محاكمة ايخمن (بما في ذلك المستمسكات الوثائقية التي استندت اليها المحكمة) والشريط السينمائي المتعلق باجراءات المحكمة ، بالصوت والصورة ، (أودعت وثائق الدولة) . ٢ — الوثائق الخاصة لحوالي (١٥٠) شخصية ساهمت في الحركة الصهيونية (حصلت عليها الوثائق الصهيونية المركزية) ٣ — القسم الهام من وثائق ٨٠٠ هيئة يهودية طردها النازيون من المانيا والنمسا ، بما فيها تلك التي كانت توجد في فيينا ، و وورمز ، وكونيغسبرغ ، وهامبورغ ، وهالبر شتادت (نقلت الى الوثائق التاريخية اليهودية العامة) .

وقد أخذت حركة الوثائق طابعا نشيطا جدا اثناء امداد مديرياتها بوثائق محاكمة ايخمن ، خصوصا

في « الوثائق الصهيونية المركزية » ووثائق الدولة ودار كانس نلسون .

وقرر المؤتمر الثاني لجمعية الوثائق الاسرائيلية سنة ١٩٥٩ نشر دليل مفصل عن مجموعات الوثائق المحفوظة في جميع دور الوثائق التاريخية في فلسطين المحتلة ، وبدأت هذه الدور العمل في هذا المشروع (خصوصا وثائق الدولة والوثائق الصهيونية المركزية) على اساس اصدار دليل لكل مؤسسة وثائقية ، ثم دمجها فيما بعد في دليل جامع .

وليس هناك وقت محدد خاص لاستعمال الوثائق من قبل الجمهور ، فان القانون يسمح بحرية الدخول الى وثائق الدولة بالشروط التالية : أ — الا تكون الوثائق المطلوبة قد صنفت في عداد المستندات المتعلقة بالامن قبل نقلها الى وثائق الدولة . ب — ان تكون هذه الوثائق قد انتقلت ملكيتها الى وثائق الدولة مع كامل الحق بالتصرف بها ، فاذا كانت الوثائق قد انتقلت اليها فقط لضرورة الحفظ والصيانة ، فان الجهة المالكة تضع الشروط التي تريدها لاستعمالها . وفي الوثائق الصهيونية المركزية يسمح للباحثين بحرية مطالعة الوثائق التي تعود الى ما قبل سنة ١٩٣٠ ويمكن الاطلاع على الوثائق الاحدث ولكن بعد فحص محتوياتها ، وقد تبنت دور الوثائق الاخرى تدبيرا من هذا القبيل ، اما الوثائق الموجودة في قسم الوثائق العسكرية فتغطي فقط فترة ما بعد التقسيم ، الا انها لم توضع بعد في متناول الباحثين .

قال مدير وثائق العدو في احد المؤتمرات الدولية(٥): « وكوثائقي مسؤول ، سأحاول التعرض لمسائل التعاون الدولي لتيسير أمر الاطلاع على الوثائق في نقطتين رئيسيتين . ١ — كيف نستطيع المساهمة في اسرة الوثائق وطلابها . ٢ — ماذا نريد ان نتلقى من هذه الاسرة ومن الاونسكو . ان الوثائق لدينا مفتوحة للجميع ، من اجانب ومحليين على السواء ، دون تمييز ، لا نحتفظ لاي باحث بحقوق خاصة ، ولكننا نحيطه علما بالمشاريع الاخرى التي تشبه مشروعه . اما الوقت الذي يتحتم انقضاؤه على الوثائق حتى يمكن الاطلاع عليها ، فهو مبدئيا ٣٠ عاما ، كحد اقصى ، الا انه يمكن الاطلاع على وثائق احدث اذا كانت ضرورات الامن تسمح بذلك ، وقد تمت الموافقة في مناقشات مجلس الوثائق الاعلى على انظمة ميزت بين زمر متعددة من الوثائق للبت في امر الاطلاع عليها . واذا سمح بالاطلاع على الوثائق ، وباعطاء صور عنها (ميكروفيلم) ، فان الحق الادبي لا يعطى مع تلك الصور، الميكروفيلم مسموح به فقط لنبحث العلمي، اما حق النشر فيتطلب اذنا خاصا كل مرة . هذا وقد قامت « جمعية الوثائق الاسرائيلية » بنشر دليل عن جميع الوثائق ، مع قائمة كاملة بالزمر الوثائقية »(٦).

وليس هناك احصاء معتمد عن الاقبال على مطالعة الوثائق في فلسطين المحتلة بشكل عام ، الا أن جهاز المراقبة في « الوثائق الصهيونية المركزية » سجل ان معدل الاشخاص الذين يقصدون دور الوثائق للمطالعة يوميا يتراوح بين ١٠ — ١٥ شخصا ، وقد كان عدد رواد الوثائق في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٥٦ — ١٩٦٠ حوالي ١٥٠٠٠ زائر ، استخدموا خلالها ١٣٠٠٠ ملف و ١٥٠٠٠ كتاب و ٥٢٠٠ صورة فوتوغرافية .

وتلعب الوثائق دورا هاما في الحياة الثقافية بفلسطين المحتلة ، فهناك الاحاديث الاذاعية التي يلقيها الوثائقيون ، وهناك المقالات التي تنشر في كل من الصحافتين المهنية والشعبية ، واللجان التي تتابع النشرات الاجنبية .

والواقع ان السلطات الاسرائيلية شعرت بحاجة الى الوثائق المحفوظة في الخارج لاكمال الوثائق التي نقصت من حوزتها ، وهي الوثائق التي نقصت من المجموعات التي كانت تهمها في توجيه الدراسة التاريخية لصالحها ، فتتبع كل ما نشر عنها من الادلة والفهارس حتى الدوريات ، ومنتخبات الوثائق المطبوعة، والمجموعات الكاملة المطبوعة ،والوثائق المصورة على (الميكروفيلم) ، وقد بدا لها هذا النوع الاخير من صور الوثائق (التي برعت فيها واشنطن) افضل نوع لتوثيق تاريخ العصر الذي نعيش فيه وتاريخ الجيلين او الثلاثة السابقين ، ذلك ان غزارة الوثائق المتعاظمة تجعل طباعتها ونشرها بشكلها الطبيعي ضربا من المستحيل ، لذلك كان الميكروفيلم رخيصا وكافيا في هذا المضمار . يقول مدير الوثائق في فلسطين المحتلة في احد المؤتمرات الدولية(٧): « بالنسبة الى ادلة الوثائق ذات الاهمية القصوى في العمل لوضع قوائم للوثائق غير الموجودة لدينا والمكملة لوثائقنا وتصوير نسخ ميكروفيلم ، يجدر ابداء الملاحظتين التاليتين :

١ ــ على جميع البلاد التي ليست لغاتها واسعة الانتشار ان تنشر الادلة عن وثائقها باحدى اللغات المنتشرة على نطاق واسع . ٢ ــ ان أحسن دليل وثائقي ليس ذا فائدة كبرى ، اذا كانت الوثائق الواردة فيه لا يمكن استنساخها او الاطلاع عليها للبحث العلمي ، هناك الكثير من الوثائق الهامة ممنوعة على الباحثين لوقت اطول من اللازم ، لمقتضيات الامن والمصلحة ، فهل لي ان اقترح امكان استعمال هذه الوثائق بحرية اكثر ، دون تدخل الاعتبارات السياسية اكثر من الحد اللازم فعلا ؟ »(٨).

هذا عدا عن المتاحف التاريخية التي تساهم مديريات الوثائق في اعدادها والمعارض التي تساعد على تهيئتها ، منها مثلا متحف « هرتسل » الذي يقوم على ما يسميه العدو (بجبل هرتسل) في القدس، والذي افتتح في شهر تموز/يوليو ١٩٦٠ من قبل الوثائق الصهيونية المركزية وامه حوالي ١٤٠،٠٠٠ زائر في عامه الاولين ، ثم متحف (ياد فاشم) الذي اسس سنة ١٩٥٦ ، وغيرهما . ومن المعارض الكثيرة التي أقيمت في مختلف دور الوثائق ، معرض الوثائق الذي اقيم سنة ١٩٥٤ كقسم من معرض (غزو الصحراء) ، والمعرض المشترك الذي اقامته (الوثائق التاريخية اليهودية العامة) و (الوثائق الصهيونية المركزية) الذي نظم بمناسبة المؤتمر الثاني للدراسات اليهودية (تموز ــ يوليو/اب ــ اغسطس ١٩٥٧) ، ومعرض (على طريق الدولة) الذي نظمته الوثائق الصهيونية المركزية في مبنى المؤسسات المحلية (نيسان ــ ابريل ١٩٥٨) وكثير من المعارض غيرها .

وجميع القائمين على شؤون الوثائق التاريخية في فلسطين المحتلة اعضاء في « جمعية الوثائق الاسرائيلية » التي عقدت ثلاثة مؤتمرات في سني ١٩٥٧ ، و ١٩٥٩ ، و ١٩٦٢ نوقشت فيها شؤون تتعلق بعلم الوثائق وتنظيمها والتعامل بها ، وقد انتخبت الجمعية المدير العام للوثائق رئيسا لها ، وطبعت قواعد الجمعية والمعلومات اللازمة عن اعضائها بالعبرية والانكليزية سنة ١٩٥٧ ، كملحق للتقرير الموضوع عن اعمال المؤتمر الاول . وقد لعبت الوثائق دورا هاما في مؤتمري (الدراسات اليهودية) اللذين انعقدا في سنتي ١٩٥٧ و ١٩٦١ وعقدت جلسة خاصة في المؤتمر الثاني لدراسة الوثائق في فلسطين المحتلة والخارج ، وبناء على اقتراح المدير العام للوثائق قرر المؤتمر اعداد برنامج ضخم لتصوير الوثائق التي يمكن الوصول اليها في الداخل والخارج ، وينص المشروع على ان تصور كل مؤسسة بالميكروفيلم أهم الوثائق الموجودة في حوزتها ، وعلى نفقتها الخاصة ، وتودع نسخة من كل صورة في وثائق البلد صاحب العلاقة ، ونسخة في القدس ، وغاية هذا المشروع حفظ المواد الوثائقية وخلق مركز يهتم بأبحاث التاريخ اليهودي في القدس وفي مختلف البلدان الاخرى . ويولي العدو الناحية التقنية اهمية كبرى خصوصا الابنية الخاصة بالوثائق ، والعنصر البشري المدرب ، وقد اعطيت الدروس الخاصة باعداد الوثائقيين فعلا خلال السنة الدراسية ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ ثم ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ في الجامعة العبرية وذلك بناء على مبادهة من المدير العام للوثائق .

والظاهر ان انتشار الوثائق بهذه السرعة وعلى هذا النطاق الواسع طرح امام العدو مشكلة هامة ، وهي كيفية تدريب الجهاز البشري المناسب لمعالجة هذه الوثائق والتعامل بها . فبين الوثائقيين الموجودين لديه ، كان هناك القليل فقط ممن تلقوا التدريب الكافي ، سواء كان ذلك في الخارج (خصوصا في المانيا ، بجمهورية فايمار) او في قسم التدريب بالوثائق الصهيونية المركزية . وكان الموضوع المطروح هو : هل يجب ارسال عدد من المثقفين للتعليم في المدارس الاختصاصية والتدرب على الوثائق في اوربا وامريكا ؟ لقد كانت هناك وجهات نظر تعترض هذا الرأي : ا ــ كان يجب اولا تدريب الموجودين في مختلف دور الوثائق ، الذين يصعب عليهم التغيب عن عملهم مدة طويلة . ب ــ ان تدريب الوثائقيين في اي بلد خارجي يتم بناء على الظروف الخاصة به ، لا بالنسبة للغة فحسب، بل وبالنسبة لنوع الوثائق الموجودة والتاريخ الاداري للبلد نفسه وغير ذلك من الاعتبارات المحلية . ج ــ صحيح انه كان هناك الكثير مما كان يمكن اقتباسه من خبرة مؤسسات الوثائق في البلاد الاخرى التي تمتعت بالسيادة لمدة طويلة، ولكن الاخذ بأساليب تلك البلاد وطرقها لم يكن ممكنا دون اعتبار تاريخ اليهود وظروفهم ، وقد سبب اقتباس اساليب الدول الاخرى كما هي ضررا ملحوظا ، نظرا لان نوعها وتقاليدها تختلف بشكل كلي ، لذلك كان من الافضل القيام بتدريب الجهاز

البشري تدريبا محليا يتناسب مع الظروف المحلية الخاصة ، وبعد حصول افراده على المعلومات والخبرات اللازمة ، يمكن ارسال بعض المتفوقين الى الخارج لتلقي المزيد من التدريب ، اذا وجدت ضرورة لذلك .

ولا شك ان نمو الوثائق اختلف عند العدو عنه في اكثر البلاد الاخرى ، فقد اسست مديرية وثائق الدولة لديه بعد سنة واحدة فقط من التقسيم ، وكانت هناك وثائق في فلسطين قبل ذلك ، كما كانت الوثائق الصهيونية المركزية موجودة فعلا ، وكذلك وثائق الحركة العمالية اليهودية والوثائق التاريخية اليهودية العامة اذا اردنا الاقتصار على المهم منها فقط ، وقد تشكلت الزمر الوثائقية لهذه المراكز مما كان اليهود قد جمعوه في مختلف البلدان الخارجية التي سكنوها قبل هجرتهم الى فلسطين العربية ، حيث كانت مؤسساتهم موجودة قبل نقل وثائقهم الى فلسطين ، وتشكلت الوثائق في المدن والمؤسسات بشكل يتناسب مع التقاليد التي جلبها المهاجرون معهم ، او مع تقاليد الحكام المتعاقبين على فلسطين كالاتراك والانكليز ، وادارة البارون روتشيلد في باريس ، والمنظمة الصهيونية . هذه التقاليد كانت عوامل حاسمة في ادارة المؤسسات الحكومية المركزية التي شكلت بعد التقسيم . لذلك لم تكن الدراسة في ظروف بلد واحد بعينه تكفي الطلاب اليهود ، بل كان من اللازم اعطاؤهم اوسع ما يمكن من المعلومات حول تنظيم الوثائق وادارتها في البلاد الاخرى ، لتدريبهم على الطرق التي تتناسب مع الوثائق اليهودية بشكل خاص .

لكل هذه الاسباب ، التفتت وثائق الدولة والجمعية الوثائقية ، الى الجامعة العبرية ، وطلبت منها اعداد دورات خاصة في علم الوثائق ، وترامى الى الظن بادىء ذي بدء انه من الممكن تحقيق ذلك ضمن اطار مدرسة المكتبات التي اسست في الجامعة المذكورة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ ، ولكن الدراسة المتعمقة اثبتت ان الفروق بين علم الوثائق وعلم المكتبات كانت اكبر مما يظن ، لذلك تقرر اعطاء دروس مختصرة في علم الوثائق في اطار مدرسة المكتبات ، لاعطاء طلابها فكرة عن الوثائق والمخطوطات وتدبير امورها في المكتبات . وتقرر اعداد دورات خاصة بالوثائق ، لتأمين التدريب الخاص بالوثائقيين ، وبدأت فعلا اولى تلك الدروس في خريف سنة ١٩٦٠ وكانت مدة الدراسة سنتين (عشر محاضرات تعطى في يوم ونصف من كل اسبوع) لكي يتمكن موظفو الوثائق من الاستماع الى هذه المحاضرات دون ان يكون عليهم ترك وظائفهم ، وكان يشترط في المرشح للدورة المذكورة ان يكون خريج الجامعة العبرية او اية مؤسسة عليا اخرى ، على الا تقل درجة الشهادة التي يحملها عن (البكالوريوس) او ما يعادلها ، وان يعرف اللغات الانكليزية أو الفرنسية او الالمانية كشرط لا بد منه ، وقد تركزت الدراسة على نوع الوثائق الموجودة والوثائق التاريخية بشكل خاص ومدى العلاقة بينهما وبين مؤسسات الادارة العامة ومختلف اجهزة الاعلام ، لذلك احتوت الدورة على دراسة (عملية ونظرية) لاساليب توثيق المستندات ووظيفتها ووضعها تحت تصرف الباحثين .

ومدة الدراسة سنتان ، كما تقدم ، تقسم كل منهما الى ثلاث فترات ، كانت هناك عشر ساعات من الدراسة في يومين ، وبذلك يكون مجمل الساعات ٥٦٠ ساعة في السنين العادية ، وخلال العطلة الطويلة ينصرف الطلاب الى الممارسة العملية . اما مواد الدراسة فتتلخص فيما يلي :

١ ــ نظريات الوثائق ، الطرق والاساليب التقنية، ٢٢٠ ساعة ، واهم بنودها : أ ــ النظريات الوثائقية ، تطورها ، الوثائق العامة والوثائق اليهودية ، الوثائق وعلم التاريخ (٧٠ ساعة) . ب ــ الوثائق المتداولة (المستندات الرسمية ، السجلات ، الخ ...) وظيفتها ، تنظيمها ، طرقها (٣٠ ساعة) . ج ــ تنظيم الوثائق التاريخية ، طرقه وتقنيته ، مجموعات الوثائق او نماذج الوثائق ، الاوراق الشخصية ، والمجموعات الخاصة (١٢٠ ساعة) .

٢ ــ من المكتبات (٦٥) ساعة ، ويتألف من : أ ــ اعداد الدولة المكتبية (٣٠) ساعة . ب ــ اساليب التصنيف (٢٥) ساعة . ج ــ اعداد القوائم البيبليوغرافية والفهارس (١٠) ساعات.

٣ ــ العلوم التاريخية المساعدة (١٣٠) ساعة ، وابرز ما يدرس فيها : أ ــ علم الوثائق ، وقراءة الخطوط بشكل عام ، والخط العبري بشكل خاص، (٧٠) ساعة . ب ــ مصادر التاريخ ، (٢٠) ساعة . ج ــ طباعة المصادر ، (٣٠) ساعة . د ــ مقدمة الى علم الانساب ، (١٠ ساعات) .

٤ ــ الحقوق والادارة ، (٩٠) ساعة. أ ــ مقدمة

الى دراسة الحقوق ، (٣٠) ساعة . ب ــ تاريخ الادارة بشكل عام ، وفي فلسطين المحتلة بشكل خاص ، (٦٠) ساعة .

٥ ــ المعالجة الفنية ، (٤٠) ساعة ، وتتألف مما يلي : أ ــ صيانة المواد الوثائقية وترميمها ، (٢٠) ساعة . ب ــ تصوير الوثائق ، (٢٠) ساعة .

وبالاضافة الى هذه الدراسات المفروضة ، هناك زيارات الى مختلف المؤسسات الوثائقية ، (١٥ ساعة) ، واساتذة هذه المواد اعضاء في الهيئة التدريسية للجامعة العبرية ومدرسة المكتبات وكبار موظفي المؤسسات الوثائقية .

هذه هي اهم المواد التي اعتمد عليها العدو في تخطيطه الوثائقي ، واستطاع فعلا تنفيذه وانشاء عدة مديريات للوثائق نذكر منها باختصار ما يلي : ١ ــ **المديرية العامة للوثائق** ، مركزها القدس ، ولمديرها الاشراف على سائر مديريات الوثائق ، وهو رئيس المجلس الاعلى للوثائق . ٢ ــ **وثائق الدولة ومكتبتها** (القدس) : وهي مفتوحة للمطالعة المجانية (فيما عدا القسم السري) ، لا يمكن اعارة وثائقها الى سائر المؤسسات ، فيها قسم خاص بالميكروفيلم، تحتوي على وثائق عن بعض الوزارات في فلسطين المحتلة ، واخرى عن الانتداب البريطاني في فلسطين . ٣ ــ **الوثائق العسكرية** (تل ابيب): تقتصر المطالعة فيها على افراد وعناصر وزارة الدفاع ، اما المدنيون فيمكن اطلاعهم على وثائقها باذن خاص من المدير ، ولا يمكن ارسال اي من مستنداتها او ميكروفيلم عنها الى الخارج ، رغم وجود قسم خاص للميكروفيلم فيها يستعمل لسد الحاجات الرسمية فقط . ٤ ــ **الوثائق الصهيونية المركزية** (القدس) : والمطالعة فيها مجانية، يمكن الاطلاع على وثائقها التي تعود الى ما قبل سنة ١٩١٨ ، الا الوثائق التي اودعت هناك بشروط خاصة ، أما وثائق ما بعد سنة ١٩١٨ فيحتاج الاطلاع عليها الى اذن خاص ، الاعارة منها مسموحة فقط لمكتبات فلسطين المحتلة ووثائقها ، فيها قسم للميكروفيلم يزود الطالبين من الخارج بصور الوثائق المطلوبة ، يبلغ طول رفوفها ٢٧٥٠ مترا ، واقدم وثائقها تعود الى أواسط القرن التاسع عشر وفيها وثائق عن تواريخ متقطعة خصوصا عن بدء الحركة الصهيونية سنة ١٨٨٠ الا انها تأخذ صفة التسلسل والاستمرار منذ سنة ١٨٩٧ ، ولا يزال عدد وثائقها بتزايد مستمر . ٥ ــ **الوثائق التاريخية اليهودية العامة** (القدس): والمطالعة فيها ايضا مجانية ، وليس هناك تاريخ محدد للوثائق التي يمكن الاطلاع عليها ، لا يسمح باستنساخ او تصوير او نشر أية من وثائقها الا باذن خاص ، ولا تعار تلك الوثائق الا للمؤسسات العلمية في فلسطين المحتلة وضمن شروط معينة . ليس فيها قسم للميكروفيلم ، طول وثائقها ١٠٠٠ متر ، وتعود اقدم وثيقة فيها لسنة ١٣٤٨ ، اما الوثائق المتسلسلة فتبدأ من القرن السابع عشر . تاريخ تأسيسها يعود الى سنة ١٩٤٠ ، وسياتي ذكرها بشكل مفصل فيما بعد . ٦ ــ **ياد فاشم** (القدس) : فيها وثائق غزيرة عن مقاومة الحكم النازي ، المطالعة مجانية، ولها مصلحة استعلامات خاصة ، ووثائقها قابلة للاعارة ، وطول رفوفها ٣٠٦ امتار ، اقدم وثائقها تعود الى سنة ١٩٣٣ ، وهي وثائق تاريخية فقط ، معظم محتوياتها من الميكروفيلم لذلك تحتوي الدار على جهاز لقراءة هذا النوع من الصور . ٧ ــ **ارخليون افودا** (وثائق الحركة العمالية اليهودية ومتحفها) : مركزها في تل ابيب والمطالعة فيها مجانية ، تعير وثائقها ضمن فلسطين المحتلة فقط ، ليس فيها قسم للميكروفيلم، اما طول رفوف وثائقها فيبلغ (١٠٠٠) متر . ٨ ــ **وثائق هاييم وايزمن** ، ومركزها دار وايزمن، المطالعة فيها مجانية ، لا يسمح بنشر وثائقها ولو انه من الممكن ارسال صور عنها ، فيها قسم للتصوير وجهاز لتصوير الميكروفيلم ، تحتوي على ٢٠٠٠ ملف ، وتعود اقدم وثائقها الى سنة ١٨٨٥، وهي في ازدياد مستمر . وكانت الغاية من تأسيس الدار اصلا طبع مخطوطات وايزمن ، والكتابة عن حياته، ودراسة تاريخ الحركة الصهيونية واستعمار فلسطين العربية ، والركائز الاساسية في دولة العدو .

ولعل المجال يضيق في هذه العجالة عن تفصيل نظام كل من هذه المديريات ، ونوع الوثائق التي تمتلكها ، لذلك ستذكر مديريتان منها ، هما : الوثائق الصهيونية المركزية ، والوثائق اليهودية العامة .

اسس الوثائق الصهيونية المركزية جورج هرليتس (١٨٨٥ ــ ١٩٦٨) في برلين سنة ١٩١٩ ، ثم نقل مركزها الى القدس ايام الانتداب البريطاني سنة

١٩٣٣ ، وحددت مهامها وصلاحياتها فيما يلي « ان الوثائق الصهيونية المركزية في القدس هي الوثائق التاريخية للحركة الصهيونية ، ووثائق المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، ومهمتها ان تجمع على اكمل وجه ممكن وبأي شكل ، وثائق الحركة الصهيونية في جميع البلاد وخلال جميع العصور »(٩).

اما اقسام المؤسسة فهي : ١ — وثائق المكاتب الرئيسية التنفيذية للمنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية وفروعها ومؤسساتها ، منذ تأسيس المنظمة الصهيونية من قبل تيودور هرتسل سنة ١٨٩٧، ووثائق الصهيونية في فلسطين ،والاتحادات الصهيونية في مختلف بلاد العالم . ٢ — الوثائق اليهودية في فلسطين حتى اقرار مشروع التقسيم من قبل منظمة الامم المتحدة ، بما في ذلك وثائق (المجلس اليهودي) في فلسطين والمؤسسات المحلية ، ويدخل في هذا القطاع القسم الاكبر من وثائق منظمة الاستعمار اليهودي في فلسطين المعروفة باسم « بيكا » ، مجموعات الوثائق الخاصة بجهد يهود فلسطين في الحرب العالمية الثانية ، ووثائق (المهاجرين غير الشرعيين) المنفيين الى قبرص . ٣ — الوثائق الشخصية ، اي وثائق ما يقرب من ٢٦٠ شخصا كانوا فعالين في الحركة الصهيونية (بما في ذلك وثائق مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية تيودور هرتسل الذي مات سنة ١٩٠٤) وثلاثة ممن خلفوه في رئاسة المنظمة : دافيد ولفسون الذي مات سنة ١٩١٤ ، وناحوم سوكولوف الذي مات سنة ١٩٣٦ ، وأتو فاربورغ الذي مات سنة ١٩٣٨ ، ووثائق الشبيبة الصهيونية والجمعيات الطلابية في المانيا وهنغاريا وغاليسيا وغير ذلك من المنظمات الصهيونية في روسيا ، ورومانيا ، وبريطانيا .

وبالاضافة الى ذلك ، يوجد في الوثائق الصهيونية المركزية : ١ — مكتبة تتألف من ٥٤٠٠٠ مجلد عن تاريخ الصهيونية وفلسطين في العصور الحديثة . ٢ — مجموعة تتألف من حوالي ٤٠٠٠ جريدة ومجلة صهيونية . ٣ — مجموعة من المطبوعات غير الدورية . ٤ — مجموعة من الصور الفوتوغرافية، بلغ عددها سنة ١٩٦٥ حوالي (٥٠٤٠٠٠) صورة . ٥ — مجموعة من اشرطة الميكروفيلم ، للوثائق الموجودة خارج فلسطين المحتلة ولاضابير الوثائق الصهيونية المركزية التي تم تصويرها لضرورات أمن العدو . ٦ — مجموعة من التسجيلات الصوتية عن الخطابات ، والمناسبات التذكارية ، وغيرها .

ولما كانت الصهيونية حركة دولية لها عملاء في جميع البلاد ، لذلك فان كل زمرة وثائقية تحفظ في الوثائق الصهيونية المركزية تحتوي على معلومات عن البلاد الاخرى ، خصوصا عن دور اليهود فيها ، واهم زمر الوثائق المخصصة للبحث هي تلك التي تورد المعلومات الكافية عن تاريخ البلاد الاخرى ، ويمكن القول بصورة عامة ان دار الوثائق الصهيونية المركزية تضم وثائق هامة عن البلاد التي كانت فيها — والتي تقطن فيها حاليا — جالية يهودية كبيرة او التي كانت لها علاقات وثيقة مع المنظمة الصهيونية العالمية كالنمسا حتى سنة ١٩١٨ ، وبولونيا حتى سنة ١٩٣٨ ، وليتوانيا حتى سنة ١٩٣٩، ورومانيا حتى سنة ١٩٣٩،وتشيكوسلوفاكيا حتى سنة ١٩٤٠ ، والمانيا حتى سنة ١٩٣٩ ، ثم فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، والارجنتين وتركيا وبلاد الشرق الاوسط حتى سنة ١٩٣٩ .

واهم الزمر الوثائقية الموجودة في المركز هي تلك التي تحتوي على معلومات تتعلق ببلاد اخرى غير فلسطين المحتلة ، وهي : ١ — وثائق المكاتب المركزية للمنظمة الصهيونية العالمية ، و (منذ ١٩٢٩) الوكالة اليهودية لفلسطين في فيينا (١٨٩٧ — ١٩٠٥) ، وكولونيا (١٩٠٥ — ١٩١١) ، وبرلين (١٩١١ — ١٩٢٠) ، ولندن (١٩١٧ — ١٩٥٨) ، ونيويورك (١٩٤٠ — ١٩٥٠) ، وتحتوي على تقارير عن وضع اليهود في البلاد المذكورة ، والعلاقات السياسية للمنظمة الصهيونية مع مختلف الحكومات المتآمرة مع الصهيونية .

٢ — وثائق المكاتب الرئيسية للمؤسسة اليهودية في فيينا (حتى سنة ١٩٠٧) وكولونيا ١٩٠٧ — ١٩١٤ ، والقدس ١٩٢٢ — ١٩٤٧ ، ومؤسسة فلسطين اليهودية (كيرين هايسود) في لندن ١٩٢٠ — ١٩٢٦ ، والقدس ١٩٢٦ — ١٩٣٥ ، وتحتوي على تقارير عن وضع اليهود في مختلف بلاد العالم.

٣ — وثائق الاقسام التالية للوكالة اليهودية (التنفيذية) : فرع الهجرة (١٩٢١ — ١٩٤٨) . وفرع التنظيم (١٩٣٥ — ١٩٥٦) . وفرع يهود الشرق الاوسط (١٩٤٨ — ١٩٥٢) . ولجنة الاغاثة (١٩٣٩ — ١٩٤٨) . وكلها تحتوي على

تقارير عن وضع اليهود في مختلف البلدان خصوصا الشرقية منها وبلاد اوربا الوسطى . والمكتب المركزي لتوطين يهود المانيا في فلسطين ١٩٣٣ — ١٩٥٥ ، ويحتوي على معلومات عن الوضع في المانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها . والفرع السياسي ١٩٢١ — ١٩٤٨ ، ووثائق تحتوي على معلومات عن السياسة البريطانية في الشرق الاوسط، والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلدان الشرق الاوسط .

٤ — وثائق فروع المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية في مختلف بلاد العالم ، ابرزها : ا — الوكالة الصهيونية في استانبول (١٩٠٩ — ١٩١٧) وتحتوي على معلومات عن السياسة التركية ازاء فلسطين — ب — مكتب الهجرة ، استانبول ١٩٤٠ — ١٩٤٦ ، وتحتوي على معلومات عن الوضع في البلاد التي كانت خاضعة لدول المحور خلال الحرب العالمية الثانية . ج — مكتب كوبنهاغن (١٩١٥ — ١٩٢٠) : ويحتوي على معلومات عن وضع اليهود في مختلف البلاد الاوربية وسياسة الدول العظمى نحو فلسطين ؛ وعن مشكلة الاقليات في اوربا الشرقية . د — مكتب باريس (١٩١٨ — ١٩٢٠): ويحتوي على معلومات عن مؤتمر الصلح . هـ — مكتب جنيف (١٩٢٥ — ١٩٤٨) : ويحتوي على معلومات عن عصبة الامم ، خصوصا عن اعمال لجنة الانتدابات الدائمة وتصرف ممثلي مختلف الدول بالنسبة للقضية الفلسطينية، وموقف اليهود في البلاد الخاضعة للمحور خلال الحرب العالمية الثانية .

٥ — وثائق المنظمة الصهيونية في الخارج ، ومجموعات من المستندات عن تاريخ الصهيونية في مختلف البلدان ، وتحتوي ايضا على معلومات عامة عن البلاد المعنية ، خصوصا : النمسا (١٨٩٨ — ١٩١٩) وكندا (١٨٩٨ — ١٩٢٠) وغاليسيا الشرقية (١٩١٨ — ١٩٣٨) والمانيا (١٩١٥ — ١٩٣٧) ورومانيا (١٩٠٨ — ١٩١٩) وروسيا (١٩٠٣ — ١٩١٤) .

٦ — الوثائق الشخصية لكل من : تيودور هرتسل (مات سنة ١٩٠٤) : وفيها معلومات عن التصرف التركي والبريطاني والالماني والروسي حيال الصهيونية وفلسطين ، وعن وضع اليهود في العالم. ودافيد ولفسون (مات سنة ١٩١٤) : وتحتوي على معلومات عن التصرف التركي حيال الصهيونية خصوصا بين سنتي ١٩٠٥ — ١٩١١ . وناحوم سوكولوف (م. سنة ١٩٣٦) : وفيها معلومات عن تصرف البلدان المختلفة حيال الصهيونية ، خصوصا بريطانيا بين سنتي (١٩١٢ — ١٩٣٦) ، وفرنسا بين (١٩١٧ — ١٩٢٨) ، وايطاليا بين (١٩١٧— ١٩٢٧) ، والفاتيكان (١٩١٧) والولايات المتحدة بين (١٩١٢ — ١٩٢٨) ، وعن مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ ، وقضية الاقليات في اوربا الشرقية (١٩١٨ — ١٩٣٥) والوضع العام في روسيا حتى سنة ١٩١٨ ، وبولونيا (١٩١٨ — ١٩٣٥) وماكس نوردو (م. سنة ١٩٢٣) : وتضم معلومات عن الحركة المضادة للسامية (١٨٩٠ — ١٩١٨) وقضايا اليونان ورومانيا ، وروسيا حتى سنة ١٩١٨، وسلوك الحكومتين التركية والفرنسية حيال الصهيونية خصوصا بين سنتي ١٩٠٨ — ١٩١٤ . وزفي البرسون (م. سنة ١٩٥١) : وفيها معلومات عن قضايا الاقليات والوضع اليهودي في اوروبا الشرقية في السنين الواقعة بين سنتي (١٩١٨ — ١٩٤٠) والهجرة من اوروبا الى الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية . وليون موتسكين (م. سنة ١٩٣٣) : وفيها معلومات عن قضية الاقليات ووضع اليهود في اوربا الشرقية بين سنتي ١٩١٨ — ١٩٣٣ والوضع الداخلي في روسيا بين سنتي ١٩٠٥ — ١٩١٤ . وماكس ماندلشتام (م. سنة ١٩١٢) : وفيها معلومات عن اليهود في روسيا (١٨٨٢ — ١٩١٠) . وايزاك رويلف (م. سنة ١٩٠٢) : وفيها معلومات عن اليهود في المانيا وروسيا والهجرة الى امريكا (١٨٦٩ — ١٩٠٢). وفيكتور جاكوبسون (م. سنة ١٩٣٤) . ولايب جاف (م. سنة ١٩٤٨) . واوسيشكين (م. سنة ١٩٤١) . وفيها كلها معلومات عن روسيا وحال اليهود فيها حتى سنة ١٩١٨ . وايزاك غرونباوم: وفيها معلومات عن بولونيا وسياستها والاقليات فيها بين سنتي ١٩١٩ — ١٩٣٣ . وماكس بودنهايمر (م. سنة ١٩٤٠) : وفيها معلومات عن تصرف الالمان حيال الصهيونية ، ومشاكل اليهود في المانيا الشرقية خلال الحرب العالمية الاولى . والفريد كلي (م. سنة ١٩٤٣) : وفيها معلومات عن اليهود في المانيا والقضايا السياسية الالمانية بين (١٩٠٠ — ١٩٣٨) . وآيزاك بن زفي (م. سنة ١٩٦٣) . وشلومو بلانسكي (م. سنة ١٩٥٠) . وفيها معلومات عن الحركة العمالية الاشتراكية

الدولية خصوصا سنة ١٩٢٠ . وموسى هيس (م. سنة ١٨٧٥) : وفيها معلومات عن الاشتراكية في القرن التاسع عشر . وهنريتا سزولد (م. سنة ١٩٤٥) : وفيها معلومات عن المهاجرين الجدد في الولايات المتحدة (١٨٨٧ — ١٩١٠) . واسرائيل زانغويل (م. سنة ١٩٢٦) : وفيها معلومات عن النشاط الادبي في بريطانيا والولايات المتحدة بين سنتي ١٨٩٥ — ١٩٢٥ .

٧ — وثائق المنظمة اليهودية الاقليمية بين (١٩٠٥ — ١٩٢٥) : وفيها معلومات عن الهجرة من اوربا الى الولايات المتحدة ومشاريع الهجرة الى اوستراليا والاستقرار فيها وفي مختلف بلاد افريقيا وامريكا اللاتينية (خصوصا بين ١٩٠٥ — ١٩١٤). هذا وليس للدار عطلة سنوية ، بل اسبوعية (أيام السبت) والعطل اليهودية ، وتفتح ابوابها في الايام العادية بين الساعتين ٨ — ١٥ وايام الجمعة من ٨ — ١٣ . ويجب على القارىء ان يقنع (بشكل مسبق) دار الوثائق الصهيونية المركزية بجدية عمله ، ويبين بوضوح الموضوع الذي يبحثه . وتحتفظ الدار لنفسها بحق مطالبة القراء بكتب التوصية من مؤسسة علمية معترف بها أو من بحاثة معروف جيدا ، قبل ان يسمح له بالمطالعة ، ويجب ان يعطيها الباحثون نسخة من اي مؤلف ينشر وتكون وثائق الدار قد استخدمت في تاليفه . ويمكن الاطلاع بحرية على الوثائق التي مضى عليها ٣٠سنة فاكثر — كقاعدةعامة — الا اذا ا — وضع المالك الاساسي شروطا خاصة ، ب — اساءت مطالعتها الى سمعة اشخاص معينين او تعلق الامر بالامن العام . أما المستندات التي تعود الى ما قبل سنة ١٩٣٥ ، فان الوثائق الصهيونية المركزية تحتفظ لنفسها بحق فرض الشروط التي يقتضيها الحال قبل السماح بالوصول اليها . هذا وللدار مشغلها الخاص بالميكرو فيلم ، ويمكنها تحضير الصور الضوئية ، بأسعار معتدلة، ولديها مجموعة جيدة من الميكروفيلم(١٠) عن الملفات والوثائق المحفوظة في الخارج (الولايات المتحدة، بريطانيا ، فرنسا ، المانيا ، يوغوسلافيا) يمكن الاطلاع عليها بسهولة الا اذا كان المالك الاصلي قد وضع شروطا خاصة لذلك ، ويمكن تحضير نسخ موجبة عن الميكروفيلم المذكور في حالة وجود الضرورة بسعر الكلفة .

أما الوثائق التاريخية اليهودية العامة فقد أسست سنة ١٩٣٩ بمبادهة فردية ، واصبحت منذ عام ١٩٤٤ تشكل جزءا من « الجمعية التاريخية في اسرائيل) ، ثم اعتبرت وثائق عامة بموجب قانون الوثائق ذي الرقم (٥٧١٥) لعام ١٩٥٥ . وكانت الغاية من تأسيسها جمع وثائق تتعلق بالتاريخ اليهودي من مختلف بلاد العالم التي أقام فيها اليهود في يوم من الايام ، وقد بدأت حملة خاصة، خلال السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية ، هدفها جمع الوثائق اليهودية التي نجت من التلف والحريق في أوربا الوسطى .

ورغم ان الوثائق التاريخية اليهودية العامة مؤسسة حديثة جدا ، فان مجموعة وثائقها كبيرة تضم وثائق المجتمعات والمنظمات اليهودية والوثائق الخاصة التي جمعت من مختلف انحاء العالم ، وقد بقي قسم من هذه الوثائق سريا لم يسمح بالاطلاع عليه بعد ولم يرد ذكر له في القوائم التي يراجعها الباحثون .

ولما كانت هذه المجموعة لا تشكل الا قسما صغيرا من مصادر التاريخ اليهودي ، لذلك كان لا بد من بعض النشاط الاضافي التالي لاكمالها : ا — تهيئة قوائم الوثائق المتعلقة بالتاريخ اليهودي في الخارج، من الوثائق الرسمية او الكنسية او البلدية ، ووضع دليل مركزي عام عن المواد الوثائقية في جميع انحاء العالم . ب — أخذ صور ميكرو فيلم عن القسم الاكبر من أهم هذه الوثائق الحيوية ، على أساس القوائم المذكورة ، وقد تم فعلا تصوير مما يقرب من ثلاثة ملايين ميكروفيلم حتى سنة ١٩٦٥ .

وكان اليهود في اكثر البلاد الاوروبية قد اعطوا نوعا من الاستقلال القضائي والمالي ، واضطلعت منظماتهم بالكثير من الاعباء التي كانت تقوم بها قبل ذلك بعض اجهزة الدولة ، لذلك فان الوثائق التاريخية اليهودية العامة تضم كثيرا من الوثائق عن تاريخ اليهود السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بالاضافة الى مستندات من حياتهم الدينية والثقافية ، وحتى سنة ١٩٦٥ كانت اكثر الوثائق باللغة العبرية ، او مكتوبة بالاحرف العبرية — رغم انها بلغة البلد نفسه — وبعض هذه المجتمعات كانت لها اهمية وطنية محلية ، بل وحتى دولية ، ووثائقها تعكس اعمال زعمائها وتدخلاتهم لصالح الحركة اليهودية في الكثير من بلاد العالم .

يتبين مما تقدم ان المواد الوثائقية التي تم جمعها

في هذه المديرية ذات اهمية كبيرة ، وسنقتصر فيما يلي على ذكر بعض الوحدات الوثائقية ذات الاهمية الخاصة ، حسب المصدر الذي وردت منه الوثائق، وطريقة التصنيف المتبعة : ١ ــ الارجنتين : سوبروتيميس ، وفيها وثائق جمعية حماية المهاجرين اليهود . ٢ ــ النمسا (فيينا) : وفيها وثائق المجتمع اليهودي هناك . ٣ ــ تشيكوسلوفاكيا : وفيها وثائق المجتمع اليهودي (مدينة ميكولوف) . ٤ ــ فرنسا : وثائق المجتمع اليهودي (مدينة متز) . ٥ ــ دانزيغ : وثائق المجتمع اليهودي هناك . ٦ ــ المانيا : وفيها وثائق المجتمع اليهودي في ٤٤ مدينة أبرزها : التونا ، بمبرغ ، برلين ، بنغن ، دارمشتات ، فرانكفورت على المين ، فرنكفورت على الاودر ، وغيرها ، هذا عدا وثائق الوحدة الالمانية الاسرائيلية (برلين) والوحدة المركزية للمعتقدات اليهودية ، واتحاد المقاطعات اليهودية الالمانية (برلين) ، ووحدة المعونة اليهودية الالمانية (برلين) . ٧ ــ مجموعة وثائق (بوتسنان). ٨ ــ ليتوانيا : نسخ عن المواثيق المتعلقة بالنصوص القانونية الخاصة باليهود .

هذا عدا الوثائق الخاصة ، وهي الوثائق المتعلقة بتحرير اليهود البروسيين وحقوق اليهود بين القرنين (١٨ ــ ٢٠) كوثائق لابرسون رئيس القسم الاوسترالي في المؤتمر اليهودي العالمي منذ (١٩٣١ ــ ١٩٥٣) ، وماجنيس الذي كان رئيس الجالية اليهودية في نيويورك ، وموتسكين وتتعلق وثائقه بالهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي . وقد صنفت هذه الوثائق حسب الترتيب التالي : ١ ــ الوحدات الجغرافية (لاوربا حسب الحدود السياسية المحددة سنة ١٩١٩) وكل وحدة مقسمة الى : وثائق الهيئات ، وثائق المنظمات والمؤسسات المحلية ، وثائق المنظمات الوطنية ، وثائق فردية او ملفات لا تدخل في نطاق الوثائق المذكورة اعلاه. ٢ــ وحدات ليست مصنفة حسب التقسيم الجغرافي : الوثائق او المجموعات الفردية ، وثائق المنظمات الدولية . ٣ ــ المجموعات الخاصة (قصاصات الصحف ، النظم المطبوعة ، التقارير الخ ... صور الكنس ، والمقابر ، والشخصيات وغيرها ، اشجار النسب) . ٤ ــ عدد من اشرطة الميكروفيلم .

وتستقبل دار الوثائق التاريخية اليهودية العامة الباحثين طيلة ايام الاسبوع بين الساعة ٩ ــ ١٤ ويوم الجمعة الساعة ٩ ــ ١٢ ، ويوم السبت هو يوم العطلة الاسبوعية . ويمكن اجراء الابحاث بعد الحصول على اذن من المديرية لمطالعة المستندات اللازمة ، وبعض الوحدات الوثائقية تبقى سرية حسب شروط واهبها . ويمكن اعطاء القراء اشرطة ميكروفيلم او صور ضوئية للوثائق الفردية ولبعض الملفات الكاملة، اما الاطلاع على مجموعة الدار من الميكروفيلم المأخوذة عن الوثائق الموجودة في الخارج فتتبع الشروط الخاصة التي تضعها بلاد المنشأ التي تمتلك الوثائق الاصلية .

والى جانب هذا الاهتمام الكبير بالوثائق داخل فلسطين المحتلة ، هناك حركة وثائقية صهيونية موازية في سائر انحاء العالم ، وخصوصا في اوربا والامريكتين، بل لقد اهتمت الصهيونية بالوثائق قبل التقسيم بكثير ، واعتمدت عليها في استدرار عطف الرأي العام العالمي حتى حصلت على وعد بلفور . والواقع انه لم يكن في المانيا سنة (١٩٠٥) الا مجموعة وثائقية واحدة عن الجالية اليهودية المقيمة في فرانكفورت(١١)، فسارعت الجاليات اليهودية الى استدراك هذا النقص ، وكان عدد كبير من الوثائق المطلوبة قد فقد فعلا، او ضم الى الوثائق القومية للبلد نفسه ، ونتج عن ذلك ان الوثائق اليهودية اقتصرت على موجودات الكلس التي كانت تملك عددا ضخما من السجلات التي كانت تسمى Pinkas وهي غالبا غنية بالمعلومات التاريخية ، وكذلك سجلات الـ (موهاليم) الهامة لدراسة تطور السكان اليهود . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كانت التقاليد اليهودية في وادي الرين تقضي بأن يكتب على شريط تماشي اسم كل صبي يتراوح عمره بين ٢ ــ ٣ سنوات ، وتاريخ ميلاده ، فأصبحت هذه الاشرطة الشكل الوحيد للسجل المدني اليهودي المعروف آنئذ ، كما كانت هذه القطع بالذات بالاضافة الى مستندات اخرى (نادرا ما تعود الى ما قبل النصف الاول من القرن التاسع عشر) هي التي شكلت نواة الوثائق اليهودية هناك. ولكن السجلات الوطنية كانت أكثر حظا ، فقد نشر في بولونيا سجل (ها مدينة)(١٢)، كما طبعت الكتب التذكارية المختلفة(١٣)، ولا توجد وثائق خطية ، الا ان الحاخامين الذين مارسوا القضاء ، درجوا على عادة تسجيل قراراتهم بشكل سؤال وجواب ، فأصبحت هذه القرارات المصدر الكبير للتاريخ اليهودي في أوربا ، نذكر من ذلك

١٧٩٥ مجموعة استشارية تحتوي على اكثر من ٢٥٠،٠٠٠ قرار يتعلق بتاريخ اليهود في كل من فرنسا وايطاليا والنمسا وهولاندة وانكلترة واسبانيا وغيرها .

وقد نشرت « لجنة اعادة البناء الثقافي اليهودي الاوروبية»(١٤) سنة ١٩٤٦ قائمة مؤقتة عن «الكنوز الثقافية اليهودية في البلاد المحتلة » ، وهذه القائمة تصف واقع الحال كما كان سنة ١٩٣٨ . ولكن الحرب والملاحقات النازية التي شملت عدة هيئات يهودية ، أفقدت هذه القوائم قيمتها من حيث تمثيلها لواقع الموجودات الوثائقية في اوربا(١٥). وكانت هناك قبل الحرب العالمية الثانية وثائق غزيرة تتعلق باليهود في عدد كبير من المدن الالمانية اهمها في دارمشتات وفرنكفورت وبرلين ، وتحتوي على٢٤٤ من السجلات، وقد دمر قسم كبير من هذه الوثائق اثناء الحرب ، ولو انه يرجح ان قسما كبيرا منها قد حفظ مع الوثائق المحلية . هذا عدا الوثائق التي عني الصهاينة بجمعها في مختلف البلاد الاوربية الاخرى ، كالنمسا حيث حفظت وثائق تتعلق باليهود في (ايزنشتات ، وغورتس ، وفيينا) وكذلك في بروكسل ببلجيكا وبعض المدن المجرية الهامة ، وفي ايطاليا حيث تمكن اليهود من حفظ القسم الاعظم من وثائقهم ، تميز بينها وثائق فيرارا ، وفلورنسا ، وليفورنة ، ومانتو ، وميلانو، وبادوفا ، وبيزا ، وروما (وثائق الجامعة الاسرائيلية) . وفي تشيكوسلوفاكيا حيث استطاع الكنيس اليهودي(١٦) جمع الوثائق اليهودية التي نجت من نار الحرب في براغ ، وفي بولونيا حيث كان « معهد المعارف اليهودية » الذي أسس سنة ١٩٢٥ ، قد جمع في وقت قصير اكثر من ٠٠٠ ٧٥ مخطوط ووثيقة تتعلق بشؤون اليهود البولونيين ، وقد نقلت هذه الوثائق الى المانيا بعد ذلك ، حيث عثر عليها هناك بعد الحرب ، وهي الان موجودة في مدينة نيويورك ، المقر الجديد لمعهد المعارف اليهودية الذي شكل عدة لجان طافت اوربا بأسرها لجمع الوثائق المتعلقة باليهود ومطاردة الالمان لهم . والجدير بالذكر ان المعهد نفسه يصدر حاليا نشرة خاصة تخدم اغراض الصهيونية .

وفي انكلترا نشرت الصهيونية وثائق الكنيس الموحد (الذي يعود الى سنة ١٦٩٠) والكنيس الغربي (منذ سنة ١٧٥٧) ، اما في البرتغال فان وثائق الجالية اليهودية هناك لم تطبع بعد(١٧). وتوجد في فرنسا كمية لا بأس بها من الوثائق ، نظرا لكثرة عدد اليهود المقيمين فيها ، في ستراسبورغ ، وكولمار ، ومتز (حيث يوجد سجل لم ينشر بعد). وكانت «لجنة التاريخ اليهودي» في الالزاس واللورين تصدر نشرة خاصة بها قبل الحرب ، واستطاعت فعلا جمع كمية كبيرة من الوثائق اليهودية التي ضمت الى « الوثائق الاقليمية لحوض الرين الاسفل » . ولكن المجموعة الضخمة من الوثائق اليهودية هي مجموعة الرابطة الاسرائيلية(١٨) في باريس ، وفيها معلومات عن قرن كامل لعبت خلاله فرنسا دورا بارزا في الشرق الاوسط ، وهي مجموعة ثمينة لمن يهتم بدراسة هذه المنطقة . ولا بد من الاشارة الى مركز هام للوثائق اليهودية اسس بعد الحرب مباشرة ، هو مركز التوثيق اليهودي المعاصر في باريس(١٩) وقد اهتم بدراسة شؤون اليهود تحت الحكم النازي ، واستطاع المركز فعلا جمع كميةكبيرة منالوثائق المتعلقة بهذا الموضوع والتي تضم جميع وثائق (الغستابو) المتعلقة باليهود في فرنسا (الوثائق الاصلية) وغيرها من وثائق الحرب(٢٠).

الا ان المراكز الضخمة للوثائق التي يجمعها الصهاينة موجودة في الولايات المتحدة الامريكية ، المعقل الكبير للصهيونية ، وسنأخذ مثلا على ذلك مركز الوثائق اليهودية الامريكية في ولاية اوهايو الذي اسس سنة ١٩٤٧ ، ذلك ان اليهودي الامريكي لم يكن قد شهد ، كاليهودي الاوروبي ، جميع اشكال الحكومات ، منذ الامبراطورية الرومانية حتى الجمهورية الديموقراطية ، ولا مراحل تطور الانظمة الاجتماعية والاقتصادية منذ أيام النظام الاقطاعي في القرون الوسطى حتى النظام الرأسمالي في القرن العشرين ، وبالتالي لم يتمرس بتجارب القرون الطويلة ، ولم يكن لديه شيء من المقررات التي كتبها كبار المؤسسينمنذ بدء استقرار اليهود في أوربا ، ولا الطقوس والمراسيم التي كان يسلمها الاب لابنه من جيل الى آخر ، عبر العصور . أضف الى ذلك ، ان اليهود الذين هاجروا الى القارة الامريكية اعتبارا من منتصف القرن السابع عشر ، جاءوا من بلاد مختلفة ، وكانوا بالتالي يحملون معهم تقاليد مختلفة ، فلم يكن واحدهم مرتبطا بالاخر بروابط الدم او اللغة المشتركة او العادات المشتركة كما كانت تريد لهم

الصهيونية ، التي كانت تريد ربطهم بشعور عاطفي من شأنه ضمهم الى الحركة الصهيونية في فرنسا والمانيا وبوهيميا والنمسا وبولونيا وليتوانيا ، تمهيدا للاعتداء على اراضي الغير تحت ستار من الادعاءات المختلفة . وعدا كل هذا ، فان اليهودي الامريكي لم يجد وسطا فكريا صالحا يحمله على التحقيق في ماضيه ، كما فعل كبار المؤرخين الاوربيين في القرن التاسع عشر الذين حفزوا يهود اوروبا على تحليل تاريخهم وتفسيره بشكل يتلاءم مع غايات الصهيونية واهداف حكمائها فيما بعد .

ثم فطن الاوروبيون الى حقيقة الحركة الصهيونية الاوربية ، وبدأت المحاولات لانشاء ما يسمى (بالوطن القومي) على حساب سيادة الشعوب الاخرى وكرامتها ، وصدف أن قامت الثورات التي حولت المفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فاستيقظت نوازع اليهودي الامريكي وهب لمساعدة اليهودي الاوربي وتأييده ، فلما ازيلت اكثر مراكز التعليم اليهودي في أوربا ، حيث كان الكثيرون من الطلاب اليهود قد تدربوا بشكل خاص ، شعر الصهيونيون في الجالية اليهودية في أمريكا (وهي اكبر الجاليات اليهودية في العالم على الاطلاق) بضرورة التحرك لتسخير الطاقات الامريكية لتحقيق اهداف الصهيونية ، واصبح اليهود الصهيونيون الامريكيون يشعرون ان القدر قد حملهم وزر المهمة التي كان اليهود الاوروبيون قد بدأوها، وخططوا لها بدقة خبيثة .

هذا هو السبب الداخلي الذي جعل الدكتور نلسون غلوك رئيس معهد الوحدة العبرية في ولاية اوهايو، والدكتور يعقوب ماركوس الاختصاصي بالتاريخ في نفس المعهد ، يخططان لتأسيس « الوثائق اليهودية الامريكية » وذلك خلال شتاء سنة ١٩٤٧ . ولم تكن طبعا هذه اول محاولة من هذا النوع في الولايات المتحدة الامريكية ، فقد كان بعض ذوي الفكر التاريخي من يهود أمريكا ، والمحامين ، والمصرفيين وغيرهم قد اسسوا الجمعية التاريخية اليهودية الامريكية في نيويورك ، لجمع ونشر المواد المتعلقة بتاريخ امريكا والحث على دراسة التاريخ اليهودي بشكل عام ، وخصوصا بالقدر الذي يظهر العلاقة بينه وبين « التاريخ الامريكي اليهودي » ، أو باسباب الهجرة من مختلف انحاء العالم الى القارة الامريكية بالنسبة لليهود . هذه المنظمة نشرت ، في الفترة الممتدة بين سنتي ١٨٩٢ — ١٩٥٤ ، ثلاثة واربعين مجلدا تحتوي على مقالات كثيرة تتعلق بانتاريخ اليهودي في امريكا ، كما نشرت مواد اصلية كمصادر ، اقتبستها من عدة دور وثائق ومكتبات ، ولها مكتبتها الخاصة التي تحتوي على مجموعة كبيرة من الوثائق والمخطوطات ، مرتبة بشكل يصلح للبحث العلمي الموجه .

وعندما تأسست « الوثائق اليهودية الامريكية » كان لدى مؤسسيها فكرة واضحة عن الصعوبات التي ستعترضهم لتأمين الوثائق اليهودية بشكل خاص ، ولم يكن من الممكن تقليد الوثائق الامريكية العامة التي كانت موجودة فعلا ، والجمعيات التاريخية المؤسسة في كل ولاية تقريبا وفي الكثير من المدن على امتداد عشرات السنين الاخيرة ، وهي المؤسسات التي تتعلق وثائقها بالشؤون السياسية والاقتصادية والقانونية ، وبالدساتير ، واعمال الدولة، والشؤون الرسمية، والعلاقات الخارجية، والسياسة الداخلية وما شابه ذلك ، لان اليهود يعتبرون تاريخهم مختلفا بشكل كامل عن التاريخ العام ، مما حمل اصحاب المشروع على انشاء هذه الوثائق اليهودية الامريكية على اسس واساليب تختلف عن تلك التي تتبع في الوثائق العامة ، وبطريقة تجعل من الممكن جمع المادة الوثائقية بشكل نموذجي وعلمي ، يخدم الباحثين ويحقق الغاية المتوخاة منها في الوقت نفسه .

ويطرح التاريخ اليهودي في امريكا واوربا معا مسألتين اساسيتين تعترضان المؤرخ ، أولا : بحث التطور الداخلي « للشعب اليهودي » ،اي تطور مؤسساته ومنظماته الدينية والقانونية والتربوية والثقافية . ثانيا : تأثير القوى الخارجية غير اليهودية على المصير اليهودي ، اي بعبارة أخرى، تأثير الوسط ، والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية على اليهود ، وبالعكس : تأثير العنصر اليهودي على الوسط الذي يعيش فيه . الا ان للتاريخ اليهودي في امريكا بشكل خاص ، مشكلة ثالثة تتلخص في أن لكل مهاجر يهودي أساسا مختلفا ومفاهيم اجتماعية وسياسية متباينة ، جاء بها معه من بلد المنشأ ، لهذا كان من الواجب تأمين المصادر المتعلقة بهذا الاساس الاصلي ، لفهم عملية اندماج المهاجر في صلب الحياة الاقتصادية والثقافة الامريكيتين .

ولحل المشكلة الاولى ، بدىء بدراسة وثائق مختلف المنظمات اليهودية والهيئات الدينية في بلاد المنشأ،

وحاول اليهود الامريكيون الحصول على جميع الوثائق المتعلقة بتلك المنظمات والهيئات ، من صكوك ، وسجلات ، ودساتير ، وقوانين ، وتشريعات ، ووقائع ، ودفاتر حسابات ، ودفاتر وصولات ، وصكوك ولادة وزواج ووفيات، وسجلات المقابر ، والمنح التي توهب الى الاديرة وغيرها ، جميع هذه المخطوطات من شأنها تمكين المدارس من تحليل الاحتفالات ، والعادات ، والطقوس ، والصيغ القانونية لجميع المنظمات منذ تأسيسها الاولي ، ومدى تأثير الوسط الامريكي على تطورها، والصعوبات التي تعترضها ، وموجات الهجرة الى امريكا في القرنين التاسع عشر والعشرين وتأثيرها في صميم الحياة الداخلية للمهاجرين ، وعلاقتهم بأصحاب الديانات الاخرى ، وتأسيس الجاليات الجديدة وتطور القديمة منها .

هكذا وقع العبء على مركز الوثائق اليهودية الامريكية في اوهايو ، الذي حوى المئات من هذه السجلات ، وقد تم ترتيبها وفهرستها ، بحيث أصبحت بطاقات الفهرسة تعطي اسم المؤسسة والمدينة والولاية ورقم المجلد والصفحة والتاريخ والرمز والملف . وهناك بطاقات معترضة تساعد الباحث على أن يجد بسهولة المادة التي يحاول البحث عنها ، وقد جمع المركز ايضا العناوين ، والمحاضرات ، والمخطوطات، والصحف والمذكرات، والمقررات التابعة للشخصيات الهامة لمعرفة نشاطها وخبراتها من خلال مواقعها في الاماكن القيادية ، ومفاهيمها الدينية والروحية، والصعوبات التي اعترضتها ومشاكلها الحيوية ، كالحركات التصحيحية ، والقضايا السياسية والاجتماعية والفلسفية ، وعلاقاتها بالوزراء المسيحيين والجاليات اليهودية في اوربا وآسيا وأفريقيا .

ولما كانت المنظمة اليهودية في الولايات المتحدة ، على عكس منظمات الجاليات اليهودية الاوربية ، لا تمتد الى جميع وجوه الحياة اليهودية ، ولا تعتبر مسؤولة عن تربية أفرادها وتصرفهم الاخلاقي ومفاهيمهم ورفاهم وشؤونهم الصحية ، لذلك كان على المركز ان يؤمن المصادر الوثائقية التي تلقي ضوءاً على الحياة الداخلية للمؤسسات اليهودية ، كالمؤسسات التربوية ، ودور الايتام ، ودور العجزة ، والمستشفيات ، والنوادي ، والمدارس الدينية ، والمعاهد ، ومكاتب الهجرة ، وما شابه ذلك ، وعلى تنظيم هذه المصادر لتخدم الغرض المبتغى منها ، وتشكل المخطوطات التي تم الحصول عليها أرضية صالحة لمن يريد تحليل التطور الاجتماعي لليهود في امريكا ، وطراز حياتهم ومستواهم الاخلاقي ، ونموه وتطوره ، وتاريخهم الثقافي والفكري . وانصهارهم في الوسط الذي يعيشون فيه .

ولحل المشكلة الثانية ، اي تأثير الوسط الخارجي غير اليهودي على اليهود ، فقد طلب المركز مساعدة مديرية الوثائق الامريكية العامة، والوثائق القومية ، ومكتبة الكونغرس في واشنطن ، ومختلف دور الوثائق في الولايات المتحدة ، كمكتبة ولاية نيويورك ، والجمعية التاريخية في بنسلفانيا ، والجمعية التاريخية في فرجينيا ، ومديرية الوثائق والتاريخ في جورجيا ، واللجنة التاريخية في جنوبي كارولينا وغيرها ، واثمرت هذه الجهود فعلا ، ورغم ان كمية الوثائق التي تجمعت لدى المركز بعيدة عن الكمال ، الا أنها كافية لتحديد مساهمة اليهود في الحياة الامريكية منذ اليوم الذي وطأ فيه ٢٣ من مهاجري اليهود القادمين من البرازيل أرض نيو امستردام سنة ١٦٥٤ . ولمتابعة المحاولات اليهودية للحصول على الحقوق المدنية والدينية ، وممارسة التجارة ، والقيام بنشاط كتجار ومالكي سفن تجارية ، وتجار فرو وبضائع هندية ، وتجار اسلحة وعملاء ومستعمرين ، ومشاركتهم في حرب التحرير الامريكية ، وحرب سنة ١٨١٢ ، والحرب المكسيكية ، والحرب الاهلية الامريكية ، والحربين العالميتين الاولى والثانية ، ودورهم كرجال دولة ، وسياسيين في الكونغرس ، وسفراء ، وقناصل ، وولاة ، ومستشارين واصدقاء للرؤساء ، ومكافحين في سبيل اغتصاب فلسطين العربية من اصحابها الشرعيين .

وقد استطاع المركز الحصول على نسخ مصورة ، واشرطة ميكروفيلم من دار الوثائق العامة ، وعلى مخطوطات ومواد لم تطبع بعد كمجموعات لويس مارشال ، ويعقوب شيف ، وفيليكس ووربورغ ، وقد حصل المركز على تلك المجموعات الوثائقية من أسرهم وورثتهم .

ويقدم المركز للمهتمين بتاريخ الاشخاص كمية كبيرة من المخطوطات التي يروي كاتبوها قصة حياتهم الخاصة ، ومجموعة من اليوميات والمذكرات . ورغم ان عددا منها كتب من قبل اشخاص بسطاء بشكل لا يجعلها ذات قيمة أدبية مرموقة ، الا انها

تصف أحيانا بشكل حي وممتع أصل المهاجرين اليهود من الروسيا ، وبولونيا ، وبوهيميا ، ومورافيا ، والنمسا ، والالزاس — لورين ، والمانيا ، وبلاد كثيرة أخرى ، واسباب هجرتهم ، وجهودهم للبقاء ، وحياة أسرهم ، ومحاولتهم التكيف مع وسطهم الجديد ، ونجاحهم وفشلهم ، والتغير النفساني لليهود في امريكا خلال عشرات السنين . ويقدم قسم السلالات والاسر في المركز مساعدة قيمة للباحثين في حياة اليهود في امريكا ، وكانت أهم هذه الاسر قد استقرت في الولايات المتحدة سنة ١٨٤٠ ، وكان عالم الانساب الوثائقي مالكولم شترن هو الذي اهتم بأشجار نسبهم . ولما كان الكثير من المهاجرين ، خصوصا في العهد الاستعماري ، قد جاءوا من جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية الى البلاد التي تسمى الان بالولايات المتحدة ، ولما كان أولئك اليهود على صلة تجارية وثيقة ببقية اليهود الامريكيين في باقي بلاد العالم الجديد ، فقد حصل المركز ايضا على وثائق من تلك البلاد ، بلاد المنشأ ، تشتمل على سجلات ، ويوميات ، ووثائق زواج وولادات ووفيات ، وصور ارسلت اليه من جامايكا ، وكوراساو ، وغويانا الهولاندية وغيرها، كما وصلت اليه مواد وثائق هامة من دور الوثائق في اوربا . ويقول المسؤولون عن المركز : « انهم يعرفون ان جلاء الغموض عن هذه الثروة الوثائقية ليس بالامر السهل ، الا انهم لا يزالون في بداية الطريق !... وان لديهم الكثير من الاراضي الجديدة الواجب اكتشافها » .

---

١ — في جلسة العمل الاولى من المؤتمر الدولي الرابع للوثائق الذي انعقد بين ١٧—٢٠ آب (اغسطس) ١٩٦٠ ، قال الممثل الصهيوني : ان (عليهم) الاعتماد على الميكروفيلم بالنسبة للوثائق الموجودة في الخارج ، وطلب مساعدة المؤتمر للحصول على الصور المطلوبة .

٢ — من كلمة المندوب الصهيوني في مؤتمر الوثائق الدولي ٢٥—٢٩ ايلول ١٩٥٦ ، جلسة العمل الرابعة .

٣ — من اقوال الممثل الصهيوني في نفس المؤتمر ونفس الجلسة .

٤ — من اقوال المندوب الصهيوني في مؤتمر الوثائق الدولي الرابع ١٧—٢٠ آب (اغسطس) ١٩٦٠، جلسة العمل الاولى .

٥ — المؤتمر الدولي الاستثنائي للوثائق (واشنطن ٩—١٣ ايار (مايو) ١٩٦٦) ، جلسة العمل الرابعة .

٦ — Modern Archives, Principles and Techniques.

٧ — المؤتمر الدولي الخامس للوثائق ، بروكسيل ١—٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ .

٨ — هكذا يرسل العدو ممثلين عنه الى جميع المؤتمرات الدولية التي يمكن ان يستفيد منها في الحصول على ما يخدم اغراضه ، تحت ستار من المساهمة في نشر المعرفة ، واقتراحات تيسير البحث العلمي .

٩ — من توصيات المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين المنعقد في القدس سنة ١٩٥٦ .

١٠ — في المؤتمر الدولي السادس للوثائق الذي انعقد في مدريد بين ٣—١٩٦٨/٩/٧ ، أصر ممثل اسرائيل (في جلسة العمل الاولى للمؤتمر) على ضرورة اعطاء صور ميكروفيلم بسعر الكلفة لجميع الوثائق الموجودة في أي بلد دون استثناء .

١١ — للمزيد من المعلومات انظر :
E. Zivier: *Eine Archivalische Informationsreise*, Breslau, 1905.

١٢ — Pinkas haMedinah, *Dubnov*, edition Berlin 1925, (Pour les années 1623-1761).

١٣ — Saalfeld: *Das Martyrologium des Nurnbergen Memorbuches*, Berlin, 1898.

وهو الكتاب الذي نشرته « اللجنة التاريخية للتاريخ اليهودي في المانيا » .

١٤ — Commission on European Jewish Cultural Reconstruction.

١٥ — *Jewish Social Studies*, New York VIII, 1, 1946 (and) X, 1, 1948.

(*) انظر مجلة **الدراسات اليهودية** *Revue des études juives* المجلد الاول : ص ٣٠٢—٣١٧ ، والمجلد الثاني : ص ١١٤—١٢٨ .

١٦ — أصبح متحفا دعي سنة ١٩٤٨ بـ « متحف براغ اليهودي » .

١٧ — Cecil Roth: *Magna Bibliotheca Anglo-Judaica*, London, 1937.

١٨ — Alliance Israélite.

١٩ — Centre de Documentation Juive Contemporaire.

٢٠ — *Dix années d'existence du C.D.J.C.* Paris, 1953.

الممارسات السياسية لوصفي التل

ناجي علوش

سقط وصفي التل ، رئيس وزراء الاردن ووزير دفاعه ، قتيلا يوم ٧١/١١/٢٨ ، برصاص مجموعة من أفراد الثورة الفلسطينية . وكان هذا مفاجأة لكثيرين ، حتى من الذين أثلج قلوبهم مصرعه ، كما كان مفاجأة لوصفي التل ذاته ، الذي كان يردد دائما ، حين يجري الحديث عن التنظيمات السرية، وعن التحسب من اقدامها على القتل والاغتيال : « ابشر بطول سلامة يا مربع » . ومما يدل على أنه لم يكن يتوقع ان يلقى مصرعه في هذا الوقت بالذات سفره الى القاهرة ومشاركته في مؤتمر وزراء الدفاع العرب ، مع انه يعلم بحقيقة موقف مصر الرسمي منه ، كما يعلم ما جنته يداه في الاردن . ولكنه ، مع ذلك ، كان يريد ان يستفيد من المؤتمر في تعزيز مواقعه داخل الاردن ، بانهاء العزلة المضروبة عليه عربيا ، وباخراج الاردن من دوامة العزلة التي يعيشها ، بعد مجازر جرش وعجلون ضد آخر مواقع المقاومة في الاردن . وكانت هذه المكاسب تستحق ان يغامر من اجلها .

ومع هذا فانه لم يكن يرى في الموضوع مغامرة للاسباب التالية : ١ ــ لانه كان يعتقد ان المقاومة الفلسطينية قد انتهت الى الابد ، وان بقاياها و« قياداتها » أعجز من ان تقوم بعملية من هذا النوع . ولهذا كان يتحدى دائما . ٢ ــ لانه كان يظن ان مثل هذه العملية قد يتم في اي مكان الا في القاهرة ، بسبب احتياطات الامن المتوافرة في القاهرة من جهة ، وبسبب حرص الطرف المعني ، اي المقاومة ، على عدم استثارة القاهرة بعملية من هذا القبيل . ٣ ــ لانه كان لا يفكر بضحاياه بل « بانتصاراته » ، وبالتالي فان كل حساباته انحصرت في القشرة ، ولم تغص الى الاعماق .

ولان حساباته جاءت كلها مغلوطة فقد سقط صريعا. سقط في الوقت الذي كان يعد نفسه فيه لان يصبح قائدا على الصعيد العربي ، وفي الوقت الذي كان يسعى فيه لتصفية ذيول سنة من المجازر ، باعادة المياه الى مجاريها بين الاردن والدول العربية . ولقد كان « حساب السرايا غير حساب القرايا » في هذه المرة ، كما يقول المثل الشعبي ، وكما هو دائما . وانتهى وصفي وتحطم غروره على صخرة الجماهير الصلبة .

وتمثل قصة سفره الى القاهرة وأهدافه من السفر شخصيته برمتها . وهي صورة عن رحلة حياته كلها ، انها تكشف طموحه كما تكشف غروره واستهتاره ، تكشف طريقته في التفكير واساليبه في العمل .

عوامل تكوين شخصيته : ولد وصفي في قرية الصريح سنة ١٩٢٠ . وترعرع وسط الصراع في الاردن ما بين الحركة الوطنية الاردنية والسلطة الهاشمية (١٩٢١ ــ ١٩٤١) . في هذه الفترة وطد الانجليز دعائم الامارة ، انشأوا لها جيشا ، وفرضوا سيطرتها على البلاد . ولكنهم قابلوا من اجل ذلك بضرب الحركة الوطنية ضربات قوية ، ومنها القضاء على انتفاضة العشرين من آب سنة ١٩٢٣ التي قادها سلطان باشا العدوان(١).

وكان مصطفى التل والد وصفي يعيش وسط هذه الدوامة ، فهو يوما ينتقد « العرش الكرتوني » ، ويوما يصبح متصرفا ، ويوما يدخل السجن . وهو خلال هذا كله يتنقل بين الخمارة ومضارب النور . ولمصطفى التل في هذا كله شعر جميل . ولقد عاش وصفي مع ابيه حياته هذه ، ذهب معه الى مضارب النور ، ودخل معه السجن ، وعرف معه ساعات تسنم المناصب .

ولما كان الاب ناقما غاضبا لا ترضيه المناصب العالية ولا تسكت لسانه المكاسب الذاتية عاش هو

وعائلته حياة عدم استقرار وشقاء . وانتهت حياته دون ان يكون شيئا غير شاعر كبير .

ويبدو ان الابن احس بفاجعة ابيه . لقد خسر الاب لانه اخذ الموقف المعارض للسلطة . فماذا سيفعل ابنه ؟ اختار ان يذهب للدراسة في الجامعة الاميركية في بيروت ، وكانت الجامعة الاميركية آنذاك لا جامعة ابناء العائلات العربية فحسب ، بل معهد تخريج الحكام والاداريين والسياسيين في الوطن العربي . ولكن وصفي حين تخرج وعاد لم يعط وظيفة بل عمل مدرسا في السلط . وما كان التدريس ليشفي غليل طموحه . ولذلك اختار ان يذهب سنة ١٩٤٢ الى الكلية العسكرية البريطانية في صرفند بفلسطين .

وهذا التغيير بالطبع ليس عفويا ، انه يعبر عن القلق من جهة ، كما يعبر عن الطموح من جهة اخرى . ان التدريس لا يخرج قادة ، ولكن الجيش يخرجهم . خصوصا ان العالم عالم حرب ، وقد اخذ العسكريون يلعبون دورا متزايدا في السياسة. وربما كانت احداث العراق (١٩٣٦ — ١٩٤١) غير بعيدة عن ذهن وصفي .

تخرج وصفي من الكلية العسكرية برتبة ملازم وعمل مع الجيش البريطاني حتى انتهت الحرب ، فنال رتبة رئيس . وفي الجيش عمل في الاستخبارات(٢) ثم عمل ضابط علاقات في لندن(٣). وعمل خلال السنوات ١٩٤٥ — ١٩٤٨ في المكتب العربي بلندن. وكان هذا المكتب قد انشىء سنة ١٩٤٤ في القدس برئاسة موسى العلمي باسم الدعاية للقضية الفلسطينية ، وقام العراق بتمويله ، من اجل خلق حركة موازية للحركة الوطنية الفلسطينية(٤). وحين اخذ جيش الانقاذ في التكون سنة ١٩٤٨ انضم وصفي اليه ، وعمل مع قواته في الجليل مديرا للحركات الحربية ، ثم آمرا للواء الرابع . وبعد توقف القتال عاد الى سورية مثل كل قوات جيش الانقاذ ، وهناك اعتقل . وعندما افرج عنه عاد الى الاردن .

عاد وصفي من رحلته هذه خائبا ، لانه لم يظفر بمنصب او موقع . ولكن تجربته اغنت . والتقت فيها ثقافة الجامعة الاميركية بخبرات الجيش البريطاني والحياة البريطانية ، كما تجمعت فيها حصيلة سنوات من العمل في مكاتب الدعاية لفلسطين ، ومع المخابرات البريطانية ، وفي العمل العسكري في الميدان .

وصفي يصبح من كادر النظام : التقط النظام ابنه « الشقي الضال » ، بعد ان عاد من رحلته خائبا. ويبدو ان المخابرات البريطانية اوصت به ، خاصة بعد ان اصبح الاردن بشكله الجديد — ضم الضفة الغربية — في حاجة الى امثاله من اصحاب الكفاءات .

بدا وصفي حياته الجديدة بأن عين مسؤولا في دائرة الاحصاء سنة ١٩٤٩ ، وما لبث ان ترك دائرة الاحصاء الى دائرة ضريبة الدخل ، حيث اصبح مساعدا للمدير ، خلال العام ذاته . وظل هناك حتى سنة ١٩٥٥ ، حيث انتقل مديرا للمطبوعات ، وهي اول وظيفة ذات طابع سياسي يشغلها . لم يبق طويلا في هذا المنصب ، اذ انه انتقل في العام ذاته الى وزارة الخارجية، وعين مستشارا للسفارة الاردنية في بون . وظل هناك من سنة ١٩٥٥ الى سنة ١٩٥٧ . ويبدو انه كان مكلفا بمهمات سرية في بون ، لانه لم يكن سفيرا ، ولا قائما بالاعمال ، ولا موظفا ، بل كان مستشارا .

استدعي وصفي من بون سنة ١٩٥٧ ، وعين رئيسا للتشريفات الملكية حيث قضى فيها قرابة عام . وبهذا يكون وصفي قد نجح في ان يكون مقربا جدا من القصر . ولكن القصر عاد فأرسله سنة ١٩٥٨ قائما للاعمال في السفارة الاردنية في طهران، فبقي حتى سنه ١٩٥٩ ، حينما استدعي والمعركة على اشدها بين الحركة الوطنية العربية والرجعية العربية وعين مسؤولا للتوجيه القومي . وقد شغل هذا المنصب خلال سنتين من الصراع الحاد . وما ان اعترف الاردن بالعراق حتى اختير وصفي ليكون اول سفير للاردن في العراق بعد قيام النظام الجمهوري فيه ، ولكن الحكم في العراق لم يلبث ان طالب بتغييره .

ونستطيع ان نلاحظ ان وصفي كان ينتدب منذ سنة ١٩٥٥ لمهمات خاصة . ذلك ان منصب مدير المطبوعات في سنة ١٩٥٥ ، عندما كانت الحركة الوطنية في بداية عنفوانها ، وكانت المشاريع الاستعمارية ، وعلى راسها حلف بغداد ، تطبق على المنطقة العربية بكلاليبها ، كان منصبا هاما وحساسا . ولم تكن المهمة التي انتدب لها في بون اقل « خطرا » ، لان بون في السنوات ٥٥ — ٥٧ كانت قد بدأت تلعب دورها الامبريالي باشراف

الولايات المتحدة الاميركية ، وخاض وصفي سنة (١٩٥٧ — ١٩٥٨) المعركة الى جانب القصر في صراعه مع الجماهير ومع الحركة الوطنية . وحينما قامت ثورة ١٤ تموز ، واهتز العرش الاردني ، ذهب وصفي الى طهران ليقوم بدوره في التنسيق مع الرجعية الايرانية ضد العراق الجمهوري .

ولكن المعركة اشتدت ما بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٦١ بين الحركة الوطنية العربية ، بقيادة الجمهورية العربية المتحدة وما بين الرجعية العربية . وكان الاردن في خط القتال الاول . ولهذا استدعي وصفي التل ، ليكون رئيسا للتوجيه القومي . وفي هذه الفترة حدث الانفصال . وما ان بدأ النظام في العراق ينحرف ، حتى اختير وصفي ليلعب دوره في دفعه نحو الهاوية ، وفي رفع نطاق العزلة عن الاردن .

وصفي رئيسا للوزراء (٦٢/١/٢٦ — ٦٣/٣/٢٦) :

اصبح وصفي سنة ١٩٦٢ رئيسا للوزراء ، اول مرة، وكان لا يتجاوز الثانية والاربعين، وكان صغير السن ، بالنسبة للذين كانوا يشغلون منصب رئاسة الوزارة في الاردن ، مثل ابو الهدى وسمير الرفاعي ، وابراهيم هاشم . ولكنه جاء في وقت كانت الظروف العصيبة التي يعيشها النظام تقتضي وجوده ، ذلك ان الرجعية عادت الى وضعها الحرج بعد ثورة اليمن ، وبعد مشاركة الجيش المصري في حمايتها . وكانت المعركة التي اخذت تدور على ارض اليمن بحاجة الى وزارة قوية ، يقودها رجل قادر على دخول حلبة الصراع . واكتشف النظام الاردني وقتها رجله ، وكان وصفي التل ، الذي اعتمد عليه النظام خلال السنوات (٥٥ — ٦٢) في تنفيذ مهمات على مستوى كبير من الخطورة . ولكن المهمة التي اوكلت الى وصفي هذه المرة تختلف جذريا عن كل المهمات السابقة ، وهي اكثر خطورة وتعقيدا وارفع مستوى من كل المهمات السابقة .

لقد كان وصفي من اصلب عناصر النظام عودا واشدها مكسرا ، واكثرها حيوية وعنفوانا ، واغناها خبرة وتجربة . فهو عسكري « مثقف » ، وهو سياسي صاحب تجربة واسعة ، وهو رجعي « واع » ، اختار مكانه وحدد ولاءه ، وقرر ان يكون في جبهة الرجعية ، المهزومة تاريخيا .

واستهدف مجيء وصفي الى رئاسة الوزارة آنذاك غايتين : الاولى : تجديد السلطة وارساؤها على اسس اسلم واقوى ، تجعلها قادرة على مواجهة عمليات التغيير في المنطقة ، وعلى لعب دور اكبر في المنطقة العربية . الثانية : ملء الفراغ السياسي الذي نشأ عن الانفصال وعن انحراف قيادة ١٤ تموز .

ولهذا بدأ داخليا بمحاولة اجراء انتخابات ، تكسب السلطة نوعا من الشرعية ، وأخذت اجهزة النظام تطبل وتزمر للانتخابات النزيهة . ولكن القوى الوطنية قاطعت الانتخابات ، وطالبت الجماهير بمقاطعتها ، فأسدت أول خطط وصفي عليه(٥). وبدلا من ان ينتزع شرعية جماهيرية للنظام ، قام بعمليات اعتقالات بعد الانتخابات مباشرة ، واتبعها بعمليات اعتقالات أخرى(٦).

وكانت حكومة وصفي المطعمة بالعناصر الشابة قد باشرت بجملة اصلاح الادارة الحكومية . واستهدفت عملية الاصلاح ما يلي : ١ — جعل دوائر الدولة اكثر كفاية واكثر فعالية ، وذلك لتكون اكثر قدرة على حل مشاكل الناس وتسيير الاعمال . ٢ — زيادة فعالية اجهزة وزارة الداخلية وقوى الامن ووزارة الخارجية ، وهي الاجهزة ذات العلاقة بحفظ الامن داخليا وبالعلاقات مع الخارج. وكانت الغاية من مثل هذه الاجراءات : ١ — استيعاب أكبر قدر من خريجي الجامعات في دوائر السلطة ، وذلك من أجل استقطابهم للسلطة وابعادهم عن الحركة الوطنية . وقد ركز وصفي على ابناء الضفة الشرقية بالذات ، بينما كان الفلسطينيون يهاجرون خارج الاردن للعمل . ٢ — استمالة قطاع واسع من الناس ، بالحديث عن ضرب العناصر الفاسدة في السلطة وتيسير الاجراءات في دوائر الحكومة . ٣ — زيادة قدرة اجهزة الدولة على مواكبة التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أخذت تحدث في الاردن ، وعلى المساهمة في توجيهها .

اما خارجيا ، فقد حاول ان يدعم حكم الانفصال ، وان ينمي العلاقات مع الحكم المنحرف في بغداد . ولكن المفاجأة التي احدثتها ثورة اليمن ، يلبلت مخطط الاردن ، فاضطرت السلطة الاردنية الى ان ترمي بثقلها كله ، سياسيا وعسكريا في المعركة .

وبينما كانت الرجعية العربية تتراجع في اليمن فاجأت حركة الثامن من شباط في العراق والثامن من آذار في سورية حكومة الاردن ، وفشل وصفي التل وحكومته الشابة داخليا ، لان الجماهير اكتشفت

احابيل سياسته فقاطعت الانتخابات . وزادت المعارضة الجماهيرية حدة بعد اشتراك الاردن في حرب اليمن ، حتى ان قائد سلاح الطيران الاردني فر الى مصر ، بكل الخطط التي لديه . كما أن النظام فشل عربيا ، بعد قيام ثورة شباط وثورة اذار(٧).

وذكرت الصحف ، مع بداية سنة ١٩٦٣ ، ان معارضة وصفي التل ، لم تنحصر في الاوساط الجماهيرية فحسب ، بل امتدت الى البرلمان(٨). ويبدو أن وصفي كان يلمس منذ بداية سنة ١٩٦٣ معارضة لوزارته فطرحها على الثقة في اوائل العام، ونالت الثقة بمعارضة ثمانية عشر عضوا ضد اربعين . وحين رد على النواب الذين طالبوا بتنقية الجو العربي اجاب : « لقد مددنا يدنا الى جميع البلاد العربية وعلاقاتنا بها حسنة ، باستثناء مصر » واضاف : لقد طرقنا كل باب محاولين تنقية العلاقات ولكن جهودنا « لم يكتب لها التوفيق لاسباب خارجة عن ارادتنا»(٩).

وتطرق الملك حسين بعد ايام (٦٣/١٠/١٢) الى العلاقة مع سورية ، فذكر انه يهتم بسورية واستقرارها ، وانه لا مطامع له فيها ، الا انه اضاف « ولكن يهمني ان تكون سورية قوية ، لان آبائي واجدادي خدموا حتى تكون سورية عربية ، وحتى تكون سورية حرة بكل معاني الكلمة » . والقى وصفى خطابا في مجلس النواب في اليوم ذاته جاء فيه : أ ــ « ان اتفاق الطائف مبني على اساس دراسة قومية عميقة تهدف الى جني ثمار التعاون بين الاردن والسعودية » . ب ــ « أن سيطرة غير الامام على اليمن بعيدة عن المعقول ومستحيلة » . ج ــ « ان مستوى الحريات الذي أتاحته حكومته غير متوفر في اي بلد عربي اخر » . د ــ « ان سياسة الاردن الاقتصادية اساسها الاقتصاد الحر»(١٠).

وحين حدثت ثورة الرابع عشر من رمضان (٨ شباط) كان تعليق اذاعة عمان : « ان الاردن وهو يؤكد انه غير طامع في اي بلد شقيق ، يؤكد انه على استعداد لمنع اي استغلال في العراق الشقيق وضد الانتهازيين ، مؤديا بذلك واجبه حيال القومية العربية»(١١). ولكن الاردن ، بعد ارفضاض اجتماع مجلس الوزراء اعترف بالنظام الجديد في العراق . وحين حدثت ثورة الثامن من اذار ارسل وصفي التل يوم ٣/٩ برقية الى صلاح البيطار تتضمن الاعتراف بالنظام الجديد . كما أن وصفي التل عقد مؤتمرا صحافيا في اليوم ذاته قال فيه : « انه يتمنى النجاح للتجربتين الجديدتين في سورية والعراق » . واذيع يوم ٣/١٢ ان الحكومة الاردنية تدرس « الوضع في المنطقة على ضوء الاحداث الاخيرة » .

كان الاردن يشعر بالارتباك ، وبالحصار من جديد، وبدأ وصفي يحاول التراجع ، فاعترف بالنظام الجديد في العراق ، وبالنظام الجديد في سورية ، وتمنى النجاح للتجربتين الجديدتين ، ولم يفته الى ان يشير في مؤتمره الصحفي يوم ٣/٩ « ان جميع العرب » وهو منهم « لم يكن يعجبهم نمط حكم الامام احمد في اليمن ...»(١٢).

وما هي ايام (٣/١٦) حتى كان الملك حسين يعلن في مؤتمر صحافي « ترحيبه بالاتحاد العربي الفدرالي » . واضاف « أن الوحدة العربية محتومة ، وان الاردن يرحب بدخول مثل هذا الاتحاد»(١٣). وكانت مباحثات تجري انذاك بين وفود مصر وسورية والعراق من اجل انشاء اتحاد ثلاثي .

ولكن هذا كله لم يسند حكومة وصفي التل التي كانت الارض تميد من تحتها ، ومن حولها ، ولذلك قدمت استقالتها يوم ٣/٢٧ مشيرة في كتاب الاستقالة الى أن ما جد « من احداث تستدعي النظر في تقدير الموقف العام وقيام حكومة جديدة تضطلع بمسؤوليات هذا التقدير ...»(١٤).

ولذلك ، فبعد قيام ثورة الثامن من اذار بثمانية عشر يوما استقال وصفي التل ، وانتهت فترة وزارته الاولى . ومع انه لم يستطع ان يحقق مهماته الا أنه استطاع ان يدخل التحديث الى السلطة ، وان يستوعب بعض الكوادر الجيدة من ابناء الضفة الشرقية ، وان يوجه ضربة الى الحركة الوطنية .

مرة ثانية وصفي رئيس للوزراء في ٦٥/٢/١٣ . استقال يوم ٦٥/٢/١٣ بهجت التلهوني رئيس وزراء الاردن وكلف وصفي التل مرة اخرى . لقد عاد التل فلماذا عاد ؟ عاد ليكمل الشوط الذي بدأه سنة ١٩٦٢ . وكانت هنالك من الظروف الجديدة ما يقتضي عودته . واهم هذه الظروف : اولا : تفسخ جبهة القوى القومية ، بالصراع الذي بدأ سنة ١٩٦٣ بين البعث وعبد الناصر ،

وبسقوط حكم البعث في بغداد. ثانيا : بداية نوع من الاستقرار في الوطن العربي ، بعد مؤتمر القمة العربي الاول والاتفاق على انهاء الحرب في اليمن وقيام منظمة التحرير الفلسطينية . ثالثا : قيام منظمة التحرير الفلسطينية والبدء باقامة هيكلها السياسي والعسكري وعلاقاتها الفلسطينية والعربية والدولية . رابعا : بدء النشاط المسلح لقوات العاصفة في الاول من يناير سنة ١٩٦٥ . خامسا : بدء اسرائيل بتحويل مجرى نهر الاردن واتفاق الدول العربية على مشروع تحويل الروافد .

وكان هذا كله يستلزم : ١ ــ حكما قويا في الداخل، ٢ ــ نشاطا فعالا على الصعيد العربي . ٣ ــ علاقات عالمية تؤمن الدعم المستمر والحماية المستمرة .

ولهذا جاء وصفي ، وقد ارتكز كتاب تكليفه على ثلاثة مبادىء : ١ ــ « القيام باصلاحات جذرية بعيدة المدى في الداخل تستهدف موارد الاردن في كل المجالات ، بحيث تحقق المجتمع المتقدم والرخاء والرفاهية لكافة المواطنين . ٢ ــ تعميق التضامن العربي على الاسس التي تقررت في مؤتمري القمة الاول والثاني . ٣ ــ تنمية العلاقات الودية التي تربط الاردن بكافة الدول الصديقة»(١٥).

وفي « مبادىء التكليف الثلاثة » ما يكفي لكشف مهمات وصفي الجديدة .

وانطلق وصفي منذ اعلان وزارته للعمل داخليا وفلسطينيا وعربيا ودوليا . فعلى الصعيد الداخلي حاول ان ينجز ما عجز عنه خلال وزارته الاولى. ويمكن تلخيص نشاطاته في هذا الميدان بما يلي :

١ ــ قام النظام بمسرحية حرق اضابير الملاحقات السياسية . وقد أعلن وصفي التل عن حرق ٢٠،٤٨٩ اضبارة امام المواطنين يوم ٣/٩ . تبع ذلك صدور عفو عام عن جميع الجرائم يوم ٤/٤ ، والسماح بدخول اللاجئين السياسيين يوم ٤/٥ واطلاق سراح المساجين يوم ٤/٦ ، واعلن بعد ذلك بأسبوع عن اعادة الجنسية الاردنية لمن استطت عنهم(١٦). قام وصفي التل بهذه المظاهرة، وهو يظن انها ستكسبه عطفا شعبيا واسعا .

٢ ــ اعلن في ٦٥/٦/٢ عن برنامج السنوات السبع للتنمية الذي يحتاج الى ٢٠٩ ملايين دينار ، منها ٩٠ مليونا للقطاع العام . ولم يمض عام حتى عقد وصفي التل مؤتمرا صحافيا تحدث فيه عن القضايا الاقتصادية . وذكر في بداية مؤتمره ان السنة الاولى من حكمه « كانت من احسن السنوات القياسية والفعالة في كل النواحي » . واضاف : « صحيح انه لم يتم كل شيء وعدنا به ، ولكن كافة المشاريع التي ادرجت في الموازنة ، والتي للحكومة سيطرة تامة على تنفيذها (نفذت) او بدأت بصورة جدية في طريق التنفيذ . واكثرها تم او على وشك التمام » . ولكنه اشار الى ثلاثة استثناءات منها مشروع البوتاس .

ومن المشاريع التي تحدث عنها في مؤتمره مشروع البيت الرخيص ، وذكر ان عطاء البيت الرخيص قد طرح « لدراسته والتوصل الى اسلوب ملائم واقل كلفة من طرق البناء الحالية » . كما ذكر ان الحكومة ستبدأ خلال مدة قريبة « بالمساهدة في بناء بيوت لذوي الدخل المحدود » . كما تحدث في المؤتمر عن قضية سلم رواتب الموظفين ، واشار الى ان اسباب التأخر في البت فيها راجعة الى عوامل فنية ، منوها الى ان السنة الاولى من حكمه كانت « من السنين الجيدة جدا للموظفين ، فقد اصاب الترفيع عددا كبيرا منهم » . ثم قارن بعد ذلك بين ميزانية السنة السابقة والميزانية الجديدة ، فبين ان الميزانية السابقة « كان التركيز (فيها) على الطرق والخدمات البريدية ، بينما التركيز في الموازنة الحالية على مشاريع المياه والكهرباء » . واضاف: « ان قضية الخدمات وصلت عندنا حداً يعتز به ، واصبحت على درجة جيدة»(١٧). وكان قد اعلن قبل ذلك ان بامكان الاردن الاستغناء عن المعونة الاقتصادية ، وعليه فان « القول بأنه في حالة انقطاع المعونة الاجنبية سنصبح كالسمكة بلا ماء هو قول غير صحيح » ، واضاف : « اننا نستطيع ان نستمر ، مع الاعتراف بأن بعض المشاريع الانمائية سيتأخر تنفيذها من جراء ذلك»(١٨). ثم أكد وصفي التل ان الحكومة الاردنية ماضية في سياسة الاستغناء عن المعونات الاجنبية تدريجا .

٣ ــ أعلنت وزارة وصفي عن عدد من الاصلاحات، ومنها « نظام يتضمن المعالجة الطبية لعائلات الضباط وافراد القوات المسلحة » و « قانون التأمين الصحي الذي يشمل جميع الموظفين والمستخدمين ، ممن يتقاضون رواتبهم من الموازنة العامة للدولة»(١٩).

٤ ــ أعلن وصفي التل في مؤتمر صحفي في ٦٥/٦/٦

« ان التدريب العسكري سيكون مادة اساسية في المناهج الدراسية لطلبة الصفوف العليا ، اعدادية وثانوية ، اعتبارا من العام الدراسي القادم » وكان قبل ذلك قد اعلن في ٦٥/٥/١٤ « ان الحكومة الاردنية ستتيح الفرصة لكل المواطنين القادرين على حمل السلاح للتدريب المنظم السريع ، ليصبح كل مواطن جنديا مدربا مستعدا للمعركة»(٢٠).

٥ ــ كان وصفي يتحدث بثقة على ان قوة الاردن زادت سبعة اضعاف ، وعلى ان بامكان الاردن حماية مشاريع التحويل دون دخول قوات عربية ، وعلى ان قرى الحدود مسلحة الخ ...(٢١).

وكان هذا وغيره يستهدف تضليل المواطنين باقناعهم أن السياسة الداخلية صحيحة ، وانها تستجيب لمصالح المواطنين المعاشية والدفاعية والوطنية .

وحاولت وزارة وصفي ان تلعب على صعيد القضية الفلسطينية دور اكثر خبثا . اذ انها سعت من جهة لاحتواء منظمة التحرير ، بينما كانت تقوم في الوقت عينه بمطاردة قوات العاصفة والسعي لاجهاض منظمة التحرير من الداخل والسيطرة عليها .

ويمكن ايجاز الاساليب التي اتبعتها وزارة وصفي التل بما يلي :

١ ــ مطاردة دوريات العاصفة وملاحقة المتعاونين معها . وقد اعتقل من جراء ذلك عدد كبير ، كما قتل عدد من المقاتلين . وكانت بيانات قوات العاصفة تشير الى ذلك في حينه(٢٢).

٢ ــ اتباع خطوات فعالة لسحق ارادة الجماهير، ولمنعها من ان تنظم ، او تتدرب ، او تتسلح ، وللحيلولة بينها وبين الانتماء لمنظمة التحرير او اقامة علاقات معها . وحين انطلقت الجماهير تطالب بالسلاح وبالتدريب وبالتحصين بعد معركة السموع واجهتها السلطة بحملة قمع شرسة ، وحملة اعتقالات واسعة . هذا في الوقت الذي كانت السلطة تعلن فيه ان الجماهير مسلحة ، وان خطة التدريب والتسليح تسير قدما .

٣ ــ ابراز الاهتمام بقضية فلسطين والفلسطينيين عموما ، وكل القضايا ذات العلاقة . ولقد قام وصفي بالقاء خطاب في مؤتمر المرأة الفلسطينية (٦٥/٧/١٥) ، كما انه القى خطابا امام حشد من الفلسطينيين (٦٥/١٢/١٢) . ولقد اصدر بلاغا بتاريخ (٦٥/١٠/٣١) حول التوعية بالقضية الفلسطينية جاء فيه : ا ــ عقد اجتماعات شعبية في كل محافظة ولواء وقضاء . ب ــ اضافة ساعة عمل لموظفي الدولة كي تكون « حافرا الى المزيد من العزم والتصميم والعمل من اجل فلسطين » . ج ــ تخصيص الحصة الاولى في كل مدرسة من اجل التوعية الفلسطينية . د ــ تزويد وزارة الاعلام للصحافة بالمراجع الموثوقة حول القضية(٢٣).

وقام وصفي فوق ذلك بشجب تصريحات الحبيب بورقيبة(٢٤). كما انه اكثر من الحديث عن مشروع تحويل الروافد ومضى الاردن في تنفيذه . كما انه « لزم » اعمال التحويل الى شركة عربية .

وابدى وصفي بالاضافة الى ذلك اهتماما باحوال قطاعات من الناس . من ذلك مثلا انه امر بالتعويض على المتضررين نتيجة العدوان على قلقيلية (٦٥/٩/٦) . كما انه اجتمع بمدير وكالة الغوث من اجل بحث قضايا منها مطالب العاملين فيها(٢٥) ووجه للوكالة كتابا يطالب فيه باقامة « وحدات سكنية للفلسطينيين المقيمين في براكيات على سيل عمان ، ودعاها للعمل فورا على بناء هذه الوحدات في موقع حنيكين»(٢٦).

٤ ــ محاولة احتواء منظمة التحرير ، بالاتصال المستمر بالشقيري ، واظهار العطف والتأييد لها . ولقد صدر قرار بالموافقة على تخصيص ٢٪ من رواتب الموظفين ، مدنيين وعسكريين، لمنظمة التحرير في ٦٥/٧/٧ . ولكن كل المحاولات لاحتواء منظمة التحرير فشلت ، لان مؤامرات السلطة في الاردن كانت مكشوفة .

وتحدث وصفي التل اكثر من مرة ، مبينا جوانب الخلاف ، وهي تنحصر كما يرى وصفي ، فيما يلي: ا ــ استثنت مؤتمرات القمة الاردن من اي نشاط لمنظمة التحرير وكان « بوسعنا ان نقول ليس للمنظمة اي عمل في الاردن سوى الوجود المعنوي. الا اننا قلنا : لا بد ان نجد مجالات لا تصلها الجهود الرسمية لتجنيد المنظمة للعمل ، وبدأنا نقترح المجالات » . ب ــ لدى الاردن عشرات المعسكرات ولا داعي للازدواجية . ج ــ اتفقت الحكومة مع الشقيري على تقوية « الدفاع الموضعي » على الخطوط الامامية ، ولكنه عاد فرفض ، بعد ان ذهبت لجنة مشتركة ودرست الموضوع . د ــ « نغمات صوت فلسطين لا تخدم الا اسرائيل. وسنعامل من يدعو لها كمعاملتنا لعدو ، لان الحشد

للمعركة يستدعي التصميم ووحدة الصف »(٢٧).

هـ — ان حكومة الاردن على استعداد « لاعتبار المنظمة ذراعا من اذرعتنا على ان يكون مفهوما ان كل مواطن في الاردن في ضفتيه الشرقية والغربية مجند في خطة الحشد ... لا حاجة للازدواجية ... ليس من المصلحة التدخل في شؤون سيادة الدولة في هذا البلد ... ان ميدان المنظمة هو التوعية والحشد للفلسطينيين الذين لا تشملهم خطة الحشد ، وان يكون في المجال السياسي في الخارج ... وان عمل المنظمة في الاردن يجب ان يتقيد بقوانين وانظمة البلد ، وان تنقي المنظمة صفوفها من الحزبيين ...»(٢٨).

ولقد استهدف وصفي من هذا كله ان يحكم السيطرة على الفلسطينيين في الداخل والخارج ، وان يخضعهم لخطته ، من خلال سيطرته على الجهاز الذي وافقت عليه الجامعة العربية . وهو بهذا يقودهم الى التصفية في الوقت الذي يوهمهم فيه بأن منظمتهم — كما يريدها — انما تقودهم على طريق التحرير .

وحاول وصفي على الصعيد العربي ان يتجنب الاخطاء التي وقع فيها خلال وزارته الاولى . ولهذا سعى الى ان يقيم علاقات طيبة مع الجمهورية العربية المتحدة خصوصا ، ومع الدول العربية عموما . ولم يكن غريبا والحالة هذه ان يبدأ عهده بزيارة للقاهرة في ٦٥/٢/١٥ ، اي بعد يومين فقط لتوليه مقاليد الوزارة .ثم ما لبث ان اعلن يوم ٦٥/٥/٢١ أن عهد الخصومات مع الدول العربية قد ولى الى غير رجعة . وعاد وصفي فزار القاهرة رئيسا لوفد رسمي الى اجتماعات الجامعة العربية (٦٥/٥/٢٥) . كما انه قام بزيارة بلاد عربية اخرى .

وطرح وصفي بعد ذلك مشروعا لاحلال السلام في اليمن ، ويتلخص محتوى المشروع في ١ — حفظ كرامة جميع الاطراف المتنازعة ، ٢ — وضع خطة اعمار لليمن ٣ — ان تؤمن لهذه الخطة حماية عربية وتمويل عربي ٤ — ان تشكل قوة سلام عربية صغيرة لحفظ السلام ، وان تنسحب كل القوات غير اليمنية من اليمن بعد انشاء هذه القوة(٢٩).

وعندما جرى توقيع اتفاق السلام في اليمن رحب وصفي التل به (٦٥/٨/٢٤) ، كما ان وصفي بدا حريصا على توسيع السوق العربية المشتركة وضم دول جديدة الى هذه السوق . وقامت الحكومة الاردنية بالغاء الجوازات ما بين الاردن وسورية في ٦٥/٩/٦ ، كما قامت بسحب جواز سفر سعيد رمضان في ٦٥/٩/١٦ .

ولكن الحكم الاردني كان يعلن اشياء ويضمر غيرها. وكان وصفي دائم الاصرار على عدم دخول قوات عربية الى الاردن بحجة ان لا حاجة الى ذلك ، وان كل القوات العربية تحت القيادة العربية ، وسيكون بامكانها نقل ما تشاء من القوات عندما تكون ضرورة لذلك .

ولان خط الحكم الاردني كان يسير في خط مناقض للحركة الوطنية ، وللقوى الوطنية والتقدمية ، ما لبث النظام الاردني ان اصطدم بسورية ومصر ، كما اصطدم بمنظمة التحرير من قبل . وكان خلال هذا الصدام ان كشف حسنين هيكل كيف سلم وصفي التل بعض وثائق القيادة الموحدة الى المخابرات المركزية(٣٠). ولقد كشف العقيد طلال ابو عسلي، والرئيس الركن محمد الخمارشة ، بعد فرارهما الى القاهرة مؤامرات وصفي التل على سورية(٣١).

لقد كشف وصفي التل هذه المرة ايضا . فعلى الصعيد الداخلي لم تستطع « اصلاحاته » الشكلية ان تقنع احدا بصلاحيته للاستمرار . ولا استطاعت سياسة الانفتاح ان تخفي الوجه العميل البشع ، وخاصة بعد ان بدأت حملة الاعتقالات والتشهير ومحاولات بث روح الهزيمة في صفوف الحركة الوطنية والمواطنين . وعلى الصعيد الفلسطيني لم تستطع كل خطاباته ومساعيه الحميدة ان تمنعه من التكشير عن انيابه واعلان نواياه التي قادته الى سحب الاعتراف بالمنظمة (تموز ١٩٦٦) . وعربيا اصطدمت خططه بالقوى الوطنية ، فاضطر لدخول الصراع وكانت نهايته .

وحين انتهى اجل وزارته كان قد استطاع ان يعيد بناء الجيش على اساس وحدات اصغر من ذي قبل ، بهدف تحويله الى جيش ميكانيكي قادر على الحركة .

وصفي التل : خارج الوزارة : بعد ان استقالت وزارة وصفي التل ، حدثت حرب حزيران . ومع الهزيمة أخذ الامل يتجه نحو قوات الثورة : وأخذت الجماهير تهرع اليها . وما لبثت معركة الكرامة ان خلقت جو انتعاش جماهيري ، زاد من فزع الاعداء. كان وصفي في هذا الوقت على الرصيف ، يرى

ويسمع ويحلل ويناقش . ولقد راعه ما رأى وما سمع فطلب مقابلة الملك حسين . وتبادلا الرأي فيما يمكن عمله . ويبدو ان وصفي كان يعرف ما يريد ، لانه وزع مذكرة بعد زيارته للملك تحتوي على وجهة نظره . فما الذي جاء في هذه المذكرة ؟

يرى وصفي التل : « ان انهيار الحكم والنظام في الاردن من اول اهداف الاستراتيجية الاسرائيلية ». ولهذا فهو يريد ان يقضي على : « كل ما من شأنه اضعاف مجتمع قرطاجة المقاتل المنتج » .

وهذا يتحقق عن طريق ما يلي : ١ ــ « تعزيز الجبهة الاردنية الى اقصى الحدود الممكنة . قوات عربية اضافية ، اسلحة ومزيد من الاسلحة ، وعلى الاخص المقاومة للدروع وللجو ، استخدام كل المتوفر من القادرين على القتال . مضاعفة خطوط الدفاع ». ٢ ــ «قيام مقاومة شعبية...». ٣ ــ يعاد تنظيم الجيش . تبعا لهذه الترتيبات يلجأ من جديد الى اسلوب مجموعات القتال الصغيرة والسريعة المكتفية بنفسها والصالحة للدفاع المتحرك وللهجوم السريع معا » . ٤ ــ « يصبح العمل الفدائي ركنا من اركان هذه الخطة ، وعلى هذا الاساس يوحد ، وتنشأ قيادة عليا له ، ويزود بالتخطيط والتدريب والمال والرجال والسلاح ، ويوحد جهده من ضمن المجهود العسكري العام ، ويصعد نشاطه مئات المرات ، حتى يصبح نشاطه موجعا للعدو ، وقادرا على التطور الى مرحلة حرب العصابات»(٣٢).

وهنا بيت القصيد ، ذلك ان ما يريده وصفي ، كما هو واضح هنا ، لا يتعدى استيعاب العمل الفدائي، ولكن باسم تزويده بالامكانيات وتوحيده مع الجهد العسكري العام .

وتدل رسالة الملك حسين الى رئيس وزرائه بهجت التلهوني في ٦٨/٩/١٣ على ان الملك كان ينوي تنفيذ ما جاء في مذكرة التل ، لانه ركز في رسالته على قضيتين : الاولى : ان السلطة « ضد الفوضى المدمرة » و « مع التنظيم الهادف المؤدي الى النتائج المؤثرة الملموسة والمطلوبة » . الثانية : ان السلطة عازمة « على تحقيق التنسيق الكامل مع كل العاملين المخلصين للغاية الواحدة والهدف السامي ، ومجابهة كل من لا يؤمن بذلك او يتنكر له»(٣٣).

ومع ذلك فان وصفي لم يات رئيسا للوزراء . لماذا؟

لان السلطة في الاردن كانت حريصة على علاقاتها بمصر خصوصا وعلاقاتها العربية عموما . ومجيء وصفي يفسد هذه العلاقات .

وظل وصفي يعمل في السر والعلن ، ويدلي بآرائه ونظرياته ، وكان همه الاول الوصول الى السلطة. الا ان الرياح كانت تسير بغير ما يشتهي . ولذلك فانه عند ما تحدث في اربد سنة ١٩٦٩ كان حديثه عاما . ومع انه انتقد الانتهازية وانعدام الجدية وفقدان الذاكرة السياسية الخ الا انه ركز على حقائق اربع وهي : ١ ــ ان سبب الهزائم المتوالية هو « قصور العقل والخلق عن قيادة المعركة » . ٢ ــ ان الركن الاساسي في معركة التحرير هو الارادة . ٣ ــ الايمان بأننا نمتلك « مستلزمات المعركة من حيث العدد والعدة والارض » . ٤ ــ ان الزمن ليس في مصلحتنا .

ولم يحاول وصفي في ذلك الوقت مناقشة الاوضاع القائمة ، او حتى طرح تصوراته التفصيلية فيما يتعلق بالعلاقة بين السلطة والمقاومة ودور المقاومة في معركة التحرير .

وصفي وعهد المجزرة : قضى وصفي عام ١٩٧٠ ، وخاصة منذ شباط ١٩٧٠ يحوك المؤامرات ويضع الخطط للعودة الى السلطة . لم تكن العودة سهلة هذه المرة ، اذ ان القضية لم تكن هذه المرة ، كما كانت في الماضي . فالجماهير مسلحة ومستعدة وعودة وصفي تعني معركة شرسة دموية . ولذلك كان لا بد من ان تبدأ المعركة اولا ، فاذا ما بدأت وحقق نصرا من وراء الكواليس اندفع الى رئاسة الوزارة . ولذلك كان عندما بدأت المعركة في القصر، وكان يلعب دورا اساسيا الى جانب الملك في قيادة المعركة . ولقد كتبت اللوموند الاسبوعية تصف دوره في احداث ايلول قائلة : «منذ اكثر من سنة بقليل، في ايلول سنة ١٩٧٠ ، عندما كانت المدفعية الاردنية تقصف بدون رحمة مواقع الفدائيين في عمان كان التل يذرع قصر الملك حسين وهو جذل لحقيقة ان المعركة قد نشبت مع الشيوعيين واليهود . وكان في ملابسه الكاكية وبمسدسه على وركه وبشعره المقصوص بموضة الفرشاة ، ينشط بشكل محموم حول الملك حسين عندما خدمه باحترام ، بشكل مباشر ، بكفاءة كمستشار وكمنفذ ...»(٣٤).

وبما ان معركة ايلول لم تحقق للنظام النصر الذي اراده ، فقد فرضت عليه ان يختار من بين ادواته

اصلب عناصره وانشطها واكثرها اندفاعا على طريق الجريمة ليواصل ما بدأته المجزرة ، وهكذا جاء وصفي بعد شهر واحد من وقف اطلاق النار (٧٠/١٠/٢٨) .

وكان مجيء وصفي استفزازا للحركة الوطنية في الاردن ، وللمقاومة ، ولكل الراي العام العربي. كما كان استفزازا لمصر خاصة . ومع هذا فقد غامر الملك بمجيئه ، لانه كان لا يملك خيارا اخر اذا اراد الاستمرار في المعركة .

وهكذا جاء وصفي وكانت مهمته الاساسية في هذه المرحلة هي : ١ ــ سحق المقاومة سحقا تاما وتصفية منجزاتها ، واكمال ما بدأ به في ايلول . ٢ ــ اعداد الاردن لتسوية سياسية ، عن طريق تحطيم معنويات الجماهير وشق صفوف الجماهير الى فلسطيني واردني .

ولقد استخدم من اجل تنفيذ هذا الخطالاستراتيجية والتكتيك التاليين :

اولا : الاعلان المستمر عن ضرورة وجود العمل الفدائي (المقاومة) على ان يكون مكرسا لمحاربة العدو ، وعلى ان تكون العلاقات محددة بينه وبين الدولة على اسس صحيحة . وذلك من اجل تخفيف عداء الجماهير ، وتحييد قطاعات واسعة من التجار والبرجوازية الصغيرة في المدن خاصة ، ولاقناع قواعد الجيش ان العمل ليس موجها ضد العمل الفدائي بل ضد « الفوضى والشغب وضد المندسين الخ » .

ثانيا : الاعلان المستمر عن التمسك باتفاقية القاهرة وعمان والمطالبة المستمرة بتطبيقهما ، والادعاء بأن المقاومة هي الطرف الذي لا يلتزم بهما .

ثالثا : محاولة اقناع مصر خاصة ، والدول العربية عامة بأن الاردن ملتزم بالاتفاقيات ، وحريص على تنفيذها من اجل وحدة الجهد العربي والارادة العربية .

رابعا : اتباع استراتيجية « القضم » في ضرب مواقع المقاومة ، والادعاء ، دائما ، وبعد كل عملية ، بان الهدف هو تنفيذ اتفاقيتي القاهرة وعمان .

خامسا : اظهار الحرص ، امام الجماهير في الداخل ، على ان السلطة تنوي العمل لاعادة الامن والاستقرار والازدهار الاقتصادي ، وبأنها متمسكة بالاتفاقيتين المذكورتين وحريصة عليهما .

بدأ وصفي عملياته على اساس هذه الاستراتيجية. فقام اولا بمحاولة اقناع المعنيين بأنه حريص على عودة الازدهار الاقتصادي ، بعد اشهر من « خراب البيوت » . وبث وصفي هذه الاشاعة ، وما عتمت الصحف ان رددتها حتى ان ياسر هجازي كتب : « لو استمرت الحكومة المستقيلة اسبوعا اخر لباع الناس ما يملكون بالمزاد العلني . فالجمود الاقتصادي الذي اصاب مرافق الحياة في هذا البلد دفع قطاعا من المواطنين الى مغادرة الاردن ، بعد ان تداول الناس ما معناه انه لم تعد توجد اعمال او نشاط اقتصادي او حركة تجارية ... »واضاف: « ويبدو ان الحكومة الجديدة وضعت يدها على جراح الناس ، فذكر ان الدولة في سبيل دفع حركة الاقتصاد وقررت ان تفتح عطاءات في هذين اليومين بما قيمته مليون دينار ...»(٣٥).

وقام وصفي ثانيا بمحاولة اقناع الجماهير بانه حريص على عودة الهدوء والاستقرار . ولم يطرح هذا للراي العام الداخلي فحسب ، بل للراي العام العربي ايضا . وكان يهمه ان يؤكد ان الحكومة الاردنية « جادة في اعادة هيبة الامن ، وهي تتخذ من هذا الاتجاه كل الاجراءات مع استمرار تقيدها باتفاق القاهرة وعمان ...»(٣٦).

ولكن وصفي في الوقت عينه حرص على ان يبث الرعب في حياة الناس ، وان يفتعل الصدامات ، وان يبعث الشعور لدى الناس بالقلق والخوف من المستقبل .

وكانت الصدامات الاولى في عمان خاصة والمدن عامة نتيجة لمحاولة الجيش العودة الى الشوارع والاحياء ، ونتيجة لاستفزازاته المستمرة لهم . ولم يكتف وصفي بمحاولة اعادة المخافر القديمة ، بل حاول ايضا اقامة مخفر جديد او اكثر في كل حي . ولقد كانت الخطة ان تحتل هذه المخافر الاماكن المسيطرة ، وان يحشد فيها عدد كبير من الجنود ، المسلحين جيدا والمعززين برشاشات الـ ٥٠٠ ومدافع الهاون .

وفي نوفمبر ١٩٧٠ حدث الصدام في جبل النظيف ، حين حاول الجيش اقامة مخفر هناك . وفي أوائل كانون الاول (٧٠/١٢/٦) بدأت الصدامات في جرش وحولها ، من اجل احكام السيطرة على الطريق الاستراتيجية التي تربط عمان بالشمال .

وبعد هذه الصدامات مباشرة طرح موضوع تجميع الاسلحة . ولما لم تثمر الاتصالات قام الجيش في ٧٠/١٢/٢٥ بهجوم على مواقع المقاومة في القطاع الاوسط (السلط) من اجل تعزيز السيطرة على الطريق الاستراتيجي وعزل عمان عن الشمال (اربد — اسراش جرش — عجلون) .

وافقت قيادة المقاومة على تجميع الاسلحة ، وكان وصفي حريصا على ان يشعرها بانه يستهدف من ذلك تطبيق الاتفاقيات من جهة ، وعودة الهدوء والاستقرار من جهة ثانية ، كما كان يشعرها انه لن يتردد في اتخاذ اقسى الاجراءات عند عدم التنفيذ .

وقبل ان تبدأ المقاومة في تنفيذ خطة تجميع الاسلحة، وهي خطة التسليم والانهيار ، بادر وصفي الى احتلال الرصيفة (٧١/١/٨) ، وهي تربط ما بين عمان والزرقاء ، وكانت قد صمدت خلال احداث ايلول ولم تسقط . وما لبث تجميع الاسلحة ان بدأ. وكانت وزارة وصفي في هذه الاثناء قد نالت الثقة (٧١/١/٤) . وتحدث وصفي في جلسة الثقة هذه فأكد « انه تمت اعادة النظام والهدوء والطمانينة الى كل ارجاء مدينة عمان تقريبا باستثناء امكنة معدودة ، يجري تطويق الوضع فيها بكل هدوء وصبر من قبل الحكومة واللجنة العربية العليا للمتابعة » واضاف مهددا : « ان الصبر والهدوء ضروريان في هذه الفترة الحساسة بالذات ، لكن هذا لن يدوم الى ما لا نهاية ... » .

وقال ، لكي يبرر عمليات الضرب اللاحقة ان هناك فئات معينة « لا تمت الى العمل الفدائي بصلة او الى الوطن بصلة » . وهذه الفئات هي سبب المشاكل والفوضى . واضاف قائلا : « اننا نستطيع في مدة قريبة اجتثاث كل سبب يعكر هدوء المواطنين وصفوهم » . وتطرق في نهاية حديثه الى الوضع الاقتصادي ، ووعد ان تسارع الحكومة الى توفير المناخ الصالح للتطور الاقتصادي والتجاري في البلاد بعد عودة الامن والنظام(٣٧).

واعرب بعد الاستيلاء على الرصيفة ، عن ان « الحكومة تحرص كل الحرص على العمل الفدائي المنظم، ومد يد العون اليه في كافة المجالات، وعلى كل المستويات التي تضمن المنجزات الايجابية التي تخدم معركة التحرير»(٣٨). وكان الهدف من هذا التصريح التغطية على العمليات السابقة وتخفيف وقع العمليات اللاحقة . ولكنه كان في هذا الوقت قد بدأ يصرح بأنه لن يسمح للفدائيين بالقيام بأعمالهم الا من الارض المحتلة (٧١/١/٢٦)(٣٩). وواصل وصفي مخططه ، فركز على ضرورة تجميع اسلحة الميليشيا من جهة ، كما انه واصل عملية التطهير من جهة اخرى . ولقد قام خلال شهر شباط بعمليتين هامتين : اولاهما : مداهمة مخيم سوف قرب جرش على طريق عمان — اربد ٧١/٢/٤ ، وثانيتهما : احتلال حي الهملان (١١—٧١/٢/١٧) بعد معركة دامية(٤٠).

وبهذا كان وصفي قد حقق ما يلي : اولا ، حصر قدرا من اسلحة الميليشيا في مراكز تجميع معروفة. ثانيا ، شكك العناصر بقيادتها . ثالثا ، عزل اربد عن عمان ، واضعف كلا من من اربد وعمان ، بادخال الاف من الجنود اليهما ، وباحتلال المواقع الاستراتيجية فيهما ، وبتطهير مناطق كاملة داخلهما وحولهما . رابعا ، سيطر على طريق عمان — الشمال سيطرة كبيرة ، وان كانت غير تامة . وبعد هذا قام بالهجوم على اربد يوم ٣/٢٦ فسقطت بعد ثلاثة أيام من القتال الضاري .

وهنا بقيت عمان المطوقة . فطرح على قيادة المقاومة ان تخلي عمان من السلاح . وبعد قليل من الاخذ والرد اخليت في منتصف نيسان ، وانتقل المسلحون الى احراش جرش وعجلون .

وكانت هذه الخطوة ذروة انتصارات وصفي التل، لانه اخرج المقاومة راكعة من عمان ، ولذلك فقد صرح : « لقد كانت عمان مفتاح قضية الامن في الاردن ، وكان اختلال الامن والطمانينة فيها السبب المباشر والوحيد لكل التشنجات ولكل الاجراءات الاستثنائية الناتجة عنها »(٤١). واعتقد وصفي التل ان الموافقة على الخروج من عمان وضعت المقاومة بين يديه ولذلك راح يؤكد ، انه « ليس هنالك من حدود لرعاية العمل الفدائي وتامين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات لنصرته واتجاهه الاتجاه الصحيح ... »(٤٢).

ومع هذا فما ان عقد اول اجتماع بين السلطة والمقاومة ، بعد اخلاء عمان من الاسلحة ، وبعد التصريح المذكور اعلاه ، حتى طالبت السلطة المقاومة باخلاء مناطق من احراش جرش وعجلون. كان وصفي يريد ان يستمر في عملية القضم . ورفضت المقاومة ، فأعلنت المنطقة منطقة سياحية

رسميا ، ولم يلبث الملك حسين ان اعلن « ان اتفاقيات القاهرة وعمان والاتفاقيات المنبثقة عنها كانت عبارة عن مراحل ونقاط على الطريق»(٤٣). اصبح الهدف الاخير لحملة وصفي التل احراش جرش وعجلون . فأخذ يمهد للعملية الاخيرة . ولذلك قام بعملية مطاردة واسعة النطاق في المدن، لكل العناصر المناضلة ، واخذ يناوش القوات المرابطة في الاحراش . وفي منتصف تموز أجهز عليها اجهازا تاما(٤٤).

ما بعد جرش وعجلون :

وهنا بدأ وصفي مرحلة جديدة من مخططه . لقد اصبح « سيد » الاردن ، ولكن هنالك الكثير من المشاكل التي تواجهه ، من هذه المشاكل بقايا حركة المقاومة وروح المقاومة لدى الجماهير . ومنها احساس بضرورة منع العزلة عن الاردن عربيا ، ومنها شعوره بضرورة خلق «تنظيم شعبي» يسانده في تثبيت اقدامه وتحقيق مهماته .

ولقد حاول ان يحل المشكلة الاولى بتقوية الجيش وزيادة سيطرته باتباع اساليب القمع الشرسة . ولذلك بدأ بالاضافة الى الاعتقالات والمحاكمات وعمليات الارهاب وشراء الضمائر ، عمليات الاعدام المعروفة . وفي اواخر ايار اقيم عرض عسكري في عمان . اما المشكلة الثانية فحاول ان يحلها عن طريق الاتصالات المستمرة والوفود والرسائل . وحين طرحت الدول العربية موضوع المصالحة تلقفها الاردن الرسمي ، لانه اعتبرها مدخله الى مصالحة مع الدول العربية على حساب المقاومة . وسعى وصفي الى أن يحل المشكلة الثالثة عن طريق خلق الاتحاد الوطني الاردني الذي بدأ الحديث عنه في آب(٤٥)، وما لبث ان انشىء واعتمد . ولكن وصفي سقط صريعا قبل أن يتمكن من بدء تنفيذ مهمته الحقيقية ، وهي بدء عملية تسوية القضية الفلسطينية ، بعد أن قطع شوطا على طريق تصفيتها .

قائد من قادة الثورات المضادة : كان وصفي التل قائدا من قادة الثورات المضادة . وهو شخصية مماثلة لشخصية نوري السعيد ، مع اختلاف العهدين ، ان نوري قائد الثورة المضادة في عهد الاستعمار، أما وصفي فهو من قادة الثورة المضادة في عصر الامبريالية .

فلقد كان رجعيا ، معاديا عنيدا للشيوعية وللحركات الوطنية ، ولكنه مع ذلك كان مع تحديث الدولة ، ومع اقامة أجهزة سياسية وعسكرية فعالة وكفوءة. وكان مع تطوير الاقتصاد من منظور راسمالي ، مع زيادة الدخل ، ومع رفع مستوى المعيشة . وهو في ذلك يدافع عن قضية واحدة هي النظام . ولقد كان يعتبر ان هناك عدوين او خطرين هما : الشيوعية والفقر(٤٦). وكان يرى « ان كفاح هذين الخطرين يعتمد اولا على التمسك بمعتقداتنا الدينية والقومية ومعتقدات تراثنا العربي » . ويعتمد ثانيا على « المزيد من الانتاج ، وهو لا يأتي الا مرتكزا على الحرية والابداع الفردي » . وما كان يدفعه الى اعتبار الفقر خطرا ، ليس احساسه بحاجة الفقراء ، بل خوفه ان يصبح الفقراء ثوارا .

وكان وصفي من أجل أن يأتي بحكومة فعالة من وجهة نظره يأتي عادة بحكومة من الشباب ، ويدخل في الوزارة اعضاء جددا ، بعضهم حزبيون سابقون، مثل انيس المعشر وابراهيم حباشنة . وكان هذا يستهدف ايجاد اجهزة حكومية اكثر تنورا ، قادرة على تحقيق بعض النجاحات في مجال تضليل قطاعات من الجماهير .

ولم يكن وصفي يخطط على نطاق الاردن ، بل على نطاق المشرق العربي كله . ولقد أجرى اتصالات مع قيادات وطنية سابقة من أجل اعداد مشروع لسورية والعراق . وكان بعض المقربين اليه يعلنون أن تحرير فلسطين لا يكون عن طريق المقاومة ، بل عن طريق خلق دولة قوية في سورية والعراق. ولهذا بدأ مخططا لزيادة عدد أفراد الجيش الاردني ، لتحويله كله الى جيش ميكانيكي محمول، ولقد قطع شوطا ، بعد ايلول ، على هذه الطريق .

ولكن وصفي التل كان يعلم أنه لن يستطيع المضي في مخططه الا اذا توافر له ما يلي : **اولا** : سقوط المقاومة نهائيا ، ولهذا وسع عمليات المطاردة والتشهير ، داخل الاردن ، وزاد من عمليات التحريض والدس والوقيعة خارج الاردن . وكان يعمل ليل نهار من أجل انهاء الوجود الفدائي في سورية ولبنان بكل ما يستطيع ، لانه كان يشعر بانه سيبقى مطاردا في الاردن ما دام العمل الفدائي موجودا . كما انه عمل بكل ما يستطيع لاحداث تفجيرات داخل حركة المقاومة ، وكان يتوقع ان يحدث ذلك في اكتوبر ١٩٧١ **ثانيا** : تحسين

العلاقات مؤقتا مع الدول العربية عامة ، ومع مصر وسورية خاصة ، وذلك من اجل انجاز المهمة الاولى ، وهي تصفية المقاومة الفلسطينية وبناء الجيش وتسليحه واعداد « العملاء » في البلاد العربية المجاورة . ثالثا : اعادة المعونة العربية، الموقوفة عن الاردن ، لانه يستطيع بواسطة هذه المعونة ان يحسن الوضع الاقتصادي ، وان يزيد قدرته على تلبية حاجات المخطط الذي يعمل له داخليا وخارجيا :

وبن اجل هذا كله ذهب الى القاهرة . وهناك سقط برصاص الذين قرروا ان تبقى المقاومة الفلسطينية ، رائعة مشعل التحرير .

وبسقوطه سقط قائد من قادة حرب العصابات المضادة ، مؤهل لمحاربة الحركة الوطنية بعنف وشراسة ودهاء ، وقادر على المراوغة والتضليل واستقطاب قطاعات البروقراطيين والتكنوقراطيين والتجار ، بل المشائر والرجعيين الاقحاح .

ولقد سقط عندما حاول ان يخرج من قمقمه ، وان يرفع عنه طوق الحصار العربي .

---

١ ــ يراجع :
الزركلي ، خير الدين : **عامان في عمان** ، مكتبة العرب بالفجالة ، ١٩٢٥ .
سعيد ، امين : **الثورة العربية الكبرى** ، المجلد الثالث ، عيسى البابي الحلبي .
صايغ ، انيتس : **الهاشميون وقضية فلسطين** ، بيروت ، ١٩٦٦ .
٢ ــ **الديلي تلغراف** ١٩٧١/٧/٢٩ .
٣ ــ **التايمز** ١٩٧١/١١/٢٩ .
٤ ــ علوش ، ناجي: **المقاومة العربية في فلسطين** (١٩١٧ــ١٩٤٨) .
٥ ــ **الحرية** ، الاعداد : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، تاريخ ٥ و١٥ و١٩٦٢/١١/٢٦ .
٦ ــ **الحرية** ، العددان : ١٤٨ ، ١٦٢ ، تاريخ ٦٢/١٢/٣ و ١٩٦٣/٣/١٨ .
٧ ــ **الحرية** ، العدد ١٦٤ ، ١٩٦٣/٤/١ .
٨ ــ **الحوادث** ، العدد ٣٢٢ ، ١١ ك٢ ١٩٦٣ .
٩ ــ **الوقائع العربية** ، كانون الثاني ــ آذار ١٩٦٣ ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ٦٣/١/١٣ ص ١ .
١٠ ــ **الوقائع العربية** ، المرجع السابق ، ص ٢ .
١١ ــ **الوقائع العربية** ، ٢/٩ ، ص ٤ .
١٢ ــ **الوقائع العربية** ، ٣/٩ ، ص ٥ ، ٣/١٢ ، ص ٥ .
١٣ ــ **الوقائع العربية** ، ٣/١٦ ، ص ٦ .
١٤ ــ **الوقائع العربية** ، ٣/٢٧ ، ص ٦ .
١٥ ــ **الوقائع العربية** ، (كانون الثاني ــ آذار) ١٩٦٥ ، الجزء ١ ص ٥ .
١٦ ــ **الوقائع العربية** ، المرجع السابق ، ص ٧، نيسان ــ حزيران ، ص ١ و٢ .
١٧ ــ **الوثائق العربية** ، ١٩٦٦ ، الجامعة الاميركية ، ص ٢٨٥ ، تاريخ ١٩٦٦/٥/٧ .
١٨ ــ **الوقائع العربية** ، (٢) ص ١٣ و١٧٣ .
١٩ ــ **المرجع السابق** (٢) ، ١٩٦٥/٥/٣٠ ، ص ١٧٧ و**المرجع السابق** (٣) ١٩٦٥/٨/٢١ ، ص ٣٤٩ .
٢٠ ــ **المرجع السابق** ، (٢) ص ١٧٥ وص ١٧٨ .
٢١ ــ **المرجع السابق** (٤) ص ٥٢٩ و**اليوميات الفلسطينية** ، ٩/٢٥ ، ص ١٣٧ و**الوثائق العربية** ١٩٦٦ ، ١٩٦٦/١١/٢١ ، ص ٨١٦ .
٢٢ ــ **قرار اتهام ضد وصفي التل** ، ملف مركز التخطيط ، ص ٢٣ــ٢٤ .
٢٣ ــ مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ٦٥/٧/١ ــ ٦٥/١٢/٣١ ، ٦٥/١٠/٣١ ، ص ١٩٩ .
٢٤ ــ **الوثائق العربية** ١٩٦٦ ، ٦٦/٣/١٠ ، ص ١٥٢ .
٢٥ ــ مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/٢٦ ، ص ١٨٩ .
٢٦ ــ مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/٢٦ ، ص ٢٢٦ .
٢٧ ــ مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، **اليوميات الفلسطينية** ، المرجع السابق ، ٦٥/١٠/١١ ، ص ١٥٩ .
٢٨ ــ **الوثائق العربية** ، المرجع السابق ١٩٦٦ ، ٦٦/٧/٤ ، ص ٤١٧ــ٤١٨ .
٢٩ ــ **الوقائع العربية** ، المرجع السابق (٢) ، ٦٥/٦/٢١ ، ص ١٨٠ .
٣٠ ــ هيكل، محمد حسنين : خطط القيادة الموحدة ومن سلمها للرجل القبيح ، **الاهرام** ، السنة

٩٢ ، العدد ٢٩٢٣٢ ، ١٩٦٦/١٢/٢٣ .

٣١ ــ **قرار اتهام ضد وصفي التل** : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

٣٢ ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **الوثائق الفلسطينية لسنة ١٩٦٨** ، وثيقة رقم ٥٤٩ ص (٦٢٣ــ٦٢٧) .

٣٣ ــ **المرجع السابق** ، وثيقة رقم ٦٠٢ ، ص (٧١١ــ٧١٩) .

٣٤ ــ **لوموند** الاسبوعية ١٩٧١/١٢/٤ .

٣٥ ــ **عمان المساء** ، ١٩٧٠/١١/٢ .

٣٦ ــ **النهار** ، ١٩٧٠/١٢/٢١ .

٣٧ ــ **النهار** ، ١٩٧١/١/٥ .

٣٨ ــ **الدستور الاردنية** ، ١٩٧١/١/١٢ .

٣٩ ــ **قرار اتهام ضد وصفي التل** ، صادر عن مركز التخطيط ، ص ٨٩ .

٤٠ ــ زار وصفي التل وفد من المقاومة ، بعد حادثة الهملان مباشرة، واستنكروا امامه المجزرة التي حدثت ، فقال لهم : ان ما يهمني بالنسبة لما حدث هو عدم تنفيذ الخطة كما رسمت فقط .

٤١ ــ **الحياة** ، ١٩٧١/٤/١٤ .

٤٢ ــ **الحياة** ، ١٩٧١/٤/١٤ .

٤٣ ــ **الجريدة** ، ١٩٧١/٤/٣٠ .

٤٤ ــ علوش ، ناجي ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٤ ، ص ١٧٩ ــ ١٨١ .

٤٥ ــ **الانوار** ، ٨/٢٢ .

٤٦ ــ **الوثائق العربية** ، الجامعة الاميركية ١٩٦٦، تاريخ ١٩٦٦/٥/٧ ، ص ٢٨٦ .

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

تهويد فلسطين

اعداد وتحرير الدكتور ابراهيم ابو لغد

ترجمة الدكتور أسعد رزوق

اثنا عشر مقالا تحليليا حول قضية فلسطين بقلم اثني عشر استاذا جامعيا مختصا في جوانب القضية ، مع تصدير للمؤرخ العالمي ارنولد توينبي .

تندرج موضوعات الكتاب في اربعة عناوين ، اوضح القسم الاول الرؤيا في الفكر الصهيوني وشرح الاطماع ومقاصد الحركة الصهيونية ، كما بين وسائلها لتحقيق هذه المآرب ، موضحا في القسم ذاته العلاقة العضوية بين الصهيونية والامبريالية الغربية . اما القسمان الثاني والثالث فهما اهم اجزاء الكتاب ، ركز الثاني حول حركيات استلاب الارض عبر تعبيره عن الوضع الاجتماعي في فلسطين المحتلة ومساوىء نظام الملكية ، الامر الذي ادى لتمركز ملكية الارض في ايدي التجار والغائبين ، كما بين بتحليل ديموغرافي تطور مراحل تحويل فلسطين من شعب واحد يضم فئة يهودية قليلة ، مندمجة كليا فيه ، الى مواطنين من مهاجرين غربيين ، واحلال مجتمع مكان آخر ولغة محل ثانية ، وتحويل السكان الاصليين الى مهاجرين وشرح ما جرى ويجري من عداء للعرب واستعمال للعنف والارهاب لاجبارهم على ترك ارضهم . ويعرض القسم الثالث للمقاومة العربية تحت الانتداب البريطاني وتحليل السياسة البريطانية ازاء الانتفاضات العربية ولجان التحقيق ، مع تركيز خاص عن ثورة ١٩٣٦ يعتبر من افضل ما كتب عنها وعن آثارها . ويتطرق القسم الرابع والاخير تتمة لجوانب الموضوع للصراع العربي الاسرائيلي ويركز بصورة خاصة على القدس، وتطورات وضعها السياسي المتغير .

٤١٣ صفحة ٨ ل. ل.

دراسة قانونية لاثر اتفاقية القاهرة وقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على اتفاقية الهدنة بين لبنان واسرائيل

الدكتور صلاح الدين الدباغ

بمناسبة الحديث الدائر حول اثر اتفاقية القاهرة على اتفاقية الهدنة بين لبنان واسرائيل لجهة ان اتفاقية القاهرة تبطل اتفاقية الهدنة وان تمسك لبنان بها يجعل اسرائيل في حل من اتفاقية الهدنة ، طلبت شؤون فلسطينية من الدكتور صلاح دباغ اعداد مطالعة قانونية تبين العلاقة بين هاتين الاتفاقيتين ، كما تبين مدى تاثير قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على لبنان والتزاماته بالنسبة لاتفاقية الهدنة .

(١)

١ ــ ان الغاء الهدنة من طرف واحد لا يجوز وفقا لاحكام المادة الاربعين من اتفاقية لاهاي الا اذا اقدم احد الفرقاء في هذه الاتفاقية على خرقها خرقا خطيرا . ويكون هذا الخرق اذ اقدمت القوات العسكرية او شبه العسكرية لاحد الفرقاء الموقعين على الهدنة على القيام بعمليات عسكرية او عدوانية على اراضي الفريق الاخر .

٢ ــ وعلى هذا نصت ايضا اتفاقية الهدنة العامة بين لبنان واسرائيل الموقعة في ٢٣ اذار ١٩٤٩ :

المادة الاولى : ٢ ــ لا يجوز للقوات المسلحة البرية او البحرية او الجوية التابعة لاي من الفريقين القيام بأي عمل عدواني او التخطيط له او التهديد به ضد شعب الفريق الاخر او قواته المسلحة ، مع العلم بأن عبارة « التخطيط » المستعملة في هذا السياق لا تتناول التخطيط المعتاد الذي تجريه القيادات في المنظمات العسكرية عموما .

٣ ــ يحترم احتراما تاما حق كل من الفريقين في امنه واطمئنانه الى عدم الهجوم عليه من جانب القوات المسلحة التابعة للفريق الاخر .

المادة الثالثة : ٢ ــ لا يجوز لاية فئة من القوات البرية او الجوية ، العسكرية او شبه العسكرية، التابعة لاي من الفريقين ، بما في ذلك القوات غير النظامية ، ان ترتكب اي عمل حربي او عدائي ضد قوات الفريق الاخر العسكرية او شبه العسكرية، او ضد المدنيين في الاراضي التي يسيطر عليها الفريق الاخر ، ولا يجوز لها لاي غرض كان ان تتخطى او تعبر خط الهدنة المبين في المادة الخامسة من هذا الاتفاق ، او ان تدخل او تعبر المجال الجوي التابع للفريق الاخر او المياه الواقعة ضمن ثلاثة اميال من الخط الساحلي التابع للفريق الاخر .

٣ ــ لا يجوز توجيه اي عمل حربي او عمل عدائي من اراضي يسيطر عليها احد فريقي هذا الاتفاق ضد الفريق الاخر .

٣ ــ وقد توافق شراح القانون الدولي العام على ان حق الغاء اتفاقية الهدنة مشروط بما يلي :

١ ــ ان يكون خرق الهدنة خرقا خطيرا . ٢ ــ ان تقوم به قوات احد الفريقين العسكرية او شبه العسكرية .

وفي هذا يقول العلامة الفرنسي سيبر : « اذا كان يتوجب اذن لالغاء اتفاقية الهدنة بصورة شرعية ان يكون خرق الهدنة ، وفقا لنص اتفاقية لاهاي نفسها ، خطيرا بصورة حقيقية ، فانه ينبغي ايضا ان تعزى الوقائع التي تشكل هذا الخرق بصورة كلية الى الفريق المتحارب الذي ارتكبها . وان ما

يخالف المنطق والانصاف ويؤلب الرأي العام ان يحمل احد الفريقين مسؤولية الخرق المزعوم للهدنة عندما يضطر الى ذلك بفعل القوة القاهرة»(١).

٤ ــ ان القوات اللبنانية العسكرية او شبه العسكرية لم تقدم على مثل هذه العمليات .

٥ ــ ان الاعمال التي يقوم بها الافراد اللبنانيون ذات الطابع العسكري او العدواني تجاه اسرائيل لا يمكن ان تؤدي الى خرق الهدنة : « من الممكن ان لا ينجم خرق الهدنة عن فعل الحاكمين او موظفي الدولة (أيا كانوا) ولكن عن فعل بعض الافراد المواطنين الذين يتصرفون بدافع من وطنية في غير محلها وبمبادرتهم الشخصية ، كأن يبادروا الى تحطيم المنشآت او المراكز الاستراتيجية او يخربوا المعدات او وسائل الاتصال . فما هي الاثار التي تترتب على هذه الافعال ؟ انه من غير المعقول القول ان ذلك سيعطي الفريق المحارب المتضرر مستندا لالغاء الهدنة »(٢).

٦ ــ اذا كان الوضع كذلك فمن باب اولى ان يطبق الحكم ذاته على هيئات غير لبنانية ليست للدولة اللبنانية اي سلطة عليها .

٧ ــ واستطرادا فان بعض شراح القانون الدولي الذين قالوا ان على الدولة الموقعة على اتفاقية هدنة ان تبذل العناية اللازمة لمنع مواطنيها من القيام بأعمال تخالف احكام اتفاقية الهدنة تحت طائلة المسؤولية الدولية ، قد قالوا بذلك لان الافراد لا يعتبرون من اشخاص القانون الدولي وبالتالي لا تترتب عليهم مسؤوليات او حقوق بموجب هذا القانون . فتتحمل بالتالي المسؤوليات والواجبات الملقاة عليهم الدولة التي ينتمون اليها، اما اعمال الفدائيين فهي تخرج عن ذلك النطاق للاسباب التالية : ا ــ انهم ليسوا لبنانيين . ب ــ انهم لا يخضعون لسلطة الدولة اللبنانية بل هم شعب اخر له كيان متمايز عن الكيان اللبناني، وهم فريق ثالث بالنسبة الى اتفاقية الهدنة . ج ــ ان الدولة اللبنانية بذلت ما في وسعها للحيلولة دون تمكينهم من القيام بعملياتهم عبر الحدود اللبنانية هذا مع العلم بأن لبنان لا يعترف بالوجود الصهيوني ولا يقره ويعتبره كيانا منافيا لاحكام القانون الدولي ولا يمكن بأي حال من الاحوال بموجب القانون الدولي ان تجبر دولة ما على الحفاظ على أمن دولة اخرى . د ــ ان الفدائيين بما يمثلون من مقاومة مشروعة لاحتلال اراضيهم وبما لهم من منظمات عامة اضحت ذات طابع دولي ، يعترف بهم القانون الدولي . فالقانون الدولي يعترف بالمقاومين وينظم اوضاعهم . ودليل ذلك ما نصت عليه اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ المتعلقة بأسرى الحرب في مادتها الرابعة التي اعطت الاسرى من الفدائيين وضع اسرى حرب القوات النظامية .

٨ ــ يتضح مما سبق ان مسؤولية الاعمال التي يقوم بها الفدائيون لا يمكن بموجب احكام القانون الدولي ان يتحملها لبنان او اي دولة اخرى ينطلقون منها . بل انها تقع عليهم وحدهم دون غيرهم . اما اذا كانت اسرائيل تود تحميل الدول العربية ومنها لبنان مسؤولية اعمالهم فذلك لانها تسعى لان تقيم من الدول العربية حماة لامنها وسلامتها ، ولانها لا ترغب في الاقرار بالوجود الدولي للفدائيين ، لان في ذلك اعترافا ضمنيا بالشعب الفلسطيني .

واستطرادا واستكمالا للجدل القانوني فنحن لو اعتبرنا ان لبنان مسؤول عن اعمال الفدائيين فان حق اسرائيل بالرد مشروط بشروط قاسية بموجب احكام القانون الدولي العام .

ولعل افضل تعريف وتحديد للحق بالرد قد جرى في قضية Naulilaa التي فصل بها مجلس تحكيمي مؤلف من ثلاثة قضاة سويسريين عام ١٩٢٨ . وتتعلق هذه القضية بمستعمرة افريقيا الغربية البرتغالية حيث قتل البرتغاليون ثلاثة جنود المان على الحدود الفاصلة بين هذه المستعمرة واحدى المستعمرات التي كانت تعود لالمانيا وهي مستعمرة افريقيا الغربية الالمانية . وقد ردت المانيا على ذلك بمهاجمة المستعمرة البرتغالية والقضاء على عدة مراكز وتحصينات برتغالية على الحدود . فرفعت البرتغال القضية الى التحكيم . وامام المجلس التحكيمي تذرعت المانيا بحق الرد فبحث المجلس بهذا الحق مطولا واوضح ضرورة توافر ثلاثة شروط لتحققه هي : ا ــ اقدام الدولة التي يمارس الرد بحقها على عمليات او اعمال تخالف احكام القانون الدولي العام . ب ــ وجود محاولات

---

١ ــ Marcel Sibert, "l'Armistice", *Revue Générale de Droit International Public*, 1933, pp. 712-713.

٢ ــ **المرجع ذاته** ، ص ١٧٣ .

سلمية غير ناجحة للرجوع عن المخالفة قبل اللجوء الى القوة . ج — كون اعمال الرد متناسبة مع الضرر الحاصل على الدولة الثانية .

وخلص المجلس الى القول بأن الرد الذي مارسته المانيا ضد البرتغال لم يكن مشروعا لتجاوزه حدود التوازن بينه وبين الضرر الناتج عن مقتل ثلاثة جنود المان .

ومن الواضح البين ان هذه الشروط لا تتوافر اطلاقا في الوضع القائم بين لبنان واسرائيل . فلبنان بسماحه للفدائيين بممارسة حقهم المشروع في المقاومة وهو حق كفله لهم القانون الدولي لا يخالف اي مبدأ من مبادىء القانون الدولي . بل لعله يخالف احكام القانون الدولي ان تصدى للفدائيين ومنعهم من ممارسة حقهم في المقاومة ومن ثم التحرير . ثم ان اعمال الرد الاسرائيلية تتجاوز دوما الضرر اللاحق باسرائيل من أعمال الفدائيين (حادث مطار بيروت مثلا) .

ان الشروط التي اشار اليها الحكم في قضية نوليلا اضحت كلاسيكية في القانون الدولي العام لممارسة حق الرد . ولعل عدم توافر هذه الشروط في قضية ساقية سيدي يوسف التي حدثت في شباط ١٩٥٨ بين فرنسا وتونس (حيث هاجمت القوات الفرنسية قرية ساقية سيدي يوسف التونسية بحجة تمركز جيش التحرير الجزائري فيها والذي كان يتسلل عبر الحدود الى الجزائر) لعل عدم توافر شروط ممارسة حق الرد هو الذي حدا بكل من بريطانيا والولايات المتحدة الى عرض مساعيهما الحميدة على كل من تونس وفرنسا حين عرض الموضوع في مجلس الامن الدولي خشية من ادانة فرنسا وهي حليفتهما آنذاك .

(٢)

١ — ان قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني من عام ١٩٦٧ ينص على المبادىء التالية : أ) انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ب) انهاء جميع حالات الحرب والاعتراف بالسيادة الاقليمية لكل دولة في المنطقة المعنية (منطقة الشرق الاوسط) وباستقلالها السياسي وبحقها في الحياة ضمن حدود آمنة ومعترف بها . ج) ضمان حرية المرور في الممرات المائية الموجودة في المنطقة (منطقة الشرق الاوسط) . د) تحقيق تسوية عادلة لمسألة اللاجئين . هـ) ضمان السيادة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة بمختلف الوسائل والطرق بما في ذلك اقامة مناطق منزوعة السلاح . وقد طلب القرار المذكور من الامين العام لمنظمة الامم المتحدة تعيين ممثل خاص للاتصال مع الدول المعنية للوصول الى تسوية مقبولة طبقا للمبادىء المشار اليها اعلاه .

٢ — وبناء على هذا الطلب قام الامين العام بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٧ بتعيين السفير جونار يارنغ كممثل خاص للامم المتحدة لتنفيذ القرار . وقد وجه الامين العام بذلك التاريخ كتابا الى كل من حكومات لبنان والاردن وسوريا والجمهورية العربية المتحدة واسرائيل ليعلمها بهذا التعيين ويطلب اليها تسهيل مهمة الممثل الخاص . وقد استقبلت الحكومة اللبنانية الممثل الخاص السيد يارنغ وتباحثت معه مرارا حول تنفيذ مهمته .

٣ — ان الحكومة اللبنانية غير ملزمة قانونيا باستقبال الدكتور يارنغ لانها غير معنية بقرار مجلس الامن . ونحن سنتكلم هنا فقط عن الاسباب القانونية بصرف النظر عن الاسباب المبدئية والسياسية .

ان مهمة السيد يارنغ قد حددت بالسعي لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ وهذا القرار ينطوي كما بينا على مبادىء اربعة هي : أ — انسحاب القوات الاسرائيلية ، ب — ضمان حرية المرور في الممرات الدولية ، ج — تسوية قضية اللاجئين ، د — انهاء حالة الحرب .

أ — انسحاب القوات الاسرائيلية : لا علاقة للبنان بمسألة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها بعد الخامس من حزيران . فلبنان لم يشترك في القتال الذي جرى آنذاك ولم تحتل القوات الاسرائيلية ايا من اراضيه .

ب — ضمان حرية المرور في الممرات المائية : لا علاقة للبنان بقضية ضمان حرية المرور في الممرات المائية . فالممرات المعنية هي : خليج العقبة وقناة السويس . وهما لا يمران في الاراضي اللبنانية ومن المؤكد ان المملكة العربية السعودية مثلا ، معنية بذلك اكثر من لبنان لان حرية المرور في خليج العقبة ومضيق تيران تنطوي على المرور بمحاذاة الاراضي السعودية .

ج ــ **تسوية قضية اللاجئين** : ان قضية اللاجئين تهم بالطبع لبنان . ولكن لبنان تمسك ولا يزال بقرار الجمعية العامة الصادر في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ (القرار رقم ١٩٣ ــ ٣) والذي نص على حق اللاجئين في العودة الى ديارهم وعلى حق الذين لا يرغبون في العودة بالتعويض عن ممتلكاتهم وعن الخسائر التي اصابتهم. وقد تأكد هذا القرار وتثبت سنويا كل عام بالقرارات التي تصدرها الجمعية العامة لدى بحث قضية اللاجئين الفلسطينيين ، وهذه القرارات هي : القرار رقم ٣٠٢ ــ ٤ الصادر في ٨ كانون الاول ١٩٤٩ ، والقراران ذوا الرقمين ٣٩٤ ــ ٥ الصادران في ٢ و١٤ كانون الاول ١٩٥٠ ، والقراران ذوا الرقمين ٥١٢ ــ ٦ الصادران في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢ ، والقرار ٦١٤ ــ ٧ الصادر في ٦ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، والقرار رقم ٧٢٠ ــ ٨ الصادر في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣ والقرار رقم ٨١٨ ــ ٩ الصادر في ٤ كانون الاول ١٩٥٤ والقرار ٩١٦ ــ ١٠ الصادر في ٣كانون الاول١٩٥٥ والقرار ١٠١٨ ــ١١ الصادر في ٢٨ شباط ١٩٥٧ والقرار ١٣١٥ ــ ١٣ الصادر في ١٢ كانون الاول ١٩٥٨ والقرار رقم ١٤٥٦ ــ ١٦ الصادر في ٩ كانون الاول ١٩٥٩ والقرار رقم ١٦٠٤ ــ ١٥ الصادر في ٢١ نيسان ١٩٦١ والقرار رقم ١٧٢٥ ــ ١٦ الصادر في ٢٠ كانون الاول ١٩٦١ ، والقرار رقم ١٨٥٦ ــ ١٧ الصادر في ٢٠ كانون الاول ١٩٦٢ ، والقرار رقم ١٩١٢ ــ ١٨ الصادر في ٣ كانون الاول ١٩٦٣ ، والقرار رقم ٢٠٠٢ ــ ١٩ الصادر في ١٠ شباط ١٩٦٥ ، والقرار رقم ٢٠٥٢ ــ ٢٠ الصادر في ١٥ شباط ١٩٦٥ ، والقرار ٢١٥٤ ــ ٢١ الصادر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

د ــ **انهاء حالة الحرب** : ان انهاء حالة الحرب التي نص عليها قرار مجلس الامن لا تستلزم اطلاقا استقبال الممثل الخاص للامم المتحدة للتفاوض من اجل ذلك .

فمن ناحية اولى ، ليس لبنان وحده بحالة حرب مع اسرائيل بل ان جميع الدول العربية هي في حالة حرب مع اسرائيل . كذلك فجمهورية مصر العربية وسوريا والاردن والعراق والسعودية واليمن لا زالت في حالة حرب قانونية مع اسرائيل من الخامس عشر من أيار عام ١٩٤٨ وذلك وفقا لبيانها الصادر آنذاك عشية زحف الجيوش العربية على فلسطين . والدول العربية الاخرى التي انضمت الى جامعة الدول العربية بعد ان حازت استقلالها كالسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والكويت وجمهورية جنوب اليمن الشعبية وقطر والبحرين وعمان ودولة اتحاد الامارات العربية قد التزمت ايضا بحالة الحرب هذه الزاما قانونيا تاما . يضاف الى كل ما تقدم ان جيوش بعض الدول العربية كجيش العراق مثلا قد أسهم في عمليات القتال في عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ اكثر بكثير مما أسهم الجيش اللبناني . فحالة الحرب اذن قائمة بين جميع الدول العربية من جهة واسرائيل من جهة اخرى . وليس لبنان معنيا من الناحية القانونية اكثر من غيره من الشقيقات العربيات . وطالما ان الدول العربية الاخرى باستثناء الجمهورية العربية المتحدة والاردن وسوريا لم تدع لاستقبال المبعوث الخاص فليس من مبرر لدعوة لبنان وحده الى ذلك .

ومن ناحية ثانية ، ان انهاء حالة الحرب لا يستلزم اجراء مفاوضات مباشرة او غير مباشرة ولا يستتبع بالضرورة قيام معاهدة صلح . ذلك ان انتهاء حالة الحرب يتخذ اشكالا ثلاثة هي :
١ ــ مرور مدة على انتهاء عمليات القتال . ٢ ــ اعلان تصدره السلطة المختصة بالدول المعنية .
٣ ــ معاهدة صلح .

ومن الواضح ان انهاء الحرب (كما في البندين الاولين) لا يستتبع اطلاقا ضرورة اجراء محادثات مباشرة او غير مباشرة مع العدو وبالتالي فهو لا يتطلب من لبنان ان يستقبل الممثل الدولي بهذا الشأن . فلبنان ليس مقيدا باتباع اي طريقة من طرق انهاء الحرب طالما ان القانون الدولي يجيز له انهاء حالة الحرب بأي شكل من الاشكال السابقة . وبتعبير اخر ان التزام لبنان بقرار مجلس الامن القاضي بانهاء حالة الحرب لا يستلزم التزام لبنان باجراء معاهدة صلح . وسنوضح فيما يلي بشيء من التفصيل شكلي انهاء الحرب بغير اللجوء الى معاهدة صلح :

١ ــ **انهاء حالة الحرب نتيجة لانهاء عمليات القتال:** ان الامثلة التاريخية عديدة على انهاء حالة الحرب نتيجة لانهاء عمليات القتال ومنها : انهاء الحرب بين السويد وبولنده عام ١٧١٦ وبين فرنسا واسبانيا عام ١٧٢٠ وبين روسيا وايران عام ١٨٠١ وبين اسبانيا ومستعمراتها القديمة في

امريكا اللاتينية ، فهذه الحرب قد انتهت فعليا بالتوقف عن القتال عام ١٨٢٥ ولم تعقد معاهدة صلح ، ثم استؤنفت العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية كما تم اعتراف اسبانيا بدول امريكا اللاتينية الجديدة ومنها المكسيك والاكوادور وتشيلي وفنزويلا . وكذلك انتهت الحرب على هذه الصورة ما بين فرنسا والمكسيك عام ١٨٦٧ وما بين بروسيا وامارة ليختنشتاين عام ١٨٦٦ .

وقد اعترفت وزارة الخارجية الامريكية اعترافا صريحا بجواز انهاء الحرب نتيجة لتوقف اعمال القتال ودون الحاجة الى معاهدة صلح . فقد كتب ناظر الخارجية الامريكية آنذاك الى وزير اسبانيا المفوض في واشنطن بشأن انتهاء حالة الحرب ما بين اسبانيا والبيرو ما يلي : « من الثابت انه من الممكن اعادة حالة السلم بالتوقف الطويل لعمليات القتال بدون الحاجة الى عقد معاهدة صلح . ان التاريخ مليء بمثل هذه الحالات » .

٢ ــ **انهاء الحرب باعلان من طرف واحد** : يجوز كذلك ان تنتهي الحرب باعلان تصدره السلطات المختصة في البلد المعني . وهذا الشكل من اشكال انهاء حالة الحرب يناسب تماما حالة الحرب بين لبنان واسرائيل لان لبنان هو الذي اعلن الحرب وذلك بتوقيعه على بيان الدول العربية في ١٥ ايار ١٩٤٨ القاضي بالتدخل في فلسطين .

والامثلة على انهاء حالة الحرب بهذه الطريقة متوافرة في التاريخ وقد ذكرها صراحة القاضي فرانكفورتر في الحكم الذي كتبه في قضية لوديك/ واتكنز(١) حين قال : « يجوز انهاء حالة الحرب بمعاهدة او بقانون او باعلان يصدره رئيس الجمهورية » .

وقد انتهت حالة الحرب على هذا الشكل بين الصين والمانيا بقانون اقره برلمان الصين في ٣ أيلول ١٩١٩ . وكذلك انتهت حالة الحرب بين الولايات المتحدة وحكومة كل من المانيا والنمسا بقانون اصدره الكونغرس الامريكي في ٣ أيلول ١٩١٩ والذي رده رئيس الجمهورية ثم اقر بالرغم من هذه المعارضة في ٢ تموز ١٩٢١ . ومع ان هذا القانون قد اتبع بمعاهدة سلم بين الولايات المتحدة والمانيا الا ان هذه المعاهدة اعتبرت ان تاريخ انتهاء حالة الحرب يعود الى ٢ تموز ١٩٢١ ، وهو تاريخ القانون الصادر عن الكونغرس .

وكذلك في الحرب العالمية الثانية لم تنته حالة الحرب بين الولايات المتحدة والمانيا بموجب معاهدة صلح بل بموجب قرار مشترك صادر عن مجلس الكونغرس الامريكي اقره الرئيس ترومان في ١٩ تشرين الاول عام ١٩٥١ .

---

١ ــ **مجموعة قرارات المحكمة الاتحادية العليا** (١٩٤٨) ، ص ١٦٠٠ .

صدر عن مركز الابحاث

أعمال اسرائيل الانتقامية ضد الدول العربية

(دراسة قانونية)

بقلم

الدكتور محمد المجذوب

١٩٩ صفحة ٢ ل.ل.

رسالة خاصة عن آخر التطورات في قطاع غزة

أ . م .

ان الحالة الاقتصادية آخذة بالتدهور يوما بعد يوم ويرجع ذلك الى : ١ ـ ارتفاع اسعار المواد الضرورية مثل الطحين والبترول واللحوم وغيرها ، مثلا ارتفع سعر برميل البترول في الاونة الاخيرة من ٢٥ ليرة اسرائيلية الى حوالي ٥٥ ليرة اسرائيلية . ٢ ـ التصعيد في فرض الضرائب على اختلافها ، فقد واظب العدو على زيادة الضرائب من جهة ، وعلى فرض ضرائب جديدة من جهة ثانية ، فمثلا ارتفع تأمين السيارة من ١٢٥ ليرة الى ٢٥٠ ليرة، وزادت رسوم رخصة السيارة من ٢٠٠ ليرة عام ١٩٧١ الى ٣٩٠ ليرة عام ١٩٧٢ ، وفرضت ضرائب جديدة على المنازل حيث اصبحت جميع غرف المنزل الواحد خاضعة للضريبة بمعدل يتراوح بين ٢٥ ـ ٣٠ ليرة اسرائيلية عن كل غرفة سنويا . ٣ ـ انخفاض اسعار الحمضيات الى اكثر من نصف ثمنها الذي كان قبل عدوان ١٩٦٧ ، جنبا الى جنب مع فرض ضريبة على تصدير الحمضيات وارتفاع أجور الايدي العاملة . ٤ ـ هجرة الايدي العاملة للعمل داخل الارض المحتلة منذ ١٩٤٨ تحت وطأة تدهور الحالة الاقتصادية وزيادة الضرائب وغلاء المعيشة حيث لم يعد العامل رب العائلة يستطيع العيش في اجر عشر ليرات يوميا ، هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى فهنالك الاغراءات المادية لهجر البيارات والحقول والحوانيت والاعمال المهنية والحرفية ، من اجل العمل داخل « اسرائيل » حيث يزيد أجر العامل على ٣٠ ليرة يوميا ، وهو دخل لا تؤمنه بيارة صغيرة لصاحبها بعد دفع الضرائب والاجور الخ ...

اما من الناحية المدنية فيعيش المواطنون في القطاع في قلق وتخلخل حياتي وعدم طمأنينة وذلك بسبب الاجراءات التعسفية التي يمارسها العدو ضدهم يوميا ، فقد اصبح استخدام وسائل التعذيب الوحشي شيئا مستمرا صباحا مساء وقد اخترع العدو اساليب جديدة في ارهاب المواطنين مثلا عندما يشتبه بعلاقة انسان عربي مع افراد المقاومة فانه يلجأ الى قتله وذلك عن طريق استدعائه خارج منزله ورميه بالرصاص ثم يوزع بيانا بعد مقتله بقليل يعلن فيه انه قتل بسبب عدم امتثاله لاوامر الجيش . وقد بدأ تطبيق هذا الاسلوب منذ اوائل شهر تشرين الثاني ١٩٧١ وأصبح الشكل السائد لمعظم حالات القتل التي تحدث في القطاع . مضافا الى ذلك حالات القى العدو فيها قنابل على المدنيين في الشوارع والصق ذلك بالفدائيين . الى جانب محاولة العدو تقليد سياسة بريطانيا ، بتسليح بعض العشائر واعطاء امتيازات لها ودعمها من اجل اعادة الحياة « لفرق السلام » التي عرفتها فلسطين في اواخر ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ .

ويلجأ العدو ايضا الى مختلف الحيل والاساليب الماكرة لكشف رجال المقاومة او من يتعاون معهم من ابناء الشعب . فمثلا يدفع برجاله الذين يتقنون اللغة العربية للاندماج بالاهالي بعد ان يتخفوا بزي عربي ويستخدموا سيارات عربية ، او يظهروا كرجال المقاومة من اجل ايقاع الناس واكتشاف العناصر المؤيدة والمتعاونة مع المقاومة . ثم تطوق الشوارع والاحياء ويجري تمشيطها بيتا بيتا . ويتبع العدو أسلوب تعذيب السكان نفسيا عن طريق الضغط عليهم ومنعهم من الانتقال الى مناطق أخرى مجاورة . فضلا عن تطبيق نظام منع التجول في المعسكرات من الساعة السادسة والنصف مساء حتى الفجر . ولم يعد منظرا غير مألوف ان يوقف العدو الشباب في اثناء سيرهم في الشوارع ويعتقلهم ثم يوجه لهم مختلف التهم ثم يبدأ بضربهم وتعذيبهم.

ولقد كتب الكثير عن سياسة الترحيل الاجباري وابعاد اهالي رجال المقاومة المعتقلين الى معسكرات

في صحراء سيناء مثل ابو زنيمة، وقصيمة ، ونخل، والطور (وادي موسى) ، والعريش ، ومعسكرات سانت كاترين (جبل موسى) . وقد اقفل معسكر ابو زنيمة الرهيب في أواخر تشرين الثاني ١٩٧١ تحت ضغط الصليب الاحمر الدولي . وكذلك كتب الكثير عن حصار المخيمات وتجويعها وابعاد الشباب الى الاردن وقد استخدم هذا الاسلوب مع مطلع هذه السنة مع مخيمات البريج ، والنصيرات ، والمغازي . اما بالنسبة لابعاد الشباب الى شرقي الاردن فقد ارتفع العدد الى معدل ٢٥ شابا شهريا . ويصاحب الاجراءات آنفة الذكر نشاط متزايد لدوريات جيش العدو خاصة بين اشجار البرتقال للبحث عن رجال المقاومة ، وعندما يشتبه باحدى البيارات فانه يمكث فيها مدة تتراوح بين ٣ — ٦ أيام .

ويحاول العدو الان الاستيلاء على اراض عربية جديدة من المواطنين بحجة انه يريد ان ينشىء عليها مستوطنات ومستعمرات ومن هذه الاراضي على سبيل المثال : ان العدو أمر سكان منطقة حكر الجامع في دير البلح باخلاء مساكنهم في خلال مدة لا تتجاوز ٣ شهور ولكن السكان حتى الان يرفضون هذا ويصرون على عدم مغادرة منازلهم الا اذا هدمت فوق رؤوسهم . كذلك يحاول العدو الان الاستيلاء على الاراضي التي توجد بين خان يونس ورفح والتي تقع بين الاسفلتين وتبلغ مساحة هذه الاراضي عشرة آلاف دونم . وقد اجبر العدو السكان الذين يسكنون بالقرب من احراش خان يونس على تركها لانه يريد الاستيلاء عليها وهذه الاراضي تمتد من احراش خان يونس متجهة شمالا حتى جنوب دير البلح على شط البحر . ويفكر العدو الان في الاستيلاء على مناطق الشيخ عجلين بالقرب من غزة وذلك لاقامة مستعمرة هناك . وقد قامت سلطات العدو بابلاغ السكان الذين يسكنون جنوب الاسفلت الذي يتجه غربا من عند المحطة الى دير البلح باخلاء منازلهم واراضيهم لانه يريد ان ينشىء مصانع في هذه الاراضي ، وقد رفض السكان حتى الان الامتثال لهذه الاوامر ولكن العدو مصمم على ذلك وتوجه الان احتجاجات من المواطنين في القطاع على هذه المعاملة السيئة . وقام العدو بترحيل السكان الذين يسكنون من رفح حتى القنطرة جنوبا وهؤلاء يسكنون شرقي الاسفلت وقد بدأ بترحيلهم ابتداء من ٧٢/١/١٥ وأمرهم بالسكنى في مناطق محددة لهم على شط البحر . وقام العدو بترحيل الكثير من العائلات دون ان يوافق لها بأن تحمل معها ارزاقها من حبوب وامتعة . ولم يكشف العدو عن سبب ترحيل هذه العائلات ولكن هناك دلائل تشير الى ان العدو سوف يجعل من هذه المناطق أماكن عسكرية . وقد انشأ طريقا على شط البحر يبدأ من بيت حانون ويتجه نحو الجنوب حتى وصل الان الى شمال معسكر دير البلح ، وقد ابلغت السلطات الاسرائيلية حوالي مائة وسبعين عائلة باخلاء منازلها لان الطريق سوف تتجه جنوبا . وتقع هذه المنازل في وسط الطريق التي يراد شقها . ويعتقد بأن العدو سوف يبدأ العمل في ترحيل معظم سكان المعسكرات كما فعل في معسكر جباليا الذي اصبح بمعظمه الان شوارع وساحات .

ويحاول العدو باستمرار الضغط على سكان المعسكرات وتقييد حرياتهم وذلك بالقيام بدوريات كثيرة خلال النهار والليل في هذه المعسكرات والقاء القبض على الشباب ووضعهم في السجون لمدة حوالي ١٥ يوما وتعذيبهم خلال هذه الفترة .

ان تدهور الاوضاع في قطاع غزة على هذه الصورة هو الثمن الذي يدفعه هذا القطاع الباسل نتيجة هدوء جبهات القتال العربية ، وعدم تحرك الضفة الغربية ، والضربة التي وجهها الحكم الهاشمي للثورة الفلسطينية في الاردن . وحدث ، ويحدث كل ذلك تحت مظلة مشاريع التسويات الاستسلامية واشتداد التآمر الدولي على القضية الفلسطينية.

شهادات من معركة الكرامة

اعداد المقاتل هادي ابو أسوان

ان الكثير قد كتب خلال السنوات الماضية عن الكرامة ــ منها ما اثبت ــ بالدليل ــ خطا وقوع العصابات بفخ الدفاع عن موقع ثابت ومنها خطا محاولة احتلال جيش مهما كان متقدما ، مدينة معباة ضده ــ كتابات الجانب الاخر ــ منها ما يجب على المقاتل الفدائي من واجبات لا بد من الاهتمام بها ومنها كيف علـــى المقاتل ان يتصرف ومنها اخطاء المقاتلين ومنها اخطاء المنظمات الخ ... الا انه في الصفحات التالية لا نجد نصيحة او نقدا بل فقط شهادات . ولم يكن في الحقيقة هدف هذه الشهادات اثبات الجانب الاحداثي العسكري رغم ان الشهادات اختيرت بشكل يبدو معه وكانها تغطية لكافة الجوانب الاحداثية من المعركة . فقد اختير مقاتل من غور نميا من الجنوب ومقاتل من داخل بلدة الكرامة وآخر تقع قاعدته بين النهر والبلدة او بالاصح قائد المجموعة المتقدمة الاولى بالاضافة لشهادة ضابط كبير في الجيش الاردني ، كطرف بشكل ما في المعركة . ورغم ان كل الشهادات اختيرت بهذا الشكل الا انه في التحليل النهائي فان الهدف هو تغطية ا'وضع النفسي لمجموعات مقاتلة هي كل الناس . ففي الشهادة الاولى التي ادلى بها ابو العز كان الهدف اثبات الوضع النفسي لمجموعات كان متوقعا ان تكون بعيدة عن المواجهة ثم وجدت نفسها فجاة في البؤرة . وفي الشهادة الثانية التي ادلى بها عبدالاله يتضح الوضع النفسي والعلاقات الداخلية بين مجموعة متفق على انها من الممكن ان لا تكون غير متراس للبلدة المحكومة سلفا بالدمار . اما الشهادة الثالثة ، فهي الكرامة من الداخل ببساطتها وبساطة تجربتها ومصيرها ، فصاحب الشهادة ما زال في القوات . الا ان الاهتمام بالشهادة الرابعة هو كونهـــا تعطي وبالدقة صورة الوضع النفسي والعلاقات الداخلية في صفوف جيش عربي موضوع بالطبيعة خارج صفوف الثورة ــ كمؤسسة ــ وكيفية ممارسة افراد في الجيش وفهمهم للقضية وعطائهم لها حسب الظروف العامة المحيطة بهم . الا انه في كل الحالات لم يكن هناك اي اهتمام ولا باي شكل من الاشكال تحضير بحث اكاديمي سواء عسكريا او تاريخيا عن معركة الكرامة . بل المهمة الاولى التي اعتبرها واجبا وادعو كل المهتمين بالقضية لوضعها في نفس الموضع هي اثبات التراث وتدوينه وليس هذا للتاريخ وحده بل بالضبط لاقامة علاقات حقيقية ، غير تجريدية ، بالثورة . ليست المهمة ان يفهم المواطن الثورة وعدالة القضية بل ان ينتمي اليها ، وذلك بان يحس صداقة حقيقية متينة بالمقاتل ويعرف كيف يفكر وكيف يتصرف وكيف يخطىء ويعالج خطاه وكيف يعيش وكيف يصبح بطلا بعد استشهاده . فتراث الثورات ليس ما يكتب عنها بل مـــا يكتب فيها من خلال المعايشة والمشاركة والفعل . ان فقر مسالة الثورة في الوطن العربي لا ينبع من الافتقار للمناطقة ، بل لان هؤلاء المناطقة لا يعيشون ما يقولونه واذا ما اراد ــ احد ــ للثورة ان تغتني فلا بد له من اغنائها بتجربته . وحيث ان رصد التجربة وتدوينها مفقود ، فان كل النظريات والاجتهادات صحيحة ... وخاطئة . ومن هنا جاء التمزق العميق والمضحك في صفوف الثوريين وهذا ما لا وجود له في صفوف الثوار ــ

المقاتلين . ففي الوقت الذي تتبادل الجبهات في المدن والجرائد الاتهامات يتبادل المقاتلون ارزاقهم واعتدتهم وخبراتهم ، ودون الرجوع لاحد ، ذلك انهم — المقاتلين — يدركون وعلى الطبيعة ان الطلقات الصهيونية لا تميز بين اشكال صفحات وحروف النشرات والمجلات والجرائد ، ولذا فانها تخترقهم سوية وبدون اي تمييز ، ان سمحوا لها . فمن اجل ان يحس المواطن العربي بانه فقد صديقا حميما اذا ما علم باستشهاد مقاتل، ومن اجل تكريس تراث ثوري حقيقي ، نقي وصادق ودقيق ، ومن اجل ان تنتصر قضية العروبة ، من اجل كل هذا ، نقدم هذه الشهادات الحية .

هادي ابو اسوان

(١)

شهادة ابو العز آمر القطاع الجنوبي

السؤال هو : كيف كان الوضع النفسي للمقاتل قبل ورود خبر توقع الهجوم على الكرامة ؟ وكيف اصبح هذا الوضع النفسي بعد وصول الخبر ؟ ما نريد ان نعرفه هو كيف كان الوضع مع توقع هجوم شامل لاسرائيل التي « تملك الجيش الذي لا يقهر » الخ... ؟ باعتبارك مقاتلا عشت تلك الفترة ، ومارست العمل ، ارجو تسجيل كل التفاصيل .

في تلك الفترة كنت آمر القطاع الجنوبي . بعد ان وصلتنا المعلومات عن احتمال هجوم على الكرامة، اذكر اننا عقدنا اجتماعا نوقشت فيه تقريبا كل الاحتمالات التي يمكن ان تواجهنا في حال الاعتداء. وقد حصل الاجتماع المذكور قبل المعركة بيوم حيث كنت موجودا . وكانت قواتنا في قطاع جنوب الاردن عبارة عن قاعدتين ، قاعدة في وادي قدان ، كان عدد مقاتليها حوالي الثلاثين ، وقاعدة اخرى في منطقة غور فيفا ، في غور الصافي ، وعدد اعضائها حوالي خمسة وثلاثين مقاتلا . كما كان لنا بعض القوات في الكرامة واعداد اخرى في الشونة .

هل كنت متوجها للاجتماع في الكرامة ام انها مجرد زيارة ؟

كنت مدعوا للاجتماع في الكرامة . طبعا كان العمل لا يزال سريا وهكذا تنقلاتنا . في ذلك الاجتماع طرحت كافة الاحتمالات : كانت وجهة النظر الاولى تقول بأن عددنا ما زال قليلا وخوض معركة مواجهة في عدوان من هذا النوع معناه احتمال القضاء علينا ، خاصة واننا ، كمقاتلي عصابات ، غير مضطرين للمواجهة . اما الفكرة الثانية فهي التي شدد عليها الاخ ابو عمار وفحواها ان الجندي العربي بعد هزيمة حزيران ٦٧ فقد ثقته بنفسه كما فقدها المواطن العربي ايضا ، وضمن هذه الصورة لا بد من الصمود لتحطيم الفكرة السائدة عن جبروت الجندي الاسرائيلي وكفاءته ، ولا بد لتحقيق هذا الهدف من المواجهة ، لا بد من جعل الكرامة « ملحمة بطولية » كما قال الاخ ابو عمار . انما كان السؤال الملح كيف نفعل ذلك ؟ فنحن باعتبارنا أنفسنا طليعة العالم العربي او بؤرة ثورية فيه ، كنا نسعى الى تحقيق أثر معنوي اكثر من شيء مادي . فاذا أردنا مواجهة تقدم الاعداء سنصاب بخسارة مادية ، خاصة اننا لم نكن نتجاوز في تلك الفترة ثلاثمائة فدائي معظمهم كوادر وطلائع ، استشهد اكثر من نصفهم في المعركة . وبعد التداول، تقرر الصمود والمواجهة لتحقيق الهدف وهو تمزيق صورة الجندي الاسرائيلي الذي لا يقهر .

هل طرحت فكرة الانسحاب دون الاشتباك مع الاسرائيليين ؟

عادة في الاجتماعات تطرح كافة وجهات النظر ، والواقع ان فكرة الانسحاب دون اشتباك والضرب من الخلف فقط ، طرحت وهي تنسجم مع منطق حرب العصابات ، لكننا تجاوزنا استراتيجيتنا وخضناها معركة مواجهة لتحقيق الهدف الذي ذكرته ، مع توقع حدوث خسائر والتي ستكون عزيزة علينا فعلا . وكان من المفروض ان اعود الى المنطقة بسبب توقع الهجوم خلال يوم او يومين ، لان الحشود كانت واضحة لوحدات الاستطلاع ، وكانت المعلومات تردنا من الداخل وتصل لكافة المقاتلين. وتم توزيع القوات في الكرامة بشكل مجموعات وفي المزارع المحيطة بها ايضا كما تم توزيع مجموعات الغام ومضادة للدروع ، على

الرغم من قلتها . كما اذكر انه كان لدينا مدفع دوشكا واحد موجود في تلة فوق الكرامة ، ولم اكن اعرف هذا السلاح يومها ، وكنت اعتقد انه — الدوشكا — يتمكن من حماية المنطقة كلها ! واذكر انهم احتاروا اين يكون مكانه ، البعض يريده في الجبل ، والبعض الاخر في الكرامة، اخيرا وضع المدفع قرب نخلة تحت الطريق في المزارع بين المدينة والنهر .

وصلت في الساعة الثالثة صباحا الى منطقة فيفا في الجنوب . واخبرتهم باحتمال الهجوم على الكرامة ، وزيادة في الحيطة ، شددت الحراسة. في الساعة الخامسة صباحا اخبر الحرس آمر القاعدة واسمه ابو السعيد ان صوت آليات تتقدم نحونا وفعلا كان ذلك . حلقت طائرة استطلاع فوقنا ، فانتشرنا ، كل منا في ناحية ، وارسلنا مقاتلا الى تلة قريبة لرصد تحركات العدو ، فجاء يؤكد لنا تقدم الدبابات باتجاهنا في الجنوب . ولم نكن سحبنا قواتنا من الجنوب للكرامة وذلك لاحتمال العدوان على الجنوب من جهة ، ولصعوبة التحرك والتنقلات من جهة اخرى ، فلا بد ان نذكر دائما ان السلطات الاردنية كانت تحاربنا ، وانتقالنا كان تهريبا وسيرا على الاقدام . اما في الكرامة ذاتها فقد كنا بين الناس ، وكانت الجماهير تغطينا لنتحرك .

هذا هو السؤال، لم تكن معركة الكرامة قد حصلت بعد ، ولم يكن التيار المؤيد للعمل الفدائي في قوته المعروفة بعد الكرامة ، فكيف كان موقف الناس ، المواطنين العاديين من سكان القرى ؟ هل شكلوا نوعا من الحماية ؟ وكيف ؟

طبعا ، لم نكن نشعر بالحماية الا بوجود المواطنين حولنا . لم نكن نظهر الا داخل المخيم . مثلا ، جاءت قوات البادية عدة مرات ، في محاولات لتطويقنا في المنطقة . من كان يحمينا ؟ من كان يخرج في تظاهرات ؟ المدارس والطلبة والبنات لقد كنا موجودين بينهم في المخيم وفي المزارع .

ما هو موقف الفلاح من اصل اردني ؟ كيف كان يتصرف ؟

كان الجميع يتفنون موقفا واحدا ، التعاطف مع الفدائيين . حتى الجنود كان لهم نفس الموقف ، لكنهم عند صدور الاوامر لهم بتطويقنا او شيء من هذا القبيل ، كان لا بد لهم من تنفيذها . نعود الى المعركة . عبرت الدبابات الاسرائيلية من منطقة وادي قدان ، حيث كان الاخ نعيم ومجموعته ، على بعد ٣٥ كلم للجنوب ، من منطقة اسمها عين الحصن عند مستعمرة ياحيف والمغيرة مع حصول تقدم فرعي في منطقة تاموت هاتيكار او عين العروس بالعربية . لم يكن هناك قوات اردنية في المنطقة ، كان للجيش الاردني دورية اسمها الحجاب ، وهي عبارة عن مجنزرة ، لم تكن موجودة في ذلك الحين. كل ما وجد كان مخفر الفحل — بناية عادية فيها اثنا عشر جندي — نسفت طائرة هليوكوبتر معادية المركز في اول المعركة ، وهرب جنوده . لم يكن هناك شيء اسمه مقاومة اردنية بالتحديد .

عندما وصلت الدبابات ، كان لدينا السلاح الفردي وثلاثة الغام متوسطة مع مدفع هاون ٨١ دون منصب ، سبق لي واحضرته من الجيش العراقي وذخيرته عشر قذائف فقط ، ولم يكن المدفع غريبا عنا ، فقد سبق لنا استعماله في عملية ضرب معمل البوتاس قرب البحر الميت . لم يكن في المنطقة ممر اجباري لنضع الالغام المضادة للدبابات فيه ، فوادي عربة منطقة مفتوحة ، لم نعلم ما نفعل بها، لذلك وضعناها حول القاعدة وتركناها ونزلنا من الجبال الى السفوح ، حيث انقسمنا الى ثلاث مجموعات ، عشرة لكل مجموعة . عندما وصلت طائرات الهليوكوبتر ، لم نكن قد ابتعدنا عن القاعدة اكثر من خمسمائة متر ، فبقينا مختفين . كانت الدبابات فوقنا ، ولم نكن نراها بوضوح بسبب النباتات انما كانت اصواتها واضحة ، ولم يمكن تحديد البعد. اما طائرات الهليوكوبتر وعددها ثمانية فكانت في حركة مستمرة في الجو . زرعنا الالغام ، وبدأنا القذف بمدفع الهاون ، وسرعان ما نفذت الذخيرة ، فخبأنا المدفع .

هل كان هناك اصابات مباشرة ؟

كان المدفع بلا منصب ، ولا استطيع الجزم بتحقيق اصابات .

هل اكتفى العدو بتقدم الآليات ام تقدم الجنود ايضا ؟

بالاضافة للاليات ، كان المظليون الذين هبطوا من طائرات الهليوكوبتر يتقدمون ايضا . كنا ثلاثين وكانت القوة المهاجمة لواء مدرعا بالاضافة للجنود في طائرات الهليوكوبتر وناقلات الجنود . بدأنا الضرب بمدفع الهاون ، فكشف العدو مواقعنا ، وانزل مظليين خلفنا في الجبال . طبعا لم نكن نلاحظ ذلك . فالطائرات كثيرة في الجو ، وعندما تهبط

احداها نعتقد انها ذهبت وراء الجبل ، فاذا عادت للظهور اعتقدنا عودتها من هناك . كانت الدبابات تتجه من الجنوب للشمال صوبنا ، والطائرات تنزل المظليين فوقنا ، وهكذا وجدنا انفسنا مطوقين . ولما كنا توزعنا لثلاث فرق ، فقد انضم الى فريقنا آخران من المواطنين في الجنوب ، حضرا على الجمال ، يحملان بنادق انكليزية ، وأخبرانا عن تقدم الدبابات ، ثم شاركا في المعركة .

بعد التطويق ، صارت الطائرات تنخفض على الارض ، تخرج عند بابها مدفع رشاش ٥٠٠ نراه بشكل واضح ، وتطلق النار علينا ، وكلما توقفت عن الاطلاق ، نحاول التصدي لها . طبعا سلاحنا كان رشاشات « كلاشينكوف » . قدرنا اننا سنتورط بهذا الشكل اذا استمر الوضع على هذا النحو . الطائرات تنزل المظليين خلفنا على سلسلة الجبال، والدبابات أمامنا ، والهليوكوبتر تحوم فوقنا ، رأينا ان لا بد من الصعود قليلا الى الجبال مع علمنا بوجود المظليين .

دارت المعركة على هذا النحو ، لم أكن أعلم شيئا عن الاخرين . فقد غاب عدد منهم ولم اعرف استشهدوا أم لا . في الساعة الرابعة بعد الظهر بقي منا اربعة فقط ، اما الباقون فقد استشهدوا بمن فيهم البدويان . اذكر اننا كنا نصعد من وادي مهاجرين الى جبل في طرفه ، شاهدت طائرة هليوكوبتر ، انزلت جنودا مظليين وقد قبضوا على أحد رفاقنا واسمه ابو نضال وعلى اخر هو واحد من البدويين ، أخذ الاسرائيليون أبا نضال معهم وأطلقوا النار على الاخر فأردوه قتيلا.شكلنا عندها مجموعة اقتحام لمهاجمتهم ، لكن الطائرة حلقت بعيدا. لا أذكر كافة تفاصيل المعركة ، لكننا دخلناها اثنا عشر شخصا في الخامسة صباحا وخرجنا في الرابعة بعد الظهر اربعة اشخاص فقط . وتأكد استشهاد الباقين في اليوم التالي . وانتهت المعركة هكذا . فمثلا رأيت المظليين يهبطون من الطائرة ، ينصبون مدفعي هاون ٦٠ ملم ، ثم ضربوا قذائفهم وتحلقوا بدائرة حول الهليوكوبتر واخذوا يطلقون العيارات من رشاشاتهم دون هدف ، اخيرا عادوا للطائرة ورحلوا . لم يكونوا يتنقلون ولم يحددوا اهدافهم ، بل اطلاق النار كان في جميع الاتجاهات.

السؤال يشمل ثلاث نواح : الوضع النفسي للمقاتلين قبل المعركة عندما أبلغتموهم نية اسرائيل بالتقدم ؟ والوضع اثناء القتال ؟ ثم الاربعة الذين بقوا بعد المعركة ؟ مثلا باعتقادي ان الحماس كان عارما قبل المعركة ، لكن الخوف جاء عندما بدت الدبابات وكثافة الهجوم . هل حصل نوع من الرعب ؟

تضية الخوف قبل المعركة أمر طبيعي جدا حتى للمقاتلين . لكن عندما تبدأ ، ويستعر القتال فلا أحد يشعر بأي شيء حوله ، حتى أنه ينسى نفسه. بعدما هدات المعركة ليلا ، جلست أتفقد نفسي ، فوجدت أنني مصاب بكدمات وضربات منهكة ، لم أشعرها في وقتها بسبب الانشغال بالقتال . أما الخوف فقد انتهى ، لا يعود المرء يشعر به ... قبل المعركة كل منا يخالجه نوع من هذا الشعور ، انما بعد ذلك سرعان ما يزول عند اطلاق النار . اما بالنسبة للاربعة الناجين بعد المعركة ، فقد كان الحزن هو الواضح على المفقودين ، مع تخوف من تكرار الهجوم ، وخشية على بقية القطاعات . هذه أول مرة نهاجم بها بعملية اقتحام ونخوضها معركة دفاعية . لم يكن لدينا من قبل اي نوع من الحذر او الحيطة . مثلا طالما كنت احذر أحد الرفاق المقاتلين من التدخين ، وكان رده « لليهود حدودهم ، عندما أدخلها سأكون حذرا . أما هنا فلن يأتوا » — وذلك بسبب عدم تصوره دخول اليهود بمعركة محدودة — بعد المعركة اصبح اكثر حرصا وحذرا ، وكانت هذه أولى الملاحظات التي استفدناها وهي زيادة الحرص والحذر لدى المقاتلين .

ما هو انطباعكم عن انفسكم وعن الجيش الاسرائيلي وعن الفدائيين وامكانياتهم ؟

لقد هاجمنا الاسرائيليون بعد الكرامة بعدة ايام في وادي ضانه ، كانوا حوالي ١٣ هليوكوبتر وكنا سبعة مقاتلين ، استشهد منا اثنان . اذكر ان اعصاب الجندي الاسرائيلي عادة تكون مفقودة في القتال . فهو يدفع من الطائرة دفعا ، ثم طريقته في اطلاق النار عشوائيا ، حتى يفرغ الذخيرة دون ان يتحرك من مكانه ويعود للطائرة . لا يعني هذا استخفافا بالجندي الاسرائيلي ، بل هذا واقع وضح سببه هو فكرة الجندي الاسرائيلي ان الفدائي غير متدرب ، سيهرب بمجرد اطلاق النار عليه ، لذلك فقد كان الجندي الاسرائيلي يطلق دون حراك على اساس ان يتراجع الفدائي. هذه الفكرة صرح بها الجنود انفسهم وصرحوا كذلك ان صورة الفدائي غامضة لديهم نظرا لاختلافه عن الجندي العربي الكلاسيكي .

ما هو الارتباط بين هذه المعركة ومعركة الكرامة ،

اقصد من ناحية تقديراتك العسكرية ؟

كان واضحا من هجومهم على شعبتين ان هدفهم هو القضاء على المقاومة الفلسطينية ، يؤكد ذلك ما قيل على لسان زعمائهم موشي ديان واشكول وغيرهم ، ان بامكانهم سحق « المخربين » متى شاؤوا سواء داخل أو خارج الارض المحتلة . فشلوا في ذلك ، وكما قال أحدهم في الكنيست الاسرائيلي بعدها : من اراد دخول عش الدبابير ، عليه تحمل لدغها . بل اصيبوا بخسائر لم تكن بحسباتهم .

وعن انعكاسات المعركة . فقد سارت التظاهرات التأييدية في اليوم التالي والثالث في عمان ومدن الاردن الاخرى ، وتدفقت الجماهير تريد الانضمام للعمل الفدائي في الكرامة ، وقد قصفت اسرائيل معسكر الكرامة بمدفعية الهاون ، ولم يكن للناس خبرة في القتال فحاولنا تخبئتهم في الملاجيء لحمايتهم. لقد أعقب المعركة انفتاح كبير للجماهير على العمل الفدائي ، مما اسبغ عليه طابع الشرعية التي لم تمنحنا اياها السلطات الاردنية او الملك حسين ، بل أخذناها بعدما برهنا ان الجندي الاسرائيلي يمكن قهره . فالمواطن ادرك بطولة الفدائي بامكانياته البسيطة على دحر العدو الصهيوني ، ومن ثم بدأ اعتماد هذا الاسلوب كبديل للجيوش او الحروب الكلاسيكية . ويمكن اخيرا اعتبارها مرحلة جديدة للعمل في الاردن .

هل احس المقاتلون ببعض الاستعلاء ، عندما راوا الناس تاتيهم بهذا الشكل ؟

ليس هناك استعلاء او اي شيء من هذا القبيل. كان الجميع واعين للدور الذي يقومون به ، لان قرار التصدي اتخذ بناء على رغبة المقاتلين والكوادر . وهذه النتيجة كما سبق وقلت كانت متوقعة . لم يكن الجنود الاسرائيليون يحسبون ان احدا سيجابههم ، فلما حصل الامر ، ارتبكوا وفقدوا خسائر كثيرة باعترافهم ، كما نرى المستشفيات النقالة والات ومواد الطبابة والجرحى واشلاء تتلاهم ... نعم لقد تغيرت صورة الجندي الاسرائيلي في ذهن المقاتل، الذي لم يفاجأ بالنتيجة، ولذلك لم يستعل او يتكبر ، لان الوعي ومعرفة الامور تجعل المرء مقدرا للنتائج ، حاسبا لها ، وعليه فانه يبني تصرفاته وفقا لمعارفه .

عدت الى القاعدة في جنوب الاردن ، وعاد الجميع الى اعمالهم . وقد برزت لنا مشكلة جديدة هي التدريب . كانت الحيرة بين قبولنا او رفضنا . علمتني الخبرة ان قيادة قاعدة أمر ممكن مع التدريب والخبرة ، لكن الانتقال مباشرة لقيادة سرية فامر بحاجة لجهود كبيرة وخبرات واسعة ، في نفس الوقت هناك اعداد غفيرة تتطوع ، راغبة في الانضمام والمشاركة ، لا يمكن رفضها . واذا قبلنا، فليس لدينا الامكانيات للتجهيز والتدريب .

هل اجتمع الاشخاص ، الذين كانوا في الاجتماع قبل الكرامة ، بعد المعركة ؟ ومن كان حاضرا ؟

لم نعد نستطيع بعد ذلك الاجتماع ببعض بشكل متكامل ، واذكر من الذين حضروا : الاخ أبو عمار، ابو اياد ، أبو اللطف ، ابو صالح ، أبو صبري والحاج اسماعيل ، الشهيد ابو الشريف ،الشهيد أبو امية . لكننا لم نعقد اجتماعا مثل ذي قبل بسبب الانتقال الفجائي والتوسع في مهام العمل .

هل كان هناك غير فلسطينيين مع القوات في الكرامة ؟

الكل عرب .

السؤال محدد هل تذكر مشاركة غير فلسطينيين في معركة الكرامة ؟

لا أذكر بدقة .

ماذا عن الناحية الثقافية والاجتماعية للمقاتلين عندك في الجنوب ؟

كان هناك حوالي ١٥ جامعيا ضمن ٦٠ مقاتلا في الجنوب أما الباقون فاختلفوا من ثانوي او اعدادي . اما عن التوزيع المهني فمنهم العمال والمزارعون واصحاب المهن الاخرى ، وللحق كان منهم الاغنياء والفقراء من مختلف الطبقات .

(٢)

شهادة عبد الاله الاثير قائد القاعدة المتقدمة الاولى بين الكرامة والنهر

كنا نركز دائما على مبدأ استراتيجي في حرب العصابات هو مبدأ التراجع عند تقدم العدو القوي. اذا لماذا لم نتراجع في الكرامة ، مع سبق ورود معلومات عن قرب قيام العدو بهجوم مركز على المنطقة او عملية اجتلال لها . هنا لا بد من العودة الى ما قبل المعركة بعدة اشهر ، وتقييم كافة الاوضاع في تلك الفترة .

لقد ركزت الثورة على منطقة الكرامة للاسباب التالية : ١ ــ وجود تجمع فلسطيني كبير في تلك المنطقة . ٢ ــ قرب المنطقة من حدود الارض المحتلة . ٣ ــ وضع المنطقة الاستراتيجي لوجود سلسلة جبال محاذية للكرامة . ٤ ــ سهولة العمل في الداخل انطلاقا منها .

واضرب مثالا لذلك ، ففي شهر كانون الاول عام ١٩٦٧ كان عدد الدوريات العاملة من المنطقة للداخل دوريتين او ثلاثا ، بينما اصبح العدد في مطلع عام ٦٨ اكثر من عشر دوريات يوميا بدأت تجهد العدو .

لا بد من الوقوف امام موضوع النظام الاردني ومحاولاته المتكررة لضرب الثورة . لقد حاول النظام اكثر من مرة اخراج الثورة من الكرامة ، ومنع الثوار من دخول الارض المحتلة ، كان افراد الجيش والضباط الصغار يؤازرون الفدائيين بافتعال اشتباكات مع العدو في مناطق معينة ، يصرفون بها انتباهه عن دورياتنا ، التي تدخل من مناطق اخرى . وقد فشلت السلطة الاردنية في الضغط على عناصر الجيش الشريفة بعدم مساعدتنا ، فعمدت الى المجابهة العسكرية، واذكر في شهر شباط ١٩٦٨ حضر بعض الضباط الاردنيين، وابلغونا أن علينا مغادرة منطقة الكرامة والا فانهم سيضربوننا بقوة ، وحاولنا صرفهم عن عزمهم سياسيا ، الا انهم كانوا صلبين في موقفهم ، فبدأنا الاستعداد للمواجهة المحتملة . بعد يومين وصلتنا معلومات مفادها ان الجيش الاردني وقوات البادية، ستقوم باحتلال مراكزنا بالقوة ، وان عددا كبيرا من الدبابات وسيارات ناقلة للمشاة مجهزة بالمدافع متجهة لضربنا . لم نكن وقتها قادرين على صدهم عسكريا ، لا بد من الاعتراف بذلك ، لكننا اتممنا استعداداتنا للمواجهة ، باسلحة خفيفة وقوات قليلة . بدأت القوات الاردنية تحركها في السادسة صباحا، فلما علم الشعب بالامر ، خرجت جموعه في مظاهرة هائلة ، تضم اكثر من ١٥ الف نسمة يحملون العصي وبنادق الصيد وغيرها ، متوجهين نحو اول مركز تجمع للجيش ، وهو مخفر الكرامة. توجهت مع اثنين من الاخوة للمخفر ، قبل وصول التظاهرة ، حيث قابلت رائدا اردنيا وطلبت منه سحب قواته ، بعد ان استحلفته بربه وبعروبته ، فكان رده : سترى أننا سنجعل من شوارع الكرامة انهارا من الدم . اثناء الحوار ، بدأ صوت المتظاهرين القادمين يتضح ، فأعطيته انذارا لمدة خمس دقائق للخروج من المخفر والا فاننا سنبدأ المعركة ، عندها سمعته يأمر جنوده : انسحاب بسرعة .. انسحاب . بعد خروجهم من المخفر ، تلقيت برقية لاسلكية من القاعدة المتقدمة ــ قاعدة أبو شريف ــ تفيد ان سبع آليات وسيارات مطاردة تتقدم بسرعة نحو المركز على بعد كيلو متر واحد منا . للوصول لهم ، شارك أحد سكان الكرامة وهو يحمل بندقيته على كتفه ، ويقود تراكتورا زراعيا بايصالي . كان المناضلون معبأين للقتال ، كل منهم يحمل قنبلة ورشاشا وغيرها لمواجهة الدروع الثقيلة . على الفور ارسلت سائق التراكتور عائدا كي يوجه التظاهرة نحو المركز ، كي تصد الجماهير ايضا هذا الهجوم .

كنت أتساءل ماذا نفعل ؟ هل ندافع عن انفسنا أم ماذا ؟ لماذا لا نبدأ نحن باطلاق النار . كان ابو عمار يوجه البرقيات المتوالية ، يطالبنا ألا نبدأ باطلاق النار . وفعلا توجهت التظاهرة نحو المركز، وتراجعت الاليات ، وهكذا استطعنا بعاملي الصمود وقوة الجماهير المؤمنة بالثورة ، افشال هذه المحاولة دون اسالة نقطة دم . لقد انتصرت ارادة الجماهير على ارادة الحكم والمخابرات للمرة الاولى .

بعد فشلهم في شباط ، ومع ازدياد الدوريات وارتفاع فعاليتها ، بدأت المخططات الاسرائيلية الاردنية المشتركة محاولات اخرى . كان الهدف الذي رموه من هذه المحاولات هو ابعاد الجماهير عن الساحة ، ففي تقديرهم ان ترحيل كامل سكان الكرامة من شأنه اضعاف المقاومة وتسهيل القضاء

عليها . وبدا الجيش الاسرائيلي ، في منتصف شهر شباط (فبراير) قصف مدينة الكرامة مركزا على التجمعات السكانية . وصمدت الكرامة ، وصمد سكان الكرامة أمام هذا القصف الليلي الرهيب ، يوميا لمدة ساعتين او اكثر ، ولم يبادلهم الاردنيون القصف ، اللهم الا في حالات استثنائية ، يتحجج فيها ضباط الصف ، ان قصف العدو شملهم فاضطروا للرد عليه ، وكثيرا ما كانت قيادتهم تعاقبهم . لكن رغم ذلك ، لم يكتب النجاح لعملية ترحيل السكان ، فبدأ العدو في نيسان (ابريل) مرحلة جديدة ، هي القصف الجوي ، واستمر التركيز على التجمعات الآهلة ، ولا ريب ان معنويات السكان بدأت تتأثر بعد ذلك . على الفور صدر الامر ببناء الملاجيء للاهالي ، فشاركنا جميعا في حفرها مع السكان ، واصبح لكل بيت في الكرامة ملجأ ، لكن القصف الجوي استمر بشدة ونشط عملاء المخابرات الاردنية يبثون روح الانهزام بين الجماهير ، وفعلا كانت سيارات الجيش الاردني وشاحناته تنقل السكان مجانا من منطقة الكرامة، فاذا بالمنطقة تكاد تكون خالية في منتصف الشهر ذاته .

توقعنا أن أمرا ما سيحدث، وزاد توقعنا المعلومات التي بدأت تصلنا عن الحشود الاسرائيلية التي جمعت للهجوم على الكرامة . وكان مفاد المعلومات ان الهجوم سيقع في ٢٠ او ٢١ من اذار الحالي، فعقد اجتماع لكافة المسؤولين العسكريين في المنطقة برئاسة الاخ ابو عمار ، كما حضره عدد من الموجهين السياسيين ، كنت من اوائل المعارضين للبقاء في الكرامة ، خاصة ان غالبية القواعد موجودة في منطقة سهلية مكشوفة لاي عملية قصف او هجوم، وقد قلت بالحرف الواحد أن بقاءنا في ارض الكرامة بهذا الشكل خطأ عسكري . بعد نقاش طويل حول البقاء في الكرامة او ترك المنطقة واخلاء قواعدنا ليدخلها العدو بسهولة ويحتل الكرامة دون مقاومة وان مثل هذا الامر لو حصل سيكون مادة أساسية لاعداء الثورة ، يستغلونها لاظهار عجز الثورة ، واقناع الجماهير اننا سببنا تركهم منازلهم واراضيهم وفشلنا . اخيرا اتخذ القرار التاريخي الذي اقتنع به الجميع ووافقوا عليه : العمل على أرض الكرامة ومواجهة الهجوم . انطلق كل منا الى قاعدته ليبلغ هذا القرار الى المقاتلين ، الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر القرار القيادي الممثل لرايهم . كان الجميع شاخصين نحوي ، ولم يستطع بعضهم الانتظار فتساءل هل سنصمد . اجبتهم : « نعم . ان الاخ ابو عمار يقول أننا يجب ان نجعل من الكرامة كرامة للعرب ومقبرة لجيش الاحتلال » .

هتف الجميع ، وصفقوا لسماعهم قرار الصمود ، وتوزعوا في كل ناحية ثم ما لبثوا ان عادوا بكامل اسلحتهم المتوفرة ومعداتهم البسيطة ، وقفوا بانتظام وخرج واحد منهم الى الامام ، ثم بدأوا يقسمون جماعيا بالله وبفلسطين ان يثبتوا ويقاتلوا حتى اخر نقطة من دمهم . بعدها عقدنا اجتماعا عاما ، عرضنا فيه صورة الوضع وكل الاحتمالات، وانطلق كل مقاتل الى موقعه . (عدد أعضاء القاعدة ٨٠ والاسلحة المتوافرة رشاشات خفيفة وقنابل يدوية و ٦ مدافع آر.بي.جي ٢ ومدفع واحد آر.بي.جي ٧ مع مدفعي هاون ٨٢ ملم بالاضافة لصواريخ ٣،٥ بوصة مصنوعة محليا ومطورة على ضوء خبرات المقاتلين انفسهم) .

الساعات الحاسمة عادة ، في حال ترقب هجوم للعدو ، هي ساعات الفجر والصباح من الثالثة صباحا حتى السابعة ، وهذه هي الفترة التي كنا نتوقع فيها التحرك . لكن لم يحدث اي شيء في ذلك النهار ، فاستفدنا منه في تعزيز استعداداتنا، وتحصين مواقعنا ، واجرينا اجتماعا اخر ليلة ٢١/٣ واتصلنا بالقيادة التي أكدت الثبات على نفس القرار وافادتنا ان توقع الهجوم سيكون في الرابعة صباحا .

٢١ اذار وبدء المعركة :

حالة الاستنفار تامة ، والجميع موزعون وفقا لمهماتهم ، وتوزعت المهام العسكرية كالتالي :

ا ــ مجموعة الغام مهمتها الاشراف على تنفيذ تفجير الآليات والدروع العدوة بالالغام . ولدى هذه المجموعة نوعان من الالغام : الغام ضغط تعمل آليا نتيجة مرور الدروع فوقها والغام كهربائية تعمل بالاشراف الشخصي عليها . ب ــ مجموعة الصواريخ ومهمتها الضرب فورا بعد تفجر الالغام. ج ــ مجموعة آر.بي.جي. لضرب الدروع . د ــ صف المقاتلين . هـ ــ مجموعة هاون مهمتها قصف المشاة عند دخولهم المنطقة .

رغم الاستنفار الطويل من الساعة الثالثة صباحا ولمدة تزيد على ٣٦ ساعة ، ورغم الارهاق ، لم يطلب أحد من المقاتلين استراحة او نوما او اشتكى من طول ساعات الانتظار . كنت اتفقد المجموعات كل ساعتين ، وكان الصمود والشجاعة والاستعداد

هي العلامات الواضحة عندهم . كنت اسمع تساؤلا « متى سياتون ؟ لقد تأخروا . نريد ان نعمل » . استمر الوضع هادئا حتى الخامسة والنصف صباحا ، حين بدأت مدفعية العدو ، تقصف بعنف وشدة مراكزنا . واتجهت انظارنا نحو النهر ، حيث رأينا جسور الميدان تنصب ، وقد كان باستطاعتنا ضربها لو توفرت لدينا المدافع الثقيلة — لقد نصبوا جسرين متحركين واستعملوا جسورا عادية اقامها الجيش الاردني سابقا — وبدأت ارتال العدو وعددها تقريبا ٤٠٠ دبابة ومجنزرة وآلية في العبور والتقدم ، كما اتجهت ١٥ طائرة هليوكوبتر تحميها اسراب الطائرات المقاتلة الى شمال الكرامة وانزلت جنودا مظليين وركزت مدافع هاون في المرتفعات المحاذية لمدينة الكرامة .

بدأ تقدم الآليات نحو قاعدتنا بخط حرب نصفي ، وكانت قذائف العدو الصاروخية الكثيفة على القاعدة تغطي تقدم الآليات . خلف الآليات تجمعت ارتال الدروع نصف المجنزرة وحاملات الجنود ، حاولت مجموعة الهاون ضربها ، لكن سرعة تقدمها حال دون اصابتها بقذائف الهاون ، عندها امرت هذه المجموعة بالضرب على الارتال المتجمعة خلف النهر . اخيرا وتعت مقدمة دبابات العدو في حقل الغام آلية مما عطل تقدمها ، لكنهم سرعان ما شقوا طريقا ضيقا وغير استراتيجي بواسطة كاسحة الغام . في خلال توقف الآليات كي يتم شق الطريق لها ، ركزت نيرانها المكثفة بعنف على مراكزنا وقواعدنا . هنا كانت الخطة بعد ارغام الآليات على التجمع ان نحكم الطوق حولها ونضرب . فعلا أمرت مجموعة الصواريخ ٣،٥ ملم فأطلقت أربعة صواريخ أصاب اثنان منها الهدف واخطأ الاخران . في هذه الاثناء اشتد القصف الجوي على القاعدة ، لكنه غاد فتوقف بسبب اقتراب آليات العدو الشديد منا ، ٥٠ مترا عن القاعدة . عندها فجرت مجموعة الالغام الكهربائية جميع الغامها دفعة واحدة ، ومع ذلك استمرت دبابات العدو بالتقدم ، فتقدمت مجموعة آر.بي. جي. للعمل . قررنا وفقا للظروف التراجع للخلف حتى نصل الى بنايات المدينة ذاتها ، وبذلك نتمكن من القتال في الشوارع ، ومجابهة جنود العدو ، الذين سيحاولون تطهير المنطقة منا . بدانا الزحف بين المزروعات. اذكر انني كنت مع ستة مقاتلين نزحف، حين شعرت بظمأ شديد ،وبالصدفة وجدنا نبتات بندورة فقطفت حبة منها ثم بدأت اطلق النار على جنود العدو . كما انني كنت قد اشعلت فتيلا ، في مخزن المتفجرات تحت ارض القاعدة ، آخذا في الحسبان الوقت الكافي لابتعادنا عن الخطر ووصول العدو لاحتلال القاعدة . فعلا انفجر المخزن بشكل هائل اعطب عدة آليات للعدو ، ودمر كل ما في القاعدة ، حتى لا يتمكن العدو من الاستفادة منه .

استطعنا الوصول الى المدينة ، وتحركنا بين بناياتها ، عندما جاءنا أمر بتنفيذ مهمة تدمير آليات في أحد الشوارع . كان لا بد من تحديد الاماكن المهمة المشرفة على العدو وهكذا صعدنا الى سطح دكان لتصليح دواليب السيارات ، حيث تراكمت كمية منها ، واختبأنا خلفها نراقب المكان ، فاذا بمقاتل معي يصرخ لقد وجدت الطريقة . هبط بسرعة واجتاز الشارع بواسطة عبارة فرعية ، وانتقل الى الناحية الاخرى ثم ما لبثت ان رايته على سطح بناية مرتفعة نسبيا في اول الطريق . وباشارة معهودة القينا قنابلنا على المجنزرات وحصدنا برشاشاتنا اليدوية الجنود الفارين من الضرب ، وقد اعطبنا اربع آليات في دقائق .

بعد هذه المعركة ، نفذت ذخيرتي ، واشتد الاطلاق علي ، فقررت مغادرة المكان بحثا عن ذخيرة .وهكذا تنقلت من منزل لاخر بسرعة . في الطريق صادفت احد الاخوان فزودني بمخزن واحد من الذخيرة . كنت قاصدا مكانا اعلم توفر بعض القنابل والذخيرة فيه . اثناء محاولتي القفز من احد الدور أصبت بشظية نتيجة انفجار قنبلة قريبة . كشفتني مجنزرة اسرائيلية أخذت تطلق النيران نحوي وبادلتها ذلك حتى فرغ مخزني . حاولت الهرب بعد استطلاع جانبي الطريق ، قافزا فوق احد اسوار المنازل ، لكي المجنزرة كانت سريعة ، وسمعت صوت الجندي الاسرائيلي يقول بالعربية لا تتحرك . كانت تلك اكثر اللحظات حرجا في حياتي . لقد اعتقلت وكان أول المراكز التي أخذت لها هو مركز البحر الميت ، للجيش الاردني سابقا ، ثم الى المعسكر الحربي في الصرفند ، وهو مركز للتعذيب ، بعدها الى معتقل حربي اخر لا اعرف اسمه ولا موقعه . وقد تولت المخابرات العسكرية الاسرائيلية التحقيق معي في تلك الفترة ، وجل تركيزها على الامور العسكرية . يريدون معلومات عن مراكز الفدائيين في الاغوار ، الاسلحة التي يتزودون بها، الاسماء، الاعداد ، المجموعات التي دخلت الارض المحتلة ،

التركيز على فترة ما قبل الكرامة وكيفية استعداداتنا . نقلت بعد ذلك الى سجن نابلس ، حيث استمر التحقيق ثمانية اشهر تقريبا . وفي ١٩٦٨/١١/٢٣ قدمت لمحكمة عسكرية ، قضت بسجني اربع سنوات مع الطرد من البلاد بتهمة الانتماء الى فتح . نقلت بعد ذلك الى سجن بيت ليد (كفاريونا) حيث مكثت ثلاثة اشهر ، أعدت بعدها الى سجن نابلس ، بسبب نشوب اضطرابات في سجن بيت ليد ، مكثت هناك ثمانية اشهر . نقلت في اوائل ١٩٧٠ الى سجن جديد بناه العدو في منطقة بئر السبع ، لفترة تزيد على سنة ، تنقلت بعدها بين سجن الرملة وسجون صغيرة أخرى .

مع بداية سنة ١٩٧١ عدت الى سجن نابلس ثم نقلت بعد ١٤ يوما بسبب اضطرابات ضد ادارة السجن الى سجن رام الله حيث بقيت ٧ اشهر ، بلغت بعدها في نهاية شهر ت ١ (اكتوبر) انني سأطرد قبل انهاء مدة الحكم باربعة اشهر . نقلت الى سجن نابلس ، حيث صدر الحكم وحيث يجب ان ابعد من هناك . وفي ٧٢/١٠/٢٨ تسلمني عند جسر اللنبي ثلاثة ضباط من الجيش الاردني ، واودعوني في سجن السلط ، الذي غادرته بعد ٥ أيام بكفالة مقدارها ٣٠٠ دينار اردني وتعهد بعدم العمل في المنظمات الفدائية . بعد ايام غادرت الاردن الى سوريا ، وعدت الى صفوف الثورة .

(٣)
شهادة المقاتل ناصر جهاد

عندما دخلت الحركة في ١٩٦٨/١/١٥ كنت مجرد طالب صغير عمره ١٧ سنة ، ضائع يحاول الملائمة بين العمل وحياة الطلبة التي احببتها دائما ، الا انه في كل لا يحقق طموحه كانسان بلا ارض ، تدربت لمدة ١٥ يوما على السنوبال والبندقية الانجليزية والسيمونوف والكلاشنكوف وبعدها الحقت بالصحية (مستوصف سابقا) اذ كانت مركز تجمع حتى المعركة اذ كلفت قبلها بايام بالتعاون مع الاخرين لحفر الخنادق في كل مكان في الكرامة وعدد ساعات العمل في الحفر كانت في بعض الحالات يستمر ٢٠ ساعة ، وفي ليلة المعركةحوالي الساعة الثامنة جاءنا الاخ صلاح واخبرنا بان لدى الحركة معلومات موثوقة واكيدة بان العدو الصهيوني سيقوم بهجوم وربما اقتحام للمنطقة وطلب منا الانضباط التام والتشدد بالحراسات واليقظة التامة اثناءها . ولم ينم احد في تلك الليلة وقد حاولت كل اربعة عناصر او خمسة من الدورة الجديدة التي التحقت قبل الكرامة بايام ان تتعلم اي شيء عن السلاح ولو مجرد التهديف والتصويب ، منا نحن الاقدم قليلا ، فلم يكن لدى اي مقاتل ان يتفرغ ولو لحظات لغيره .

وفي تلك الليلة ايضا كان العدو يسلط انوارا كشافة قوية نحو البلدة ونواحيها فطلبنا من العناصر الجديدة الدخول الى الخنادق اذا ما وجهت نحوهم الانوار الكشافة . واستمر السهر حتى الخامسة والربع فظهرت في الافق طائرة استطلاع ـ اوستر ـ تحوم ثم وصلت خلف الكرامة ثم عادت وبعد دقائق بدات المدفعية الثقيلة تقصف حوالي الكرامة من كل جانب ، وبالطبع توزعت العناصر كلها على خنادقها المحددة مسبقا ، وهي خنادق ينفذ بعضها على بعض وخلال هذا جاءنا رئيس الحرس في الصحية فوزع على المسلحين وكنت منهم ٤٠ اطلاقة شمايزر اضافة الى ٣٠ اطلاقة مع بالاصل . وبعدها اخذت دائرة القصف تضيق على

البلدة نفسها ثم بعدها سمعنا اصوات الدبابات آتية من شرق الكرامة عن طريق محور الشونة الجنوبية ـ الكرامة وكذلك جاءت اصواتالدبابات من غربيها عن طريق الجسور وفي هذه الفترة انتبهت الى اصوات انفجارات يبدو انها نتيجة قصف الجيش الاردني للقطعات المتقدمة او شيئا كهذا لاننا في داخل البلدة ولا نرى ما يحدث خارجها. توزعت العناصر الموجودة في الصحية داخل الازقة فدخلت الحسبة اذ هي تقع في انفراج من الارض فهي تقع على الشارع الرئيسي وعلى جانبها شارع فرعي واسع . وكنت مذهولا الا ان الذي كان يخيفني بالضبط هو ما كنت اسمعه من بعض المقاتلين عن نوعية الشمايزر الذي يمكن جدا ان يتعطل ، وقد ارعبني الطيران لكثافته واعتقد اني ـ انذاك ـ كنت ما ازال متأثرا بتجربتي الذاتية مع الطيران في نابلس ، اذ كنت ممن تسلم بندقية انجليزية وعشرين اطلاقة كان ذلك اثناء عدوان حزيران وتجمعنا جميعا، المسلحون من ابناء نابلس في حرشها وباليوم الثالث للعدوان حومت فوقنا بعض طائرات الهليوكوبتر الاسرائيلية المطورة كما اعتقد اذ كانت تضربنا بالقنابل والرشاشات الثقيلة وعندما انتهت العشرين اطلاقة ـ الملكية ـ انسحبت مع من انسحب من الحرش الى المدينة وفي الطريق استشهد ثلاثة منا نتيجة ضربهم بالرشاشات التي تحملها الهليوكوبتر .

وبعد ساعة لوجودي في الحسبة او نحو ذلك مرت في الشارع الرئيسي مجنزرتان وامامهما سيارة لاندروفر وفوقهم طائرة هليوكوبتر تواكبهم فبقيت محلي هادئا وبعد دقائق مرت مجنزرتان اخريتان في الشارع الفرعي الذي اكمن فيه وكانتا تطلقان نيران رشاشاتهما في كل اتجاه وبعد حوالي ربع ساعة مرت دورية راجلة من حوالي ١٢ ـ ١٥ جنديا اسرائيليا فرشوا برشاشاتهم مقهى ابو خضر وطبعا يقع المقهى مقابل مكان كموني ، وبكل خوفي ورعبي كمقاتل غر لا تجربة له ولا خبرة صليت صلية طويلة واحدة فاخذ الجميع الارض ، لا ادري ان اصيب بعضهم ام لا ولكن الذي ادريه ان نيراني كانت باتجاههم بالضبط ، فقد كانوا مكشوفين امامي وهم وقوف وبعد نهاية الصلية نفذت بكل ما املك من قوة الى داخل الحسبة ثم الى الباب الاخر الذي ينفذ على زقاق اخر يؤدي للمدرسة فولجت بيتا من البيوت ـ لاخذ نفسي ـ وبعد دقائق خرجت وعدت للتجول بدون هدف وجسمي كله ينتفض فوجدت نفسي امام المدرسة حيث شاهدت جنديين متجهين الى المدرسة ولا اعرف لماذا فافرغت رشاشتي حتى توقف الرشاش عن الاطلاق لنفاذ الذخيرة ، ماتوا جرحوا لا ادري وربما لم يصب احد فلم اكن متمالكا لاعصابي لاعرف نتيجة الرماية، الا انه لم يطلق ورائي اي رصاص بعد ان هربت متجها نحو الصحية وقبلها دخلت الى بيت ما ودفنت فيه سلاحي وخرجت بملابسي العادية التي نلبسها كلنا وهي ملابس مدنية بالطبع فقد كان ممنوعا ارتداء الملابس العسكرية انذاك .

وهناك في الصحية وجدت بعض عناصر الدورة الجديدة ومعهم الرائد يوسف وكان هو المسلح الوحيد بين جميع العناصر الجديدة التي لم تكن مسلحة بالاساس فحكيت له عن اهمية اتلاف ما في الصحية من اوراق اذ باعتبارها مركز تجمع فان فيها الكثير من الاوراق والاسماء ، فدخلنا واحرقناها ثم دفناها امام باب الصحية الخارجي وبعدها تركنا الرائد يوسف وبقينا جميعا دون سلاح بعد ان قال الرائد ردا على طلبي ذخيرة منه : (دبر حالك) لانني انا الاخر لا املك غير اطلاقات معدودة . فتركت انا الاخر دار الصحية نحو المزارع تحت الكرامة ولم امش الا حوالي ٥٠٠ متر حتى وجدت نفسي امام مجنزرتين فاطلقتا نارا باتجاهي ثم امروني بالوقوف حيث كنت قد وقفت اصلا . فنزل من احدى المجنزرتين جندي اعتقلني وكان يتكلم عربية ثقيلة ، فطلبت منه ايصالي لضابطه فانا طالب وهذه هويتي .

وفي هذه الاثناء وصلت احدى المجنزرتين الى جانبنا فقال اخر منهم بالعربية ايضا : لا نعرف طالب خذه . فأخذوني في المجنزرة التي مشيت حتى المدرسة اياها وادخلوني اليها فأمرني ضابط اخر ان اقف مع الاسرى الاخرين . وفي اثناء وجودي بالمجنزرة اخذ الجنود هويتي واوراق اخرى شخصية ونقود قليلة فأعطوها للضابط الاخر.وفي هذه الاثناء جاؤونا بشخص مغطى بكيس ومر على الجميع مصدرا بين حين واخر اشارة معينة ثم فرزونا على اساس اشاراته وبعدها اخذونا نحن كطابور باتجاه الغرب وبعد عدة مئات من الامتار كانت هناك عبارة صغيرة وعندها طلبوا منا الانبطاح على وجوهنا دون حركة وكنا حوالي ٥٠ ـ ٦٠ شخصا وبقينا على هذا الوضع نصف ساعة تقريبا ثم جاءت مجنزرات فأخذونا بها حتى عبروا بنا النهر .

(٤)
شهادة العميد سعد صايل

كنت قائد هندسة الفرقة الاولى في الجيش العربي الاردني والتي كان يقودها اللواء مشهور حديثه . والفرقة الاولى مكونة من اربعة الوية مشاة احدها لواء تدريب وكلها تحت السلاح وكتيبة دبابات . ولواء مدرع — بأمرة الفرقة للعمليات الا انه ليس من ملاكها . واربع كتائب مدفعية ميدان وبطارية مدفعية ثقيلة وكتيبة مدفعية مقاومة طائراتبالاضافة لكتيبة هندسة ميدان ثم خدمات الفرقة في حدود سرية طبية ومشغل ميكانيك وسرية تموين ونقل .. الخ . اما محور عمل هذه الفرقة ومجال عملياتها فهو المنطقة الدفاعية من وادي الزرقاء داخل حتى اخر الحدود الى وادي راجب جنوبا .

ومعركة الكرامة دارت ضمن منطقة عمليات الفرقة التي كانت موزعة على الشكل التالي : لواء في محور السلط — العارضة — جسر داميا . لواء مشاة اخر الى محور وادي شعيب — السلط — الشونة . لواء على محور ناعور — جسر سويمه. لواء احتياطي في التدريب وكان مركزه منطقة ناعور، خلف منطقة اللواء المتواجد في ناعور .

ومعركة الكرامة لم تكن مفاجئة للجيش الاردني :

١ — الحشد الاسرائيلي كان بدون اي نوع من التخفية والتستير ، بل كان واضحا في الاغوار الغربية . ٢ — وردت معلومات من السواقين القادمين من الضفة الغربية وتهديدات بواسطتهم— اسمعها لهم جنود الاحتلال بقصد نقلها لنا — مثل (اننا قادمون .. وسترون) . ٣ — قيادة الفرقة الاولى التقطت ساعة الصفر لعملية العبور وهي ٥،٣٠ من ١٩٦٨/٣/٢١ وكان الالتقاط في مساء ١٩٦٨/٣/٢٠ .

قبل اسبوع من المعركة طلب من قيادة الفرقة الاولى ارسال سرية ناقلات جنود — محمولة — الى الكرامةوالعمل على اقامة نقاط تفتيش عن الهويات، ونزلت السرية من الفرقة والحقت بقائد لواء الاميرة عالية العميد كاسب صفوك بهدف الانفتاح على الكرامة ومخارجها ومداخلها كنقاط تفتيش وطلب هويات من الخارج والداخل وحتى من المتواجد داخل البلدة .

وكان الامر المعطى والذي اتخذ قراره في اجتماع لقيادة الفرقة بأمر من السلطة العليا يعلل القرار بوجود الفدائيين في الكرامة و— مضايقاتهم للناس ! — واتذكر تماما رأي اللواء قائد الفرقة : اذا رفض الفدائي اعطاء هويته فعلينا عمل مشاكل ، وانا ارفض عمل مشكلة مع الفدائيين الان ، ولا اتحمل المسئولية . وقد كان حاضرا الزعيم الشريف زيد بن شاكر قائد اللواء المدرع الملحق بالفرقة وقد قال نصا : احنا ننزل السرية واللي يجيب الهوية يجيبها واللي يرفض نكسر راسه .

حينما عرفت ان قائد الفرقة غلب على امره وايضا غلب على امر كاسب صفوك . ونزلت السرية واقامت نقاط تفتيش في الكرامة ، والذي حدث ان الفدائي عندما كان يسأل عن هويته يقدم الكلاشنكوف او اي قطعة سلاح يحملها . وقد تدارك قائد اللواء الامر بمبادرته وبالاتفاق مع قائد الفرقة .

وفي مساء ٣/٢٠ طلب قائد الفرقة منا حسم الامر ، في تلك الليلة كان مقتصرا علي وعلى الشريف زيد بن شاكر وقال نريد الخروج لاجراء جولة في منطقة اللواء بهدف التأكد من ان كافة الترتيبات جاهزة لصد الهجوم الذي تأكدت ساعة الشروع به . وبدانا الجولة بلواء القادسية الذي كان بمحور العارضة — بقيادة قاسم المعايطة ، وبعد انهائها قال حديثه للمعايطة : بكرة اتصور العجة والدخان سيصعد للسماء لان الحشد الاسرائيلي كان واضحا حجمه .

انتهينا من اللواء وعملنا اللازم بخصوص الالغام واستمرينا الى لواء عالية ، قابلنا قائد اللواء في الكرامة وهناك طلب حديثه الى قائد — المحمولة — سرية الناقلات ، افراغ الكرامة من السيارات وتجميعها في شرق الكرامة ، واعطي الواجب لقائد السرية امامي ، وهو : انك مسئول في الدفاع عن الكرامة والاشتباك من اجل ذلك .

اما الدبابات الموجودة مع قوات الحجاب فقد اعطي الامر لقائد هذه الفئة بتوزيع دباباته الاربع للدفاع عن الكرامة او بالاصح غلق الطريق المؤدي اليها .

وطلب حديثه من صفوك : اذا ممكن ان تنسق مع القائد المحلي للفدائيين واعلامه كافة المعلومات

المتوفرة لدينا وتوقعنا للغد كيوم معركة .
وبعدما وصلنا لواء حطين الذي يقوده الزعيم بهجت المحيسن ، وبحثنا الترتيبات اللازمة على اللواء لصد الهجوم ، وقد قابلنا في مقر لواء حطين ، الزعيم محمود شابسو مدير العمليات العسكرية في الجيش الاردني ، فطلب شابسو منا الانتباه لمحور فرعي بين السويمه — مادبا فأعلمناه بأنه درس ضمن الخطة . وبعدها عدنا لمقر الفرقة في الليل واعطيت الاوامر لكافة وحدات الفرقة بالانذار .

وهنا لا بد من الاشارة الى انني اعرف عن فتح والثورة الفلسطينية لجوءها الى اسلوب حرب العصابات والذي يوجب عدم التقيد بموقع ثابت ولكن ... حدث قبلها بثلاث ليال ان زارني في البيت الاخ ابو المعتصم واخبرني بأن الاسرائيليين في طريقهم لشن عدوان جديد وبعدها قال : وقد جئت لاخذ رأيك ، اذا هاجموا فماذا تعتقد على الفدائيين أن يعملوا ؟ . قلت : بالنسبة لفتح ، والثورة بعدها في بدايتها وضمن الظرف الحالي وحتى الان لم تعرف الجماهير ما يكفي عنكم وان اي احتكاك واسع مع اسرائيل يخدم الثورة ، لذا اعتقد ان يبقى الفدائيون في الكرامة ويقاتلوا مع علمي الاكيد انه ليس من واجب محارب العصابات ان يثبت في موقع ويقاتل فيه ، الا انني اعتقد ان مسألة التجريب والتلاحم مهمة واذا حدث نصر سيكون رد الفعل كبيرا جدا. واذكر اننا اتفقنا على خطة مع طلبي بأن تصل هذه الخطة لقيادة الفدائيين وهي : عدم التجمع في الكرامة والتوزع خارج البيوت واقترحت ان يتقدم البعض نحو النهر لاجراء اشتباك هناك والجزء الاخر يكون خارج الكرامة واذا حدث ووصل العدو للكرامة يشتبك معه الفدائيون بحرب شوارع .

وقد حدث بعدها اجتماع في الكرامة لقادة المنظمات وحدث اختلاف حول مسألة البقاء في الكرامة او الانسحاب منها ، وقد علمت مؤخرا ان المنظمات التي اقرت البقاء هي : فتح وقوات التحرير الشعبية . اما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — قبل انشقاقها — فقد رفضت التخلي عن ستراتيجية حرب العصابات وعليه فقد قررت الانسحاب من الكرامة . وبالنسبة لترتيباتنا بالفرقة فقد اتفقنا على زرع حقول الغام لمساعدة الفدائيين واعلامهم عن مواقعها . الا اننا لم نعط الوقت الكافي لزراعة تلك الحقول .

كان مقر قيادة الفرقة موجودا في منطقة زي بين الاحراش ، ومقر العمليات — غرفة العمليات — في ثلاث مغر عند النبي يوشع . وفي الساعة ٥،٣٥ — حسب توقيت ساعتي — انفجرت اولى قذائف المدفعية ولم ينتظر احد شيئا فقد كانت لدى الجميع اوامر بالرد فورا . وصلت قيادة عمليات الفرقة فوجدت الجميع بما فيهم قائد الفرقة ، واخذت المعلومات تصلنا من جميع الالوية عن الهجوم . وطبعا المدفعية الاردنية اشتركت من اول لحظة وللتاريخ اقول : لقد أصدر قائد الفرقة أمرا بفتح نيران المدفعية دون انتظار اوامر . ان حركة الهجوم والتفافها دعانا للخروج بتحليلات واضحة بأن العدو يقصد مباشرة بلدة الكرامة لتواجد الفدائيين فيها . واستمرت المعلومات تترى من الكرامة عن سير القتال حتى العاشرة والنصف صباحا اما طيران العدو فلم يشترك قبل الثامنة والنصف لوجود الضباب وبعدها تدخل وفي ١٠،٣٠ انقطع الاتصال مع الكرامة . فأبلغنا قائد الفرقة وطرحت عدة احتمالات وعليه انطرح سؤاحل : هل نقصف الكرامة ام لا ؟ وتم القرار على عدم قصف الكرامة لوجود الفدائيين وبقايا السكان .

الاجراءات : اتصل قائد الفرقة مع قائد لواء عالية واصدر امرا بارسال ضابط وجهاز اتصال فورا لايصال معلومات عن الكرامة . واثناء النقاش قلت : ان السرية المحمولة التي وضعناها تضم ١٤ ناقلة وبكل ناقلة جهاز اتصال ولم تصلنا اي معلومات عن هذه السرية فلماذا ؟ ولماذا لا يتصل بنا قائد السرية ؟ وكان الالحاح ينصب على أن تلك السرية يمكن أن تحسم الموضوع على مشارف الكرامة اذ جاءت معلومات عن انزال مظليين من موقع شمال شرق الكرامة وكان واجب المحمولة التصدي لاي انزال يحدث الا انه لم نرد كما قلت أي معلومات اشتباك مع المظليين وكان معقولا جدا ان تؤدي تلك السرية دورا كبيرا في الموضوع فعلى كل ناقلة رشاشة ٥٠٠ ثقيلة وبكل ناقلة ١٢ جنديا . وكان آمر السرية ضابطا مدنيا اسمه خضير. الضابط الذي انزل مع جهاز اتصال اعتقله العدو وقتله وعندما علم قائد الفرقة بالامر اصدر امرا اخر بوجوب ايصال المعلومات من الكرامة وبأي وسيلة من الوسائل .

وجاءتنا بعدها المعلومات : القتال الان داخل الكرامة وبالسلاح الابيض . اما خارجها وعلى مشارفها القريبة فالقتال مستمر . اذ أن العدو

هاجم من عدة محاور واخترق من محور واحد او محورين . وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تعرض مقر قيادة الفرقة للقصف الجوي ذلك أن كتيبة دبابات الفرقة والتي كانت موزعة على حجابات الفرقة قد ابطل مفعولها نهائيا — حسب المعلومات الواردة من الالوية — لانها دمرت ، وعلى هذا الاساس تقرر تحريك كل ما تبقى من دبابات وطلبت كتيبة دبابات متواجدة في طبربور بعمان وقد صدر القرار في ١١،٣٠ من ٣/٢١ .

وتحركت سرايا الدبابات الى مناطقها المحددة — عدا طبربور ! — وسرية لمحور المعارضة — داميا (لواء الهندسة) وفي طريقها مرت قريبا من مقر قيادة الفرقة — النبي يوشع — وعندما صارت بالقرب من قيادة الفرقة هاجمها الطيران فتوزعت فورا حول مقر الفرقة في البساتين فخرجنا لرؤية الغارات على سرية الدروع الا ان قائد الفرقة طلب من الجميع دخول المغر وبقي هو وضابط اخر في النهاية وفجاة انفجر صاروخ بجانبه الا انه لم يصب وعندما خرجنا وجدناه ملقى عدة امتار عن مكانه منقولا بقوة الانفجار فادخلناه على الفور وبدأ تركيز الطيران على المغر فأصاب صاروخ او اثنان مقر لاسلكي الفرقة فعزلنا تماما .

كانت هناك ثلاث مغر . المغارة الشمالية مقر عمليات الفرقة والوسطى مقر قيادة اللاسلكي والجنوبية مقر هندسة الفرقة والذي يفصل بين مغارة ومغارة هو الجدار المحفور وانطرح رأي بالخروج من المغر ورأي اخر بالبقاء فيها لان اي خروج معناه ان يعالج الطيران الامر بالرشاشات وطبعا البقاء يعني امكانية استشهاد الجميع ، الا انه تقرر حسم الموضوع بالبقاء واخفاء اي حركة ريثما ينتهي الطيران وبالفعل توقف الطيران .

وجدنا ان هناك اتصالا بين مدفعية الفرقة والالوية ومقر قيادة الجيش ومنها تولت مدفعية الفرقة كافة الاتصالات وعندما اعيدت الكهرباء في الساعة الثالثة بعد الظهر تولت قيادة الفرقة مباشرة الاتصال وكنت مدفعية الفرقة عن الاتصال الرئيسي . واستمرت المعركة حتى الساعة ٣ او ٣،٣٠ بعد الظهر حيث بدأ الاسرائيليون بمعركة انسحاب .

واود ان اذكر ان وحدات هندسة العدو حاولت اقامة جسر بجانب جسر داميا وكذلك بجانب جسر سويمه — ناعور وفي حينه جرى اتصال بقيادة الجيش وكان من الفرقة يتكلم اللواء مشهور حديثه وعلى الطرف الاخر عامر خماش وسمعت حديثه يقول اخشى ان تدخل قوات اخرى رئيسية للمنطقة عن طريق هذه الجسور واخشى ان تكون العملية عملية احتلال مش عملية محدودة خاصة بالاغوار . فأجاب عامر خماش على الخط : لا هذا مش وارد وعليكم متابعة موضوع الجسور . فسألني اللواء مشهور حديثه عن تحليلي لبناء الجسور فقلت : اما أن تكون هذه المحاولة لتعزيز القوات المعدوة الداخلة بقصد الاحتلال او أن تكون عملية تمويه وحرب نفسية لاشعارنا بحجم مهول للقوات المتقدمة لاحتلال الضفة الشرقية لنترك الدفاع عن المنطقة . قلت بدا الانسحاب ٣،٠٠ او ٣،٣٠ بعد الظهر وتمكنوا حتى الساعة ٥،٣٠ — ٦،٠٠ من الانسحاب غربي النهر وقطع التماس ما عدا بعض الجيوب ، الا ان الطيران هو الذي أمن قطع التماس نهائيا الساعة الثامنة ونصف مساء . لم يستعمل العدو جسور الميدان التي حاول اقامتها لعدم انهائها ، فالمدفعية كانت تكرر قصفها وطيران العدو حاول عدة مرات اسكات المدفعية . وفي الساعة ٨،٣٠ — ٩،٠٠ كان اخر قصف للطيران على منطقة عيره .

وفي الليل جاء الملك حسين وناصر بن جميل وزيد بن شاكر ومعهم عديله البلبيسي وبعد السلام فورا طرح الشريف ناصر السؤال لقائد الفرقة : ماذا عمل الفدائيون .. بالله ؟ واثناء المعركة وبعدها توفرت لدينا معلومات عن الخسائر بالنسبة للعدو والفدائيين والجنود وهي خسائر منظورة ورغم ان صيغة السؤال استخفافية ، فقد اجاب قائد الفرقة : الفدائيون قاموا بواجبهم خير قيام ، وقاتلوا قتال الابطال في الكرامة وخسروا فيها . وفي هذه الاثناء دخل ضابط بدوي من لواء الدروع الذي يقوده زيد بن شاكر فقال سمعت اخر السؤال وكل الجواب واقول : ما قاتلوا وما عملوا اي شيء وانا الان قادم من وادي شعيب فوجدتهم هاربين . الا أن الرد كان من قائد لواء عالية على شكل برقية بأن هناك اعدادا من الفدائيين كبيرة قادمة باتجاه الكرامة عن طريق وادي شعيب. الا انني لاحظت اثناء كلام ذلك الضابط البدوي معالم تشف وارتياح من قبل الملك والشريفين وعديلهما .

اتصل الملك بنفسه بقائد لواء عالية وكرر عليه انني الملك واريد أن تخبرني بخسائر الفدائيين بالضبط ولم أسمع الجواب . وبعدها استراح الملك

قليلا في المقر ثم عاد الى عمان .
لعدم وجود احصائيات لاحظت ان نسبة الفلسطينيين لا تتجاوز ١٥ ــ ٢٠ ٪ فقط الا انه كان واضحا ان الجنود يودون الاشتراك فعليا بالقتال ، جميع الجنود .
وفي الليل اعدنا التجول على قيادات الوحدات ولم نتمكن ليلتها من النزول للبلدة ــ الكرامة ــ وفي النهار الاخر نزلنا وشهدنا الخسائر وطلب الفدائيون مساعدة الهندسة لكشف الالغام المشركة في جثث الشهداء من المقاتلين ولم اتبين شخصيا العدد بالضبط ، الا انني اذكر انه كان كبيرا .
اما خسائر الجيش فقد كانت : ١٢٨ بين جريح وقتيل . ١٢ دبابة دمرت تدميرا كاملا . ٨ دبابات اعطبت . وخسائر كثيرة في الاليات الاخرى .
وفي اليوم التالي طلب قائد الفرقة عقد اجتماع كامل لقادة الوحدات فتم الاجتماع في الكرامة لرفع تقرير مفصل لقيادة الجيش بالموضوع وقبل الاجتماع سألت قائد الفرقة : اريد معرفة الاجراءات بالضبط التي عملها قائد المجموعة ؟ ان هذا الضابط لو تدخل لما تم للعدو الانزال وكان ممكنا القضاء على المظليين فور نزولهم وفعلا القائد اثار هذه المسألة في الاجتماع وكان حاضرا الشريف زيد بن شاكر وطرحت بالصدد الامور التالية : ١ ــ لم يتدخل لصد الهجوم . ٢ ــ لم يتصل بقيادته علما بأن لديه اجهزة اتصال متعددة . وقد لمس الجميع ان الشريف زيد دافع دفاعا مستميتا عن قائد السرية رغم اننا اكتشفنا بأن قائد السرية كان قد سحب قوته وبدون امر من قيادة الفرقة الى وادي الحصينيات الذي يبعد عن الكرامة جنوبا ٥ كلم وبقي هناك حتى نهاية المعركة ، ولم يتخذ اي اجراء بحق ذلك الضابط وعندما رفع التقرير وضع فيه فقرة عن الفدائيين هي « اما الفدائيون فقد قاموا بواجبهم خير قيام وقاتلوا في بلدة الكرامة حتى مرحلة القتال بالسلاح الابيض وتقديراتنا لشهداء الفدائيين ١٥٠ فدائيا شهيدا وبعد اطلاعنا على ان هؤلاء الناس جميع اصاباتهم في صدورهم من الامام ، وللتاريخ اقول ، قاتلوا قتال الابطال» .
واعترض على هذه الفقرة الشريف زيد . الا ان قائد الفرقة قال : « انني اكتب للتاريخ ، لا للسياسة وليس من حقي ولا من حق اي انسان ان ينتقص من حق هؤلاء الشهداء . »

صدر عن مركز الابحاث

كتاب

مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية

بقلم

ابراهيم العابد

يحلل هذا الكتاب مبادىء الاستراتيجية الاسرائيلية كما يعرضها كبار القادة الاسرائيليين وخاصة بيجال آلون . كما يحلل بشيء من التفصيل استراتيجية اسرائيل في مواجهة الثورة الفلسطينية .

١١٥ صفحة ٢ ل. ل.

موشيه منوحن يروي بعض ذكرياته

فيما يلي ترجمة شبه حرفية لجزء كبير من حديث ادلى به موشيه منوحن ، الكاتب اليهودي المعادي للصهيونية ، عن قصة حياته ، وقد ضمنه ذكرياته عن هجرته الى فلسطين في ١٩٠٤ بعد المذابح التي حصلت في روسية القيصرية والتي حملت يهودا كثيرين على الهجرة الى فلسطين . وقد خص الكاتب شؤون فلسطينية بالترجمة العربية لهذا الحديث الذي ستتولى اذاعات الدول العربية بثه باللغة الانكليزية في برامج موجهة للارض المحتلة .

أصطحبتني أمي في رحلة الذهاب الى فلسطين لتودعني في رعاية جدي ، وقد كنت ثالث طفل في العائلة يبعث به الى فلسطين القديمة ، الى القدس الشريف ، لينشأ هناك ويترعرع . كان ذلك في العام ١٩٠٤ ، في اواخر فترة المذابح ضد اليهود . (ما أغرب توارد سيل الافكار) ، اذ ما زلت اذكر اسم الباخرة الروسية — الكورنيلوس — التي كانت تبحر ما بين مينائي أوديسا ويافا عبر المياه التركية الى ان رست اخيرا في يافا ، ومن هناك الى بيت جدي في القدس ، وهو يهودي ملتزم بأصول الديانة وافر العطف والورع والامانة وشديد الحب للناس. وكان يؤمن بتعاليم الديانة اليهودية التقليدية ، كما كان يغمر قلبه ويعمر روحه ايمان فياض بأن يسود السلام وتعم المحبة جميع البشر ، فيحب المرء اخوته في الانسانية ، الواحد منهم قدر الاخر . وكم كانت ديانته اليهودية التقليدية تختلف عما يدعى ديانة يهودية تقليدية وعن من ينتسبون اليها ، على النحو الذي يعظون به هذه الديانة ويمارسونها ، هذه الايام ، في اسرائيل الصهيونية وفي اميركا على حد سواء . فقد كان يؤمن حقا بالتعاليم الاخلاقية الغابرة « أحب اخاك الانسان كما تحب نفسك » ، « لا تقتل! »، « لا تسرق ! »، « لا تشتهي ما لغيرك » ، « لا تفعل بغيرك ما لا تحب ان يفعلوا بك » . وكذلك كان جدي ، وهو يتراءى الان امام ناظري ، يطيل الوقوف عند فكرة التوبة فيتلو على مسامعي تعاليم الديانة اليهودية ومثلها كما عرفها : المكانة التي تحتلها التوبة لا يبلغها حتى أتقى البشر واعدلهم . واني ما زلت أذكر بغبطة — وكنت يومها طفلا ، اذ كان عمري احدى عشرة سنة يوم ان التحقت برعاية جدي — ما زلت اذكر الايام السابقة لـ « يوم كيبور » اي « يوم الكفارة » ، حيث كان يتفقد اصدقاءه الواحد بعد الاخر ، ويمر على جيرانه الواحد تلو الاخر ، هؤلاء الاصدقاء والجيران الذين يظن انه ربما اساء اليهم ، بصورة او بأخرى ، خلال السنة ، فيطلب منهم الصفح عنه للخطايا التي ارتكبها بحقهم لعل الله تعالى يغفرها له. واذكر حتى ان جدي العجوز العزيز سألني الصفح اذ قال « ان اسأت لك في معاملتي سهوا عني فأرجو ان تسامحني » . فقد كنت وجدي صديقين حميمين . وقد أثر بي هذا الانسان المسن التقي اعمق تأثير ، وكان له حتى اليوم اعظم تأثير في حياتي رغم انني لست يهوديا تقليديا — فأنا بعيد عن ذلك غاية البعد — اذ أؤمن فقط بيهودية الانبياء أي التعاليم التي بشر بها انبياء اليهودية فقط وليس مواعظ وارشادات الحواريين والاتباع . وبقدر ما يخصني الامر ، بوسعك ان تحرق ما اضافه الحواريون والاتباع والحكماء الى الديانة وهو يدعى في العبرية «شلحان أروح » اذ لم يبق فيه الا القليل من التعاليم الاخلاقية الحقة لينتقد بها المرء . فقد طرأت على اليهودية تطورات وتحورات انبل ، وحلت محل هذه الاضافات كمعيار لسلوك اليهودي .

كصبي في ذلك الحين ، بحثت عن اقراني الصبيان، وكنت اشعر بالضيق احيانا لانني كنت ارتدي القفطان ، وهو رداء طويل ، وكان صبيان المستعمرة ، الذين كانوا اكثر « تحضرا » مني

يزدرونني ويهزأون من ابن القدس هذا الذي يرتدي القفطان . ولكنهم لم يكرهوني ولم يؤذوني ، ولذلك كنت انضم اليهم ، صبي يرافق أقرانه الصبيان ، فكنا نسرح سيرا على الاقدام لزيارة بعض المعابد ، وبعض الاماكن المقدسة ، مقدسة لدى اليهود ، مقدسة لدى المسلمين ، مقدسة لدى المسيحيين . وافكر انه كان هنالك حي للعرب المسيحيين في القدس حيث لم يكن التجوال فيه مأمونا لليهودي، وكنت ابتعد عنه دائما . وكنت في القدس احيانا أذهب لشراء الحاجيات من سوق الجزارين الحلال في الشريعة اليهودية (كشير) ، وما زلت اذكر أنه الى اليمين كان يوجد سوق الجزارين هذا ، اما الى اليسار فكان يوجد حي النصارى ، ومرة ، مرة واحدة فقط اخطأت خطأ جسيما ، اذ وجدت نفسي قد عبرت قليلا الى داخل حي النصارى ، وربما كانت اوجاع القلب التي اعاني منها اليوم ترجع في الاصل الى تلك الواقعة ، وانا أسعى مذعورا للخروج من حي النصارى ، ولكن العرب كانوا ودودين ، مهذبين ، لطفاء وانسانيين .

وخلال الصيف ، كنت اذهب الى « رحوبوت » حيث يوجد الان المعهد الشهير — معهد وايزمن — لاكل العنب ، اذ كان جدي وجدتي يرسلونني الى بيت ابنهم ، عمي هناك ، وكنت آكل من العنب حتى يصيبني الاعياء من كثرة الاكل ، ومن يدري فربما كان مفيدا لي ، وكذلك كنت آكل البطيخ ، فأكتفي بأكل قلبه وأرمي ما عداه . وفي بداية اقامتي في « رحوبوت » ، كان ينقلني احد العرب الى الرملة، الرملة العربية التي لم يعش فيها اي يهودي ، وكان ينقلني الى هناك بالعربة الحنطور واحد من العرب الكثيرين الذين كانوا يعملون في خدمة عمي، وكنت في الرملة انتظر القطار ، خارج المحطة أو داخلها ، وهو قطار كان يصل حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر من يافا فيتوقف في الرملة ليحمل الركاب الى القدس حيث أعود الى بيت جدي . فما من مرة تحرش بي احد او ضايقني ، ولم أر ما يشعرني بالخوف ، ولم اشعر بأنني غريب . وبالمناسبة ، كنت اتكلم اللغة العربية بطلاقة ولذلك كان حريا بي ان اتعلم قراءة اللغة العربية وكتابتها في الجمنازيوم — ولكن هذه قصة اخرى ...

ان المتعة الحقيقية ، المتعة الكاملة ، المتعة المطلقة التي شعرت بها في ايام طفولتي في القدس كانت في ايام عيد الفصح السبعة ، ويدعى بالعبرانية « بيسح » ، ليس في اليوم الاول من ايام عيدالفصح لان ذلك هو يوم مقدس وحرام على اليهودي ان يركب حمارا في ذلك اليوم . ولكن خلال الايام الثلاثة او الاربعة التالية كنا نستأجر من العرب بعض الحمير ونركبها الى الجبال خارج القدس الى مستعمرة موتسا .

ليتني اتذكر اسم ذلك اليهودي الذي كنا نتناول عنده وجبة الافطار المبكر ، فكان يطعمنا فواكه وشوكولاته ، اذ كان له دكان على الطريق ، وظلت علاقاته بالعرب على احسن ما يرام طوال حياته الى ان حدثت اصطدامات ١٩٤٧ و ١٩٤٨ و ١٩٤٩ « انني اكاد اتذكر اسمه مستر روزمان او روزين او ما الى ذلك) ، عندما اغتيل . وكان دكانه غير بعيد عن القدس .

وحتى في الايام الاولى ، أخذت تظهر بوادر نزعة حربية وشهوة الى القتال بين اليهود ، فكانت الخطوات الاولية : « لا تعاملوا طبيب أسنان عربي » ، « لا تشتروا من تاجر عربي » ، « لا تشتروا من بقال عربي او من بائع فواكه متجول عربي » ، رغم انه لم يكن هناك عدد كاف من بائعي الفواكه المتجولين اليهود ليسدوا حاجتهم ، فكانوا يضطرون للشراء من البائعين العرب ، ولكن كان هنالك برنامج مستمر من الوعظ الفردي .

في حوزتي الان وثيقة مدهشة قدمتها الى منظمة الامم المتحدة حركة القوة الثالثة في اسرائيل ، وهي منظمة اعضاؤها من اليهود والعرب ، وكانت قد قدمتها الى اللجنة السياسية الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة في شهر نوفمبر ١٩٦١ . وتروي هذه الوثيقة الرائعة قصة ابعاد العرب ، وهذا تعبير ملطف ، والاصح هو طرد العرب بقسوة من بيوتهم وديارهم .

وسوف أطو على مسامعكم هنا ثلاث فقرات تبين لكم ما حدث بعد موت هرتسل حيث كان قد بدىء شيء من العمل البناء ، ثم ما لبث ان هجر حين أخذت القومية السياسية تتأجج الى ان أدت الى صدور وعد بلفور :

١ — **غزو الارض** : كانت المؤسسات الصهيونية تشتري قطعا من الارض من كبار الملاكين الذين كان معظمهم يعيش خارج فلسطين والذين حصلوا على ملكية الاراضي هذه في ظل الحكم التركي من موظفي الدولة المرتشين ، أما المزارعون المقيمون على

الارض والدين توارثوا فلاحتها ، منذ اجيال ، أبا عن جد ، فكانوا يجبرون على مغادرتها . وكثيرا ما كان يرفض الفلاحون العرب التنازل عن أرضهم وبيوتهم ، فكانوا يعتصمون مع نسائهم وأطفالهم في الارض ويقعدون فيها للحيلولة دون استيلاء « الملاكين » الجدد عليها ، وعندئذ كان الاعضاء الشبان في الكيبوتز الاشتراكي الذي يعتزم انشاؤه في الارض التي جرى استملاكها يسارعون لطرد الخارجين على القانون المعتصمين في الارض وذلك بمعونة رجال الشرطة الانكليز واليهود . واحيانا كانت تسيل دماء الفلاحين قبل ان تتم اعادة استتباب الامن .

٢ ــ **غزو العمل** : بعد ان يتأمن استملاك الارض، كان العقد الذي يوقع ، بين الملاكين الجدد للارض وهم المؤسسات الصهيونية وبين المزارعين الجدد الذين سيقومون بفلاحة الارض وهم اعضاء الكيبوتز ، يتضمن مادة تمنع تشغيل العرب في تلك الارض سواء بالاستئجار او بالعمل اليومي المأجور . وكان الشعار المعمول به هو : « في الارض اليهودية وفي المشروعات اليهودية لا يستخدم الا اليهود » . واذا حدث ان استخدم احد ملاكي بيارات البرتقال اليهود بعض العمال العرب لانهم ارخص اجرا ، كان قادة الهستدروت ، وهو اتحاد العمال اليهود ، والكتاب والمعلمون يحتشدون عند مدخل مثل هذه البيارة اليهودية التي يستخدم فيها العرب ويكيلون الشتائم على « خونة الصهيونية والامة اليهودية » الى أن يتم استبدال العمال العرب بعمال يهود .

٣ ــ **غزو الانتاج والتجارة** : تمثلت البوادر الاولى لهذا الغزو في الشعار « على اليهود ان يشتروا المنتوجات اليهودية فقط » . وعندما كان احد بائعي الخضر العرب يأتي الى تل ابيب ليبيع بضاعته كان يتحلق حوله المتعصبون من الصهاينة فيقلبون عربته على الارض ويدوسون على بضاعته من الخضر وسط اعجاب الجمهور الغوغائي بالعمل «القومي». وكان رجال الشرطة اليهود سرعان ما ينسحبون من مكان الحادث ويتوارون عن الانظار حتى يزعموا ، ان سئلوا فيما بعد ، انهم لم يروا شيئا .

في تلك الحقبة من الزمن كان العالم الاوروبي المجنون يستعد للحرب العالمية الاولى بأكثر الطرق دناءة واحطها انسانية ، اذ كان الشباب جاهزا لتقبل الاتجاهات القومية ولم يكن يدري بما هو افضل منها . اذ كانت القومية السياسية يومها هي ديانة العالم ، والصهيونيون بدورهم تشربوا افكار القومية السياسية تشربا كليا صميما حتى غدت هي ديانتهم ــ وليس ما كان يلقنه جدي في القدس ــ الالتزام بالمثل الاخلاقية ، والنظرة الانسانية الشمولية ، والتهذيب ، وحب الاخرين ، والتوبة . وكانت فكرة التوبة هي اعظم الافكار ، وبطبيعة الحال ، كنا نحن الصغار نقتفي خطى الكبار . ولكن من حين الى اخر ، وبينما كان جدي الذي نشأت في بيته يحتضر ببطء ، كنت أتسلل خفية الى « بيت هاعام » الكبير اي بيت الشعب حيث كان يلتئم شمل اليهود الصهيونيين اللادينيين ليستمعوا الى المحاضرات وهناك كان بن غوريون يستنهض همم ومشاعر الناس حول «عمينو» ، و «أرتسينو» و «مولادتينو» اي « امتنا » ، و « أرضنا » ، و « وطننا مسقط رأسنا » . وبطبيعة الحال ، كانت بلاغة الخطباء تستهوي الناس ، غير ان اليهود الاصليين الحقيقيين الساذجين البريئين لم يحفلوا بالدكتور هرتسل وحركته ، ولكن بعد موته اسس زملاؤه الجمنازيوم العبري في تل ابيب الذي كنت من اوائل طلابه وكانوا يدعونه « جمنازيا هرزلن » وكنت من أول دفعة تخرجت منه في عام ١٩١٣ ، وكنت قد التحقت به في عام ١٩٠٨ ، بعد اربع سنوات او خمس في القدس القديمة حيث درست التلمود ومبادىء الديانة اليهودية الاصيلة .

ومنذ اليوم الاول الذي رايت فيه حياة اليهود الطفيلية التشرذمية في فلسطين التي تدعى اسرائيل الان ، والتي كانت اشبه ما تكون بحياة المرتزقة اعتزمت السفر الى اميركا حيث اردت ان اذهب لاعتمد على نفسي في معيشتي واصبح انسانا مستقلا ، ولكنني كنت يومها اقل من ستة عشر عاما من العمر فلم يسمح لي بالسفر الى اميركا بمفردي . وفي واقع الامر ، ركبت الباخرة من يافا الى باريس معتزما اكمال الرحلة الى اميركا ولكنهم لم يسمحوا لي ، وكان على السلطات في يافا ان تمنع سفري الى باريس ، ولكنني افترض انهم سمحوا لي لان الرجل الذي اشتريت تذكرة السفر منه تقاضى عمولة مني وجعل المختصين يغضون النظر عن كوني اقل من ستة عشر عاما من العمر، وعندما رجعت الى يافا ، وكنت يومها على مشارف السادسة عشرة من العمر ، كانت الكوليرا تحصد الناس حصدا في يافا ، اذ كانت تتسبب يوميا في

وفاة ٤٠ الى ٥٠ شخصا ، ولم يسمح لي بالسفر الى القدس لانه كان هنالك حجر صحي على الطريق ، ولذلك اكرهت على البقاء في يافا . ولكن، من جهة اخرى ، كانت الفترة التي قضيتها من عمري في الجمنازيوم زاخرة بالسعادة ، حيث كنا فيها فتيانا وفتيات ، وكانت هناك المشاوير ودروس الغناء ، وكان صوتي جميلا ، وكان يسمح لي ، وبالاصح ، يطلب مني ان اغني في الجوقة هناك ، رغم انني لم اكن اعرف قراءة النوتة الموسيقية ، وحتى اليوم لا اعرف قراءة النوتة الموسيقية ، ولكنني اصبحت اعرف وافهم الموسيقى من مرافقة ابني في جولاته الحافلة بالموسيقى .

وقد التقيت في يافا برجل يدعى الدكتور شينكين الذي تربطني به ، بصورة او بأخرى ، علاقة عائلية ، وقد تودد لي واخذني في احد الايام الى الجمنازيوم، وقد اكتشفت يومها ، لاول مرة في حياتي ، بأن الصبيان والبنات يتعلمون سويا في مدرسة واحدة. وبين الحصة والاخرى كانت هناك فترة استراحة يستغلها الصبيان والبنات في الركض والقفز والغناء ومغازلة بعضهم بعضا والاستمتاع بالحياة .

ومن جهة اخرى كان لهذا الرجل ، الدكتور شينكين — الذي سأتحدث المزيد عنه فيما بعد ، ولكن هنالك أشياء اخرى كثيرة أهم لاتحدث عنها ، ولذلك لن أورد الا القليل عنه الان — كان له أكبر الفضل في تغيير مجرى حياتي ، اذ اقنعني بالانقطاع عن مدرسة الديانة اليهودية التقليدية (الارثوذكسية) ، وقد اصبح بوسعي ان التحق بالجمنازيوم لان جدي كان قد توفي في هذه الاثناء . وقد قلت للدكتور شينكين ، انني اعرف التلمود ، واعرف العبرية والانبياء ، وكتب التوراة الخمسة ولكنني لا اعرف شيئا من الجغرافيا او اللغة الفرنسية ، كما لا أعرف الحساب وما الى ذلك . لم أعرف ما يؤهلني للالتحاق بالصف الاعلى في الجمنازيوم ، واظن انه كان الصف الرابع ، اذ في كل سنة كانوا يضيفون صفا جديدا الى الجمنازيوم. وقد اقنعوني بالالتحاق بصف اعدادي يؤهلني للالتحاق بالصف الاعلى في الجمنازيوم ، وهو الصف الرابع الذي التحقت به فيما بعد ، حيث درست في الصف الرابع فالخامس فالسادس فالسابع فالثامن ومن ثم تخرجت مع اول دفعة من المتخرجين من الجمنازيوم . هنالك شيء واحد يلخص كل ما كنا نتعلمه في الجمنازيوم ، لقد كان هناك مدرسون جيدون ، ولم تكن هناك كتب دراسية بالعبرية ، ولكننا كنا ندرس التاريخ بالمحاضرات ، وكانوا يدرسوننا عن الانبياء اليهود. وكان احد معلمينا في الجمنازيوم رائعا ، ووسيما جدا ، وقويا جدا ، وكان يشبه كثيرا الدكتور هرتسل وكانا صديقين وزميلين في الدراسة الجامعية . وكان هنالك مدير الجمنازيوم الدكتور هاتمان ، واني أعجب من نفسي لانني ما زلت اذكر أسماءهم . كان هناك حوالي اثني عشر او اكثر من المدرسين الرائعين جدا . اما المدرس الوحيد الذي لم يكن ذا اهمية فكان عربيا لتدريس اللغة العربية بصورة شكلية لذر الرماد في العيون بأننا كنا ، كذلك ، ندرس العربية . وقد استغللت ، بدوري ، عدم اهميته ، ويؤسفني ان اقول بأنني لم ادرس اللغة العربية . ويرجع سبب ذلك الى انني لم أكن اعرف ما يكفي من اللغة الفرنسية ، بينما كان زملائي في الصف يعرفون منها اكثر مما أعرف ، فرغبت في الاستزادة من اللغة الفرنسية، ولذلك افردت معظم اوقات فراغي لدراسة اللغة الفرنسية لالحق بمستوى زملائي وزميلاتي وما كانوا يتحدثون عنه من قراءاتهم الفرنسية، واذكر انه كان هنالك كتيب عنوانه «تريز» او ما الى ذلك . وكان كتيبا فظيعا يصيب النفس بالغثيان ، الا انه كان مدهشا في الوقت ذاته ، وكان علي ان اقراه باللغة الفرنسية ، ولم اعرف ما يكفي من اللغة الفرنسية يومئذ ، ولذلك انكببت على دراستها .

ان ما ادهشني خلال تلك الفترة هو ما كان يسرب الى اذهاننا من خلال التعليم ، اذ كان هناك بيت شعر معين يحشر مع الدروس ويلقن لنا بمناسبة وبدون مناسبة ، فسواء كنا ندرس عن الانبياء ، او الادب العبري ، او تاريخ الصهيونية ، او اوضاع اليهود في فلسطين كانوا يلقنوننا « عمينو » اي « امتنا » ، ولكنهم كانوا يترجمونها بكلمة « شعبنا » . وانني الاحظ انهم يفعلون ذلك في الصحف ، فحيثما ترد في الصحف الكلمة العبرية « عمينو » يترجمونها « شعبنا » ليخبئوا ما يضمرون ، وفي واقع الامر ، ليس عندنا في العبرية كلمة مطابقة لكلمة « شعبنا » ، ولكنهم هكذا يترجمونها حيثما وردت ، مع انهم ينبغي ان يترجموها « أمتنا » ، ثم هنالك كلمة « ارتسينو » اي « أرضنا » وديارنا ، فكانوا يعلموننا « عمينو، ارتسينو » ، ثم جاءت كلمة كانت في منتهى الغباء، ولكننا اضطررنا الى بلعها ، وهي كلمة «مولادتينو»

ومعناها « وطننا » أو مسقط رأسنا اي حيث ولدنا . ولا اظن انه كان من بين طلاب الجمنازيوم، او على اقل تقدير بين زملائي التسعة في الصف وكانوا صبيانا وبنات لطيفين ، لا اذكر ان أيا منهم كان قد ولد في فلسطين العربية . اذ كنا ، جميعنا، مهاجرين من روسيا ، وقد هاجرنا الى فلسطين اما هربا من المذابح التي تعرض لها اليهود هناك ، او لتلقي تعاليم الديانة اليهودية او التعليم الصهيوني . وكانوا يرددون على اسماعنا كل يوم، وكلما واتت الفرصة ، وحيثما يفلح المدرس في تسريبها « عمينو ، ارتسينو ، مولادتينو » ، حتى في دروس العلوم كانوا يسربونها ، خلال الدرس، الى مسامعنا . وكانوا يلقنوننا « عمينو ، آرتسينو، مولادتينو » في كل حين واي مكان سواء خلال النزهات او في الصفوف او اثناء لقاءاتنا المدرسية نهار السبت حيث كنا ندعى لمناقشة القضايا السياسية . وكانوا يتوخون من هذا الوعظ المتكرر تسميم افكارنا لننقلب الى يهود قوميين . وتذكروا بأن هذا الوعظ والتلقين كان قد بدأ بالنسبة لزملائي في الصف في عام ١٩٠٤ ، وبالنسبة لي ابتداء من العام ١٩٠٨ الى ١٩١٣ حتى اصبح الجمنازيوم بؤرة للافكار القومية السياسية المتطرفة المجنونة . وفي الجمنازيوم لم نكن نمارس العبادات والفروض والشعائر الدينية بأية صورة من الصور ، اذ كانوا لا أدريين او ملحدين اذا شئت ان تدعوهم كذلك ، ولم اشاهد في الجمنازيوم أي حاخام طوال السنوات الخمس التي قضيتها فيه . ولم نمارس أية صلوات طوال هذه السنوات الخمس .فصباح أيام السبت كنا نذهب الى الجمنازيوم اما للاستماع الى محاضرات عن الصهيونية او للغناء ، وبما ان صوتي كان جميلا انضممت الى الجوقة رغم أنني لم أكن أعرف قراءة النوتة الموسيقية .

وقد علمونا في الجمنازيوم بأن نكره العرب ، وان نحتقرهم وفوق هذا كله ان نطردهم من «مولادتينو» وطننا ومسقط رأسنا ، ومن « ارتسينو » ارضنا وديارنا، اذ كانت بلادنا لا بلادهم، وانه كان بوسعنا الاطلاع على التوراة في هذا الصدد . لقد كان في فلسطين العربية في ذلك الوقت ٣٥٠٠٠ يهودي فقط بينما كان هنالك حوالي ٦٠٠،٠٠٠ من العرب المعافين ، الاسوياء ، العقلاء ، المجدين، البريئين، القليلي المعرفة ، ومع ذلك ، كانوا يعلموننا في الجمنازيوم « عمينو » ، « ارتسينو » ، و « مولادتينو » أي ، « أمتنا » ، و « أرضنا » ، و « وطننا » ، وظلوا طوال خمس سنوات يشحنونني بأفكار القومية اليهودية والصهيونية دون جدوى حمدا لله ! حمدا لله ! لانني حافظت على نفسي انسانا متحضرا ينتمي الى العالم وليس الى فئة من فئات القومية السياسية . .

طوال الفترة التي عشتها في فلسطين ، في القدس في بادىء الامر ، ثم في يافا وتل ابيب كانت جميعها عربية . لقد كان هنالك عدد قليل من المستعمرات اليهودية ، وعدد اقل منها من المستعمرات التعاونية التي سأذكر دائما باعجاب خاص ، لانني قضيت اسابيع كثيرة في بعض الكيبوتزات في الجليل خلال ايام دراستي في الجمنازيوم . وترد الى خاطري الان ذكرى انني عندما التحقت بالجمنازيوم استأجرنا بيتا من عربي يقع على الطريق بين يافا وكثبان الرمال التي انشئت عليها ، فيما بعد ، مدينة تل ابيب . لقد كان هنالك القليل من اليهود في تل ابيب لا يتجاوز عددهم بضعة الاف ، قليل من التجار والخياطين وصانعي الاحذية واليهود المتدينين الذين كانوا يمضون اوقاتهم في الكنيس يصلون ثلاث مرات في اليوم ، ويعيشون من الاعانات والصدقات التي كانوا يتلقونها من التبرعات التي كانت تجمعها من الخارج بعض الجمعيات ومبعوثو هيئات يهود فلسطين ، او الاعانات التي كان الابناء في الخارج يرسلونها لآبائهم المسنين الذين رغبوا في قضاء اواخر ايام حياتهم في « الارض المقدسة » كما كانوا يدعونها .

انني احاول جاهدا ، وبأمانة ، ان اتذكر اي عامل أو شغيل يهودي واحد ، بناء مثلا ، وهو الرجل الذي يصف قطعة طوب فوق اخرى ، ولكن يومئذ لم يكن هناك طوب بل حجارة كانوا يقطعونها من الصخر ثم ينحتونها ثم تبنى الواحدة فوق الاخرى. لم أقابل أبدا بناء من اليهود في فلسطين ، كما لم اشاهد قط عاملا يهوديا يعمل في كروم العنب التي يملكها عمي او سواه ، كما لم تر عيناي يهوديا يفلح الارض — كانوا جميعا من اولئك العرب . فعمي كان يرتدي بذلة ورباط عنق وحذاء جيد التلميع كان يلمعه له احد عماله العرب في الصباح قبل ان يستيقظ من نومه بفترة طويلة . وكان هذا هو طابع الحياة التي كان يعيشها اليهود قبل ان يغد الى فلسطين بن غوريون وصحبه من العمال الفتيان ، وكانوا قليلي العدد نسبيا ،

ولم يكن في فلسطين يهود ذوو شأن سوى ذلك العدد القليل من العمال الفقيان ، وكان يتراوح عددهم في جميع المزارع الجماعية في الجليل بين الفين الى ثلاثة الاف ، اما في الجنوب من الجليل فكانوا قليلين جدا الى درجة لا تستحق الذكر . وكان بوسع العرب ان يبيدونا في مثل لمح البصر لو انهم كانوا يبيتون اية خطة او نية لمثل ذلك . لم تكن هنالك اية جماعة بين العرب — السكان غير اليهود — تخطط او تنظم لمثل هذا الامر ، بل كانت هناك مجرد اعمال فردية .

اقتصرت جماعات اليهود الذين كانوا يفدون الى فلسطين على المتعصبين من الصهيونيين ، والمتعصبين دينيا ، اما جماهير اليهود — جماهير الشعب اليهودي — فلم ترغب في الذهاب الى فلسطين ، بل كانوا يتجهون الى الولايات المتحدة وكندا وافريقيا الجنوبية وامريكا الجنوبية ، وحتى بعد سنوات من اعلان وعد بلفور ، في السنة ١٩٢٩ او ربما ١٩٢٧ او ١٩٢٨ اضطر حاييم وايزمن الى الذهاب الى رومانيا ليحفز اليهود فيها الى الهجرة الى فلسطين ، قائلا لهم : « انظروا ، لقد انتزعنا وعد بلفور من البريطانيين دون الاستناد الى اي أساس واقعي ، والان يظل البريطانيون يسألوننا: اين هم يهودكم ؟ فاذا كان سيتأتى لنا ان نملك أرض اسرائيل « اريتز ازرائيل » ، واذا كنتم تؤمنون بذلك (لم يكونوا يؤمنون بذلك !!) فتعالوا الى فلسطين » . فيومئذ كان تسعة الاف يهودي يهاجرون من فلسطين مقابل كل ستة او سبعة الاف يهودي يفدون اليها . ولم يبدأ العامل اليهودي في الظهور في فلسطين العربية بصورة ملموسة الا ابتداء من العام ١٩٣٣ ، وفي حين كان العرب يتكاثرون بصورة طبيعية ، لم يكن اليهود يتكاثرون، بل يزيدون وفقا لوتيرة الهجرة الى فلسطين بكل ما تمثله من زيادة اصطناعية . وكان اليهود يهاجرون الى امريكا الجنوبية ، البرازيل والارجنتين ، والى استراليا ونيوزيلندا واميركا وكندا ، وكانوا عازفين عن الذهاب الى فلسطين لانهم كانوا يظنون بأن حالهم ، عندئذ ، سيغدو كحال من يستجير من الرمضاء بالنار . وظل الحال كذلك الى ان أخذ اليهود الالمان يفرون من المانيا ، والعمال اليهود الذين كانوا يعملون في المانيا اخذوا يعملون في فلسطين ، وكانت قلوب هؤلاء مقرحة ومملوءة بالحقد اكثر مائة مرة من الحقد الذي كان لدى يهود « الغيتو » تجاه مضطهديهم في بلدان اوروبا الشرقية ، رومانيا وروسيا وغيرها . وعندئذ بدأ الصراع الحقيقي بين اليهود في فلسطين وعرب فلسطين .

لقد كان اليهودي المنتج الوحيد الذي قابلته خلال الفترة التي قضيتها هناك ابتداء من الفترة التي قضيتها في القدس حيث كنت اتعلم في « اليشيفاه » اي المدرسة الدينية ، صبيا صهيونيا أظن ان اسمه كان « يوشكا » ، وكان ابوه يهودبا ميسور الحال وفد الى فلسطين من اميركا الجنوبية او من جهة اخرى في العالم واشترى قطعة من الارض اكبر من قدرته ، فلم يكن لديه ما يكفي من المال ليغرس كل ما ود ان يغرسه من اشجار البرتقال ، ولم يكن ما معه من نقود يكفي لكي يعيش على مدخراته طوال السنوات الاربع او الخمس التي تحتاجها اشجار البرتقال حتى تثمر ويعيش مما يبيعه منها. وكان يوشكا — ولا ادري ان كان هذا هو اسمه الاول او اسم عائلته — فتى وسيما ، وكان يماثل العرب في مهارته في ركوب الخيل . وفي احدى مهرجانات سباق الخيول السنوية حيث كان غالبية المتسابقين من العرب ولم يشترك فيها الا بضعة يهود وربما كان يوشكا هو اليهودي الوحيد ، وكنا نعبده ، وقد ربح مرة جائزة السباق اذ سبق جميع المتبارين . هذا كان حال يوشكا في الرياضة، اما في الزراعة فلا ادري ان كانت مساعدته لوالده في غرس الاشجار تعزى الى ما عرف عن والده من جد واجتهاد في العمل ، فقد يكون هذا هو سر نشاط يوشكا واجتهاده ، وكذلك قد يكون هنالك غير يوشكا حالات فردية شاذة اخرى ، الا انني لم أر مطلقا اي شخص يهودي رجلا كان ام صبيا يغرس اشجارا ، او يسقي اشجارا ، وعلى اية حال لم يكن هناك كثير من البساتين التي اشرف اليهود على غرسها ، فمعظم البساتين كان يملكها العرب . ان البرتقال المعروف باسم « البرتقال اليافاوي » هو برتقال عربي ، وهو الى اليوم ما زال من احب اصناف البرتقال في اسواق لندن وكذلك في اسواق نيويورك ، حتى في منطقة سانتا كلارا يوجد للبرتقال اليافاوي اسم كبير ، فقد اشتروا اغراس هذا البرتقال من يافا العربية وغرسوها هنا .

ان أفضل انواع اليهود « العاملين » الذين قابلتهم ، وهم النوع الوحيد العامل المعافى

ويتمتعون بشباب فياض كانوا الشومريم ، وقد قابلتهم اول الامر في القدس ومن ثم في يافا ، ونادرا ما كنت اصادفهم انما كنت احتفظ لهم دائما باعجاب ومحبة . والشومريم تعني الحراس ، وكانوا يرتدون عادة اللباس العربي ويعتمرون بالكوفية والعقال ويتسلحون بمسدس يخفونه تحت ردائهم ويركبون الجياد . ووظيفة الشومريم هي حراسة المستعمرات اليهودية من البدو الذين كانوا يغزونها ويستولون على المحاصيل والمواشي ، وقد شهدت، وانا صبي صغير ، اكثر من واحد من الاشتباكات بين البدو والشومريم اثناء زيارتي لعمي ، حيث تقرع الاجراس في برج روحوبوت ، فيهرع المزارعون راكضين او راكبين الخيل والحمير الى موقع الاشتباك بين البدو الغزاة الذين كان يشح عليهم الماء والطعام في اواسط الصيف فكانوا يهاجمون المستعمرات اليهودية على الاطراف لعلهم يفوزون ببعض ضالتهم من الماء والزاد . وما زلت اذكر جيدا احدى هذه الاشتباكات التي كانت تحدث من حين الى اخر ، حيث يعود بعض الرجال الى المستعمرة من موقع الاشتباك والدماء تسيل من جباههم وانوفهم ووجوههم ، اذ لم يكونوا مجهزين باية تجهيزات للاسعافات الاولية ، وكانوا يأتون الى المستعمرة لعلهم يجدون طبيبا يداويهم . وكان هؤلاء الشومريم يتجولون ، ليلا ، على ظهور الخيل فرادى او ازواجا او ثلاثات ويطوفون في ارجاء المستعمرات وكانوا فتيانا شجعانا تشع الشجاعة من ملامحهم . وكانوا ماهرين في الرماية ويتكلمون العربية بطلاقة كما كانوا فتيانا مشبوبي العواطف يناسوننا في مغازلة الفتيات ، لانه ما ان تقع انظار الفتيات على احد الشومريم مارا في المستعمرة حتى نصبح نحن صفرا . وكان الشومريم هؤلاء يمثلون صورة اليهودي الرومنطيقي وباكورة القوميين الذين اخذوا يتوافدون على فلسطين . وبعد ذلك اخذ هؤلاء القوميون ينظمون انفسهم في مزارع جماعية، اذ لم تكن كلمة كيبوتزات قد استحدثت بعد، وكان بن غوريون احد الذين ساهموا في عملية التنظيم هذه .

لم يكن هناك شعور معاد لليهود لدى العرب سواء كان من البدو او القرويين أو التجار، وما تطرقت اليه في حديثي انما هو مظهر من مظاهر التخلف في الشرق الاوسط . لم تثر الريب لدى العرب بأن اليهود كانوا قوميين صهيونيين الا بعد اعلان وعد بلفور . وكان الشومريم يتجولون بين المستعمرات فرادى لا كمجموعات ، رغم انهم كانوا منظمين سريا ، وكانوا يحصلون اتاوات لقاء المهمة التي يؤدونها ، فهم من هذه الناحية شأنهم شأن غيرهم من اليهود في فلسطين كانوا يمدون ايديهم طلبا للاعانات والصدقات ، وهذا من الامراض المتفشية في الشرق الاوسط ، لا سيما بين اليهود . وكان لدى الشومريم مبرر مقبول واكثر وجاهة لتلقي الاعانات مما لدى الجماعات الطفيلية الذين كانوا يمضون اوقاتهم جلوسا على مقاعد « اليشيفاه » اي كتاتيب وتكايا الطرق الدينية اليهودية في القدس ، او اولئك المزارعين الذين كانوا يتبخترون دون عمل بحلة كاملة الاناقة من قمصان منشاة الياقات وربطات عنق ، واحذية لماعة ، ويمضون سحابة نهارهم جلوسا يقرأون الروايات بلغة اليديش او العبرية ويصدرون اوامرهم الى من يعمل في خدمتهم من العرب : افعل كذا ، واعمل كيت ،... ثم يقدمون الفوانيس الى البارون روتشيلد والبارون هيرش لتسديدها . لم اصادف في فلسطين اي يهودي عامل ، فكنت اسمعهم يرددون طوال الوقت ، ليلا ونهارا ، اسم البارون روتشيلد والبارون هيرش . وكان موضوع الحديث في بيت عمي دائما هو : « ترى ماذا سيصنع البارون هيرش الان وهو لم يصنع هذا الى الان ولم يصنع ذاك »، مع انه كان عندهم اراض واسعة وكانوا ينتجون منها عنبا وخمرا ويصنعون نبيذا جيدا وينتجون الالاف المؤلفة من البطيخ الذي كانوا يبيعونه للعرب ، كما ان العرب بدورهم كانوا يبيعون لهم من محاصيلهم ، ولكن اليهود كانوا دائما يتوقعون « حلوكاه » هذه هي الكلمة بالضبط « حلوكاه » اي هبات واعانات ومنح مجانية دون مقابل ، فالعالم مدين لهم — فهم شعب الله المختار — كانوا دائما يعودون الى هذه النغمة . ان العالم يشعر بالغثيان والتقزز من الشعوب المختارة ، من الشعوب المفضلة على غيرها ، وكأن هتلر استقى عقيدته من توراتهم ليبرر مطامعه اللعينة واللاأخلاقية واللاانسانية في غزو اوروبا ومحاولته غزو العالم بأكمله والسيطرة عليه .

ولنعد مرة اخرى الى الوراء ، الى ايامي في القدس ثم في يافا ، في الجمنازيوم ، ان امتع الاوقات في السنوات الخمس التي قضيتها في الجمنازيوم هي عندما كنا نؤخذ في ايام السبت — ليس نؤخذ بل نذهب الى البحارة العرب ، حيث يأخذوننا مقابل

مبلغ زهيد عشرة سنتات او عشرين سنتا في رحلة بحرية طويلة في البحر الابيض المتوسط ، خلف الصخور التي لم تكن تسمح لاية باخرة بالاقتراب من الشاطىء اكثر من ميلين او ثلاثة اميال، فكانوا يعبرون بنا بمراكبهم في الممرات الضيقة بين الصخور . وكان هؤلاء العرب الوسيمون ،الاقوياء، الفارعو الطول ، هؤلاء البحارة العرب اليافاويون يحبسون انفاسهم لبرهة وهم يبتسمون قبل ان يلجوا بنا الى منطقة الصخور ؛ ومن ثم يضبطون حركة تجديفهم بالعد ١ ، ٢ ، ٣ ثم ينطلقون بنا في خط مستقيم الى عرض البحر مسافة ميل الى ان نصل الى البواخر حيث كانوا يوزعون علينا هناك الملبس والفواكه . وكان القبطان يحب كثيرا هؤلاء الفتيان، وكنا جميعا فتيانا يهودا من الجمنازيوم ، وان صديقي العزيز عكيفا غنزبرغ ، اذا ما زال حيا ، يستطيع ان يشهد بصحة ما اقول ، وكنا نعود من رحلتنا البحرية محملين بالهدايا اي اغنى عشرة اضعاف من الناحية المالية من السنتات العشر او الخمسة عشر التي كنا ندفعها للبحارة . لقد احببنا البحارة كثيرا ، فما من مرة اساؤوا الينا .

فلماذا نضطهد وننفي ونستولي على بيوت واراضي الناس الذين كانوا يحسنون معاملتنا كافراد ، وكانوا طوال السنوات الالف او الالف والخمسماية الاخيرة من التاريخ هم الوحيدون الذين احتضنوا اليهود بين صفوف ابنائهم ورحبوا بهم بين ظهرانيهم عندما كان اليهود يفرون من الاضطهاد من ديار الى اخرى الى ان استقر بهم المقام في الديار العربية في مصر والعراق ولبنان وسوريا وفلسطين الخ ... ولهذا توجه الكثيرون منهم الى فلسطين — طلبا للامان والطمانينة وللنجاة بأرواحهم من المذابح . وانني لا استطيع مغالبة ما يعصر قلبي من مشاعر الاسى كلما قرات عن اسر عشرة من رجال فتح ، او عن نسف البيوت لانهم اكتشفوا في الاراضي المحتلة ، او في اسرائيل ذاتها ، بعض العرب الذين ساعدوا فدائيي فتح — المقاتلين من اجل التحرير ، وعندها ينتحب قلبي واتساءل ترى كم دفعوا من النقود رشوة للمخبر الذي خان اخوته العرب ؟ اذ من اساليب الصهيونيين المعتمدة رشوة اي شخص يخدم مصالحهم بدفع البقشيش له .

هنالك شيء لن انساه ابدا ، فاسمح لي ان آخذ من وقتك دقيقة او دقيقتين لاحدثك عن طبيب الاسنان العربي الذي لا اذكر اسمه ، مع انه ينبغي علي ان اذكر اسمه ، ولاحدثك عن خدماته لي كشخص غريب عنه تماما — خدمات عربي الى فتى قومي يهودي ، ولا استطيع ان افهم هذه الخدمات الا في اطار الانسانية الحقيقية والمعايير الاخلاقية .

في ايام طفولتي ، لسبب او لآخر ، لم ازر مطلقا طبيب اسنان الا لغرض نزع بعض أسناني بأصابع اليدين ، وليس بواسطة اية ادوات مطلقا وكان ذلك في روسيا . الآن تذكرت — زخريا هو اسم طبيب الاسنان العربي الذي اود ان احدثكم عنه . كيف قفز اسمه دفعة واحدة في مخيلتي ؟ لا ادري ... عندما كنت في يافا اتعلم في الجمنازيوم كان هنالك سن ناتىء من مقدم فمي كثيرا ما انغرس في شفتي وادماها . وفي هذه الاثناء كنت قد نضجت وبدات احلق ذقني لابدو وسيما ، اذ كانت هنالك فتيات يشاركننا مقاعد الدراسة ، اما ذلك السن الناتىء فلم يحفل به أحد من عائلتي — أمي أو جدي او جدتي — الذين كانوا في غاية اللطف معي ، بيد انهم كانوا يتمتمون احيانا بعض الاحاديث عن ترهات وخزعبلات ومعتقدات ينسبونها الى التراث الحضاري اليهودي وتعاليم الديانة اليهودية التي هي في نظري تعاليم اخلاقية مجيدة وحتى اليوم اجد ان شجاعة الانبياء تفوق حدود تصوري ، بيد انه كان هنالك كثير من المظاهر المتخلفة البالية كهذه التي سأرويها على مسامعكم الان.كنت أخاطب جدتي قائلا : جدتي، ماذا سنصنع بهذا السن البارز من مقدم فمي ؟ » فتقول لي : « اذا نزعنا ذلك السن الناتىء ستدمى عيونك وتنز وتصبح أعمى » . وبهذه الطريقة اقنعوني ، فأنا لا اريد ان افقد عيني . ولكني بعد ان التحقت بالجمنازيوم اصبحت مسؤولا عن نفسي ، وكان عمري يومها حوالي خمسة عشر عاما . وكلما وددت ان احلق ذقني بشفرة حقيقية ، وتأملت وجهي في المرآة كان ذلك السن الكبير البشع يطل من مقدم فمي وشفتي مشقوقة تحته والدم يسيل منها . وكان أخي في نيويورك يبعث لي ، عادة ، اربعة دولارات او خمسة في الشهر ، وفي كثير من الاشهر كان لا يرسل لي شيئا لانه كان عاطلا عن العمل في معظم الاحيان . فكنت اتردد على المصرف الصهيوني او مصرف الاستيطان اليهودي أيا كان اسمه ، لاستفسر عما اذا كان أخي قد بعث لي أية نقود . وقد رأيت في جوار المصرف يافطة مكتوب عليها : « طبيب أسنان — نتكلم الانكليزية » . وحيث انني

كنت قد درست اللغة الانكليزية خلسة اثناء دراستي في « اليشيفاه » اي المدرسة الدينية في القدس راودني الفضول للتحدث باللغة الانكليزية وباللغة العربية بطبيعة الحال ، كذلك كنت تواقا الى حل مشكلة ذلك السن مهما كلفني ذلك من الم. فدخلت الى عيادة طبيب الاسنان ، وكانت الساعة عندئذ حوالي الثانية او الثالثة بعد الظهر . وكانت غرفة الانتظار تغص بالمراجعين . وكانوا جميعا يقرأون مجلة « المصور » التي هي على غرار مجلة « لايف » في هذه البلاد (اميركا) . وكانت جميع صفحات المجلة دون استثناء حافلة بصور البوارج والمدمرات التي كان يملك الانكليز منها الكثير ، كما كان الفرنسيون يملكون منها الكثير ، وكذلك كان الالمان يطمحون الى امتلاك الكثير منها استعدادا للحرب التي كان قد تم اقناع الجميع بأنها لازمة وضرورية، وآتية لا ريب فيها . وكانت الصور جميلة ، وامضيت الوقت في تأملها الى ان فرغت غرفة الانتظار من الناس حوالي الساعة الخامسة والنصف حين تقدم مني شاب في حوالي الخامسة والثلاثين من العمر وسألني : « ما علتك ايها الفتى ؟ » . فقلت له : « اريد ان اسألك عن شيء ، فهل تسمح لي بالدخول الى غرفتك ؟ » ، فقال : « بكل تأكيد ! بكل تأكيد ! » . فقلت له : « ان هذا السن يؤذيني . وكان اهلي يقولون لي ان عيني ستدميان وتعميان اذا ما نزع السن » . فانفجر ضاحكا الى درجة خيل لي معها انه لن يفيق من ضحكه . ثم سألني : « هل انت يهودي ؟ » فقلت له : « نعم ، وانني اتعلم في الجمنازيوم » . فقال : « آه ! الجمنازيوم ! الجمنازيوم ! حيث يعلمونكم كيف تكرهوننا » . فقلت له : « ينبغي ان اقر انك على حق ايها الطبيب ، ولكنني جئت اليك لخلع سني » . ففحص السن اولا ثم أخذ يفحص جميع اسناني . وكانت الساعة قد بلغت السادسة والنصف عندما فرغ من فحص أسناني حين قال لي اخيرا : « انظر يا صغيري العزيز ، بوسعي ان انزع لك هذا السن في مدة دقيقتين ، ولن اسبب لك حتى ألما من جراء ذلك ، اذ سأحقنه بـ » . بماذا كانوا يحقنون الاسنان — انها حقنة — لقد نسيت ذلك الان ، ربما تذكرت ذلك فيما بعد . ولكن طبيب الاسنان قال لي : « يا صغيري ؛ لا غرابة انك صغير البنية نحيفها ، ان اسنانك تنز قيحا وصديدا ، انك تتسمم ببطء . علي ان انزع لك حوالي ١٥ من اسنانك وان احشو حوالي عشرة اخرى . وبعد ذلك ، عليك ان تكثر من شرب الحليب وما الى ذلك . هل لك عائلة لتساعدك في ذلك ؟ » فقلت له : « لا ليس لي احد . اذ قد أتيت لتوي من المصرف حيث كنت آمل ان اجد لي حوالة من أخي بمبلغ ثمانية دولارات او اثني عشر دولارا (لا ادري ان كانت ١٠ دولارات او ١٥) ، ولكن يبدو انه لم يكسب ما يكفيه لمساعدتي . اما أمي فهي في روسيا ، وهي ترسل لي من حين الى آخر ما تستطيع ان تحصل عليه من زوجها لمساعدتي ، ولكنني في وضع لا آكل فيه الا عند الحاجة ، وكثيرا ما اتعرض للجوع ، وانني أعلّم الاطفال الآخرين في الجمنازيوم الذين في صفوف اوطأ من صفي » .. وعندئذ قال لي : « انتبه لي ! احضر الى عيادتي يوما بعد آخر حوالي الساعة الرابعة والنصف الى ان افرغ من معالجة اسنانك . سأنزع لك هذا السن الذي يزعجك الآن ، ولكنني سأعالج لك كل اسنانك » .

واختصارا للوقت اقول بايجاز انني بقيت اتردد عليه طوال شهرين الى ان فرغ من معالجة جميع اسناني ، ومعظم الحشوات التي في ضروسي الآن هي من صنعه ، وان طبيب اسناني هنا في بلدة لوس سكاتوس مندهش من امرها لانها ما زالت جيدة ، وهي ما زالت صالحة لانها صنعت بمحبة واخلاص وادخرت فيها أجمل المشاعر . واختصارا للوقت أقول بايجاز : ان هذا جميعه يجعلني أشعر بتعاسة مزرية ، ولعل احسان هذا الطبيب الي اكثر من أي شيء آخر ، علاوة على ما لقنني اياه جدي من تعاليم ، جعلني أحاول مساعدة ضحايا القومية اليهودية — هذا الطبيب العربي الذي عندما سألته يوما : « ان معي ثمانية او عشرة دولارات (أيا كان الرقم ، اذ لا اذكر ما اذا كان أخي يبعث لي اربعة دولارات في الشهر او خمسة) الا تود ان تتقاضى شيئا من أجرك ؟ » . فقال لي : « اشتر بها حليبا ، واشتر بها فاكهة ، انني لا اريد ان اقبض اجري منك . ان ضميري يدفع لي لقاء ذلك . وعندما تكبر ، حاول ان تتخلص من هذه الكراهية لنا ، نحن العرب ، وتذكر انه كان هنالك عربي واحد طيب ، وان هنالك الآلاف مثله في يافا والقدس وفي فلسطين » .

هذا الطبيب ربما انه كان ممن طردوا عام ١٩٤٨ ، او ربما يكون قد قتل في تلك السنة — وحتى ان كان من الناجين فلا بد انه قد مات الآن ، لانه كان

يكبرني بحوالي ١٥ سنة او يزيد . اما ابناؤه ، فربما انهم يعيشون الان في احد المخيمات حيث تحولوا الى فدائيين . وهذا أحد الاسباب التي تدعوني الى ان افرغ جل طاقتي وان استغل كل ساعة او لحظة تسنح لي لخدمة القضية بحافز من يهوديتي — اذا كان يحق لي هذا الانتساب ، لانني اعتبر نفسي يهوديا افضل واخلص بكثير من اولئك الذين يدعمون الصهاينة الاسرائيليين القتلة لكي يقتلوا الناس في وجه الوصية التي تقول : « لا تقتل ! » . ان كل ذرة من طاقتي وكل لحظة من وقتي ينبغي ان افرغها لمساعدة ضحايا القومية اليهودية — القومية اليهودية المجنونة المغرقة في بدائيتها ، والبالية الغريبة عن عصرنا الى أبعد حد ، والتي هي أبعد ما تكون عن الديانة اليهودية الاصيلة ، ان جاز لي ان اقول ذلك . ان ما لقنني اياه جدي من تعاليم دينية واخلاقية ظلت تلازمني طوال حياتي . وان ما اورثني اياه جدي من تعاليم يهودية صحيحة ، أصيلة في يهوديتها — تعاليم الديانة اليهودية الاخلاقية والشاملة في انسانيتها جعلتني بعد ان أمضيت عمري أراقب قضايا العدالة والظلم ، وشؤون الحروب العالمية ، وقضية النزاع الكبير بين اليهود في فلسطين او في اسرائيل اليوم وبين عرب فلسطين الذين طردوا من بيوتهم وديارهم ، ان هذا النهج الاخلاقي هو الذي أثر علي ليس فقط في منحى سيرتي الشخصية ، قدر ما وسعني الجهد للالتزام بالمثل الاخلاقية والتمسك بالقيم الانسانية متوخيا الانصاف والتوبة عن الاساءة مثلما كان جدي يتوب عن سيئاته ، وذلك ليس فقط امام الجيل الشاب لكي يصبحوا « يهودا جيدين » ، بل في التصرف في المحيط الاوسع كانسان يمارس انسانيته ، يمارس التهذيب الانساني ويلتزم بالمثل الاخلاقية . هذه هي الامور التي جعلتني اقرر منذ اشتعال الحروب العربية — الاسرائيلية ان اقف الى جانب ضحايا القومية اليهودية التي هي في نظري تعني التخلي عن يهودية الانبياء القديمة — اليهودية الاصيلة ، الاخلاقية . الانسانية ، واستبدالها بالقومية اليهودية .

لقد استبد اليأس باليهود في أواخر القرن التاسع عشر واخذ منهم كل مأخذ حتى قلبوا ديانتهم اليهودية القديمة الى قومية سياسية ليجاروا بذلك ما كان يسود انكلتره وفرنسا وايطاليا والمانيا من اتجاهات القومية السياسية الفاشية المتطلعة الى نهب الشعوب الاخرى ، فاستغلت هذه الاتجاهات شباب تلك البلدان واستخدمتهم طعاما للمدافع للسيطرة على اراضي البلدان الاخرى واستغلال شعوب تلك البلدان ونهب ثرواتها . ومنذ ذلك الزمن أخذت اوروبا تتعلم الدرس عن طريق التجارب القاسية المريرة التي عانت منها الى ان بدأت تلفظ افكار القومية السياسية وتنبذ اتجاهاتها كمنهج للحياة ، وكغاية في ذاتها ، وكمثل أعلى تشربه للنشء ، وقد بدأوا يتعلمون هذا بعد ان دفعوا ثمنا باهظا لقاء هذا الدرس ، وبدلا من ذلك ، أخذت تهل على الدنيا النزعة الانسانية العالمية النظرة ، فانقطعت الديانات عن محاربة ومقت الواحدة الاخرى ، واخذت افكار القومية السياسية تتلاشى لتحل محلها نظرة عالمية تتوخى اقرار العدالة للفرد وتمتعه بحق السعادة في الحياة . واخذت تشيع في العالم مشاعر الاخوة الانسانية والمساعدة المتبادلة ، وذلك نظرا لادراك الناس مدى لا أخلاقية القومية السياسية وما الحقته بالانسانية من أذى وضرر .

ولكن بقدر ما يتعلق بي الامر ، فانني اقول ان اليهود اليوم قد وقعوا ضحية القومية السياسية التي ما زالت تبث افكار القومية السياسية الفاشية المتطلعة الى السلب والنهب ، والاستيلاء على اراضي الغير ، ان الغزو الاقليمي قد غدا هو الغرض من الحياة وغايتها ، واصبح القضية التي تستحق ان يموت المرء في سبيلها . ان علينا الان ، وفي اسرع وقت ممكن ، ان نبدأ في وضع يدنا على الاصول الاولى للجريمة ، الا وهي مدرسة القومية السياسية اليهودية في التفكير التي نشأت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ونبتت في تربة الاستعمار والامبريالية والنازية الالمانية الفاشية والمتطلعة الى السلب والنهب ، والتي فرضت قومية سياسية ما زالت اليوم كما كانت في الامس ، وما فتئت تسعى الى ما كانت تصبو اليه في عام ١٨٩٧ الا وهو تأسيس امبراطورية اسرائيل الكبرى على حساب السكان العرب المحليين الابرياء في الشرق الاوسط .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

عاشت حركة المقاومة الفلسطينية في الفترة القصيرة الماضية الممتدة من ١ شباط الى ١٠ اذار ١٩٧٢ في جو من الاحداث المتسارعة ، والتي تستدعي مواقف سياسية دقيقة وواضحة . فقد برزت أولا قضية الانتخابات البلدية ، ثم تلتها مرحلة جديدة من النشاط الفدائي ، بعد فترة من التقاط الانفاس أعقبت الاشتباكات المتواصلة بين المقاومة والنظام الاردني ، ردت عليها اسرائيل باعتداءات عنيفة وواسعة على جنوب لبنان ، وعلى قواعد الفدائيين في سوريا . ثم جاء انشقاق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ليبرز ازمة داخلية جديدة، شغلت حيزا لا بأس به من اهتمام المنظمات الفدائية ، التي حرصت على أن ينحصر هذا الخلاف ضمن افق ديمقراطي ، وان لا يتطور مطلقا الى اي نوع من الاشتباكات ، في ظل الظرف السياسي الصعب الذي تمر به المقاومة ، وحتى يبقى شعار ديمقراطية الحوار محافظا على مكانته. وسنحاول هنا القيام باستعراض ابرز التطورات في هذه القضايا :

الانتخابات البلدية :

اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير يوم الثامن من شباط ١٩٧٢ ودرست موضوع الانتخابات البلدية التي قررت اسرائيل اجراءها في ٢٨ اذار. وأصدرت على اثر ذلك بيانا باسم الناطق الرسمي السيد كمال ناصر اعلن رفض المنظمة للانتخابات البلدية ودعا لمقاومتها بكل الوسائل الممكنة . وجاء في البيان «ان اللجنة التنفيذية اذ تنبه الى خطورة هذه الانتخابات على القضية الفلسطينية والعربية ، تحذر جميع الذين يؤيدونها ، او يشتركون فيها ، من انها لن تقف مكتوفة الايدي في وجه الصهاينة والاستعماريين العاملين على تصفية القضية الفلسطينية والخونة المتعاونين معهم في تحقيق اغراضهم » . وأضاف البيان يقول « ان الهدف المباشر لاجراء عملية الانتخابات المزعومة هو تحويل التناقض بين الشعب والاحتلال الى نزاع بين فئات الشعب ، بحيث يستعيض الفلسطينيون عن مقاتلة العدو بمقاتلة بعضهم بعضا » .

وقد اتخذت اللجنة التنفيذية في هذا الاجتماع قرارا بتشكيل لجنة سباعية تضع خطة « ابرنامج تنفيذي لتحقيق الاهداف المرحلية للثورة » . وحددت مدة عشرة أيام للجنة حتى تنهي اعمالها .

ثم اجتمعت اللجنة التنفيذية مرة اخرى في دمشق في ١٩ شباط ، وقيل أنها وافقت بالاجماع على تقرير اللجنة السباعية لتوحيد كل قوى الثورة في كافة المجالات (لم تظهر نتائج عملية تؤكد ذلك). واتخذت في هذا الاجتماع الثاني قرارا بعقد دورة استثنائية للمجلس الوطني في ١٦ اذار ، يرافقها عقد مؤتمر شعبي موسع يضم ممثلين عن الفلسطينيين في كافة مناطق تواجدهم . ثم اجل موعد عقد المؤتمر الى ٦ نيسان بعد العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان والتطورات السياسية التي فرضها هذا العدوان .

الاعتداء الاسرائيلي على جنوب لبنان :

في الاشهر الماضية ، نشط العمل الفدائي ، بعد مرحلة استرداد النفس ، من منطقتي جنوب لبنان والجولان . وانسجاما مع المخطط الاسرائيلي القديم الهادف باستمرار ، الى الرد على العمل الفدائي في البلاد العربية ، لخلق حالة متأزمة أمام الحكومات تدفعها للقيام بنفسها بالتضييق على العمل الفدائي اولا ، ثم القضاء عليه ثانيا ، أخذت اسرائيل تتعمد نشر انباء العمليات الفدائية، والخسائر التي نتجت عنها ، تمهيدا لوضع مرحلة جديدة من مخططها موضع التنفيذ .

ففي ٢٤ شباط اعلن ناطق اسرائيلي أن فدائيين عاملين من لبنان قتلوا اثنين من المدنيين الاسرائيليين في الجليل الاعلى خلال الليل بعد ان نسفوا سيارتهم ، وان دواليب سيارات عدة ثقبت بواسطة مسامير نثرت على الطرق . ثم أعلن الناطق الاسرائيلي أن الفدائيين تسللوا من لبنان واصابوا ستة من حراس الحدود بجراح ، توفي منهم اثنان. واصدر الناطق الاسرائيلي تصريحا ثالثا قال فيه ان ٤ جنود اسرائيليين قتلوا بعدما انفجر لغم بسيارتهم قرب الحدود مع لبنان وسوريا .

وعلى أثر هذه الحوادث عقد « ديفيد اليعازر » رئيس الاركان الاسرائيلي مؤتمرا صحفيا قال فيه « اعتقد انه سيتوجب علينا بسبب بدء النشاط المعادي من جديد ان ننشط على الحدود ... وانه يحمل الحكومة اللبنانية مسؤولية الحوادث » . بينما قالت المقاومة ان عملياتنا تتم في العمق ، والتهديدات تهدف الى « اثارة المشاكل للثورة خارج الارض المحتلة وكمبرر لتغطية اهداف اسرائيل التوسعية والعدوانية » .

وقد كانت هذه التصريحات الاسرائيلية مجرد تمهيد اعلامي فقط لقرار متخذ سلفا ، اذ شنت اسرائيل في صباح اليوم التالي (٢٥ شباط) هجوما على جنوب لبنان اشتركت فيه الطائرات والمدرعات والمدفعية وكتائب الكوماندوس المحمولة بالهليكوبتر. وشمل الهجوم القطاعين الاوسط (بنت جبيل) والشرقي (المرقوب) بالاضافة الى منطقة راشيا الوادي في البقاع ووصفت المقاومة الهجوم الاسرائيلي فقالت انه تم على ثلاثة محاور : ١ — محور بنت جبيل — عيناتا : وهاجمته ٣ كتائب مشاة + ٦٣ دبابة + غطاء جوي كثيف . وقد انسحبت اسرائيل عن هذا المحور بعد مقاومة ضارية من قبل الفدائيين . ٢ — محور المرقوب : وهاجمته مجموعات كوماندوس محمولة بالهليكوبتر، كان هدفها دخول قرية الهبارية . وتصدى الفدائيون للقوات المهاجمة في معركة ضارية ، ادت الى فشل الهجوم . ٣ — محور ينطا — دير العشائر : تعرض لقصف جوي كثيف ومتواصل .

وبذلك تكون كافة مواقع الفدائيين في جنوب لبنان قد تعرضت للهجوم الاسرائيلي الذي أسفر عن مقتل ٧ فدائيين واصابة ١٣ منهم بجراح ، بالاضافة الى مقتل مدنيين وجرح مدني واحد ، وتدمير ٢٢ منزلا في قرية عيناتا التي احتلت ثم اخليت . وقد اعلن الناطق الاسرائيلي (كجزء من عملية التمويه) أن القوات الاسرائيلية قد انسحبت تماما دون اي خسائر .

تابع العدو الاسرائيلي عدوانه في اليوم الثاني (٢٦ شباط) فقام بقصف كثيف بالطيران لمنطقة المرقوب استمر خمس ساعات ونصف في فترة الصباح ، وشاركت في القصف المدفعية الثقيلة لمدة ساعتين ونصف قبل الغروب ، واعتبر هذا القصف من اكثف العمليات العسكرية بعد حرب حزيران . وكان القصف يستهدف تغطية شق طريق فوق بلدة كفر حمام . وقد تصدى الفدائيون للجرافات بعمليات ارضية ، وللطيران بالمدفعية المضادة ، واستمرت العمليات حتى العاشرة ليلا . وذكر الناطق الاسرائيلي ان جنديين فقط اصيبا بجراح . وكرر (كجزء من عملية التمويه) ان الجنود الاسرائيليين انسحبوا تماما من لبنان بعد عمليات استمرت ٣٦ ساعة . بينما قال مراقبون في تل ابيب أن اسرائيل لن تكتفي بالهجمات ضد المقاومة ، بل ستلجأ الى « فرض رقابة مشددة دون ان تلجأ الى احتلال فعلي » ، بينما اعلن ناطق باسم المقاومة ان خسائر الفدائيين اصبحت حتى الان ١٢ قتيلا و٢٢ جريحا ، أما فيما يتعلق في الجانب السياسي فقد اعلن بيان للمقاومة ان الاهتمام العربي لا يتلاءم مع مستوى وشراسة الهجوم الاسرائيلي الذي يستهدف : ١ — احتلال مواقع استراتيجية في جنوب لبنان . ٢ — استعداء الجماهير والجيش اللبناني ضد العمل الفدائي . ٣ — استكمال خطة التصفية لقوى الثورة لتمهيد الاجواء لتمرير التسوية السياسية بالشروط الاسرائيلية .

وقال بيان المقاومة ان المعركة في جنوب لبنان هي استمرار لمعركة جرش في الاردن وطالب بانعقاد مجلس الدفاع العربي ، وبتخصيص موازنة ثابتة لدعم الوجود اللبناني .

وفي اليوم الثالث (٢٧ شباط) تابع العدو الاسرائيلي عدوانه ، وتمكن من احتلال خمس قرى في منطقة المرقوب (كفرشوبا — كفرحمام — راشيا الفخار — الهبارية — الفريديس) ، ثم قام العدو بتوسيع نطاق هجومه فأغار بالطائرات على مخيم اللاجئين في النبطية ، بينما انتقدت نشرة « حصاد العاصفة » التي تصدرها فتح موقف الصمت العربي .

في منتصف اليوم الرابع (٢٨ شباط) بدأت القوات الاسرائيلية تنسحب من قرى العرقوب ، حيث انهت انسحابها في الساعة السادسة مساء ، بينما دخل الجيش اللبناني الى المنطقة فور الانسحاب . وقد تم الانسحاب الاسرائيلي على محورين : المحور الاول : طريق توصل من الهبارية الى شبعا ، وهي طريق شقتها اسرائيل اثناء العدوان ، وانسحبت منها باتجاه الاراضي السورية المحتلة (١٢ دبابة + ٤ جرارات) . المحور الثاني : الطريق الرئيسية الممتدة من الهبارية الى كفرشوبا ، وهي الطريق التي دخلت منها القوات الاسرائيلية (٢٤ آلية ودبابة) .

وفي صباح هذا اليوم اجتمع السيد ياسر عرفات مع السفراء العرب في بيروت وطلب منهم تقديم دعم مادي فوري لجنوب لبنان ، والدعوة لعقد مجلس الدفاع العربي حالا ، وتحويل المواجهة مع العدو الاسرائيلي الى مواجهة عربية . بينما أكد مصدر حكومي لبناني ان الجيش اللبناني دخل العرقوب بالتفاهم مع قادة المقاومة . وقد ذكرت فتح (٢٩ شباط) ان دخول الجيش اللبناني الى منطقة العرقوب هو عمل لبناني ولا يشكل عملا عدائيا للمقاومة ، وان اتفاق القاهرة ينص صراحة على سيادة الدولة اللبنانية على كل اراضيها . وتم في هذا اليوم تشييع عشرة فدائيين استشهدوا في المعركة ، وشارك في التشييع حشد جماهيري ضخم ، وقال ناطق باسم المقاومة ان خسائر القتال بلغت ٤٧ قتيلا فدائيا و٦٤ جريحا ، وان خسائر العدو كانت اصابة ١٣٠ ضابطا وجنديا اسرائيليا. وبالرغم من الانسحاب الاسرائيلي فقد بقيت حالة التوتر قائمة ، وبقيت الاشتباكات متصلة . ففي ٢٩ شباط هاجمت المقاومة قوات اسرائيلية في بيادر شبعا وفي منطقة الرويسات الشرقية . وفي ١ اذار قصفت القوات الاسرائيلية معسكرا لتدريب الفدائيين بالقرب من بلدة حام على الحدود اللبنانية — السورية ، بعد ان كان ناطق اسرائيلي قد أعلن ان ١١ شخصا يعملون في الاحراج قرب عكا اصيبوا بجراح بعد ان انفجر لغم بسيارتهم وضعه فدائيون متسللون .

أما في المناطق السورية فقد قال ناطق اسرائيلي أن الفدائيين قاموا بأربع هجمات في ليلة واحدة يوم ٢٩ شباط ، وان عملياتهم بلغت ١٣ هجوما خلال ثلاثة ايام . وكان هذا الاعلان تمهيدا لقيام المدفعية الاسرائيلية بقصف ٤ قرى سورية في ١ آذار، ولقيام الطائرات الاسرائيلية بالاغارة في نفس اليوم على قواعد للفدائيين في جنوب سوريا ، قتل فيها مواطن سوري وثلاثة فدائيين . وقد ردت سوريا على هذه الغارات بغارات مماثلة استهدفت المستعمرات الاسرائيلية التي بنيت بعد الاحتلال في منطقة الجولان .

وبعد ان حلقت طائرات اسرائيلية فوق منطقة اللاذقية ، أنذرت سوريا اسرائيل ، بأنها سترد بعنف على اي هجوم اسرائيلي .

وقد كان من النتائج الخطيرة للعدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان ، ان انشأت اسرائيل نقاطا للمراقبة في مرتفعات كفرشوبا وكفرحمام والهبارية. وبالاضافة الى ذلك أعلنت اسرائيل انها تعتبر اتفاق الهدنة الذي عقد مع لبنان عام ١٩٤٩ لاغيا، وانها لذلك ترفض البحث في احياء اللجنة ، او زيادة عدد مراقبي الهدنة ، وقد رد لبنان على موقف اسرائيل قائلا ان ذلك يتناقض مع القانون الدولي ، واجتمع وزير الخارجية اللبنانية مع سفراء الدول الكبرى في (٧ اذار) وعرض عليهم طلب لبنان احياء لجنة الهدنة .

وبالرغم من العملية العسكرية الضخمة التي استهدفت اسرائيل من ورائها القضاءعلى المقاومة، جدد الفدائيون نشاطهم من جنوب لبنان ، فقاموا بمهاجمة مستعمرة بار — عام في الجليل . وقد ردت اسرائيل فورا باعتداء جديد على الجنوب ، قصفت فيه الطائرات الاسرائيلية قرية مجدل سلم ومرتفعات حاصبيا وشبعا ، حيث اصيب ٣ مدنيين بجراح ، وتهدمت ٩ منازل وكنيسة (٩ اذار) ، وفي اليوم التالي (١٠ اذار) حلقت الطائرات الاسرائيلية اكثر من مرة فوق قرى الجنوب ، وقالت مصادر اسرائيل ، ان الرد الفوري على اي هجوم فدائي هو السياسة التي ستتبع منذ الان .

وعلى ضوء هذه التطورات يمكن تسجيل الملاحظات البارزة التالية : ١ — استهدف المخطط الاسرائيلي ايجاد جو صدام بين النظام اللبناني والمقاومة الفلسطينية ، عن طريق وضع النظام امام مأزق يتمثل باحتلال اراضيه ، مما يدفعه لمواجهة العمل الفدائي بنفسه . ٢ — صمد الفدائيون في الجنوب بشكل ملحوظ وقاتلوا بشجاعة وكفاءة أثارت احترام سكان القرى اللبنانية ، مما أدى الى خلق جو

من التعاطف بينهما . ٣ ــ سجل الشارع اللبناني بقيادة الحركة الوطنية مواقف دعم واضحة للمقاومة، تجلت في المظاهرات والاضرابات العديدة التي نفذت ، والتي طالبت بالمحافظة على اتفاق القاهرة وانتقدت الصمت العربي ، ودعت الى تحصين قرى الجنوب ورفض التجنيد الاجباري للدفاع عن الوطن . ٤ ــ كان التحرك السياسي للمقاومة ضعيفا من جهة الموقف تجاه اتفاق القاهرة ومنتقدا بسبب الزيارات التي قام بها وفد من المقاومة لرجالات الحلف (شمعون ــ الجميل ــ اده) اذ رأت فيها الحركة الوطنية اللبنانية اضعافا للتحالف بينها وبين حركة المقاومة ، ودعما للقوى التي كانت تطالب دوما بالغاء اتفاق القاهرة والاستعانة بالبوليس الدولي .

انشقاق الجبهة الشعبية :

في السادس من آذار صدر بيان عن مجموعة من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذرا بانشقاق ما لبث ان أعلن رسميا بعد أربعة أيام (١٠ آذار) . وقد مرت عملية الانشقاق بالتطورات التالية :

اليوم الاول ــ ٦ آذار : صدر في الصحف تصريح باسم « قيادة اليسار في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ركز على ابراز النقاط التالية :

١. نتيجة انقسام الجبهة الشعبية « الى تيارين احدهما يميني والاخر يساري ... ونتيجة تعذر الاتفاق على حل محدد عقد مؤتمر ليسار الجبهة بين ٤ و٧ شباط حضره الامين العام والعناصر اليسارية في القيادة السياسية للجبهة ... وخرج المؤتمر بقرار (اكثر من ثلثي اعضاء المؤتمر) ، يقضي باستقلال اليسار عن اليمين تنظيميا وايديولوجيا » .

٢. « لكن الذي حصل ان هناك اجتماعا يعقد الان (مؤتمر للجبهة في مخيم البداوي قرب طرابلس برئاسة الدكتور جورج حبش) لا يمثل الواقع العملي لتواجد القوى الثورية داخل الجبهة . ويتم انتقاء اعضاء الاجتماع الان في صورة تنقض قرارات مؤتمر اليسار » .

٣. « ان القيادة المنتخبة لليسار ... تعلن ادانتها لعقد هذا الاجتماع وتعلن مقاطعتها له ، ولا تعترف بشرعيته ، ولن تلتزم بقراراته مطلقا ... » .

اليوم الثاني ــ ٧ آذار : أصدر الدكتور جورج حبش ردا على بيان « قيادة اليسار » قال فيه : « في ضوء البيان الذي صدر امس عن مجموعة من الرفاق تدعي انها تمثل موقف اليسار في الجبهة الشعبية أجد من واجبي كأمين عام للجبهة توضيح الحقيقة المسؤولة أمام قواعد التنظيم والجماهير :

١ ــ تعقد الجبهة الان مؤتمرا وطنيا عاما يحضره جميع ممثلي فروع تنظيم الجبهة باستثناء قيادة فرع سوريا ، وعنصرين من القيادة السياسية .

٢ ــ ان المؤتمر الوطني للجبهة يقف الان بمسؤولية امام كل الموضوعات السياسية والتنظيمية التي تواجه الجبهة .

٣ ــ سيكون مؤتمر الجبهة حريصا كل الحرص على معالجة كل هذه القضايا بأفق يساري علمي .

٤ ــ ان كل نتائج المؤتمر ومقرراته ستعرض على قواعد التنظيم والجماهير ... لتكون هي الاساس لحكم القواعد والجماهير على الجبهة من ناحية ، وعلى المجموعة التي صدر عنها البيان من ناحية أخرى .

٥ ــ ان الجبهة الشعبية مصممة كل التصميم على مواجهة كل الظروف الموضوعية والذاتية الصعبة التي تمر بها حركة المقاومة برؤية علمية بعيدة عن النهج اليميني المتحجر من ناحية ، والانتهازية اليسارية من ناحية اخرى . »

وردت « القيادة اليسارية » على بيان الدكتور جورج حبش فقالت « ان المؤتمر على الرغم من ان تركيبه قد تم بطريقة غير تمثيلية وبأسلوب التعيين ، الا أن ممثلي القطاع العسكري والتنظيم الطالبي والتنظيم السري في الاردن وبعض الفروع التنظيمية في المخيمات الفلسطينية في ساحة لبنان ، الذين كان من المقرر ان يحضروا هذا المؤتمر قد اعلنوا مقاطعتهم له ، واعلنوا تمسكهم بقرارات المؤتمر اليساري . وعلى الرغم من عملية استبدال المندوبين الذين قاطعوا المؤتمر فان كل هذه الفروع لم تتمثل في المؤتمر عكس ما ورد في بيان الامين العام » . واضاف البيان يقول « ان الحرص على معالجة القضايا السياسية والتنظيمية التي تواجه الجبهة بمسؤولية ... انما يتم فقط بالاستجابة لنداء القواعد والكوادر ... ومن خلال الالتزام بمقررات المؤتمر اليساري الذي دعا اليه الرفيق الامين العام بنفسه ... »

وصدرت في هذا اليوم بيانات تعلن تأييدها « للقيادة اليسارية » تمثل : القطاع العسكري للجبهة الشعبية في لبنان ، اللجنة المركزية للجبهة الشعبية في سوريا ، اللجنة التنظيمية للجبهة الشعبية في الاردن ، مقاتلو قواعد الجبهة في الجولان ، التنظيم الطالبي للجبهة الشعبية في لبنان . بينما صدر بيان واحد عن « حزب العمل الاشتراكي العربي » يعلن تأييده لمؤتمر الجبهة الشعبية المعقود برئاسة الدكتور جورج حبش .

اليوم الثالث ــ ٨ آذار : حددت منظمة التحرير وبعض المنظمات الفدائية موقفها مما يجري داخل الجبهة الشعبية . فاصدر السيد كمال ناصر الناطق الرسمي بلسان منظمة التحرير بيانا قال فيه ان اللجنة التنفيذية تدرك ان التباين في وجهات النظر من دلائل الديمقراطية ولذلك فان ما يجري في الجبهة الشعبية ليس غريبا وهو شأن من شؤونها الداخلية « وان اللجنة التنفيذية لن تسمح بكل تأكيد ، وتحت اي ظرف من الظروف ، بأن يتخذ الخلاف القائم اي شكل من اشكال العنف » ، وقال ان اللجنة « وقد اطلعت على كل ما صدر عن أحد الفريقين المتحاورين ما زالت في انتظار انتهاء مؤتمر الجبهة قبل اتخاذ اي قرار قد يتطلبه التغير الذي قد يطرأ على الجبهة سواء من الناحية الايديولوجية او من الناحية التنظيمية » .

وعلى صعيد المنظمات الفدائية ، أعلن مصدر مسؤول في حركة فتح « ان الحركة تتابع بقلق ما يجري داخل الجبهة الشعبية ، وانها مستعدة للمساعدة على الخروج من هذه الازمة » .

وأصدرت الجبهة الديمقراطية تصريحين حول ما ورد في صحيفتي المحرر والنهار من انباء حول موقفها من اوضاع الجبهة الشعبية ، فقالت في تصريحها الاول ردا على جريدة المحرر ان « ازمة منظمة الشعبية هي ازمة داخلية اولا واخيرا ... واية محاولة للايحاء بعوامل خارجية مساعدة على تعميق الازمة هي عملية هروب من الواقع وتفسير ساذج وسطحي لتلك الازمة » . وقالت في تصريحها ردا على جريدة النهار انها « لا تنفي ان يكون للجبهة الديمقراطية علم بوقائع الصراع الدائر حاليا داخل صفوف الجبهة الشعبية ، تماما مثل علم باقي الفصائل ... اما ان يصار الى زج اسمها بالصورة والطريقة التي وردت في التهار فهذا ما نرفضه ونأسف له » .

وقد صدر في هذا اليوم ١١ بيانا اعلنت تأييدها لمؤتمر الجبهة بقيادة الدكتور حبش ، وهي تمثل : اللجنة المركزية للجبهة فرع لبنان ، تنظيم الجبهة في الارض المحتلة ، فرع الجبهة في عدن ، فرع الجبهة في الخليج العربي ، فرع الجبهة في الكويت، التنظيم الخارجي للجبهة الشعبية ، التنظيم السري في الساحة الاردنية ، التنظيم النسائي في مخيم نهر البارد (طرابلس) ، الاتحاد النسائي الفلسطيني فرع الشمال (طرابلس) ، اتحاد طالبات فلسطين في الشمال (طرابلس) ، منظمات حزب العمل العربي الاشتراكي في البقاع .

كما صدرت في هذا اليوم ايضا بيانات اخرى تعلن تأييدها « لقيادة اليسار » وهي : المكتب السياسي لحزب العمل الاشتراكي العربي ، والذي اعلن ايضا ان البيان الذي اذيع بالامس باسم الحزب « كان مدسوسا » ، قيادة اقليم لبنان لحزب العمل الاشتراكي العربي ، والتي استنكرت ايضا « ان يصدر تصريح ينتحل اسم حزبنا » .

اما « قيادة يسار الجبهة الشعبية » فقد اصدرت بيانين جديدين باسمها ، يعلن البيان الاول انه « ليس لها اي علاقة بمجلة الهدف » ، وان بعض الصحف نقلت « ان هناك جهات اجنبية من خارج الجبهة مارست تأثيرا دفع الاتجاه اليساري للانشقاق ، ان حملات الدس الرخيصة امر كنا نتوقعه من جهات مشبوهة يقلقها اي تحرك جذري لمصلحة القوى الثورية » ويعلن البيان الثاني « القضايا السياسية والنظرية المختلف عليها بين الفريقين والتي قادت الى نشوب هذه الازمة » . وهذه القضايا هي :

الموقف من النظام الرجعي الاردني : « ففي الوقت الذي كان اليسار يؤكد فيه ان الاستعداد لمواجهة النظام العميل والتصدي لمخططاته الهادفة الى تصفية المقاومة ، تستدعي عملية فضح وتعرية منهجه ... والقيام بعملية تعبئة جماهيرية واسعة ... كان اليمين يطرح خطا يمينيا يتجسد في رفض عملية التعرية والفضح ، وبالتالي التعبئة الجماهيرية ، تحت شعار ان هذه السياسة تستفز النظام العميل » .

الموقف من الوحدة الوطنية : « انتهج الجناح اليميني « سياسة تقوم على اساس العصبوية التنظيمية ... مقابل هذا الخط انتهج اليسار

سياسة تقوم على الدعوة لانشاء تحالفات وطيدة ».

الموقف من خطف الطائرات : « لان انتهاج هذا الخط ، فضلا عن معاكسته للالتزام النظري بالماركسية اللينينية ، فانه جلب مجموعة من الاضرار على الثورة الفلسطينية ... ولقد توج اليمين عملياته في خطف الطائرات باختطاف الطائرة الالمانية وانزالها في عدن واخذ مبلغ خمسة ملايين دولار بطريقة مشبوهة » ولقد بين اليسار في اجتماع اللجنة المركزية للجبهة في ١٩٧٠/١١/٥ موقفه من هذه العمليات « ونتائجها السلبية على قضايا النضال الوطني الفلسطيني ، وطالب بالغاء المجال الخارجي، والغاء هذا النمط من العمليات».

الموقف من انظمة البورجوازية الجديدة : حيث طالب اليسار بتغليب « العلاقة مع الجماهير العربية على العلاقة مع الانظمة البورجوازية بصورة لا تنفي او تلغي امكانية اقامة علاقات مع هذه الانظمة » . اما موقف اليمين « الذي كان يغلب العلاقة مع الانظمة على العلاقة مع الجماهير وقواها الوطنية واليسارية المتقدمة ، كان يرى في العلاقة مع الجماهير العربية علاقات تحملنا مسؤوليات وتبعات تؤدي الى ان نفقد علاقاتنا مع الانظمة » .

الموقف من مبدأ الانقلابات العسكرية : « انتهج الجناح اليميني سياسة انقلابية تجسدت في الاساليب التي اعتمدت وحكمت عملنا ضمن المؤسسة العسكرية الاردنية ، حيث جرى التوجه للارتباط بمجموعة من كبار الضباط ... ان هذا النهج ... حل محل الاعتماد على الجماهير المعبأة والمسلحة».

مقابل ذلك اجرى مسؤول في الجبهة الشعبية مقابلة مع جريدة اليوم اللبنانية قال فيها انه ليس هناك من انقسام او انشقاق في الجبهة ، ثلاثة عناصر قيادية ، معرضة للفصل من الجبهة بسبب عدم قدرتها على التوافق مع معطيات الظروف الحاضرة، ارادوا ان يتساقطوا بشرف مفتعلين هذه الضجة التي ضخمتها القوى المعادية للجبهة وللمقاومة الفلسطينية . وهؤلاء الثلاثة هم : ابو شهاب ، وابو علي ، وابو الفوز . واضاف المسؤول يقول ان العامل الرئيسي الذي يحرك الازمة هو التغير الجاري في بنية الحركة الوطنية التقدمية ككل ، اننا في مرحلة التحول الذي يعكس نفسه على كل الفصائل الثورية . والعامل الثاني هو انحسار وتراجع حركة المقاومة ، والذي يجعلها وجها لوجه أمام المأزق التاريخي ، وهو الاتصال او عدمه بحركة التحرر العربية .

اليوم الرابع — ٩ آذار : صدرت بيانات جديدة تعلن كل مجموعة منها تأييد احد الفريقين . خمسة بيانات تؤيد القيادة اليسارية صادرة عن : كوادر الجبهة وقواعدها في صور وصيدا ، قيادة القطاع العسكري للجبهة في جنوب لبنان ، المكتب السياسي المركزي لحزب العمل العربي الاشتراكي ، منظمة حزب العمل في صور ، عضوات اتحاد المرأة الفلسطينية في الشمال .

وصدرت ثمانية بيانات تؤيد قيادة الدكتور حبش صادرة عن : منظمة حزب العمل في المتن ، طلاب حزب العمل في بيروت ، منظمة الحزب في الشمال (طرابلس) ، مقاتلو الجبهة في جرش (الاردن) ، مقاتلو الجبهة في المعتقلات الاردنية ، الحركة الطالبية المساندة للجبهة ، الكوادر اليسارية في معسكرات شاتيلا وتل الزعتر وبرج البراجنة ، كوادر وقواعد اليسار في صيدا وصور وبعلبك .

واصدر « أبو خوله » سكرتير تحرير مجلة «الهدف» بيانا أعلن فيه استقالته من المجلة « لانها تنتهج طريق يمين الجبهة » . لكن بيانا صدر عن مجلة الهدف اوضح انه لم يكن هناك شخص يدعى ابو خوله يعمل سكرتيرا لها . كما اوضح مصدر في « القيادة اليسارية » في حديث صحفي لجريدة النهار « اننا لسنا ضد الوحدة الوطنية الصحيحة الجدية التي تقوم على اساس برنامج سياسي ثوري ، ولكننا ضد الوحدة الشكلية التي تخدم سياسة اليمين » .

اليوم الخامس — ١٠ آذار : اعلنت « القيادة اليسارية » الانشقاق عن الجبهة الشعبية رسميا ، وذلك في مؤتمر صحفي عقدته واعلنت فيه تشكيل « الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين » . وقد حضر المؤتمر الصحفي كل من ابو شهاب : « عضو القيادة السياسية للجبهة الشعبية » ، سالم : « المسؤول العسكري لقوات الجبهة »، ابو الفوز: « مسؤول ساحة سوريا » ، ابو اليسار : « المسؤول العسكري لساحة لبنان » ، ابو رياض: « عضو قيادة منطقة بيروت ». وتلي على الصحفيين بيان سياسي كرر قضايا الخلاف الاساسية التي شرحت في بيان سابق ، واضاف « وضعنا اليمين امام امرين : اما الاستسلام لسياسته وبالتالي انتظار المزيد من الهزائم . واما التمرد على هذه

السياسة الامر الذي يتطلب قطع كل العلاقات مع اليمين ... وهو طريق الاستقلال الكامل عن اليمين سياسيا وتنظيميا وايديولوجيا ، والعمل تحت اسم الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين » . بينما وزعت ثلاثة بيانات تؤيد قيادة اليسار : بيان صادر عن معتقلي الجبهة في الاردن بتوقيع غازي الخليلي عضو المجلس الوطني ، وبيان ثان صادر عن قيادة منطقة بيروت ، وبيان ثالث صادر عن « مكتب المعلمين » التابع للجبهة الشعبية في لبنان.

وقد أصدرت الجبهة الشعبية بيانا اعلنت فيه انتهاء مؤتمرها ، وانتخاب جورج حبش امينا عاما بالاجماع .

اليوم السادس — ١١ آذار : اجرى مسؤول في الجبهة الشعبية مقابلة مع جريدة النهار قال فيها « هناك اسباب موضوعية للانشقاق بالاضافة الى العوامل الخارجية . الاسباب الموضوعية تتلخص في شعور الذين اختاروا الانشقاق، وهم قلة صغيرة داخل الجبهة ، بانهم يريدون ان يبدأوا من جديد ، وان الافضل ان يبدأوا في شكل مستقل ، بدلا من النضال في اطار الجبهة الشعبية . وفي اعتقادنا ان هناك دولة عربية معينة شجعت على الانشقاق ، كما ان هناك تنظيما فدائيا معينا ساعد عليه . راينا في المنشقين ؟ اننا لا نعتبرهم لا نظريا ولا نضاليا ولا تنظيميا ، يساريين اكثر منا . وكنا نفضل لو انهم بقوا داخل الجبهة الشعبية وعملوا من الداخل من أجل تحويلها الى منظمة اكثر يسارية ، ومن أجل القضاء على بعض الجيوب اليمينية فيها». وحول قضية الطائرات قال « نحن نعتبرها تكتيكا نضاليا لا استراتيجية اساسية » . وحول الموقف من الوحدة الوطنية الفلسطينية قال « نحن نرفض دمج المنظمات الفدائية ، ونطالب بجبهة وطنية تضم كل قوى اليسار في حركة المقاومة ، بما فيها الجبهة الشعبية الديمقراطية والقيادة اليسارية المنشقة » .

اما حزب العمل فقد اصدر ثلاثة بيانات جديدة تعلن تأييدها « للقيادة اليسارية » ، تمثل : منظمة الحزب في منطقة الشوف ، منظمة الحزب في منطقة صور ، ومنظمة الحزب في منطقة البقاع .

اليوم السابع — ١٢ آذار : اصدرت الجبهة الثورية تصريحا مطولا ردت به على المقابلة التي أجرتها جريدة النهار مع مسؤول في الجبهة الشعبية .

اليوم التاسع — ١٤ آذار : عقد الدكتور جورج حبش مؤتمرا صحفيا عرض فيه مقررات مؤتمر الجبهة والموقف من الانشقاق والقضايا التي أثارها فقال ان سياسة الجبهة في المرحلة المقبلة تعتمد على الاسس التالية :

« ١ — اعتبار القضية التنظيمية قضية مركزية : ان المرحلة الجديدة تتطلب تحويل البنية التنظيمية للجبهة الى بنية تنظيمية ثورية ، ايديولوجيا وطبقيا . ان الوضع الجديد لا يمكن مجابهته الا من خلال اداة ثورية ، تستند الى النظرية الماركسية اللينينية وموضوعاتها في التنظيم . ان موضوعة بناء الحزب الماركسي اللينيني هي بالنسبة للثورة الفلسطينية الان موضوعة مركزية. لقد وقف المؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين امام البرنامج التنظيمي بنفس الاهمية التي تناول بها البرنامج السياسي .

٢ — الجبهة الوطنية الفلسطينية العريضة وكذلك الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية. وضمن الاتفاق على برنامج سياسي يحدد موقفا جذريا وواضحا من النظام الرجعي في الاردن ، ومشاريع التصفية والاستسلام بضرورة تعريتها ، ومشروع الدولة الفلسطينية ورفضه بشكل واضح وجازم ، ستكون الجبهة على أتم الاستعداد بل ستعتبر من مهماتها الاساسية اخذ المبادرات لتكوين الجبهة الوطنية الفلسطينية العريضة التي تقود حركة الجماهير في المرحلة القادمة .

٣ — ان الجماهير هي القوة القادرة على اخراج حركة المقاومة من الازمة التي تعيشها ، وان تعبئة هذه الجماهير من خلال النضال السياسي والعسكري هو من اهم توجهاتنا في المرحلة القادمة ، ان الجبهة ستعيد النظر في كافة اساليب عملها لتكون دائما في وسط الجماهير تناضل معهم ومن خلالهم ومن اجل اهدافهم .

٤ — سيبقى خط العنف الثوري هو الخط الاساسي في مواجهة معسكر العدو ، وان ممارستنا للعنف الثوري ستكون تتويجا لنضال شامل تمارسه الجماهير وليس بديلا عنه ، كما ان ممارستنا للعنف ستكون مستفيدة من كل التجارب الماضية والدروس التي افرزتها .

٥ — ان كل مستقبل الثورة الفلسطينية مرهون

بالتحامها بحركة الجماهير العربية كلها وحركة التحرر الوطني العربي . وان الاسهام في بناء الجبهة الوطنية العربية العريضة المعادية للامبريالية سيكون من توجهاتنا الرئيسية في المرحلة القادمة .

٦ ـ ان تعزيز تحالفاتنا الثورية على الصعيد العالمي، مع كافة الدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطني ، والقوى العمالية على الصعيد العالمي ، هو الذي يمكننا من مواجهة المعسكر الامبريالي العالمي وكافة مخططاته لضرب حركة الشعوب » .

ثم تحدث عن الانشقاق فقال :

« لقد وقف المؤتمر امام النشاط الانقسامي الذي مارسه عضوان من اعضاء القيادة السياسية مع قيادة فرع الجبهة في سورية وعدد محدد من كوادر الجبهة في لبنان . وعلى صعيد تحليل هذه الظاهرة سجل المؤتمر العوامل الذاتية والموضوعية ـ الداخلية والخارجية ـ التي تقف وراء الانشقاق.

ان بنية الجبهة التنظيمية في هذه المرحلة وكونها تنظيما يساريا راديكاليا لم تكتمل عملية تحوله الى حزب ماركسي لينيني هو عامل ذاتي اول ما يؤدي الى مثل هذه الظواهر ، يضاف لذلك عامل النزق والنفس القصير والمزايدة التي تتحكم عادة بتصرفات البعض تحت ستار اليسار والماركسية اللينينية كذلك فان الازمة التي تعيشها حركة المقاومة ، ومحاولات ضرب منظمات المقاومة من الداخل التي تقوم بها بعض الدول العربية ، هي عوامل موضوعية اخرى تشابكت مع العوامل الذاتية الداخلية .

هذا باختصار شديد تحليل المؤتمر للانشقاق . لقد ادان المؤتمر النهج الذي اتبعه الفريق المنشق في مواجهة مشكلات الجبهة وتناقضاتها الداخلية . لقد تم هذا الموضوع بطريقة ملتوية تآمرية بعيدة عن الاسلوب والتقاليد اللينينية في الصراع الايديولوجي والتنظيمي .

ان الجبهة كانت وستكون دائما على أتم استعداد للتعاطي مع كافة القضايا النظرية والسياسية والتنظيمية التي تفرزها الممارسة او تفرزها الحيوية النظرية التي تعمل دائما على تشجيعها ، ولكن الجبهة تدين بقوة كل نشاط ملتو يتم ـ ليس من وراء قيادتها فحسب ـ بل من وراء كوادر وقواعد التنظيم .

ان قواعد الجبهة وكوادرها في سجون العدو الاسرائيلي والرجعي ، وكذلك قواعد الجبهة وكوادرها في قطاع غزة والضفة الغربية وكافة اجزاء فلسطين المحتلة ، وكذلك قواعد وكوادر الجبهة خارج فلسطين وفي مختلف الساحات ترفض رفضا قاطعا وتدين بشدة مثل هذا الاسلوب . كذلك تقديرنا ان جماهيرنا بالدرجة الاولى وكافة قوى الثورة ستدين كل محاولة انشقاقية لا تقدم لهم سوى اسم تنظيم جديد ومجموعة من الجمل الثورية .

ان يسارية الجبهة المتمثلة ببرامجها ومواقفها السياسية وممارساتها النضالية وبطبيعة قواعدها المسحوقة ، وبالكوادر اليسارية التي نمت كما ونوعا منذ مؤتمر شباط حتى الان ، والمتمثلة كذلك بتحالفاتها الثورية عربيا ودوليا ، اوضح واعمق من ان تتأثر بهذا الحدث .

ان يسار الجبهة سيقوى ويشتد من خلال تخلصه من مجموعة عناصر اضعفت قدرته على معالجة تناقضات الجبهة بنهج يساري علمي مسؤول وكذلك فان فعالية الجبهة بشكل عام ستقوى وتشتد من خلال تخلصها من مجموعة عناصر اثرت لفترة من الوقت على قدرتها للتصدي للتناقض الرئيسي .

على أي حال ، ان الموقف الذي اتخذه المؤتمر من هذه المجموعة هو الطلاق الديمقراطي وعدم زج انفسنا بمهاترات ومشاحنات لا تخدم الا مصلحة العدو ، وفي الوقت الذي ستخوض فيه الجبهة نضالا ايديولوجيا مشروعا ضد هذه الظاهرة الانشقاقية ، ستبقى الجبهة حريصة كل الحرص على ان لا يشغلها اي تناقض عن مهمة التصدي لتناقضها مع العدو الامبريالي الصهيوني الرجعي . واننا سنقبل حكم الجماهير والتاريخ . »

وقال حول خطف الطائرات « بما ان عمليات الخطف تعارضت مع تحالفات الجبهة على الصعيدين العربي والعالمي فقد اوقفت هذه العمليات » ونفى ان يكون للجبهة اي علاقة بالطائرة الالمانية التي اختطفت الى عدن . وقال حول دور بعض الدول العربية في الانشقاق «ان بعض الانظمة التي هاجمتنا اكثر من مرة ، والتي ترى في الجبهة حجر عثرة في طريقها ، تنظر الى الانشقاق بارتياح » .

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

عندما انشئت القواعد في جنوب لبنان كان الهدف من انشائها : ضرب طوق مسلح حول الارض المحتلة يبدأ من العقبة في جنوب الاردن ، وينتهي في الناقورة في جنوب لبنان . ولقد انجز ذلك الطوق سنة ١٩٦٩ . وجاء اتفاق القاهرة ليكرسه أمرا واقعا . وكان هذا الطوق يلعب دورا مزدوجا : دور قواعد الارتكاز التي تقوم بامداد الداخل بالرجال والسلاح والمال وكل ما تحتاجه ، ودور القواعد الامامية التي تقوم بالاستطلاع وترسل الدوريات المغيرة وتساهم في صد هجمات العدو وتتحمل في كثير من الاحيان زخم الهجمات كله . وكانت اهمية هذا الطوق وقوته تنبع مما يلي : طول الحدود مع الارض المحتلة ، وملاءمتها في كثير من المناطق للتسلل ونقل الامدادات ، ووجود جيوش عربية (كما في الاردن وسورية خاصة) يشكل وجودها نوعا من القوة ، وتشكل قوة ردع امام هجمات العدو الصغيرة . ولقد ساد اكتمال هذا الطوق الى ان تكون الجبهة كلها مع العدو مشتعلة . فاذا اضفنا الى ذلك ان جبهة مصر كانت مشتعلة سنة ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، وان العدو كان مضطرا لمراقبة حدود طويلة جدا ، مختلفة التضاريس جدا كهذه الحدود ، عرفنا ما معنى ان تقف النار على الجبهة كلها .

وبدأ العدو محاولاته لتفسيخ هذه الجبهة : فكانت مناورة روجرز اولا . واستطاعت مناورة روجرز ان تنجز هدفين : ايقاف القتال على جبهة السويس الهامة ، واحداث شرخ بين مصر والمقاومة . وكان الشرخ حتميا ، لان وقف اطلاق النار المطلوب لم يكن مطلوبا على قناة السويس فقط ، كان مطلوبا للجبهة كلها . والذين جاءوا بمشروع روجرز ، اكدوا هذه الحقيقة في اتصالاتهم الرسمية مع الدول العربية المعنية . واذا كانت مصر مستعدة لقبول هدنة ، تطول او تقصر ، لانها تريد ان تزيد من استعداداتها مثلا ، فما كانت المقاومة الفلسطينية مستعدة لقبول هدنة من هذا القبيل ، لانها تفقد مبررات وجودها، ولذلك كان محتما ان يحدث الشرخ.

ودفعت القوى المعادية ، في ظل هذا الشرخ ، عملاء الاردن الى ضرب هذه الجبهة في حلقتها الوسطى القوية : الاردن . ونجحت المؤامرة .

ولقد قاد نجاحها الى ما يلي : ١ — شلل شبه عام في اجهزة الثورة الفلسطينية لمدة عام أيلول ١٩٧٠ — أيلول ١٩٧١ . ٢ — فتور في الحماسة الجماهيرية، بسبب التراجع في الاردن ، وبسبب الشلل الذي خلفته هزيمة الاردن . ٣ — تراكم قوات الثورة الفلسطينية في سورية ولبنان . ٤ — ازدياد حملات الدس والتشكيك بحركة المقاومة ، وتحرك القوى المضادة علنا ، مستفيدة من جو التراجع والهزيمة. وفي هذا الجو كانت المقاومة مضطرة ومرغمة على تقليص حجم نشاطها من سورية ولبنان ، لان زيادة نشاطها ستقود الى ردود فعل اسرائيلية وداخلية خطيرة . وكان هذا « الكسل القسري » غير مبرر جماهيريا ، كما ان العدو الصهيوني وكل القوى المضادة ارادت ان تتبع ضربتها في الاردن بضربات قاضية . واتجه رأس حربتها الى « الوجود الثوري الفلسطيني » في سورية ولبنان .

استخدمت هذه القوى أساليب مختلفة . فعلى الصعيد الاسرائيلي تابعت دولة الاحتلال خطتها المزدوجة : الهجمات المدروسة والعمل على اشعار المواطنين بأن وجود الفدائيين يجلب لهم الموت والدمار . اما الاردن فهو يحاول في دعايته ان يركز على أمرين ، اولهما : ان المنظمات الفدائية ما هي الا منظمات تخريب ، تمج بالمدسوسين واللصوص والمرتزقة ، وتمثل خروجا على القانون والنظام . ثانيهما : انها أعجز من ان تحقق انتصارا واحدا على طريق العودة ، وهي بالتالي مجرد مبرر لمزيد من الاحتلال . وتدور الدعاية اللبنانية المضادة ضمن هذا الاطار .

ولقد حاولت « الانظمة العربية » ومنذ أيلول سنة ١٩٧٠ ان تخضع « العمل الفدائي » وان تحتويه نهائيا ، فالسياسة الدموية التي اتبعت في الاردن سياسة خطرة باهظة التكاليف ماديا ومعنويا . وهي تكون ضرورية عندما تفشل سياسة الاحتواء . اما اذا كان الاحتواء ممكنا فهو الحل الافضل . ومن أيلول والمحاولات جارية . ما تبغيه هذه السياسة هو تحويل « بقايا المقاومة » الى جزء من الانظمة عمليا ، ينفذ سياستها باسم الشعب الفلسطيني وباسم المقاومة والتحرير . وهذا يعني ان تتحول « بقايا المقاومة » الى اداة قمع ضد الشعب

الفلسطيني وأداة تصفية للقضية .

هذه صورة موجزة عن المخطط العام للتصفية . ويقع موضوع المقاومة ولبنان ضمن اطارها . وكما أرادت المقاومة لبنان جزءا من الحزام المسلح حول دولة الاحتلال ، فان القوى المضادة للثورة في المنطقة تريده حلقة من حلقات التصفية .

ومنذ بداية هذا العام اخذت الامور تتطور بسرعة . ذلك ان القوى المضادة ارادت ان تنهي المعركة مع المقاومة في سورية ولبنان ، لتتمكن الوجاهات المترددة من السير قدما على طريق التسوية في الضفة الغربية وغزة ، وليستطيع الاردن من السير قدما على طريق الصلح المنفرد . ثم ان انهاء المعركة في سورية ولبنان مع المقاومة يؤثر في اتجاه السياسة المصرية ، ويدفعها شيئا فشيئا ، وبشكل حاسم على طريق الاستسلام . وكانت حادثة مخفر النهر هي القشة التي قصمت ظهر البعير. والحادثة ليست غريبة ، ولا منعزلة عن الجو العام. وعنصر الافتعال ثم التضخيم فيها واضح لا لبس فيه . ولا نريد هنا ان نناقش كيف بدأت ، ولماذا بدأت ، لانها قصة معقدة ، ولانه ليس هنالك تحقيق محايد يعتمد عليه . المهم في الموضوع أن التحقيق اثبت ان العناصر المعتقلة من الفدائيين لم تطلق النار ، وان كثيرا من الرصاص الذي أطلق على المخفر كان من أسلحة لا يستخدمها الفدائيون . ومع ذلك فقد حاولت جهات معينة ان تضخم الامر ، وان تجعل منه اعتداء على القانون والنظام الخ . ذلك ان « التصريحات والبيانات الرسمية انطوت على تحريض ضمني للناس ضد المنظمات ، حتى خيل للكثيرين في اليوم الاول للحادث ان الحرب بين الدولة والمنظمات قد قامت وانها لن تنتهي ... الا بمجزرة ، خصوصا وان بيان الرئيس سلام « الفوري » تحدث بغموض عن : مسؤول يجب ان يوضع عند مسؤوليته ايا كان ومهما كان » (الحوادث ، ٧٢/١/٧ ، العدد ٧٩١) . وقد أوحت هذه التصريحات والبيانات بأن الحادث « مدبر » . ان لهجة التحريض وعدم الدقة في رواية التفاصيل واضحة في البيانات الرسمية الاولى (الانوار ٧٢/١/٣) . وما هي الا ايام حتى حدث عدوان على الحدود . كان ذلك في ٧٢/١/١٤ . وكان دافيد اليعازار قد قام بتحريض الجيش اللبناني على القيام بمسؤولياته ، متهما النظام اللبناني بالضعف . كما ان اذاعة العدو بالعبرية حددت يوم ٧٢/١/١٤ اهداف العمليات العسكرية في جنوب لبنان بالتأثير في السياحة ونزوح الاهالي من الجنوب الى بيروت « مما يضعف معنويات الدولة ويؤدي الى قيام خلافات وضغوط على الصعيد السياسي » . وهذا يعني ان العدو كان يستهدف : ١ ــ تفجير الوضع الداخلي في لبنان ، او وضع لبنان امام الخيار العسير ، فاما ان ينقسم ويقتتل او يضع حدا للوجود الفدائي . ٢ ــ اعطاء العناصر المعادية مبررا للمطالبة بالغاء اتفاق القاهرة ، وللعمل من اجل الغائه .

وجاءت في هذا الوقت حوادث المتفجرات لتزيد القضية اشتعالا . وفي اليوم الذي أعلنت فيه الصحف عن الاعتداء على كفرا في الجنوب ، وعن تفاصيل الاعتداء على جريدة « لسان الحال » ، اعلنت عن اجتماع في القصر لدرس الوضع على الحدود . وعلى الرغم من « ان اجتماع القصر احيط بكتمان شديد فقد علم ان تدابير مهمة تقررت فيه لمواجهة مختلف الاحتمالات ليس اقلها شأنا بعض التدابير الدبلوماسية ، فضلا عن التوصيات التي أعطيت لقائد الجيش قبل اجتماعه بعرفات » (لسان الحال ٧٢/١/١٥) . وأشارت « لسان الحال » يوم ٧٢/١/١٥ الى أن « الحادث الذي وقع على صيدلية الجميل ، يحمل على الظن ان الاعتداء على « لسان الحال » هو حلقة في سلسلة تهدف الى اثارة الخواطر وتهيئة اللبنانيين لجو معين يصار فيه الى تنفيذ مخطط معين » . ومع ان الجريدة لم تعلن شيئا عن هذا المخطط ، فان صحفا أخرى أعلنت في اليوم ذاته أن هنالك مشروعا لبنانيا لتعديل اتفاقية القاهرة (صدى لبنان ٧٢/١/١٥) . وتشير الجريدة المذكورة الى أن الحكومة اللبنانية قد وضعت التعديل على اتفاق القاهرة «انطلاقا من مبدأ سرية التحرك الفدائي»، وان اسباب وضع هذه التعديلات تعود الى « ان الاحداث الراهنة قد تخطت الظروف التي وضعت فيها الاتفاقية المذكورة » . ووجه دافيد اليعازر في هذا الوقت انذاره الى لبنان قائلا: « ان الجيش الاسرائيلي لن يتردد في تصعيد عملياته اذا تبين له ان ذلك ضروري ، ولن يكتفي بعمليات دفاعية او انتقامية ضد الفدائيين المتواجدين في جنوب لبنان بل سيمارس حق الملاحقة » (صدى لبنان ٧٢/١/١٥) .

وتحرك لبنان الرسمي ، فقدم شكوى الى مجلس

الامن ، وارسل الرئيس فرنجيه رسالته الى الملوك والرؤساء العرب ، وقد جاء فيها : « ولبنان الذي ما انفك يوما يساند المقاومة ويؤيدها في كل مجال يتشاور حاليا مع كبار المسؤولين فيهـا من اجل معالجة الموقف والحد من الاعمال التي طالما اعترف هؤلاء المسؤولون انفسهم بعدم جدواها لكنها ما زالت تستمر حتى اليوم » (النهار ٧٢/١/١٨) . وبينما كان واضحا ما يرمي اليه الرئيس في رسالته الى الملوك والرؤساء خرجت بعض الصحف ، وهي تتحدث علنا عما تريده بعض الاوساط في لبنان . وقد تحدثت النهار في افتتاحيتهـا يوم ٧٢/١/١٧ المعنونة « ماذا نفعل ذلك اليوم » وقد جاء فيها : « ما دام الفلسطينيون قد تحولوا عبر المنظمات الفدائية ، الى شبه جيوش منظمة ، بدل ان يظلوا فدائيين بالمعنى الاصيل ، فماذا يمنع حشدهـم كجيش فلسطيني ؟ انهم للهجوم لا للدفاع ؟ كلام . وكلام بات فارغا . الهجوم ليس اطلاق الصواريخ من التلال وسطوح المنازل ولا من المخيمات . عندما يحين وقت الهجوم نهجم جميعا . واذا كان من عمليات فدائية بالفعل ، الى داخل الارض المحتلة، فتلك لن تعلن ، ولن تتم باللباس المرقط ، بل كما تتم عمليات الفيتكونج ، فضلا عن الثورة الجزائرية، ناهيك بما يحدث في غزة الباسلة . « الفدائية » الان مسألة معنويات ؟ نريد المحافظة على وحدة الشعب الفلسطيني ؟ على تصميمه على الحرب ؟ على عدم ذوبانه ؟ ماذا احسن من تحويله كله الى جيش ؟ وجيش نظامي ، منسجـم مع الجيش اللبناني ، خاضع مثله لقواعد الحرب واصولها ، فضلا عن قوانين السيادة وقواعد السلامة الوطنية؟»

وطرحت «الجريدة» الموضوع ذاته في اليوم ذاته ولكن بأسلوب آخر : جاء في الافتتاحية : « ولبنان اليوم يجد نفسه اكثر من اي وقت آخر امام الاختيار ، وهذا الالحاح ، او هذه الحاجة للقرار ليست رضوخا للانذار المذكور بقدر ما هي محطة يتوقف عندها لبنان الرسمي والعمل الفدائي لاجراء جردة حساب لنتائج انطلاق العمل الفدائي في لبنان وردود اسرائيل العسكرية عليه ... وحيث ان الامر قد استتب لاسرائيل من ناحية الامن على حدود سورية ومصر والاردن ، فهي تريد اليوم ان « تؤمـن الاستقرار » لسكان مستعمراتها الشمالية باقتلاع اشواك العمل الفدائي الذي يزعجها . وهنا يطرح السؤال الاساسي : ماذا ينفع لبنان والعمـل الفدائي لو خسر لبنان حدوده الجنوبية او احتل جزء من اراضيه ؟ »

وهذا الطرح لا يعني المطالبة بالغاء اتفاق القاهرة، بل ويعني ايضا الغاء العمل الفدائي وتحويل القوى الفلسطينية المقاتلة الى جزء من الجيوش العربية ، مثل جيش التحرير الفلسطيني .. ولعل ما نشرته جريدة العمل (لسان حال الكتائب) في اليوم التالي ٧٢/١/١٨ يلخص مـا ذكرته الصحيفتان تلخيصا اوضح واكثر تعبيرا . فالعمل ترى : « ان المقاومة امام واحد من أمرين : أو أن تتحول الى «مدرسة» لاعداد فدائيين ، بالمعنى الصحيح ... بضع مئات فقط ، تسربهم الى داخل اسرائيل « ليشلوا مرافقها ومنشآتها » كما جاء في أول بيان للعاصفة مثلا ، او ان تنقلب المقاومة ، وكل من فيها ... بل ينقلب الفلسطينيون جميعا الى جيش نظامي ، يزيد الجيوش العربية قدرة ومنعة ، استعدادا للمعركة الفاصلة . اما ان تبقى المقاومة في هذه الحيرة بين « العمل الفدائي » والعمل العسكري فهي الكارثة بعينها » .

ويلاحظ في هذه المقـالات أيضا محاولات اساءة متعمدة . فالعمل الفدائي ليس الا اطلاق صواريخ، واطلاق صواريخ من فوق أسطحة المنازل ، وهو ليس عملا فدائيا « أصيلا » . والمقاومة مضطرة « الى القيام بعمل مسلح بأي شكل من الاشكال ». ولم تكتف الصحف بذلك ، بل أعلنت احداها يوم ١/١٧ ان اتفاق القاهرة تعرض للخرق تدريجيا ، وان السلطة لم تفعـل شيئا ، وان « الصحف الاجنبية والاذاعات » اخذت تبلغ لبنـان « عن تهديدات اسرائيلية للبنان بسبب خرق ذلك الاتفاق». وتضيف الجريدة المذكورة ما معناه ومع ذلك « فلم نفعل شيئا » (الجريدة ٧٢/١/١٨) . وفجأة بدا كل شيء وكأنه انتهى ... واخذت الدولة مظهرا وديعا ، وطمس موضوع مخفر النهر ، وموضوع المتفجرات ، مع أنه من المفروض ان تكون الدولة قد وضعت يدها علـى مخطط التخريب وأمسكت بالفاعلين .

وفي هذا الوقت بالذات خرجت الصحف السعودية تهاجم حركة المقاومة ، لاول مرة ، ولمدة عشرين يوما . أخذت على المقاومة انها تقع « في مغالطات مكشوفة في موضوع انتساب المنظمات الفدائية الى اليسار » وأنها لا تفرق بين الصديق والعدو : « من امثال الدول الشيوعية كالصين التي يقول

السيد الحسن انها تعطي الثورة الفلسطينية السلاح والغذاء دون قيد ولا شرط ، او كروسيا التي حج بعض زعماء الثورة الفلسطينية الى قبر لينين فيها وقدموا له باقات الغل والياسمين » . اما الصدامات بين الاردن والمقاومة فقد حدثت « لاسباب تتعلق بالامن الداخلي لهذه الحكومة » ، وبسبب عقلية حركة المقاومة « كان الصدام بين المقاومة وبين بعض الدول العربية ، وحق له ان يكون » (الصياد ٣-١٠/٢/٧٢) . كما ان جهات اخرى بادرت الى حملة تشهير مماثلة ، صاحبتها حملة حصار وتضييق شاملة .

وكانت المقاومة تحاول في هذا الجو ان تخرج من الطوق المضروب عليها ، وكانت عملياتها في الارض المحتلة ، وفي الجليل بشائر الحركة بعد الشلل . ولكن هذه الحركة النشاز وسط الصمت العربي عسكريا والعودة الى الحديث عن التحرك الديبلوماسي واعادة الحوار مع الولايات المتحدة كانت تثير القوى المضادة في كل مكان ، فلسطينيا وعربيا ودوليا واسرائيليا .

وجاء رد الفعل الاسرائيلي يوم ٢٤/٢/٧٢ على شكل انذار . كان المتحدث دافيد اليعازر نفسه . قال اليعازر : « ان اسرائيل قد تضطر الى القيام بعمليات على طول حدودها مع لبنان » . واضاف: « ان هذا الهجوم الذي وقع داخل اسرائيل ليس مجرد كمين ، وانه هو نذير بموجة جديدة من الهجمات الفدائية على طول الحدود اللبنانية » . وأشار اليعازر الى اتفاقية القاهرة قائلا : « ان اسرائيل لم توافق على الاتفاق المعقود بين الفدائيين ولبنان الذي يسمح لهم بشن عمليات داخل اسرائيل ، على الا يكون ذلك من اراض لبنانية » (الاخبار القاهرية ، ٢٥/٢/٧٢) .

وخلال اقل من اربع وعشرين ساعة بدا الهجوم الاسرائيلي الكبير على جنوب لبنان . حاول العدو في هذا الهجوم ان يحقق الاغراض التالية : ١ — سحق القواعد الفدائية الموجودة في الجنوب، واجبار الفدائيين على التراجع بعيدا . واستخدم لذلك طائراته ومدفعيته استخداما كثيفا ، كما استخدم آلياته ومظلاته . ٢ — اجبار الدولة في لبنان على اتخاذ موقف في ظل احتلال اسرائيلي ، تلغي فيه اتفاقية القاهرة ، وتتولى هي مهمة تصفية الوجود الفلسطيني في لبنان ، بكل الطرق الممكنة . ٣ — وضع سكان الجنوب في موقف يجبرهم على معاداة الثورة الفلسطينية . ٤ — التأثير على اتجاه السياسة في لبنان ودفعها الى مواقع جديدة ، تجعلها اكثر انسياقا في مخطط التصفية والاستسلام . وكان العدو يتوقع ، كما تتوقع القوى المضادة كلها ان « يهرب » الفدائيون بسبب كثافة الهجوم وشدته ، لتساوم اسرائيل بعد ذلك على مكاسبها .

وما ان بدأت الاعتداءات حتى بدأ التحرك الرسمي على المستويات المختلفة . ١ — داخليا : اجتمع الرئيس فرنجية بزعماء الكتل النيابية ، وتباحث معهم في قضية الهجوم الاسرائيلي على الجنوب. ولم يعرف بالضبط ما دار في هذه الاجتماعات ، ولكن من المؤكد ان النقاش دار فيها حول الاجراءات المطلوبة للخروج من الازمة . ٢ — على صعيد العلاقات مع المنظمات الفدائية : اجتمع الرئيس سلام مع الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير، وحضر الاجتماع العماد غانم وبعض المسؤولين وجرى التشاور حول الوضع ، وكان واضحا من الحوار ان السلطة تطرح موضوع تعديل اتفاق القاهرة ، ان لم نقل انها تطرح الغاءه . وكان مما جاء على لسان احد المسؤولين انه طرح موضوع المخيمات ، بينما كان القتال ما زال مشتعلا . ٣ — على الصعيد الدولي : جرت اتصالات مع الدول الكبرى الصديقة ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وفرنسا ، وكانت الاتصالات مستمرة . ٤ — وعلى الصعيد العربي : اتصل بعض الرؤساء بالرئيس فرنجية هاتفيا ، وارسل بعضهم رسائل وارسل اخرون موفدين ، واصدر بعضهم بيانات التأييد والتضامن .

وبينما حاولت بعض الصحف ، النهار مثلا ، ان تبرز القضية وكأن كل شيء قد انتهى ، كان القتال ما زال مستمرا ، وكانت الجماهير تتفاعل وتتجاوب ، مع ما يجري هنالك على الجبهة . وحين انتهى القتال ، وانسحبت القوات المعتدية ، حاولت صحف القوى المضادة ان تركز على ما يلي: ١ — ان الجيش اللبناني عاد الى العرقوب ، وانه عاد ليذود عن تراب الوطن ، وليحافظ على الامن والسلام . ٢ — ان انسحاب القوات الاسرائيلية الغازية كان نتيجة تحرك لبنان الدبلوماسي ، وان « صداقات لبنان الدولية فعالة جدا » (العمل ٢٩/٢/٧٢) . ٣ — ان العلاقات بين لبنان والمقاومة

ليست علاقة مرهونة باتفاقية ، انها تفهم « تفاهم وتلاحم » (احاديث سلام الى الصحف) . ٤ — محاولة اظهار انه لم يكن هنالك قتال ضد العدو، فالعمل تسمي المعركة « الويك اند » الاسرائيلي . وحين تصف العمل هذا « الويك انـد » تقول : « الويك اند » كان ثقيلا ومرا ، وبدا العرقـوب بارضه واجوائه وتلاله ملعبا لدبابـات وطائـرات العدو ... هيليوكبتر تنزل واخرى تطلع ...قنابل من هنا وصواريخ من هناك ... بيوت تتهـاوى وعيون اطفال يعشش فيها الخوف ودخان في كـل مكان ! كانوا قد دخلوا السبت ، دخلوا ومعهـم مؤونة ثلاثة ايام ، فضربوا ، وقصفوا ونسفوا واكلوا وشربوا وعادوا » . ويروي مندوب العمل بسجمان القزي انه صادف لبنانيا في راشيا الفخار فسأله : وانت الست لبنانيا ؟ قال « انـا من هذه الارض التي فيها غرباء اكثـر من أهلهـا . عائلتي رحلت اليوم الى حارة حريك وانا سألحق بها غدا . بيتي لم يعد لي. « الاخوان » يشاركوننا بيوتنا . بالكلاشنكوف . والله العظيم » (العمل ٧٢/٢/٢٩) .

وعاد الحديث في الصحف اياها عن اتفاقية القاهرة التي تخطتها الحوادث بعيدا (الجمهورية١/٣/٧٢). ومع ذلك فان العدوان لم يحقق اهدافه حتى الآن للاسباب التالية : لان الصمود الذي ابداه مقاتلو الثورة الفلسطينية قطع الطريق على كل الانتهازيين والعملاء والمرتزقة ، ولان التجـاوب والتفاعـل الجماهيري في لبنان وخارج لبنان الجـم مخطـط التصفية مؤقتا ، ولان حرص لبنان الرسمي ، حتى الان ، على اتباع سياسة الحوار ، وعدم اللجوء الى مناورات التحريض والتهييج والتازيم الى الحد الذي يقطع حبل الحوار ، جنب لبنان معركة كمعركة الاردن ، وربما كانت اكثر تعقيدا .

واليوم يقف المقاتل الفلسطيني واقفا شامخا معتزا، كما وقف في عمان بعد ايلول . لقد قاتل ، كما لم يقاتل عربي غيره ، وهو لا يملك ما تملك الجيوش العربية عددا وعدة . ولكن المقاتل الفلسطيني ما زال مهددا بالتصفية . لماذا ؟ لان هنالك قـوى كثيرة تعترض على مجرد وجوده . أليس مطالبـا اليوم ان ينهي وجوده العلني ، ان يبعثر قواته ، او يضمها الى الجيوش ، ان يسحب اسلحته من المخيمات والاحياء ، وان يعود الى العمل السري؟ أليست هذه هي نهايته ؟ ومع ذلك فهو مطالب بأن يكتب نهايته . وخطورة هذا الاتجاه ان الكتائـب تلتقي فيه مع بعض الانظمة العربيه ، ومع الاتجاه المتخلف داخل حركة المقاومة ، ومـع اليمينيـين المزايدين يساريا . وهؤلاء بالطبع ، الذين يطرحون العـودة الى العمـل السري بديلا للعلنيـة ، انما يقاومون الشرعيه التي اكتسبتهـا الثورة : شرعيـة الوجود والتسليـح والتدريب والعمـل والتحرك . هذه الشرعية المسلحة التي اصبحت شوكة في حلوق القوى المضادة ، واصبحت قوة يحسب لها الف حساب .

ويذكرنا الحديث الذي نسمعه اليوم ، بما كنـا نسمعه قبل ايلول وخلاله وبعده في الاردن . وهو يذكرنا بحقيقة هامة تتلخـص في ان المرونة غـير التسليم . واذا كان مطلوبا من المقاومة ان تكون مرنة في هذا الوقت الصعب العسير ، فانه ليس مطلوبا منها ان تتراجع سياسيا كما تراجعت في الاردن بعد ايلول .

ان العلاقة بين لبنان والمقاومة تعيش ضمن اطارها العربي ، وهناك اتجاه عربي رسمي يريد تصفية المقاومة بأي شكل من الاشكال : السحق ،الاحتواء الخ ، فهل يستطيع لبنان ان يحافظ على لغة الحوار في مثـل هذا الجـو ؟ صحيح ان للبنان ظروفـه الخاصة ، ولكن هذه الظروف سيف ذو حدين . فاذا كانت جماهير لبنان قـد اثبتت انها اوعـى واحرص على لبنان من أن تجره الى معارك داخلية دامية مدمرة ليست لمصلحته ، فليست الفئـات الرجعية فيه بمثل هذا الحرص . ولا احد يعلـم متى يخرجها الخوف من « الشيوعية » و «البنادق» والخروج على « النظام » وعدم « استقرار الامن » عن طورها . والمعركـة الان سياسية ، لبنـان الرسمي والفئات الرجعية تريد ان تحصل بالحوار على مبتغاها . ولكن هل سيفيد الحوار ؟ ام أن لبنان يراهن على حدث في داخل المقاومة يحررها من العلنية والجيوش والمكاتب ومن اللباس المرتـط ويعيدها الى السرية ؟

ان اتجاه بيار الجميل داخـل المقاومة وحولهـا موجود ، وهو يعمل من اجل هذه الغاية . وهو يعمل بأساليب مختلفة لشق المنظمات وتفريغهـا واحتوائها ... وعلى هذا الاتجاه ، الذي تدعمه انظمة ، يراهن رسميون في لبنان وغير لبنان .

ن٠ ع٠

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

بعد قرار الجمعية العامة لهيئة الامم (منتصف كانون الاول ١٩٧١) الذي يدعو الى احياء مهمة يارينغ ويتمنى على اسرائيل الرد ايجابيا على مذكرته المؤرخة في ٨ شباط ١٩٧١ (تعطلت مهمة يارينغ بعد رفض اسرائيل الالتزام بالانسحاب الى حدود مصر الدولية في ردها على مذكرته المذكورة) خيم جو من الوجوم والجمود والشعور العام بالعجز على التطورات الدولية المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي . كان السبب الرئيسي في ذلك رفض اسرائيل الصريح التقيد بقرار الجمعية العامة ووقوف الولايات المتحدة ، كالعادة ، مع اسرائيل وتجاهلها شبه التام للقرار ، بالاضافة الى العجز العربي الرسمي عن اتخاذ اية خطوات حاسمة او جذرية من شأنها ان تحرك هذا الجمود الدولي او ان تعمل على تنفيذ قرار الجمعية العامة الداعي بدوره الى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة .

ضمن هذا الجو جاءت التحركات الامريكية لتشيد لفظيا بمهمة يارينغ وعودته للنشاط الدبلوماسي من جهة ، ولتأخذ في الواقع موقفا سلبيا من المهمة من جهة اخرى ، مع اطلاق التصريحات الهادئة الى التشكيك سلفا بامكانية نجاح مساعي الوسيط الدولي . وعلى سبيل المثال ادلى سيسكو بتصريح في ٦ شباط ذكر فيه « ان الخلافات بين الدول العربية واسرائيل عميقة جدا ومستمرة الى درجة تصعب معها معرفة كيف سينجح الوسيط الدولي في مهمته » . وعلى سبيل تحويل الانظار تماما عن قرار الجمعية العامة وتحضير بديل امريكي جديد يحل محل مهمة يارينغ ، بهدف اعادة السيطرة الامريكية على مساعي السلام في الشرق الاوسط ، اعدت الاوساط الامريكية المختصة خطة جديدة لاجراء مفاوضات غير مباشرة بين مصر واسرائيل من اجل الوصول الى اتفاق جزئي حول اعادة فتح قناة السويس . اي عادت الولايات المتحدة الى احياء الوساطة القديمة بعد ان كانت قد جمدتها قبل مناقشة نزاع الشرق الاوسط في هيئة الامم ، وبعد ان حصلت اسرائيل على طائرات الفانتوم والسكاي هوك وعلى اتفاقية عسكرية تمكنها من انتاج معدات حربية صممت في الولايات المتحدة ، في حين خرج الطرف العربي من الوساطة الامريكية صفر اليدين . ويتلخص المشروع الامريكي الجديد للمحادثات العربية الاسرائيلية بجمع ممثلي كل من الطرفين في فندق واحد في نيويورك حيث يقوم وسيط امريكي (جوزيف سيسكو) بالتنقل بينهما الى ان يتم الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس وفي اوائل شهر شباط اعلنت اسرائيل موافقتها الرسمية على المشروع الامريكي للمحادثات بعد ان تم التفاهم مع امريكا حول طبيعة الدور الذي سيلعبه الوسيط . اذ ان اسرائيل تريد تقليص دور الوسيط الامريكي الى اقصى حد ممكن، اي تريد منه القيام بدور « ساعي البريد » بين الطرفين المتفاوضين . بينما تنظر الحكومة الامريكية الى دور وسيطها على اسس اكثر ديناميكية بحيث يحق له اخذ زمام المبادرة في تسوية الخلافات التي تطرأ بين الجانبين و« التقريب بين وجهات النظر » عن طريق التقدم بمقترحات امريكية للخروج من الطرق المسدودة التي ستدخلها المحادثات ، بالتأكيد ، اكثر من مرة . وقد تم الاتفاق بين الولايات المتحدة واسرائيل على ان يكون دور الوسيط محدودا قدر الامكان والا يقوم بمبادراته الخاصة وتقديم مقترحاته الا بعد استشارة الوفد الاسرائيلي والعمل على الاتفاق معه بشأنها قدر الامكان . وترددت انباء تقول ان التفاهم الاسرائيلي الامريكي بالنسبة للمحادثات جاء ضمن اطار اتفاق مشترك حول عدم عبور اية قوات مصرية الى الضفة المحتلة من القناة كجزء من التسوية الجزئية . وجدير بالذكر ان اعلان موافقة اسرائيل على صيغة المحادثات هذه قد جاء عشية سفر الرئيس السادات في زيارته الاخيرة الى الاتحاد السوفياتي . ويبدو ان الخطة الامريكية الجديدة لا تتوقع استجابة مصرية سريعة تقبل بالمحادثات بل هي ترمي الى الانتظار حتى يقوم يارينغ بجهوده المعهودة ، وفقا لقرار الجمعية العامة ، وعندما يستنفذ الوسيط كل السبل الممكنة وتنهار مهمته مرة اخرى ستجد مصر نفسها منساقة من جديد الى الطريق الامريكي للتسوية السلمية وستضطر للموافقة عندئذ على المشروع الجاهز للمحادثات . ففي اوائل شباط اعلن وليم روجرز ان بلاده لم تقرر بعد متى وكيف ستعرض على مصر مسألة

استئناف المحادثات غير المباشرة من اجل الوصول الى اتفاق حول القناة . كما قال ان بلاده ما زالت تؤيد مهمة يارينغ ولا ترى سببا يمنع سير المحاولتين (محادثات يارينغ ومحادثات الوسيط الامريكي) جنبا الى جنب وبشكل متواز . ومع ان مصدرا رسميا في القاهرة قد اعلن عن رفض بلاده الدخول في المحادثات الامريكية المقترحة ، الا ان سيسكو عاد ليؤكد من جديد أن امريكا ستجري اتصالات مع مصر لاقناعها بقبول المبادرة وتوقع سيسكو بأن يكون رد مصر فاترا .

ان الجو العام المحيط بمشروع المحادثات الجديد لا يوحي بأن امريكا على عجلة من امرها لاقناع مصر بقبوله او انها تشعر بحاجة ملحة للبدء بالمحادثات بسرعة ، بل على العكس من ذلك يوحي الجو باطمئنان امريكي الى انه بالرغم عن رفض القاهرة الحالي لفكرة المحادثات فان مصر ستجد نفسها مضطرة بعد فترة من الزمن الى العودة للاتصال بأمريكا مجددا من اجل تحريك قضية الشرق الاوسط وعندئذ ستكون الفرصة سانحة لاقناعها بضرورة الموافقة على الدخول في المباحثات تحت الاشراف الامريكي وجدواها . وفي النصف الاول من شهر آذار قدم روجرز تقريره السنوي عن السياسة الخارجية الامريكية حيث ذكر في القسم المتعلق بالشرق الاوسط ان عام ١٩٧٢ سيشهد جهودا مركزة للاستمرار في وقف اطلاق النار وتحقيق التسوية الجزئية كخطوة اولى نحو السلام في المنطقة .

اما التحرك الامريكي الثاني بالنسبة للشرق الاوسط فقد جاء على صورة تصريحات وتحركات ذات طابع هجومي وشرس نسبيا ضد الوجود السوفياتي في المنطقة وفي البحر الابيض المتوسط وضد القوى المحلية التي تعتمد على هذا الوجود في صمودها وقدرتها . ففي ٩ شباط صرح مستشار الرئيس نيكسون للشؤون الخارجية — كيسنغر — ان الوجود السوفياتي العسكري في الشرق الاوسط تجاوز متطلبات الازمة في المنطقة ، كما أشار الى ان مضاعفات هذا الوجود تتجاوز الوضع المحلي ويجب اخذها بعين الاعتبار في أية تسوية يتم الوصول اليها في الشرق الاوسط .

وعبرت رسالة نيكسون الى الكونغرس حول سياسة الولايات المتحدة الخارجية (الاسبوع الثاني من شهر شباط) في قسمها المخصص للشرق الاوسط عن هذا المزاج الامريكي الصدامي والمتشدد حيال الازمة عامة في المنطقة والوجود السوفياتي بالتحديد ، وبالتالي حيال كل القوى المعادية للامبريالية ايضا ، وقد جاء هذا التطور في الموقف الامريكي على إثر الحرب الهندية — الباكستانية ونتائجها ، والهزيمة التي لحقت بالاستراتيجية الامريكية في تلك المنطقة من العالم . لقد رفع تقرير نيكسون عن النزاع صفته المحلية وجعله مسألة امريكية سوفياتية بالدرجة الاولى بحيث يتحتم على امريكا اتخاذ اجراءات ذات طابع ديناميكي متحرك لتطويق الوجود السوفياتي والتضييق عليه وتعزيز المواقع الامبريالية وقواها في منطقتنا . لذلك نجد ان التقرير يشدد على ما يسميه بالجهود التي بذلها الاتحاد السوفياتي « لاستخدام النزاع العربي الاسرائيلي من اجل استمرار مركزه العسكري في مصر وتوسيعه » . كما اشار الى « استغلال الاتحاد السوفياتي اعتماد مصر على المعدات السوفياتية العسكرية لكسب تسهيلات جوية وبحرية في مصر ... والسعي وراء مغانم سياسية من جانب واحد في المنطقة » . كذلك عبر التقرير عن قلق الولايات المتحدة الشديد من هذا الوضع لان له « مضاعفات شديدة على استقرار توازن القوى محليا واقليميا وفي شرق البحر الابيض المتوسط وعالميا » ، كما بين ان الحلف الاطلسي « لا يستطيع ان يتجاهل المضاعفات المحتملة لهذه الخطوة (من قبل الاتحاد السوفياتي) بالنسبة لاستقرار العلاقات بين الشرق والغرب » .

ويبدو ان الترجمة العملية لهذا التعبير عن القلق الامريكي الامبريالي قد اخذت شكل الاتفاقات الجديدة التي عقدتها الولايات المتحدة مع اليونان بشأن استخدام الاسطول السادس لموانئه . كما انفصحت عن نفسها في الاضطرابات التي تمر فيها جزيرة قبرص حاليا حيث يسعى جنرالات اليونان — بدعم امريكي — الى الاطاحة بالمطران مكاريوس (رئيس جمهورية قبرص) الذي يتبع سياسة حيادية نوعا ما بين التكتلات الدولية تستند الى عدم معاداة الشيوعية واقامة علاقات جيدة ووثيقة مع الاتحاد السوفياتي والدول التي تعتبر نفسها منضمة الى معسكر عدم الانحياز . ويظهر ان السياسة الامريكية تريد الرد على الوجود السوفياتي البحري والجوي القوي في المنطقة (على حد تعبير رسالة نيكسون) عن طريق تحويل قبرص الى محطة امريكية امامية

تضاف الى اليونان في مواجهة الشواطىء السورية والمصرية . ومن الضروري ان تقوم كافة القوى المعادية للامبريالية في المنطقة بدعم النظام القائم في قبرص ومساعدته من اجل احباط هذا المخطط الامريكي الامبريالي الجديد ضد المصالح الوطنية والقومية لشعوب المنطقة . وجدير بالذكر ايضا ان الاتحاد السوفياتي قد حذر بصورة رسمية الحكومة العسكرية اليونانية من الاقدام على اية محاولة لاسقاط نظام مكاريوس كما عبر عن اهتمامه بسلامة اوضاع قبرص السياسية وطالب الحكومة اليونانية بعدم التدخل بالشؤون الداخلية للجزيرة ، مما يدل على الاهمية القصوى للتحرك الامريكي المعادي في منطقتنا والهادف الى تحويل قبرص الى قاعدة للحلف الاطلسي . كما كان الاتحاد السوفياتي قد احتج بشدة في السابق لدى الحكومة اليونانية على الاتفاقية التي عقدتها مع الولايات المتحدة من اجل استخدام الاسطول الامريكي للموانىء اليونانية بصورة تخرج عن المعتاد والمألوف في هذه العمليات. كذلك اشار تقرير نيكسون الى حالة الشتات التي ما زال الشعب الفلسطيني يعاني منها من زاوية تاثيرات نضاله السلبية على الحكومات العربية ، وعلى رفع درجة التوتر في المنطقة ، واعتبر التقرير ان استمرار وضع الشعب الفلسطيني على حاله يهدد « الحكومات المستقرة والمعتدلة » في المنطقة، واكد من جديد التزام امريكا بالمحافظة على « ميزان التسلح » وبذل الجهود للبحث عن « تسوية عربية ـ اسرائيلية شاملة تحت اشراف يارينغ »بالاضافة الى الجهود الامريكية « الرامية الى مساعدة الفريقين على تحقيق تسوية مؤقتة ايضا » باعتبار انه يمكن احراز التقدم في الحالة الاخيرة بدون طرح كل القضايا المثيرة للنزاع التي تعيق الوصول الى التسوية الشاملة . وقد حملت مصر بشدة على تقرير نيكسون ووصفته بأنه يهدد بتوسيع الازمة بحجة ازدياد المساعدات العسكرية لمصر .

على اثر الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على حدود لبنان والانذارات العلنية والسرية التي وجهتها اسرائيل الى الحكومة اللبنانية والاتصالات الدبلوماسية العربيةوالاجنبية التي اجرتها السلطات في لبنان بعثت الحكومة الامريكية برسالة الى الرئيس فرنجية تعبر عن استمرار اهتمامها بضمان استقلال لبنان وسلامة اراضيه على اساس التاكيدات التي تم تقديمها سابقا الى لبنان بهذا الصدد. وعلى اثر قيام اسرائيل بعدوانها الواسع الاخير على جنوب لبنان واحتلالها لمنطقة العرقوب برهنت امريكا عن مدى اهتمامها باستمرار الوضع القائم في لبنان وعدم تعريضه لاية هزات ، وعن مدى اعتبارها لهذا الوضع كجزء من مصالحها الحيوية في المنطقة ، وذلك عن طريق ممارسة ضغط مباشر على اسرائيل كي تنسحب من قرى العرقوب التي احتلتها (وليس من المرتفعات) في الهجوم . فقد ترددت انباء مؤكدة ان سيسكو قام باتصالات سريعة مع المسؤولين الاسرائيليين وطلب منهم الانسحاب فورا من الاراضي اللبنانية ، وعندما حاولت اسرائيل استمهاله في الجواب كان رده « اريد الان جوابا ايجابيا بالموافقة على الانسحاب من الاراضي اللبنانية بدون تردد او تلكؤ » . وكان رئيس الدائرة السياسية في السفارة الامريكية في بيروت قد حمل تاكيدات الى الحكومة اللبنانية ـ في اليوم الثاني للاحتلال ـ بان انسحاب القوات الاسرائيلية سيتم بدون تاخير .

ومن ناحية اخرى ترددت انباء عن مصادر دبلوماسية بريطانية ان الرئيس نيكسون سيعرض على الزعماء السوفيات ، خلال زيارته لموسكو في شهر ايار المقبل ، مشروعا اسرائيليا لاعادة فتح القناة وتخفيف حدة التوتر في المنطقة . ويبدو ان المشروع جاء نتيجة مشاورات امريكية ـ اسرائيلية ويضم النقاط التالية : ١ ـ موافقة مصر واسرائيل على اعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، بعد اتفاق الدول الكبرى على هذا الموضوع . ٢ ـ تراجع القوات المصرية والاسرائيلية عن جانبي القناة الى حد يتم الاتفاق عليه . ٣ ـ ادارة القناة من قبل مدنيين مصريين يعملون على ضفتي الممر المائي . ٤ ـ عودة السكان الذين هجروا مدن القناة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الى مدنهم واعادة الحياة الى وضعها الطبيعي هناك .

واوضحت المصادر الدبلوماسية في لندن ان هناك نقاطا اخرى في المشروع تركت للتفاوض فيما بعد ومنها رغبة اسرائيل في ان تعبر سفنها القناة . كما ذكرت انه في الوقت الذي تجري هذه المساعي لاعادة فتح القناة ، يمكن ان تدور المحادثات باشراف الدكتور غونار يارينغ الوسيط الدولي لتحقيق التسوية الشاملة في المنطقة .

أما على صعيد محادثات الدول الاربع الكبرى فلم

يطرا اي جديد باعتبارها مجمدة منذ فترة غير قصيرة . كما انه لم تطرا اية تحولات اساسية على مواقف دول اوروبا الغربية من النزاع العربي الاسرائيلي التي تم التعبير عنها في الدورة الاخيرة لهيئة الامم حيث صوتت كل هذه الدول الى جانب قرار الجمعية العامة المدعوم من قبل مصر . الا انه لا بد من الاشارة الى حدثين على الصعيد الاوروبي الغربي : اولا تصريح رئيس وزراء المانيا الغربية — وليم برانت — الغامض نوعا ما حول عزمه على القيام بمبادرة شخصية لازالة الجمود المسيطر على ازمة الشرق الاوسط وقوله بان حكومته ستساهم مساهمة كبيرة في حل قضية اللاجئين الفلسطينيين . ويصعب علينا في الوقت الحاضر تقييم أهمية هذا الكلام اذ انه قد يكون مجرد تصريح اخر من التصريحات التي اعتدنا سماعها من قبل رؤساء الحكومات في المناسبات كما انه قد يكون تلميحا الى وجود مشاريع جديدة يجري العمل عليها في الاوساط السياسية الغربية في محاولة لاخراج النزاع العربي — الاسرائيلي من المأزق المسيطر عليه في الوقت الحاضر . ثانيا الانباء التي ترددت في الصحف البريطانية حول قيام شركة انكليزية ببناء غواصتين لحساب الاسطول الاسرائيلي . ولم تنف المراجع الرسمية البريطانية وجود صفقة من هذا النوع . ولا شك ان عودة بريطانيا الى تزويد اسرائيل بالسلاح تبين ان ما كانت قد زعمته الدبلوماسية العربية حول كسب بريطانيا الى جانب الموقف العربي الرسمي وتعزيز روابط التفاهم العربي — البريطاني ليس الا وهما وسرابا في التحليل الاخير .

بالنسبة للمعسكر الاشتراكي تركزت التطورات في الفترة الاخيرة حول عدد لا بأس به من الزيارات الرسمية المتبادلة بين بعض الدول العربية والاتحاد السوفياتي مما يشير الى ان التدهور الذي طرأ على العلاقات العربية — السوفياتية على اثر الضربة التي وجهت الى الحزب الشيوعي السوداني وعلى اثر الحملات الليبية ضد الشيوعية والسوفيات قد وصل الى مداه الاقصى وبدأ يحل محله اتجاه جديد نحو تحسين العلاقات واعادتها الى ما كانت عليه في السابق . من العوامل المهمة التي ساعدت في انطلاقة الاتجاه الجديد نشر التقرير السري الذي القاه في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي احد قادة الحزب البارزين حيث وجه نقدا عنيفا الى الحزب الشيوعي السوداني وزعيمه الراحل عبد الخالق محجوب بسبب محاولة الانقلاب الشهيرة ضد نظام الرئيس النميري . ووصلت محاولات تحسين العلاقات العربية السوفياتية الى ذروتها في الزيارة التي قام بها وفد ليبي رسمي على مستوى رفيع الى موسكو ، في النصف الثاني من شهر شباط ، برئاسة الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة . وتمت الزيارة على اساس دعوة من الحكومة السوفياتية كما أسفرت عن توقيع اتفاق حول التعاون الاقتصادي والفني بين البلدين وخاصة في ميادين استكشاف النفط واستخراجه وتكريره وفي تطوير الطاقة الكهربائية وفي فروع اخرى من الاقتصاد الليبي . وليس من شك في ان المحادثات الليبية — السوفياتية قد تطرقت الى النزاع القائم في المنطقة والى موضوع التسليح العربي خاصة وان مجموعة من الخبراء العسكريين المصريين رافقوا الوفد الذاهب الى موسكو . كما ترددت انباء غير مؤكدة عن عقد صفقة سلاح سوفياتية مع ليبيا سيعلن عنها فيما بعد .

كذلك قام الرئيس السادات بزيارة الاتحاد السوفياتي بغية تحقيق « مراجعة شاملة لكل الحسابات في ضوء الموقف العالمي الراهن وبعدما ركزت الولايات المتحدة كل جهودها في منطقة الشرق الاوسط اثر الجولة التي خسرتها في جنوب شرقي آسيا » على حد تعبير الرئيس السادات نفسه . واسفرت الزيارة عن بيان مشترك كان اهم ما فيه التشديد على موضوع تحقيق السلام في الشرق الاوسط (في مقابل ما كان قد قيل في القاهرة عن الحرب وسنة الحسم) . أشاد البيان بالقرار الاخير للجمعية العامة لهيئة الامم المتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي ، واكد عزم الدولتين الصديقتين على الاستمرار في النضال من اجل تحقيق تسوية عادلة للنزاع على اساس تنفيذ كل بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ودعا الى استئناف مهمة يارينغ واتصالاته مع الدول المعنية نظرا لخطورة الوضع القائم في المنطقة ، كما اشار الى ضرورة تعزيز الطاقات الدفاعية العربية . وجدير بالذكر ان وليم روجرز علق على زيارة السادات بقوله ان البيان المشترك الذى صدر عقبها قد صيغ بعبارات غير عدائية مما يعني ان وجهة النظر العامة التي سادت هي نفس وجهة

النظر التي تتبناها واشنطن بالنسبة للنزاع في المنطقة . ومن الملاحظ ان محادثات السادات في موسكو قد احيطت بقدر كبير من السرية وتضاربت حولها التعليقات والتفسيرات . فمن ناحية اعتبرتها الاوساط العربية (خاصة في مصر) زيارة ناجحة جدا لانها حققت كل الاهداف التي سعى الى تحقيقها الرئيس المصري بينما اعتبرتها الاوساط الدبلوماسية والصحفية الغربية زيارة فاشلة لان الرئيس السادات لم يتمكن من الحصول على ما يريد من القيادة السوفياتية . اذ بينما اعلن السادات في خطاب له امام بعض القطعات العسكرية قبل سفره الى موسكو مباشرة انه سيحدد ساعة الصفر في بدء عملية التحرير بعد عودته من الاتحاد السوفياتي جاء البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة مليئا بالتشديد على مهمة يارينغ وتحقيق السلام في المنطقة وتعزيز طاقات مصر الدفاعية فحسب . وترى هذه الاوساط المطلعة ان الاتحاد السوفياتي اعرب عن معارضته لاية عمليات عسكرية في الشرق الاوسط وطلب من السادات ارجاء اتخاذ اية بادرة بهذا الاتجاه ، وشدد على ضرورة التمسك بالوضع الراهن ما دامت لم تعرف بعد معالم معركة انتخابات الرئاسة في امريكا . بعبارة اخرى اذا كان السادات قد ذهب الى موسكو ليعرض خططه للحرب ويطلب الاسلحة الهجومية التي يحتاج اليها الجيش المصري فانه لم يجد اي تشجيع للسير في هذا الخط من قبل القيادة السوفياتية . وبعد موسكو قام السادات بزيارة بلغراد حيث قابل الرئيس تيتو . وترددت انباء عن مصادر يوغوسلافية ان الرئيس المصري اطلع تيتو على نتائج محادثاته في موسكو واكد له ان مصر ستواصل البحث عن تسوية سلمية بالرغم عن ان صبر الشعب المصري كاد ان ينفذ لان بادرات السلام لم تؤد حتى الان الى اية نتيجة مرضية .

في النصف الثاني من شباط ١٩٧٢ قام وزير الدفاع السوفياتي الماريشال غريشكو بزيارة مصر حيث جاء لاستطلاع الاوضاع العسكرية في الجبهة المصرية بعد ان كان الرئيس السادات قد عرضها بصورة عامة على القيادة السوفياتية اثناء زيارته لموسكو . وذكرت الانباء ان زيارة غريشكو استهدفت (١) الوقوف على المواقع التي ستوضع فيها انواع من الاسلحة المتطورة وصلت الى مصر حديثا . (٢) اختيار مجموعات من الضباط العسكريين للسفر الى الاتحاد السوفياتي والتدرب على اسلحة معينة ذات طابع هجومي . (٣) نوعية الوجود السوفياتي في مصر مستقبلا في ضوء تزايد النشاط الاميركي في البحر المتوسط والتطورات الاخيرة التي انتهت الى ان يكون ميناء بيريه اليوناني قاعدة دائمة للاسطول السادس . وقد صدر بيان مشترك عن زيارة غريشكو اعرب فيه الطرفان عن رضائهما بالتعاون المتزايد بين القوات المسلحة السوفياتية والمصرية ، وانهما تبادلا وجهات النظر في شأن تعزيز وتنمية التعاون بين البلدين من اجل زيادة قدرات مصر القتالية .

اما الزيارة الرابعة فقد قام بها وفد عراقي برئاسة السيد صدام حسين ، نائب رئيس مجلس الثورة، حيث تم الاتفاق بين البلدين ، كما يبدو ، على توقيع معاهدة صداقة وتعاون شبيهة بالمعاهدة المصرية السوفياتية التي تم توقيعها في ايار ١٩٧١. ويكون بذلك العراق البلد العربي الثاني بعد مصر الذي يوقع مثل هذه المعاهدة . وتبين ايضا ان الجانبين العراقي والسوفياتي قد اتفقا على الخطوط العريضة لمضمون المعاهدة وان النقاط التفصيلية ستناقش في محادثات مقبلة . ومن المفترض ان تنظم المعاهدة المساعدات الاقتصادية والعسكرية السوفياتية للعراق وان تؤدي الى تنسيق السياسة العراقية مع الاتحاد السوفياتي في كل ما يتعلق بقضايا الحرب والسلام في المنطقة . وقد اشار البيان المشترك الذي صدر حول الزيارة الى مسألة المعاهدة من خلال فقرة لم يسبق ان تضمنها اي بيان مشترك عربي — سوفياتي سابق حيث جاء فيها : « وعبر الجانبان عن ارتياحهما للصلات الودية بين الحزب الشيوعي السوفياتي وحزب البعث العربي الاشتراكي واعربا عن رغبتهما المتبادلة في تطورها المطرد بما يتفق ومصالح تعزيز علاقات الصداقة والتعاون القائمة بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العراقية ونضالهما المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومن اجل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي . ورغبة كل منهما في استمرار تطور علاقات الصداقة والتعاون الشامل بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العراقية اتفق الجانبان على انهما ، في نطاق تبادل الاراء الذي تم بينهما ، سيدرسان ما يمكن اتخاذه من التدابير الاضافية ، في اقرب

وقت ممكن ، لرفع العلاقات القائمة بين البلدين الى مستوى جديد اعلى يتخذ صيغة تعاهدية » . ولم ترد اية اشارة في البيان المشترك الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وذلك تقديرا ، على ما يبدو ، من قبل السوفيات لموقف العراق الرسمي الذي يرفض القرار . بدلا من ذلك جاء في البيان : « يرى الجانبان ان اقرار سلام وطيد وعادل في الشرق الاوسط لا يمكن الوصول اليه من دون تحرير كل الاراضي العربية المحتلة نتيجة عدوان اسرائيل الامبريالي ، ومن دون تامين الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني.» ومن المحتمل ان يتم توقيع معاهدة الصداقة والتعاون عند زيارة احد الزعماء السوفيات للعراق في نيسان القادم بمناسبة تدشين بدء انتاج النفط في حقل الرميلة الذي ساهم السوفيات في انشائه . وقد ترددت انباء عن امكان قيام سوريا بتوقيع معاهدة مماثلة مع الاتحاد السوفياتي . يبدو واضحا ان سياسة الانظمة العربية حيال النزاع في المنطقة تسير باتجاه التقارب والتوحيد حتى على صعيد المواقف المعلنة ، من خلال المزيد من الارتباط بالاتحاد السوفياتي وعلى اساس الالتفاف حول التفسير المصري — السوفياتي لمعنى الحل السلمي ولقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

كذلك قام وفد حزبي وحكومي سوفياتي برئاسة النائب الاول لرئيس الوزراء (وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي) بزيارة لسوريا بدعوة من قيادة حزب البعث في النصف الثاني من شباط ، ولا يستبعد ان يكون موضوع معاهدة الصداقة والتعاون التي تردد ان سوريا قد توقعها مع الاتحاد السوفياتي قد بحث اثناء زيارة الوفد .

أما بالنسبة لمهمة يارينغ وتحركاته فلم تطرأ اية تطورات هامة حقا عليها ولم تسفر الاتصالات التي اجراها عن اية نتائج واضحة او خطيرة حتى هذه الساعة . وكان اهم ما فعله يارينغ هو التشاور مع الامين العام الجديد لهيئة الامم — فالدهايم — حول عودة مهمته الى الحياة ومن ثم قيامه بزيارة مصر والاردن واسرائيل في النصف الثاني من شباط . وعلى ما يبدو قام يارينغ باستمزاج السلطات المصرية حول رأيها في مقترحات جديدة ينوي ان يستأنف مهمته على اساسها ، وتردد انه اذا وافقت القاهرة على ما في جعبته فانه سيقوم بزيارة اسرائيل . وصرح الدكتور مراد غالب ، وزير خارجية مصر ، بعد اجتماعه بيارينغ ان محادثتهما كانت « استكشافية » وتناولت تطورات العمل السياسي والدبلوماسي بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط . اما زيارة يارينغ لعمان فقد جاءت نتيجة لدعوة رسمية من الحكومة الاردنية وكان لها مغزى خاص اذ ان الوسيط الدولي كان قد امتنع عن زيارة الاردن طوال السنة الاخيرة من عمله مع انه زار كلا من مصر واسرائيل اكثر من مرة . وجاء هذا الامتناع مع تدهور العلاقات المصرية الاردنية وبروز فكرة التسوية الجزئية التي لم تكن السلطات الاردنية مرتاحة لها . وقد تم ابلاغ يارينغ في عمان معارضة الاردن لفكرة التسوية الجزئية واصراره على الحل الشامل للنزاع على اساس تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وشدد يارينغ في تصريحاته على ان مساعيه الحالية ليست الا استمرارا لمهمته التي بدأت عام ١٩٦٧ مما يعني انه غير مهتم بقضية التسوية الجزئية باعتبارها مشروعا امريكيا بحت لا علاقة له به . كما اعلن انه سيحتفظ بمقره الدائم في نيقوسيا .

استقبلت السلطات الاسرائيلية الوسيط الدولي استقبالا باردا ومهذبا . وترددت انباء موثوقة ان موقف اسرائيل من زيارة يارينغ قد تقرر بعد مشاورات مع الولايات المتحدة والاتفاق معها على ان التسوية الجزئية وحدها ممكن ان تنجح في اخراج ازمة الشرق الاوسط من المأزق الذي يسيطر عليها . كذلك شددت السلطات الاسرائيلية على ان يارينغ هو الذي طلب زيارة اسرائيل وليس العكس . ان محاولات امريكا واسرائيل تفشيل مهمة يارينغ (التي تريد القاهرة انجاحها على اساس القرار الاخير للجمعية العامة) اصبحت واضحة تماما . وذكرت بعض المصادر المطلعة ان يارينغ قد يعرض على اسرائيل صيغة جديدة للتسوية تستند الى النتائج التي توصلت اليها محادثات الزعماء الاسرائيليين مع بعثة حكماء افريقيا (أي الرؤساء الافريقيين الذي قاموا بمهمة سلام في المنطقة في اواخر السنة الماضية) . كما اوضحت المصادر الاسرائيلية ان الحكومة لن تغير موقفها الاساسي السلبي من مذكرة يارينغ المؤرخة في ٨ شباط ١٩٧١ والتي طلبت من اسرائيل الالتزام بالانسحاب الى حدود مصر الدولية مع فلسطين ايام الانتداب . ويبدو ان التصلب الاسرائيلي في

هذا الموضوع قد اخذ يعطي بعض النتائج اذ ذكرت مصادر هيئة الامم ، في اوائل شهر اذار ، ان يارينغ لا يريد لمهمته ان تحل محل وساطة الولايات المتحدة من اجل تحقيق تسوية جزئية من خلال محادثات مصرية اسرائيلية غير مباشرة (محادثات الفندق في نيويورك) كما انه لن يصر على رد ايجابي من اسرائيل على مذكرته المشار اليها وسيقترح استئناف المحادثات بين الاطراف المعنية وفق ردها على المذكرة التي تقدمها في شباط برغم ان رد اسرائيل لم يرض يارينغ ويوثانت كما انه لم يرض الجمعية العمومية للامم المتحدة نفسها كما هو واضح من قرارها الاخير الذي دعا اسرائيل الى تقديم رد ايجابي على المذكرة . وقد صدر بيان مشترك اثناء انتهاء زيارة الوسيط الدولي لاسرائيل جاء فيه ان المحادثات كانت مفيدة وان يارينغ ابلغ السلطات الاسرائيلية خلاصة محادثاته في القاهرة وعمان .

اما على صعيد هيئة الامم فقد كان التطور الهام الوحيد المتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي هو القرار الذي اتخذه مجلس الامن (٢٨ شباط) على اثر عدوان اسرائيل الاخير على جنوب لبنان واحتلالها لمنطقة العرقوب . طلب القرار من اسرائيل ايقاف عملياتها الحربية ضد لبنان وسحب كل قواتها العسكرية من الاراضي اللبنانية فورا . ولكن جدير بالذكر ان مجلس الامن قد عقد اكثر من جلسة ، منذ ابتداء العدوان وبناء على شكوى لبنان ، ولم تسمح امريكا باتخاذ اي قرار ضد اسرائيل الى ان توغلت الاخيرة في المناطق اللبنانية وقامت بعمليات تدمير وقصف واسعة النطاق . بعد ذلك فقط سمحت امريكا للمجلس بتبني القرار المذكور الذي تقدمت به اربع دول اوروبية هي بريطانيا وبلجيكا وفرنسا وايطاليا . وضغطت كل من الولايات المتحدة واسرائيل على المجلس لتضمين مشروع القرار اشارة الى اعمال الفدائيين التي يفترض انها استفزت اسرائيل للقيام بالعدوان الذي قامت به ، الا انه تم حذف هذه الاشارة بسبب معارضة الصين لها (وبعض الدول الاخرى التي لا تتمتع بحق الفيتو) . ويعني ذلك ان مجلس الامن قد رد لاول مرة حجة اسرائيل القائلة بأن هجماتها على الحدود العربية مبررة بحكم كونها دفاعا مشروعا عن النفس ضد هجمات الفدائيين . وعلى أثر اتخاذ القرار اعلن مندوب اسرائيل عن « اسف بلاده العميق » . بينما دعا المندوب الامريكي الى استئناف الاتصالات المباشرة بين لبنان واسرائيل عن طريق لجنة الهدنة المشتركة التي انشأتها الامم المتحدة . اما المندوب السوفياتي فقد قال ان الخطوة التالية يجب ان تكون التنديد باسرائيل وفرض عقوبات عليها والنظر في موضوع طردها من الامم المتحدة .

ص. ج. ع.

صدر عن مركز الابحاث

علاقات اسرائيل مع دول العالم

١٩٦٧ — ١٩٧٠

بقلم

شحادة موسى

٥١٧ صفحة ١٠ ل.ل.

(٤) السياسة الاسرائيلية

١) امن وخارجية

في نطاق الامن والخارجية كانت ابرز احداث شهر شباط (فبراير) ١٩٧٢ اعلان الحكومة الاسرائيلية عن موافقتها على العودة الى محادثات الحل المرحلي باشراف سيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركي ضمن الصيغة التي اطلقت عليها الصحافة الاجنبية تسمية « محادثات الفندق » . وقد تم الاعلان عن الموافقة في اليوم التالي لتوقيع اتفاق بين اسرائيل والولايات المتحدة يحدد دور هذه في الجهود التي تنوي الاستمرار بها للوصول الى تسوية سياسية في المنطقة . وقد عكس الاتفاق التحول الذي طرأ في نهايات العام الماضي على السياسة الاميركية بالنسبة لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط . وهو تحول اقترب بالموقف الاميركي من الموقف الاسرائيلي حتى كاد يتطابق معه ، ونجم عنه قرار استئناف تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم والسكايهوك والبدء بتنفيذ الاتفاقيات الخاصة بامداد اسرائيل بالمعرفة العلمية والتقنية اللازمة لانتاج انواع معينة من الاسلحة المتطورة وقطع الغيار داخل اسرائيل. وسافر في ذات الشهر الى واشنطن وزير الدفاع الاسرائيلي موشيه دايان حيث اجتمع بليرد وروجرز، وزيري الدفاع والخارجية الاميركيين ، وبحث معهما التفصيلات المتعلقة بصفقات التسليح ، وتصوراته بالنسبة للحل المرحلي ، الذي تجنب الاتفاق المذكور اعلاه الخوض في المسائل الاساسية المتعلقة به . واستقبلت اسرائيل في اواخر الشهر غونار يارينغ ببرود شديد هو بمثابة استمرار للموقف الذي تتخذه اسرائيل من وسيط الامم المتحدة منذ ٨ فبراير من العام الماضي عندما قدم لكل من مصر واسرائيل المذكرة المعروفة التي طلب فيها من مصر التعهد بعقد سلام مع اسرائيل وردت عليها مصر ردا ايجابيا وطلب فيها من اسرائيل التعهد من حيث المبدأ بالانسحاب من كل الاراضي المصرية المحتلة وردت اسرائيل عليها ردا سلبيا . وقد كانت هذه النقطة بالذات ، مسألة الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة في حرب حزيران ، السبب في ازمة مصغرة نشبت في الشهر المستعرضة احداثه بين سنغور رئيس دولة السنغال المناصر لاسرائيل والحكومة الاسرائيلية . وقد نشبت الازمة نتيجة لاكتشاف سنغور التضليل الذي مارسته الحكومة الاسرائيلية عندما زار اسرائيل في العام الماضي موفدا من قبل الرؤساء الافريقيين العشرة على راس بعثة للتوسط في النزاع العربي ــ الاسرائيلي. وكشفت الصحف الاسرائيلية عن وقوع اتصالات بين الاردن واسرائيل بواسطة أنور نسيبه وزير الدفاع الاردني السابق ، وذكرت هآرتس ان رئيسة وزراء العدو تبنت في نقاشات سياسية دارت على مستوى عال في القيادة الاسرائيلية موقفا ينادي باعطاء الاولوية « لحل » مع الاردن على « حل » مع مصر. وشن الجيش الاسرائيلي في اواخر الشهر اعنف عدوان له على لبنان منذ قيام الدولة الغاصبة في عام ١٩٤٨ . وقد اكتسب العدوان هذه المرة طابعا خطيرا ، ليس فقط بسبب عنفه واتساع مداه ، وانما ايضا بسبب المطالب الاسرائيلية السابقة له، والنوايا المعلنة بعده .

محادثات الفندق : قد يكون من المناسب قبل الحديث عن قرار الحكومة الاسرائيلية بالعودة الى مفاوضات الحل المرحلي ان نتحدث بايجاز عن التطورات التي مر بها هذا الحل . ان أول ما يجب تسجيله بشأن الحل المرحلي هو انه ، رغم كون السادات أول من طرحه رسميا في ٤ شباط ١٩٧١ ، وليد فشل الدبلوماسية الاميركية في زحزحة اسرائيل عن مواقعها فيما يتعلق بالحل الشامل . لقد وجه عبد الناصر في ايار من عام ١٩٧٠ ، وحرب الاستنزاف على اشدها ، نداء الى الرئيس الاميركي نيكسون يطلب منه التدخل للضغط على اسرائيل لتقبل بتسوية شاملة لما يسمى بالنزاع العربي الاسرائيلي. وفيما بدا آنذاك وكأنه استجابة من الرئيس نكسون لنداء عبد الناصر ، قامت الولايات المتحدة بمبادرتها المعروفة باسم مبادرة روجرز ، التي قبلها عبد الناصر رسميا في ٢٣ تموز ١٩٧٠ ، وقبلتها اسرائيل تحت الضغط الاميركي في ٤ اب من ذلك العام . وضمن اطار المبادرة الاميركية تم وقف اطلاق النار « لمدة ثلاثة شهور » واستأنف غونار يارينغ مهمته لتحقيق تسوية شاملة بادئا بمصر واسرائيل . على اي اساس ارتكزت الموافقة المصرية والاسرائيلية على المبادرة الاميركية ؟ ان تفصيلات المفاوضات التي دارت بشأنها بين مصر

والولايات المتحدة من جهة ، وبين اسرائيل والولايات المتحدة من جهة اخرى ، ما زالت سرا من الاسرار المحفوظة في ملفات الدول المعنية . ولكن يمكن القول بشكل عام ، استنادا الى الموقف الاميركي المعلن بالنسبة لاسس تسوية النزاع في الشرق الاوسط والى دراسة دقيقة لتصريحات المسؤولين المختلفين وتطورات المفاوضات ، بان الموافقة المصرية انما ارتكزت في الاساس الى وعد اميركي بالضغط على اسرائيل لتحقيق « صفقة شاملة تتضمن سلاما كليا مقابل انسحاب كلي » مع استعداد مصر للقبول « بتنفيذ بنود الصفقة على مراحل » ، على حد تعبير اشرف غربال كبير دبلوماسيي مصر سابقا في الامم المتحدة في المؤتمر الصحفي المغلق الذي عقده في الاسبوع الثاني من شهر شباط الماضي ، بينما ارتكزت الموافقة الاسرائيلية في الاساس ، كما يبدو ، على وعد اميركي لاسرائيل **بعدم** الضغط عليها للقبول بما لا تريده ، وبالحفاظ على ميزان القوة العسكرية مائلا لصالحها ، وامدادها بالمعونات الاقتصادية الكفيلة ببقاء وضعها الاقتصادي متينا وقادرا على تحمل اعباء المواجهة الباردة او الساخنة مع العرب . ويمكن القول بشكل عام ايضا ان المازق الذي بدا ان الدبلوماسية الاميركية كانت تعيشه منذ بداية المفاوضات في صيف عام ١٩٧٠ وحتى الشهر الاخير من العام الماضي انما كان نابعا من عجز الولايات المتحدة عن انجاز وعدها لمصر بالضغط الفعال على اسرائيل بسبب الوعد الاخر الذي قطعته لاسرائيل بعدم الضغط عليها ، رغم انها في فترة من الفترات حاولت ممارسة ضغط محدود عن طريق حجبها لطائرات الفانتوم والسكايهوك التي كانت اسرائيل تطلبها مدعية ان ميزان القوى قد بدأ يميل لصالح مصر بسبب زيادة التمركز السوفياتي فيها . وقد كانت أول عثرة وقعت فيها الدبلوماسية الاميركية هو رفض اسرائيل البدء في المحادثات باشراف يارينغ تحت ستار الزعم بان مصر قد حركت قواعد صواريخ سام ٣ الى حافة القنال بعد ساعات معدودة من تنفيذ اتفاقية وقف اطلاق النار . ولكن الدبلوماسية الاميركية تمكنت من التغلب على هذه العثرة عن طريق تزويد اسرائيل بانواع معينة من الاسلحة المتطورة وعن طريق وعدها بكبح السوفيات فيما لو انهار وقف اطلاق النار نتيجة لخطوات مماثلة . ثم جاءت العثرة الثانية الاكبر والاشد خطورة عندما رفضت اسرائيل بشكل فج طلب يارينغ منها في ٨ شباط بالتعهد من حيث المبدأ بالانسحاب من كافة الاراضي المصرية المحتلة في حالة اتمام التسوية الشاملة — وهو طلب قدمه يارينغ ، كما اكدت مختلف المصادر ، بتشجيع من الولايات المتحدة . وهنا كان على هذه ان تقدم على واحدة من خطوتين : أما ان تبدأ بممارسة ضغط جدي وفعال على اسرائيل لزحزحتها عن هذا الموقف ، أو أن تخطر مصر بتخليها عن المبادرة الخاصة بها . ولكن الدبلوماسية الاميركية بدلا من ان تفعل ذلك لجأت الى المناورة التي عرفت فيما بعد باسم الحل المرحلي . جمدت مفاوضات يارينغ واقنعت مصر بأن السبيل الوحيد للالتفاف حول الرفض الاسرائيلي هو تقديم اقتراح بفتح قناة السويس للملاحة ضمن شروط نظرية وعملية تضمن صيرورة هذه الخطوة **خطوة اولى** على طريق الحل الشامل . واقتنعت مصر ، ووضعت الشروط الكفيلة في نظرها بتحقيق الهدف المنشود . وكانت شروط مصر الاساسية في البداية هي : اولا — ان ينص الاتفاق على كونه مرحلة اولى من مراحل تحقيق الحل الشامل ، أي ان يكون مربوطا نصا بقرار مجلس الامن . ثانيا — ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خط العريش — رأس محمد كخطوة اولى على ان يتم لاحقا انسحاب شامل . ثالثا — ان يكون للقوات المصرية الحق بعبور قناة السويس والتمركز على الضفة الشرقية لها . رابعا — ان يتحدد وقف اطلاق النار في الاتفاق المرحلي بستة شهور يكون لمصر بعدها الحق باستئناف القتال اذا تعثرت المفاوضات . خامسا — ان يكون السماح للسفن الاسرائيلية بالملاحة في قناة السويس مرتبطا بحل مشكلة الفلسطينيين . ومن الواضح ان هذه الشروط ، لو قبلتها اسرائيل كما هي ، او حتى قبلتها بشكل مخفف ، كان يمكن ان تشكل التفافا ممتازا حول الرفض الاسرائيلي لمطلب الانسحاب الكلي من الاراضي المصرية . ولكن المشكلة بالطبع لم تكن في اتقان صياغة الشروط بمقدار ما كانت في اقناع الاسرائيليين بقبولها ، وهذا ما برهنت الاحداث على انه كان مهمة مستحيلة . اذ ان اسرائيل بدلا من ان تقبل الشروط بشكل مخفف كما كان مأمولا ، عمدت الى طرح شروط مضادة يلخصها البيان الذي القته غولدا مئير في الكنيست بتاريخ ٧١/٦/٩ : « في ختام محادثاتنا مع وزير الخارجية الاميركي بشأن الاتفاق على فتح قناة السويس عمدت فلخصت موقفنا

بالنسبة للبنود الاساسية : الاتفاق بيننا وبين مصر يكون اتفاقا خاصا ومنفردا وليس مربوطا بمجريات محادثات يارينغ او مجلس الامن او مناقشات الدول الاربع . في اطار هذا الاتفاق تكون اسرائيل مستعدة للنظر في تحريك معين للقوات الاسرائيلية عن خط الماء وفقا للاسس التالية : لا يتجدد القتال — تنظف مصر قناة السويس وتشغلها — لا تعبر قوات مصرية او قوات اخرى الى شرق القناة — تقوم ملاحة حرة تشمل السفن والشحنات الاسرائيلية — تتقرر ترتيبات مراقبة فعالة ومتفق عليها — تؤمن وسائل ردع ضد خرق الاتفاق — تحريك قوات الجيش الاسرائيلي من خط الماء لا يكون مرحلة لانسحاب اخر قبل تحقق السلام — استمرار الاتفاق لا يكون مرهونا بمحادثات يارينغ الا انه لا يتناقض مع استئنافها وتقدمها واهدافها — الخط الجديد الذي تقف خلفه قوات اسرائيل ليس خط الحدود الدائم — خط الحدود الدائم يتقرر في معاهدة سلام تعقد بين مصر واسرائيل » . ومن الواضح ان هذه الشروط لم تكن تتناقض كليا مع شروط مصر فحسب ، وانما كانت ايضا تقطع الطريق على اية فرصة لتحول الحل الجزئي الى حل شامل . وتجاه الطريق المسدود الذي وضعت الشروط الاسرائيلية الحل المرحلي فيه ، نشطت الدبلوماسية الاميركية لمحاولة تخفيف شروط المصريين وزحزحة اسرائيل عن مواقفها المتصلبة ، واستخدمت في مرحلة متأخرة الطائرات الاميركية كوسيلة ضغط على اسرائيل لتليين مواقفها . ويقال بأنه حتى اكتوبر ١٩٧١ كانت الدبلوماسية الاميركية قد نجحت في اقناع المصريين بالتساهل في مسألة عبور قوات مصرية لقناة السويس بحيث وافقوا على مجرد عبور قوة رمزية مسلحة تسليحا خفيفا وبالتساهل في مسألة وقف اطلاق النار بحيث تكون مدته ١٨ شهرا بدلا من ستة شهور وبالتساهل في مدى الانسحاب الاسرائيلي بحيث يكون ٥٧ كيلو مترا او اقل من ذلك بدلا من ان يكون الى خط العريش — راس محمد ، بينما لم تنجح بالمقابل في انتزاع وعد محدد من الاسرائيليين بالتساهل في اي نقطة من النقاط الاساسية ، سوى استعداد الاسرائيليين للانسحاب الى اكثر من ٨ — ١٠ كم كما ذكروا اولا واستعدادهم للتنازل عن تسيير سفنهم في قناة السويس في البداية . واكثر من ذلك بدأ الاسرائيليون يلحون على تزويدهم بكميات اضافية من طائرات الفانتوم والسكايهوك ، وبدأت الصحف الاسرائيلية توجه انتقادات صريحة للولايات المتحدة بانها خرقت تعهدها لاسرائيل بعدم الربط بين تزويدها بالسلاح وبمجريات المفاوضات لتحقيق الحل المرحلي او الشامل ، وتحدثت بعض الصحف عن شكوك المسؤولين الاسرائيليين بأن الولايات المتحدة تعقد اتفاقيات مع مصر من وراء ظهر اسرائيل . وفي هذا الجو القى روجرز في ٤ اكتوبر من العام الماضي خطابا في الجمعية العامة للامم المتحدة طرح فيه مشروعا من ست نقاط لتحريك مفاوضات الحل المرحلي . وكان من جملة ما ورد في نقاط المشروع الست قول روجرز بان الاتفاق حول القناة ليس الا مرحلة نحو تطبيق قرار مجلس الامن وانه ليس غاية في حد ذاته ، وقوله بأن مطلب اسرائيل بوقف اطلاق نار غير محدود مطلب غير واقعي وقوله بان غرض الوصول الى تسوية بشأن عبور القوات المصرية لقناة السويس ليست سلبية ، وهي اقوال ، على علاتها ، تحفظ للحل المرحلي صفته كجسر للعبور الى الحل الشامل . ولذلك كان رد الفعل الاسرائيلي تجاهها عنيفا وسلبيا ، وبدأت حملة صهيونية في اسرائيل والولايات المتحدة ضد روجرز وسيسكو ، والقت غولدا مئير بيانا في الكنيست بتاريخ ٧٢/١٠/٢٦ رفضت فيه نقاط روجرز الست ، وركزت على ضرورة امداد اسرائيل بالطائرات المطلوبة . وفي النصف الثاني من شهر تشرين الاول رمت الولايات المتحدة بسهمها الاخير مقترحة قيام المفاوضات حول الحل المرحلي في فندق واحد على مستوى عال بين مصر واسرائيل تحت اشراف سيسكو . وبينما وافقت مصر على اجراء هذه المفاوضات ، وعينت مراد غالب ليكون ممثلها فيها ، مفترضة انها ستجري على اساس نقاط روجرز الست المطروحة في الجمعية العامة للامم المتحدة ، اعلنت اسرائيل انها لن تقرر موقفها منها الا بعد الحصول على ايضاحات معينة من الولايات المتحدة . وقد اتضح ان الايضاحات كانت تشمل النقاط الثلاث التالية : ١) هل ستحصل اسرائيل في المستقبل القريب على صفقة الفانتوم مما لا يجعلها تبدو ضعيفة عند التفاوض مع مصر ؟ ٢) هل توافق الولايات المتحدة على الا يكون مشروع روجرز ذو النقاط الست اساسا لهذه المفاوضات ، وعلى ان تجري المفاوضات بين اسرائيل ومصر دون شروط مسبقة ؟ ٣) بشكل عام كيف تتصور الولايات المتحدة دورها في اطار هذه المحادثات ؟ . وتلكأت الولايات المتحدة في الاجابة على هذه الاستيضاحات

لان الاجابة بنعم على النقطة الاولى كان سيعني تخلي الولايات المتحدة عن وسيلة الضغط الوحيدة التي كانت تمارسها ضد اسرائيل ، والاجابة بنعم على النقطة الثانية كان سيعني فقدان الحل المرحلي لمعناه بالنسبة لمصر ، ووقفت الولايات المتحدة حائرة أمام النقطة الثالثة لان الهدف الواضح من ورائها كان تقييد حرية المناورة الاميركية تجاه المصريين . واستمرت الولايات المتحدة في تأخير الفانتوم ، وتجمد الحل المرحلي ، وتأزمت العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وقررت غولدا مئير السفر في اوائل ديسمبر الى واشنطن للاجتماع بنكسون . ويبدو انه في الوقت الذي كانت العلاقات بين اسرائيل ووزارة الخارجية الاميركية تتدهور ، كان البيت الابيض يعيد النظر في سياسة الولايات المتحدة تجاه ازمة الشرق الاوسط ، ويبدو انه مع وصول غولدا مئير الى واشنطن كان البيت الابيض قد اتخذ قراره بعكس سياسات امريكا تجاه الموضوع . وهكذا بعد فترة وجيزة من الزيارة اعلن نيكسون عن قرار الولايات المتحدة باستئناف شحن طائرات الفانتوم والسكايهوك الى اسرائيل ، واعلن روجرز ان الولايات المتحدة — رغم تمسكها بنقاط مشروعه الست — لا ترى انه ينبغي بالضرورة ان تكون اساسا للمحادثات . وكان معنى ذلك أن الولايات المتحدة قررت التخلي عن فكرة الضغط على اسرائيل وتركت امكانية تحول الحل المرحلي الى حل شامل للمصادمات . ورغم الاستنكار المصري لهذه التحولات في السياسة الاميركية ، استمر الاسرائيليون والاميركيون بالتفاوض حول النقطة الثالثة الواردة في استيضاحات اسرائيل ، وهي دور الولايات المتحدة . وفي ٧٢/٢/٢ ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الولايات المتحدة واسرائيل قد اتفقتا اخيرا حول هذه النقطة ، وان الاتفاق سجل — بناء على طلب اسرائيل — في مذكرة مكتوبة وقعها كل من رابين سفير اسرائيل في واشنطن وسيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركي . ويستدل مما اوردته الصحف الاسرائيلية حول الاتفاق ان الولايات المتحدة تعهدت فيه باطلاع اسرائيل مسبقا على كل الاقتراحات التي تنوي تقديمها ، وببذل « اقصى الجهود للوصول معها الى اتفاق بشأنها » قبل عرضها . وفي صدد تقييم الاتفاق يذكر احد معلقي هآرتس الهامين في عدد ٧٢/٢/٤ ان الولايات المتحدة تعهدت فيه بعدم تقديم اقتراحات فيما يتعلق بنقطة عبور قوات مصرية الا اذا حصلت على موافقة اسرائيل المسبقة عليها وهذا في رأيه مكسب لاسرائيل ، وانها تعهدت بترك موضوع علاقة الحل المرحلي بالحل الشامل للطرفين المتفاوضين دون اي تدخل منها فيه وهذا مكسب اخر لاسرائيل ، بينما أصرت بالمقابل على حقها بتقديم اقتراحات بشأن عمق الانسحاب والمراقبة والملاحة الحرة حتى ولو لم تحصل على موافقة اسرائيلية مسبقة عليها ، وان كانت أكدت ان الاقتراحات لن تكون ملزمة . وفيما يتعلق بمدة وقف اطلاق النار ، يقول المعلق ان الموضوع لم يذكر في الانباء المتوفرة عن مضمون الاتفاق ، والارجح انه اتفق على تركه خارجا ، وهذا في رأيه تراجع من طرف اسرائيل . ويلاحظ مما نشرته الصحف الاسرائيلية عن مضمون الاتفاق ان تراجعات الولايات المتحدة الاساسية حصلت في النقطة المتعلقة بارتباط الحل المرحلي بالشامل وفي النقطة المتعلقة بضمان عدم تحول الحل المرحلي الى مجرد حل جزئي حتى ولو نص على ارتباطه بالحل الشامل ، الا وهي نقطة عبور القوات المصرية . ولذلك لم يكن من المستغرب ، عندما عقدت الحكومة الاسرائيلية في اليوم التالي جلسة طارئة لبحث الموضوع ، ان تعلن عن موافقتها على العودة لمفاوضات الحل المرحلي ، وعن استعدادها لارسال مندوبين عنها ليبحثوا مع المصريين في فندق واحد موضوع فتح القناة تحت اشراف سيسكو . لقد وصف الرئيس السادات في مقابلته الاخيرة مع بورشغريف كبير مراسلي النيوزويك (النهار ٢٨ /٧٢/٢) مفاوضات الفندق على هذا الاساس بأنها « حصان ميت » ، وكان محقا تمام الحق في وصفها هكذا . ولكن هل هي فعلا حصان ميت ؟ بالنسبة للاميركيين لا يبدو الامر حتى لحظة كتابة هذه السطور هكذا ، ولا يدري المرء على ماذا يستندون في اعتقادهم . انهم ما زالوا يعلنون انهم سيتوجهون في « الوقت المناسب » لمصر بطلب لتجديد المفاوضات ، ولديهم قناعة يشاركهم فيها الاسرائيليون بأن احتمال استجابة السادات لمسخ المبادرة الاميركية هذا كبير جدا ، باعتبار انه لا يملك — في رأيهم — أي خيار اخر . والسؤال هو : هل فعلا سيقبل السادات لنفسه بأن يكون فارس الاحصنة الميتة ؟

دايان في واشنطن : وفي نهاية الاسبوع الاول من

شهر شباط سافر دايان وزير الدفاع الاسرائيلي الى واشنطن ليجتمع بكل من ليرد وزير الدفاع الاميركي وروجرز وزير الخارجية . وقد كان من المفروض أن تتمزيارة دايان لواشنطن فيشهر نوفمبر او ديسمبر من العام الماضي . ولكن الحكومة الاسرائيلية ، على ضوء الازمة التي كانت تمر بها العلاقات الاميركية ــ الاسرائيلية ، فضلت ارسال غولدا مئير رئيسة الوزراء للاجتماع بنكسون مباشرة . وذكرت الصحف الاسرائيلية وقتها ان المبادرة باقتراح الاجتماع بين وزير الدفاع الاسرائيلي ووزير الدفاع والخارجية الاميركيين انما جاءت من واشنطن ، وان الهدف منها كان الاستماع الى اراء دايان حول أفضل السبل لتحريك الحل المرحلي من الجمود الذي كان واقعا فيه نتيجة لرفض غولدا مئير لنقاط روجرز الست . ورغم ان التطورات التي حصلت فيما بعد قللت من أهمية زيارة دايان لواشنطن ، الا ان روجرز وليرد اصرا على دعوته « نظرا لوزنه الخاص في تقرير سياسات اسرائيل » ــ على حد تعبير احدى الصحف الاسرائيلية . ان الانباء حول ما دار في الاجتماعات بين دايان وليرد وروجرز قليلة جدا . ولكن من القليل المنشور يتضح ان دايان بحث مع وزير الدفاع في التفصيلات الخاصة بشحنات الاسلحة الى اسرائيل ، وانه كان راضيا عن نتائج المحادثات . فقد صرح بعد اجتماعه بليرد بأنه « راض تماما ... وقد حصلنا تقريبا على كل طلباتنا » ، وطمأن الصحفيين الاسرائيليين الذين استقبلوه في المطار لدى عودته بأن « الفانتوم في الطريق » . أما بالنسبة لمحادثاته مع روجرز ، فتكاد تجمع الصحف الاسرائيلية على أن دايان طرح له تصوراته العامة بالنسبة للتسوية السياسية في الشرق الاوسط ، وبحث معه شروط اسرائيل حول البنود المختلفة المتعلقة بالحل ، رغم انكار دايان بأنه بحث في بنود الحل ، وادعائه بأن ما بحثه انما كان يدخل فقط فيإطار التصورات العامة. ما هي اذن التصورات العامة لدايان بالنسبة للتسوية السياسية ؟ يلخص د. غولان هذه التصورات في معريف ٧٢/٢/٤ كالتالي : ان السلام في مفهوم العرب يتضمن حلا لمسألة حقوق اللاجئين الفلسطينيين وانسحاب اسرائيل من كافة المناطق التي احتلتها بعد حزيران ، ولذلك يبدو بعيدا جدا. الا انه في هذه المرحلة من الممكن الوصول مع المصريين لاتفاقات جزئية حول مسائل عديدة ، اهمها قناة السويس ، التي تشكل المنطقة الاكثر ضغطا على كل من المصريين واسرائيل والفرقاء الاخرين المعنيين بأزمة الشرق الاوسط . ان الجيش الاسرائيلي يحتل الضفة الشرقية لقناة السويس ، وهذا يعطي المصريين الشعور بأننا" « نقبض عليهم من حنجرتهم » ولهذا من مصلحتهم الوصول الى اتفاق لفتح قناة السويس ليتخلصوا من هذا الضغط ، كما انه « من مصلحتنا الوصول الى مثل هذا الاتفاق لخلق فترة تهدئة » تبرد فيها المشاعر . ان « فترة تهدئة » يتم خلالها التغلب على مشاعر العداء وتطوير علاقات جوار طبيعية هي حجر الزاوية ، كما يقول غولان ، في تصورات دايان بالنسبة للتسوية . وهي في رأيه اهم من أية صيغة او معاهدات رسمية توقع بين الفريقين . فاذا كان المصريون فعلا معنيين بالسلام ، فان عليهم ان يبرهنوا على ذلك . ويكون برهانهم مقنعا اذا وافقوا خلال فترة التهدئة ، التي ستمتد في رأيه من ١٥ الى ٢٠ سنة ، على فتح القناة وتشغيلها ، واعادوا الـ ٧٠٠ ــ ٨٠٠ الف مواطن الذين اجلوا عن مدن القناة اليها ؛ واصلحوا منشآت البترول التي تعطلت واستخدموها ، وخفضوا قوات الجيش المصري المعبأة لمواجهة اسرائيل . اما اذا لم تفعل مصر ذلك ، فهذا معناه انها غير معنية بالسلام ــ وهنا الخلاف الحقيقي بين مصر واسرائيل ، وليس الخلاف هو على عمق الانسحاب او عبور القوات المصرية (!) . وتمثل العلاقات القائمة بين العرب في الضفة الغربية والاسرائيليين،والاردن واسرائيل، في رأي دايان ، نموذجا لفترة التهدئة التي يدعو مصر اليها ، فعلى الرغم من عدم وجود سلام رسمي بين الاردن واسرائيل ، وعلى الرغم من احتفاظ المواطنين في الضفة الغربية بجنسيتهم الاردنية ، فان الجسور مفتوحة ، والمواطنون العرب يسافرون من مطار اللد ، ويعمل ٥٠ الف عربي من الضفة في اسرائيل ، ويتكون تدريجيا نمط جديد من الحياة . ان واقعا جديدا قد تم خلقه في الضفة ، سابقا لاي صيغة رسمية ، وعلى المصريين ان يسعوا لخلق واقع مشابه . وعندها فقط يمكن التغلب على عقبات الحل المرحلي ، ويصبح القفز منه الى سلام حقيقي ممكنا . ان تصورات دايان تعكس في الحقيقة اهداف التكتيك الاسرائيلي بالنسبة للتسوية السياسية : تجزئة القضايا ، تفريغ التوتر في مناطق الضغط، جرجرة الامور لتعويد العالم على

الاحتلال الاسرائيلي ، ومن ثم يصبح ممكنا فرض « السلام الاسرائيلي » على المنطقة العربية .

يارينغ في اسرائيل : وبعد سلسلة من المحادثات عقدها مع سنغور في عاصمة السنغال وكورت فالدهايم في روما والمسؤولين المصريين في القاهرة والاردنيين في عمان توجه غونار يارنغ في ٢٤ شباط لزيارة اسرائيل حيث اجتمع بايغال الون نائب رئيسة الوزراء وابا ايبن وزير الخارجية . ولم يجتمع مع غولدا مئير لانها كانت — كما قيل — في اجازة . وقد استقبل المسؤولون الاسرائيليون يارنغ ببرود شديد ، وتعمدت الصحف الاسرائيلية التقليل من شأن زيارته ، حتى ان احداها (معريف ٧٢/٢/٢٧) نشرت مقالا عنه بمناسبة الزيارة بعنوان « سائح اسمه يارنغ » ، وكان ما جاء به شأن لا يهم المسؤولين الاسرائيليين من قريب او بعيد . ولربما لم يكن هذا القول بعيدا عن الصواب — اذ ان موقف اسرائيل من جهود يارنغ لتحقيق تسوية شاملة في الوقت الراهن هو ، على افضل الاحتمالات ، اللامبالاة . وتتخذ اسرائيل هذا الموقف في الحقيقة منذ اذار من العام الماضي عندما اصر يارنغ على ان ترد اسرائيل ردا ايجابيا على مذكرته في ٨ شباط التي طلب فيها من اسرائيل أن تتعهد من حيث المبدأ بالانسحاب من كل الاراضي المصرية ، وعندما لم يتلق مثل هذا الرد جمد مهمته في اوائل اذار . ان الانباء التي سبقت زيارة يارنغ لاسرائيل تشير الى ان اسرائيل والولايات المتحدة لم تكونا مرتاحتين لجولته الاخيرة، حيث انهما تفضلان ان يتم التركيز في المرحلة الراهنة على المفاوضات المتعلقة بالحل المرحلي . كما أن الانباء تؤكد ايضا ان ايا من يارنغ او اسرائيل لم يتخل عن موقفه بصدد المذكرة المشار اليها ، فما الذي حمل يارنغ اذن الى اسرائيل ؟ ان مطالعة الصحف العالمية والاسرائيلية لا تقدم في الحقيقة جوابا شافيا على هذا السؤال . فبينما يميل بعض المراقبين الى تفسير جولة يارنغ في اطار ما يمكن ان يسمى بمساعدة المصريين على الدخول في « محادثات الفندق » اما عن طريق اجرائها تحت اشرافه او عن طريق تقديم غطاء لها يتمثل في مفاوضات متوازية بحيث يبدو الامر وكأن البحث يجري في الموضوعين الجزئي والشامل في آن واحد ، يميل البعض الاخر الى ارجاعها بكل بساطة لتفاؤل الامين العام الجديد للامم المتحدة الذي توهم ان اسرائيل وعدت الرؤساء الافريقيين بالانسحاب من كل الاراضي المصرية ، وهو أمر لو كان صحيحا لكان فتح الطريق فعلا امام مهمة يارنغ للانطلاق . ويستند الذين يرجعون جولة يارنغ لتفاؤل الامين العام الجديد للامم المتحدة في اعتقادهم هذا الى توجه يارنغ اولا الى عاصمة السنغال ليبحث مع سنغور مساهية الوعود الاسرائيلية . وسواء أكان التفسير الاول او الثاني هو الصحيح ، فان الذي اتضح في نهاية جولة يارنغ هذه ، هو أن اسرائيل ما زالت مصرة على عدم الانسحاب من كل الاراضي المصرية ، وان اجراء « مفاوضات الفندق » باشراف يارنغ وفقا لاقتراح مصر هو أمر مرفوض من كلا الولايات المتحدة واسرائيل على السواء ، وان اسرائيل مصرة على عدم التعاون مع يارنغ الا اذا تخلى عن مذكرته الموجهة اليها في ٨ شباط . ان الصحف الاسرائيلية لخصت محادثات يارنغ مع المسؤولين الاسرائيليين بكلمتين قصيرتين : « لا جديد » . ولذلك قد لا يكون مغامرة التقدير بأن جولة يارنغ هذه المرة ايضا قد انتهت الى الفشل .

الازمة مع سنغور : واذا كانت جولة يارنغ على الارجح لم تأت بأي جديد على صعيد تجديد مهمته فانها بالتأكيد تسببت في حدوث ازمة بين الحكومة الاسرائيلية وسنغور رئيس جمهورية السنغال المناصر لاسرائيل ورئيس بعثة الرؤساء الافريقيين للتوسط في النزاع العربي — الاسرائيلي . وقد كان سبب الازمة هو مطالبة الرئيس سنغور الحكومة الاسرائيلية بأن « تعيد التصريح » بأنها لا تريد ضم أي جزء من الاراضي المصرية ، ليكون هذا التصريح بمثابة اساس يستطيع يارنغ الذي كان يزور السنغال في ذلك الوقت الاستناد اليه لتجديد مهمته. وبعد ان كان سنغور قد صرح لمراسل وكالة الصحافة الفرنسية في اواخر العام الماضي بأن اسرائيل قدمت تنازلات رئيسية وردت ايجابيا على مذكرة يارنغ ، عاد فصرح في الاسبوع الثاني من شهر شباط الفائت لمراسل لوموند بأن اصدقاء اسرائيل الافريقيين المخلصين لها جنوب الصحراء قد « يكونون مضطرين في مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية القادم لالقاء تبعة فشل مهمتهم عليها » .

ان سنغور ، عندما كان في ضيافة اسرائيل على رأس بعثة السلام الافريقية ، استمع الى المسؤولين الاسرائيليين يذكرون له ان اسرائيل « لا تريد ضم أي جزء من الاراضي المصرية بل تريد

الحصول على حدود آمنة ومتفق عليها » .

واعتقد سنغور، الذي لم يكن معتادا على بهلوانيات الدبلوماسية الاسرائيلية ، ان معنى هذا الكلام هو أن اسرائيل لا تريد فعلا « ضم اي جزء من الاراضي المصرية » ، ولذلك اعتبر ان نتائج رحلة الرؤساء الافريقيين ، التي استهدفت تحريك مهمة يارنغ ، كانت ايجابية ، ولذلك أحس بالاستياء الشديد عندما رفضت اسرائيل التصريح ثانية بذلك، ولفتت نظره الى الفقرة التالية في الجملة « حدود آمنة ومتفق عليها » . وقد أثار موقف سنغور جدلا في الحكومة الاسرائيلية وفي اوساط المعارضة ، وولد قلقا معينا دفع الحكومة الاسرائيلية لارسال احد دبلوماسييها الكبار ، والتر ايتان ، الى السنغال للتفاهم مع سنغور ، وازالة الاشكال . وقد تركز الجدل في الحكومة حول مدى سلامة استعمال اسرائيل لتعبير « عدم ضم » أي اراض، الذي اعتبره بعض الوزراء تعبيرا غير موفق يمكن ان يوقع الحكومة الاسرائيلية في اشكالات شبيهة باشكال سنغور وطالبوا أبا ايبن وزير الخارجية بالكف عن استخدامه . وشرح ابا ايبن في صدد توضيحه للتعبير ان اسرائيل لا تريد فعلا ان « تضم » اراضي عربية ، وانما تريد « التفاهم » مع العرب على تعديل الحدود ، ومتى تم «التفاهم» بين الطرفين على الموضوع فان الامر لا يعود ضما. وقد اغتنم بيجن زعيم المعارضة اليميني فرصة الجدل في الحكومة ليكتب مقالا طويلا في معريف (١٩٧٢/٢/١٨) بين فيه تهافت منطق ايبن ، ودعا الحكومة الاسرائيلية لان تكون صريحة وتستند في احتفاظها بالمناطق « المحررة » (!) على « حق الشعب اليهودي في وطنه » (!) . اننا لم نستطع العثور في الصحف الاسرائيلية على نبأ يذكر ماذا كانت نتيجة المناقشات في الحكومة الاسرائيلية حول اخر ابتكاراتها الديبلوماسية ، ولكن المرء يتفق مع المعلق السياسي لمعريف (عدد ٧٢/٢/١٤) في أن « لبهلوانيات اللغة في الدبلوماسية حدودها أيضا » .

اجتماعات نسيبه : وكشفت الصحف الاسرائيلية في شهر شباط عن حدوث اجتماعات بين انور نسيبه وزير الدفاع الاردني السابق ، وكل من غولدا مئير ودايان وشلومو هليل وزير البوليس الاسرائيلي . وقد كان رد الفعل الاولى لناطقين رسميين هو نفي حدوث هذه الاجتماعات . ثم عادوا فأكدوا نبأ حدوثها وذكروا انها كانت محادثات شخصية . ثم عادوا ثانية فذكروا انها روتين تستوجبه سياسة الجسور المفتوحة ونمط الحياة في الضفة الغربية . ولكن المراقبين السياسيين ربطوا بين جملة قالتها غولدا مئير « عرضا » في اجتماعها بكتلة المعراخ البرلمانية وبين الاجتماعات المذكورة . اذ ذكرت غولدا مئير ، اثناء حديثها عن ازمة المجلس الحاخامي الاعلى التي هددت كتلة المفدال بسببها بالاستقالة من الحكومة ، انه يجب حل المشكلة مع المفدال لانه لا يجوز التفكير بحكومة تستند (دون المفدال) الى مجرد ٦٤ عضوا في الكنيست ثم اضافت : « ماذا سيحدث مثلا لو ان الملك حسين اراد التفاوض معنا حول اتفاق سلام في السنة القادمة ؟ لذلك يجب ان تكون لنا حكومة ثابتة » . وفسر المراقبون جملة غولدا مئير المفاجئة على انها تلميح لاتصالات وقعت مع الاردن. وانطلق الصحفيون وراء نسيبه والمسؤولين الاخرين يحاولون استجلاء الحقيقة . وقد أكد انور نسيبه في مقابلاته الصحفية والتلفزيونية وقوع الاجتماعات ولكنه نفى ان يكون يقوم بدور الوسيط بين الملك حسين وحكومة اسرائيل مدعيا ان « المشكلات التي تواجه اسرائيل معقدة بحيث لا يستطيع غير الحكام في البلدين معالجتها وايجاد حلول لها » ، بينما اصدر مكتب رئيسة وزراء اسرائيل بيانا يؤكد فيه وقوع الاجتماعات ويعلن انها تناولت « مواضيع عامة » . الا ان المراقبين في اسرائيل ، بناء على المعلومات المتسربة اليهم من اوساط مطلعة ، استمروا في التأكيد بأن محادثات نسيبه لم تكن حول مجرد ترتيبات الحج والسياحة وانتخابات البلدية في الضفة الغربية ، وانما تطرقت ايضا الى موضوع التسوية السياسية . وبتاريخ ٢٤/ ٧٢/٢ نشرت هآرتس نبأ صغيرا يقول بأن غولدا مئير تبنت في نقاشات سياسية دارت على مستوى عال في القيادة السياسية موقفا ينادي باعطاء الاولوية لحل مع الاردن على حل مع مصر شارحة موقفها بقولها انه من مصلحة اسرائيل اولا : تحقيق حل يؤمن الجبهة الشرقية . ثانيا : زيادة الشعور في مصر بأن الاتفاقيات في الشرق الاوسط ليست مربوطة باولوية او موافقة القاهرة . وقد عادت هآرتس في اليوم التالي فأكدت النبأ رغم نفي اوساط رئيسة الحكومة له . ان الحكومة الاسرائيلية ما زالت حتى لحظة كتابة هذه السطور تحاول احاطة ما جرى ويجري في الاجتماعات

بستار كثيف من الكتمان ، ولكن ما تسرب عنها يكفي للوصول الى الاستنتاج بأن هناك اتفاقا ما ، اخطر من كل الاتفاقيات السابقة يجري طبخه بين الملك حسين وزعماء دولة العدو .

الغارات على لبنان : وفي اواخر شهر شباط سجلت الصحف الاسرائيلية وقوع عمليتين للفدائيين في اسرائيل قتل في الاولى منها مدنيان اسرائيليان وجرح في الثانية ٨ من رجال الشرطة وحرس الحدود . وعلى اثر العملية الاولى عقد داهيد العازار ، رئيس الاركان الاسرائيلي الجديد ، مؤتمرا صحفيا وجه فيه « تحذيرا شديدا » الى لبنان تضمن تهديدا بالقيام « بعملية ما » داخل الاراضي اللبنانية . وكان من جملة ما ذكره رئيس اركان العدو ان اسرائيل « لا تميز بين فدائيين يتسللون من الاراضي اللبنانية الى اسرائيل وفدائيين يطلقون النار من داخل الاراضي اللبنانية». وكان هذا يعني ان حكومة اسرائيل قررت تحميل لبنان مسؤولية اي عمل فدائي تفترض انه انطلق من الاراضي اللبنانية ، ولو كان هذا العمل بعيدا داخل فلسطين المحتلة . وفي ليل ٢٦ شباط ١٩٧٢ شن الجيش الاسرائيلي عدوانا واسعا على العرقوب استخدم فيه المدفعية والدبابات والطائرات والمشاة، وحاول ، لمدة اربعة ايام ، فرض سيطرته على المنطقة. وقد أثار الاحتلال الاسرائيلي للعرقوب قلقا عربيا ودوليا واسعا على ضوء الانذار الذي كانت اسرائيل قد وجهته للبنان في منتصف شهر يناير الماضي وقالت فيه بأنه اذا لم « يتوقف النشاط الارهابي » فان اسرائيل سوف تقيم « اقامة دائمة في المنطقة بشكل او بآخر » . وقد اجتمع مجلس الامن واصدر قرارا يطلب فيه من اسرائيل الانسحاب فورا ، وانسحبت القوات الاسرائيلية بعد أن أقامت نقاط مراقبة معينة في المنطقة . واثناء العدوان ذكرت وكالات الانباء الواردة من تل ابيب في ليل ٧٢/٢/٢٧ بأن الاسرائيليين ينوون اتباع سياسة جديدة تجاه الفدائيين في لبنان فلا يقتصر الرد على هجمات انتقامية بل ان اسرائيل ستفرض رقابة مشددة على المنطقة . وفي اوائل اذار قصفت المدفعية الاسرائيلية عددا من القرى السورية الامامية كما اغارت الطائرات الاسرائيلية على قواعد للفدائيين الفلسطينيين في جنوب سوريا، ورد الطيران السوري على هذه الغارات بضرب مستعمرات اسرائيل في الجولان . وفي ٧٢/٣/٩ عاود الاسرائيليون قصف قرية مجدل سلم بالهاون واغارت الطائرات الحربية على منطقة الكفير ودير سماس في وادي التيم . وعلق المراسل العسكري للاذاعة الاسرائيلية على الغارة الجديدة بقوله انها « تعكس تكتيكا جديدا للقوات الاسرائيلية ، يقضي بالرد على اي هجوم فدائي في اسرع وقت ممكن وعدم الانتظار عندما تقع هجمات فدائية الى ان يصبح الوضع غير محتمل » .

ب) شؤون داخلية

وفي النطاق الداخلي كان أهم حدث في شهر شباط هو طرح سابير وزير المالية لمشروع الميزانية العامة للدولة للسنة المالية القادمة على الكنيست لمناقشته . وعلى صعيد القوى السياسية كانت أبرز الاحداث وفاة موشيه سنيه زعيم الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) ، واستقالة اميل حبيبي عضو الكنيست الشيوعي (راكاح) من منصبه .

مشروع الميزانية : في ٧٢/٢/٢٢ قدم سابير للكنيست مشروع الميزانية العامة لاسرائيل للسنة المالية ١٩٧٢ ــ ٧٣ لمناقشته . وخلافا للسنة الماضية لم يكن في المشروع اية مفاجأة للكنيست او الرأي العام الاسرائيلي ، لان النقاشات العلنية التي دارت بين الوزراء الاقوياء حول الميزانية (وبشكل خاص ميزانية وزارة الدفاع) والتسويات المعلنة بشأنها ، كانت قد عرفت المواطن الاسرائيلي بما ينتظره بشكل عام اقتصاديا في السنة المالية المقبلة ، التي تبدأ في نيسان القادم . وقد بلغ مجموع الميزانية في المشروع المقدم ١٥،٨٧٠ مليون ليرة اسرائيلية مقابل ١٤،٨٣٥ للسنة الراهنة . ويتضح من التحليلات التي نشرت في الصحف الاسرائيلية لمعلقين اقتصاديين حول مشروع الميزانية ان صورة العام القادم اقتصاديا بالنسبة لاسرائيل لن تختلف كثيرا عن صورة العام الماضي ، وان المواطن الاسرائيلي سوف يستطيع الاحتفاظ بمستواه المعيشي الراهن ، رغم النفقات الهائلة التي تنفقها الدولة على التسليح . ويعود الفضل في ذلك بشكل اساسي الى المبالغ الضخمة التي تتدفق على اسرائيل من الخارج ، وبشكل خاص من حكومة الولايات المتحدة التي قدمت لاسرائيل في السنتين الماضيتين مبلغ ١،٠١٥ مليون دولار بشكل قروض ومساعدات ، وستقدم لها ــ كما الح سابير في خطاب الميزانية ــ ٥٠٠ مليون دولار أيضا للسنة

القادمة . وقد ذكر سابير ان تقديم الولايات المتحدة هذه المبالغ لاسرائيل دليل على تفهمها ان من مصلحتها ان تظل اسرائيل « قوية من الناحية العسكرية والاقتصادية على السواء » وانه « يأمل في ان يكون قسم كبير (من المبلغ الموعود) يشكل هبة » . وسوف تساعد المبالغ الاتية من الولايات المتحدة — كما يذكر اريبل فينشتاين في معريف ٧٢/٢/٢٣ — في تغطية الفرق بين الاستيراد والتصدير المقدر بـ ١،٣٥ مليار ليرة اسرائيلية ، كما ستؤدي الى زيادة احتياطي اسرائيل من العملات الاجنبية بمبلغ ٥٠ مليون دولار بحيث يصل الاحتياطي في نهاية السنة المالية القادمة الى ٦٢٠ مليون دولار . اما بالنسبة للنفقات العسكرية الاسمية فقد كانت حصتها في الميزانية ٥،٢٣٨ مليار ليرة اسرائيلية ، اي حوالي ٤٠٪ من الميزانية ، مقابل ٥،٨٩٨ مليار ليرة للسنة الراهنة . وقد اوضح سابير في خطاب الميزانية للكنيست انه على الرغم من كون نفقات الدفاع للسنة القادمة اقل منها للسنة الراهنة ، فان مشتريات الجيش من السلاح والمعدات سوف تكون اكثر بنسبة ٣٠٪ . وسوف تكون الافضلية لسلاح الطيران الذي سوف « يزود في السنتين القادمتين بأسلحة واجهزة لم

قسم من باب النفقات

	٧٣/٩٧٢	٧٢/٩٧١	٧١/٩٧٠
مجموع النفقات بملايين الليرات	١٥٨٧٠	١٤٨٣٥	٨٥٠٢
النفقات الوزارية	٨٢٨٢	٨٣٥١	٦٨٥٣
وزارة الدفاع	٥٢٣٨	٥٨٩٨	٤٨٢١
وزارة الصحة	٢٧٠	٢٥١	٢٤٨
وزارة التربية والتعليم	٩٣٤	٧٥٣	٥٨٦
وزارة الشؤون الاجتماعية	١٠١	٨١	٦٨
وزارة الاسكان	٢٥	١٩	٥
وزارة المواصلات	٤٢	٢٥	٢٢

موت موشي سنيه : وفي اواخر شباط تلقى الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) ضربة قوية بوفاة زعيمه الابرز والاقوى موشي سنيه . وقد مات سنيه في وقت كانت فيه الصحافة الاسرائيلية تنشر انباء عن اتصالات دارت بينه وبين مئير يعري زعيم المابام لتشكيل تحالف بين الحزبين يفتح الطريق امام « ماكي » للانضمام الى تجمع المعراخ الحاكم ، ووسط الانتخابات الاولية لمؤتمر الحزب القادم ،

نشهد لها مثيلا من قبل من حيث التكاليف والحجم» . ويذكر المعلق الاقتصادي لجريدة « الاتحاد » الناطقة بلسان القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ان التخفيض الذي حدث في نفقات الدفاع انما اتى على حساب المجالات التي انتهى العمل فيها ، او قارب على الانتهاء ، مثل التحصينات والذخيرة التي امتلأت بها مخازن الجيش . وقد سمى المعلق الاقتصادي « للاتحاد » الميزانية المطروحة « ميزانية الحرب والافقار » ذاكرا انه « في حين تصل حصة وزارة الدفاع الى ٤٠ ٪ من الميزانية المقترحة تخصص حكومة غولدا مئير — دايان — سابير « العمالية » لوزارة الصحة ٣ ٪ فقط ، والاسكان ٧٪ ، والتربية والتعليم ٧٪ ، والشؤون الاجتماعية ٧٪ ، والمواصلات ٣٪ ، مما يعني ان حصة هذه الوزارات الخمس مجتمعة لا تزيد عن ٢٧٪ » . واما بالنسبة للديون الخارجية لاسرائيل فيذكر المعلق الاقتصادي لمعريف (٧٢/٢/٢٣) انها سترتفع من ٣،٥٨ مليار دولار في السنة الراهنة الى ٤،٢ مليار دولار في السنة القادمة . وننشر فيما يلي الجزء من مشروع الميزانية المتعلق بالمداخيل والنفقات :

قسم من باب المداخيل

	٧٣/٩٧٢	٧٢/٩٧١	٧١/٩٧٠
مجموع المداخيل بملايين الليرات	١٥٨٧٠	١٤٨٣٥	١١٠١٢
من الضرائب، رسوم الخدمات والرخص	٩٤٤٢	٨٤٦٨	٥٨٨٠
ضريبة الدخل	٣٤٠٦	٣٠٣٠	٢٣٧٤
سلفيات من بنك اسرائيل	٦٥٠	٦٥٠	٦٥٠
سندات تطوير وفائض اغذية من الولايات المتحدة	١٣٩٨	١٠٥٧	٦٧٢
قروض اجنبية	١٠٠٨	١٨٠٤	١٥٤٤

وهي انتخابات دلت نتائجها الاولى على انتصار خط سنيه في الحزب على خط خصومه في القيادة . ان كل من مئير يعري وموشي سنيه (قبل موته) قد كذب الانباء المنشورة حول الاتصالات بشأن التحالف مع المابام ، ولكن من شبه المؤكد أن جس نبض على الاقل بينهما بصدد الموضوع قد تم ، ولم يكن مستغربا ان يتم . اذ انه في الحقيقة ، بعد الانزلاق الحاد لهذا الحزب نحو اليمين والشوفينية

منذ انشقاق مجموعة راكاح عنه في عام ١٩٦٥ ، لم يعد ثمة سبب يحول دون انضمامه الى تجمع الاحزاب العمالية الصهيونية الحاكم . اما بالنسبة لخط موشيه سنيه ، الذي تشير الانباء الى انتصاره داخل الحزب ، فانه يبدو واضحا فيما يمكن أن يسمى بالوصية السياسية له ،التي نشرت معريف تلخيصا لها في عدد ٧٢/٣/٦ . ان سنيه ، في الوصية التي املاها قبل فترة وجيزة من العملية الجراحية التي انتهت بموته ، يعلن انه وان كان « في المعارضة اليسارية للحكومة » الا انه فيما يتعلق بالدفاع فهو «في الجبهة القومية» — ويتهم من لا يستطيع ان يفهم هذا الموقف بقلة الذكاء وعدم استيعاب « الديالكتيك » . وبالتالي فهو ضد تخفيض ميزانية الدفاع لانه يجب توسيع الصناعات الحربية لتنتج اسرائيل محليا كل ما تستطيع انتاجه من السلاح والذخيرة ولانه تجب «اخافة السادات» حتى لا يعود يفكر بالحرب . وهو مع موقف اسرائيل من تجميد مهمة يارينغ ، ويعتقد ان الحكومة الاسرائيلية فعلت كل ما في وسعها لتحقيق السلام. أو بعبارة موجزة — هو مع الحكومة في كل القضايا الاساسية المتعلقة بسياستها الامنية والخارجية . ولا يستغرب من يدرس تاريخ موشيه سنيه السياسي منه هذه المواقف ، ونقدم فيما يلي فقرة موجزة عن حياته ، تعرف قارىء شؤون فلسطينية به ، وتكشف عن جذوره الصهيونية قبل ان أصبح عضوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) :

— ولد موشي سنيه في بولندا عام ١٩٠٩ ونال شهادة الطب من جامعة وارسو في عام ١٩٣٥ .

— خلال دراسته الجامعية مارس نشاطات سياسية في جمعيات الطلاب الصهيونية ، ومن ثم انضم الى الصهيونيين العموميين .

— في الفترة بين ١٩٣١ — ١٩٣٩ كان عضوا ومن ثم رئيسا للجنة المركزية للمنظمة الصهيونية البولندية .

— في عام ١٩٤٠ هاجر الى فلسطين حيث التحق بهيئة اركان الهاغانا ، ثم اصبح رئيسا لها حتى عام ١٩٤٦ .

— في عام ١٩٤٥ اصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية .

— في عام ١٩٤٧ استقال من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ثم انضم الى حزب المابام حيث اصبح عضوا في لجنته المركزية حتى عام ١٩٥٣ .

— من عام ١٩٥٠ حتى ١٩٥٣ كان أحد رئيسي تحرير عل همشمار .

— في عام ١٩٥٣ ، بعد محاكمات براغ ، انسحب من المابام وشكل حزب اليسار الاشتراكي الذي اندمج مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي في عام ١٩٥٤ .

— كان عضوا في الكنيست الاسرائيلي من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٦٩ ، حيث مثل المابام حتى عام ١٩٥٣ ومن ثم الحزب الشيوعي حتى عام ١٩٦٥ .

— في عام ١٩٦٥ حدث الانشقاق في الحزب الشيوعي وتزعم سنيه مع ميكونس المجموعة التي احتفظت باسم الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي). وتحت قيادتهما اتخذ الحزب مواقف مؤيدة للحكومة واعتبر حرب حزيران حربا « دفاعية شرعية » .

— في عام ١٩٦٩ اعيد انتخابه عضوا في الكنيست وظل فيه حتى موته .

استقالة حبيبي : وفي راكاح ، الحزب الشيوعي الاخر في اسرائيل ، حدث تطور قد تكون له دلالة هامة بالنسبة لسير الامور في الحزب ، وهو استقالة اميل حبيبي ، احد عضوي الحزب العربيين في الكنيست ، من منصبه كعضو كنيست . وقد أرجع حبيبي في كتاب الاستقالة رغبته فيها الى حالته الصحية التي لا تسمح له بالقيام بواجبه كعضو في الكنيست . وقد وافقت اللجنة المركزية على طلبه بالاستقالة ، وانتخب بدلا منه عضو الحزب اليهودي ابراهام لفنبراون ، الذي ورد اسمه رابعا في قائمة مرشحي الحزب للكنيست في الانتخابات الماضية . وبذلك اصبحت راكاح ممثلة في الكنيست بعضوين يهوديين هما مئير فلنر ولفنبراون وعضو عربي هو توفيق طوبي ، بعد ان كانت ممثلة بعضوين عربيين هما طوبي وحبيبي وعضو يهودي هو فلنر ، الامر الذي جعل معظم المحللين السياسيين في اسرائيل يرجعون استقالة حبيبي الى رغبة الحزب في زيادة ابراز « البروفيل اليهودي » له — على حد تعبير معلق معريف لشؤون الاحزاب موشيه مايزلس . ان غالبية اعضاء راكاح تتكون كما هو معروف من العرب ، اذ تبلغ نسبتهم في الحزب ٦٥٪ من الاعضاء بينما تبلغ نسبة اليهود ٣٥٪ ، كما انه معروف ايضا

ان ٧٥٪ من الاصوات التي نالتها راكاح في انتخابات الكنيست الاخيرة (اكثر من ٤٠ الف صوت) انما جاءت من الشارع العربي ، بينما جاء ٢٥٪ فقط ، او اقل من ذلك ، من الشارع اليهودي . وتحب راكاح ، مقابل هذا الواقع ، أن تؤكد انها ليست حزبا يمثل بالدرجة الاولى العرب في اسرائيل ، وانما هي حزب يهودي — عربي يمثل الطبقات الكادحة . ورغبة منها في تجسيد هذا التأكيد يتكون المكتب السياسي لراكاح من تسعة اشخاص ، خمسة منهم يهودا ، واربعة منهم عربا ، بينما تتكون اللجنة المركزية من ٢٣ عضوا ، ثلاثة عشر منهم يهودا وعشرة عربا . ويذكر موشيه مايزلس في مقالة له بمعريف ٢/٢٥/ ٧٢ انه بعد ان كانت راكاح تحرص على ان تكون وفودها المرسلة للخارج مشكلة من عدد متساو من العرب واليهود ، بدأت في الفترة الاخيرة تغلب الطابع اليهودي على وفودها للخارج لتكون هذه اقدر على اقناع الجهات الموفدة اليها بتمثيلها لقطاع الراي العام اليهودي ايضا ، وليس الراي العام العربي فقط . ورغم انكار مصادر راكاح عادة لوجود تقصد من الحزب في هذا الاتجاه ، ونفيها لان تكون استقالة حبيبي خطوة منسجمة معه ، الا انه ليس من المستبعد ان يكون الامر كذلك . ويعتقد العارفون باتجاهات الراي العام العربي واليهودي في اسرائيل ان استقالة حبيبي لن تترك تأثيرا كبيرا على اصوات ناخبي الحزب العرب او اليهود في الانتخابات القادمة ، وانها يمكن ان تفيد الحزب في التخلص من احراجات ناقدية من اليهود ،الذين يدعون ان الحزب يعكس آراء المواطنين العرب في اسرائيل اكثر مما يعكس اراء المواطنين اليهود .

احمد خليفة

صدر عن مركز الابحاث

الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية

٣٧ مقالا او خطابا وضعها ٣٧ زعيما ومفكرا صهيونيا رئيسيا ، ترجمت الى العربية لتكون مادة دسمة في توعية القارىء العربي حول الفكر الصهيوني الرئيسي ، واعدت نتاج ما كتبه أشهر الصهيونيين في حوالي قرن من الزمان . مع تعريف عن كل كاتب كل مقاله .

٤٨٨ صفحة من الحجم الكبير. ١٠ ل.ل.

(٥) المناطق المحتلة

تتسم المرحلة الحالية التي تمر بها المناطق المحتلة بتشدد اسرائيل على ترسيخ الاحتلال واستدامته . ففي اعقاب تصريح دايان الذي ادلى به قبيل انتهاء عام ١٩٧١ والذي قال فيه « ينبغي علينا ان نعتبر انفسنا في المناطق المحتلة كحكومة دائمة ، نقوم بالتخطيط والتنفيذ ... » والذي أيدته رئيسته غولدا مئير عند مطلع هذا العام ، عاد ديان ليؤكد مرة أخرى اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة ، في مقابلة تلفزيونية اذيعت هناك « انه حتى في حالة توقيع معاهدة سلام مع الاردن يجب ضمان حق اسرائيل في اقامة قرى يهودية في الضفة الغربية » ، وان الضفة الغربية في نظره « تعتبر جزءا من الوطن اليهودي لا فرق بين تل ابيب والخليل واريحا » ، اما في حالة التوصل الى سلام مع مصر فسيعاد اليها « قسم كبير » من شبه جزيرة سيناء ، وستواصل اسرائيل « الاحتفاظ بشرم الشيخ وبقطاع برّي يربط هذه النقطة مع ايلات » ، اما هضبة الجولان والقدس فستبقيان « الى الابد تحت الحكم الاسرائيلي » . ومن خلال هذا الاصرار على تكريس الاحتلال ، اقدمت اسرائيل على فرض الانتخابات البلدية في الضفة الغربية . وقد نجم عن ذلك عدة موضوعات من بينها الوساطة التي قام بها أنور نسيبه وزير الدفاع الاردني الاسبق بين الملك حسين والمسؤولين الاسرائيليين ، واتصالات الملك حسين مع الشخصيات الاسرائيلية في لندن وخليج العقبة . كما اقدمت على احداث تغييرات ادارية في قطاع غزة . الا ان الخطوة الرئيسية التي طبقت ولا تزال تطبق في كافة المناطق المحتلة من اجل تكريس الاحتلال تتمثل في ازالة معالم قديمة واقامة معالم جديدة .

مرتفعات الاستيطان : لم تنجُ أية منطقة محتلة من المستوطنات الاسرائيلية [illegible] اعمال الاستيطان في المناطق التي يصر الاسرائيليون على ابقائها « الى الابد » تحت السيطرة الاسرائيلية مثل هضبة الجولان ووادي الاردن ومنطقة غوش عتسيون والقدس والخليل في الضفة الغربية ، وشرم الشيخ والشريط البري الممتد بين شرم الشيخ وايلات والمنطقة الشمالية من سيناء ، وكذلك قطاع غزة . ففي هضبة الجولان التي يجمع كافة المسؤولين الاسرائيليين على ابقائها تحت الحكم الاسرائيلي ، والتي اشيدت فيها حتى الان ١٦ مستوطنة ، هنالك مستوطنتان في طور الاعداد ، ستقامان خلال العام ١٩٧٢/٧٣ تدعى الاولى « نفيه نوف » بالقرب من مستوطنة « مفوحمه » والثانية مستوطنة « فيفا » في منطقة « رمات هجشيميم » . وتختلف المصادر الاسرائيلية في عدد المستوطنات التي لا زالت في طور البناء في الجولان ، فقد ذكرت صحيفة هآرتس (٧٢/٢/١٦) ان المستوطنات الجديدة التي لا زالت في مرحلة البناء في الهضبة تبلغ خمس مستوطنات .

ومن الجدير بالذكر ان وسائل الاعلام الاسرائيلية قد بدأت مؤخرا تتحدث حول ضرورة بناء « مدينة اسرائيلية في الهضبة لكي يصل عدد السكان اليهود هناك في عام ١٩٨٠ ما بين ٣٥ — ٤٠ الف نسمة » واذا تم ذلك فان عملية تهويد الجولان تكون قد انجزت ، اذ سيصل عدد المستوطنين الاسرائيليين اربعة اضعاف عدد السكان العرب . ومن المعروف ان السلطات الاسرائيلية كانت قد اقرت من حيث المبدأ اقامة مدينة في هضبة الجولان ، وفكرت في ان تقوم بترميم مدينة القنيطرة لتحويلها الى مدينة يهودية الا انها عدلت عن الفكرة لقرب القنيطرة من خط وقف اطلاق النار ، واتجهت الانظار بعد ذلك الى نقطة جديدة وسط الهضبة عند تقاطع الطرق التي يجري اعدادها الان لتكون بديلا عن شبكة الطرق القديمة القريبة من خط وقف اطلاق النار . بيد ان عملية تنفيذ القرار بشأن اقامة المدينة لا تزال تتعثر بسبب « المعاني السياسية التي تنطوي على خطوة كهذه وبسبب العبء المالي المترتب على ذلك » (معاريف ٧٢/٢/٢٨) .

وفيما يتعلق بغور الاردن الذي يحتل المكانة الثانية في سلم الافضليات بالنسبة للنشاط الاستيطاني لدى الاسرائيليين ، حيث اقيمت هناك تسع مستوطنات ، معظمها غدت مستوطنات مدنية وتنعم [illegible] امني على خلاف مستوطنات الجولان ، بفضل مجرري [illegible] والاحراش التي قام النظام الاردني بهما ضد المقاومة الفلسطينية . تقوم السلطات الاسرائيلية الان بالاعداد لثلاث مستوطنات اخرى .

وبالنسبة لشبه جزيرة سيناء ، التي يتركز الاستيطان فيها في شرم الشيخ والمنطقة الممتدة بين شرم الشيخ وايلات ، وشمال سيناء حيث اقيمت ثماني مستوطنات ، فانه لم يطرأ جديد على حركة الاستيطان هناك . اما فيما يتعلق بقطاع غزة الذي استطاع بفضل ثورة جماهيره ان يحمي المنطقة لمدة طويلة من الاطماع الاستيطانية الاسرائيلية ، ويجعلها تقتصر على مستوطنة واحدة هزيلة اشيدت بالقرب من الخط الاخضر تحمل اسم «كفار داروم»، فقد فتح الباب ولو بشكل ضيق في الاونة الاخيرة امام حركة الاستيطان ، على اثر حملات الهدم والتشريد والتهجير التي شرعت بها سلطات الاحتلال ضد الجماهير، وعلى اثر محاولات التصفية الخطيرة التي تقوم بها ضد المقاومة الفلسطينية هناك . ففي اليوم الاخير من شهر فبراير رفعت الانخاب احتفاء بمناسبة بروز مستوطنة « ناحال نتسريم » على الارض على بعد ٦ كم جنوبي مدينة غزة . وقد اشترك في الاحتفال كبار ضباط الجيش وعلى رأسهم قائد المنطقة الجنوبية الزعيم « اريك شارون » الذي قال بانه يجري الاعداد لاقامة مستوطنات اسرائيلية اخرى في القطاع . ومن المعروف ان هذه المستوطنة الجديدة هي الاولى من بين ثلاث مستوطنات كان قد اعلن انه سيتم انشاؤها في القطاع ، امـا المستوطنة الثانية فستقام شمالي خان يونس ، والثالثة ستقام في الشمال من مدينة رفح . ومن الجدير بالذكر ان مستوطنة « ناحال نتسريم » على خلاف معظم المستوطنات الاخرى ، محاطة بالخنادق والحواجز ويقوم افرادها في الوقت الحاضر « بحماية » المنطقة الى ان تتم عملية اقامة « المباني الدائمة » في شهر مايو القادم ليعمل المستوطنون بعد ذلك في الميدان الزراعي .

الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : اهتداء بتصريحي ديان الآنفي الذكر ، ومن اجل تكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليه ، اقدمت السلطات الاسرائيلية على فرض الانتخابات البلدية في الضفة الغربية . يقول الصحفي الاسرائيلي « عمير سبيرا » في مقال له في مجلة « حوتام » (٧٢/٢/١١) «ان فكرة اجراء الانتخابات البلدية قد تجسدت في الفترة التي ذكر فيها ديان ان حكومة اسرائيل ترى نفسها كحكومة دائمة في المناطق المحتلة ... **وكان ذلك تعبيرا حادا عن هذا الامر** » .

من المقرر ان تجري الانتخابات في الضفة الغربية على مرحلتين ، تشمل المرحلة الاولى التي ستبدأ في ٧٢/٣/٢٨ مدن وقرى المنطقة الشمالية بما في ذلك مدينة اريحا ، اما المرحلة الثانية فتبدأ في ٧٢/٥/٢ في المنطقة الجنوبية التي تشمل كلا من « رام الله والبيرة وبيتونيا وبير زيت وبني زيد وسلواد ودير دبوان وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والخليل وحلحول ودوره وبطه » .

وقبل التطرق الى الاطراف ذات الصلة بالانتخابات، لا بد من الاشارة الى ان هذه الانتخابات التي تقوم سلطات الاحتلال بفرضها على سكان الضفة ، لم تكن لتتم لولا مجزرتي عمان والاحراش اللتين ألغتا التواجد العلني للمقاومة الفلسطينية في الضفة الشرقية، وبذلك تمكنت اسرائيل من فرض مخططاتها الرامية لتكريس الاحتلال . وتعترف صحيفة معاريف (٧٢/٢/١٤) بهذا الامر بقولها انه كان بوسع المقاومة الفلسطينية قبل عامين حسم مسألة الانتخابات .

لكي نقف على جوهر الانتخابات التي فرضتها السلطات الاسرائيلية على سكان الضفة الغربية لا بد من الوقوف قليلا حول الاطراف ذات النفوذ في الضفة . ومن أجل توضيح الصورة يمكن تقسيم مرحلة الاحتلال الى فترتين : الفترة الاولى من ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠ والفترة الثانية ١٩٧٠ وحتى الان. في الفترة الاولى كانت تتقاسم النفوذ في الضفة الغربية أربعة اطراف رئيسية : ١ ــ الطرف الاسرائيلي الذي يرتكز على قوة الاحتلال ويعتمد على الزعامة التقليدية . ٢ ــ النظام الاردني الذي كان يعتمد على موظفي الحكومة والزعامة التقليدية . ٣ ــ الزعامة التقليدية في المدن والوجاهة التقليدية في القرى التي تعتمد على السلطتين الاسرائيلية والاردنية . ٤ ــ المقاومة الفلسطينية والعناصر الوطنية ومن بينها الحزب الشيوعي ، التي تعتمد على جماهير الضفة .

في هذه الفترة كان أهم ما يشغل بال الجانب الاسرائيلي حصر ظل المقاومة في الضفة الغربية ، ومن أجل ذلك اتبعت وسائل عدة من بينها تنمية الزعامة التقليدية في المدن والوجاهة التقليدية في القرى سواء المؤيدة لها او للنظام الاردني ، وابعاد العناصر الوطنية التي تعطف على المقاومة الى الضفة الشرقية ، ومطاردة « المطلوبين » من

عناصر المقاومة البالغ عددهم في عام ١٩٦٨ حوالي خمسة آلاف شخص ، وفتح المعتقلات للوطنيين .

الفترة الثانية : في هذه الفترة غابت المقاومة الفلسطينية عن ساحة الضفة الغربية بسبب مجزرتي عمان والاحراش ، مما أثر تأثيرا كبيرا على معادلة القوى في الضفة الغربية ، التي اصبحت تتمثل في الطرف الاسرائيلي والنظام الاردني والزعامة التقليدية ، والعناصر الوطنية التي يتمثل نشاطها بالسرية وعلى راسها الحزب الشيوعي الذي يقوم بدور بارز في فضح مخططات سلطات الاحتلال والمتعاونين معها ، وبتوعية الجماهير .

بعد ان حصلت سلطات الاحتلال على « حسر ظل النفوذ الفدائي » اصبح همها حسر ظل النفوذ الاردني ، فاخذت تضغط على الزعامة التقليدية لتسييرها في الخط الذي ترتأيه ، والى جانب ذلك خلقت زعامة جديدة متعاونة معها تحمل اسم « مجموعة السياسيين الشبان في القدس » او « الجيل الجديد » في الضفة الغربية . والحقيقة ان عملية خلق هذه المجموعة تتسم بالذكاء بقدر ما تتسم بالخطورة ، ففي أعقاب مجزرة عمان ووسط النقمة الشعبية على النظام الاردني قامت سلطات الاحتلال بخلق ما يعرف بالجيل الجديد او مجموعة السياسيين الشبان ، ورسمت امام هذا التيار خطا يسير عليه ، يبدو للوهلة الاولى وكانه على نقيض من المخطط الاسرائيلي ، بيد انه يلتقي في نهاية المطاف بالمخططات الاسرائيلية الرامية الى تكريس الاحتلال . وتتمثل سياسة مجموعة الشباب في امرين : ١ ــ التنديد بالنظام الاردني الذي قام « بمجازر وحشية ضد الشعب الفلسطيني » ٢ ــ الدعوة الى الاعتراف « بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره » .

ان حملة التنديد التي تقوم بها هذه المجموعة لا تقتصر على النظام الاردني ، بل تتخللها تهكمات على شعبنا من ابناء الضفة الشرقية ، وتدعو بشكل ضمني الى فصل وحدة الشعب الفلسطيني والاردني ، كما ان الدعوة الى الاعتراف « بحق تقرير المصير » تشمل اجراء انتخابات في الضفة الغربية. لقد خلقت سلطات الاحتلال هذه « الزعامة الجديدة » كورقة ضغط موجهة ضد النظام الاردني من جهة لحثه على الاسراع في ايجاد تسوية بين اسرائيل والاردن تنال فيها سلطات الاحتلال حصة الاسد ، وضد الزعامة التقليدية من جهة اخرى لحثها على المزيد من التعاون مع سلطات الاحتلال (سنتحدث بشكل مسهب حول الزعامة الشابة في عدد قادم من شؤون فلسطينية) .

لقد كان اول الداعين الى اجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية حمدي كنعان الرئيس السابق لبلدية نابلس ، وتلقفت الدعوة مجموعة الشبان ، التي يقف على راسها محمد ابو شلباية مؤلف كتاب « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » حيث اخذت هذه المجموعة تروج لفكرة حمدي كنعان ، من خلال صحيفتي « القدس » و« الانباء » . وعند رواج الدعوة اصدرت سلطات الاحتلال تعليمات باجراء الانتخابات البلدية « استجابة لرغبة السكان » ! وفق القانون الاردني لعام ١٩٥٥ . ويسلك حمدي كنعان في تبرير دعوته لاجراء انتخابات نفس المسلك التبريري الخاطىء الذي تسلكه سلطات الاحتلال اذ يقول : « عندما ناديت بالانتخابات انما فعلت ذلك عن قناعة بأن مصلحة الشعب تقتضي تغيير الهيئات الحالية وقد تأيد هذا النداء **بصوت شعبي قوي** صدر بمقالات نشرت على صفحات الجرائد العربية ، وانه لبديهي ان ليس للهيئات الحالية اي مبرر لاستمرارها بعد مضي ٩ سنين على انتخابها ، وكان لا بد من اعطاء الجيل الجديد حقه في المشاركة في الحياة العامة . واقتراحي باجراء الانتخابات لا يعني بأي حال بأنني قصدت ترشيح نفسي » (الانباء ٧٢/٢/١١) .

هنالك ثلاث ملاحظات حول ادعاء حمدي كنعان :

١ ــ ان **الصوت الشعبي القوي** الذي تحدث عنه، واستغلته سلطات الاحتلال ، ما هو الا صوت ما يعرف بالجيل الجديد الذي خلقته سلطات الاحتلال لمصلحتها هي . ٢ ــ « الصحف العربية » التي ذكرها هما صحيفتا « القدس » و« الانباء » اللتان تنطقان باسم سلطات الاحتلال وتعملان وفق المخططات الاسرائيلية القريبة والبعيدة المدى . ٣ ــ ادعاؤه في كل مناسبة يتحدث فيها حول دعوته بأنه لن يرشح نفسه في الانتخابات ، بقصد ابعاد الشبهات من حوله ، ادعاء اقل ما يقال فيه انه لا اساس له من الصحة ، فقد تصدر اسم كنعان قائمة المرشحين للانتخابات في مدينة نابلس .

ومن المعروف ان قانون الانتخابات الاردني لعام ١٩٥٥ ذو طابع رجعي ، فهو يستثني النساء من حق الانتخاب، كما ويستثني أولئك الذين لا يدفعون

ضرائب بلدية ، وفوق ذلك فان مجلس الوزراء الاردني هو الذي يعين بمقتضى القانون رئيس البلدية من بين المرشحين الفائزين في الانتخابات بناء على توصية وزير الداخلية ، كما ويخول القانون مجلس الوزراء تنحية رئيس البلدية والغاء المجلس البلدي ، واتخاذ قرار بشأن امواله وممتلكاته اذا ما ارتأى وزير الداخلية « ان مصلحة البلد تتطلب ذلك » . وهنالك فقرة في القانون تخول الحكومة تعيين عضوين آخرين الى المجلس ، وبموجب هذه الفقرة تم ضم محمد الجعبري الى مجلس بلدية الخليل في عام ١٩٦٤ ، وعين في نفس اليوم رئيسا للمجلس ليخدم النظام الاردني ، ومن ثم سلطات الاحتلال . ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال لم تقدم حتى الان على تغيير القانون الاردني ، خشية المضاعفات التي تنجم عن خطوة كهذه تتنافى واتفاقية جنيف الدولية ، مع ان اسرائيل قد اتخذت خطوات عدة تتنافى وهذه الاتفاقية مثل اقامة المستوطنات . الا ان السيد كنعان يدعو الى ان تقوم اسرائيل بتغيير القانون ! فقد قال كنعان في حديث له مع مجلة « حوتام » الملحق الاسبوعي لصحيفة عل همشمار (٧٢/٢/١١) : « اعتقد انه ينبغي تغيير القانون ، خاصة لتمكين اشتراك أولئك الذين لا يدفعون ضرائب ، وفيما يتعلق بالاسلوب ، اقترحت العودة الى القانون الفلسطيني الذي كان متبعا في عهد الانتداب البريطاني » .

ان دعوة كنعان الى تغيير القانون الاردني الرجعي ليست نابعة من دوافع تقدمية بقدر ما هي ناجمة عن رغبته في خدمة سلطات الاحتلال ، لكي يتفوق على منافسه الشيخ محمد الجعبري في هذا المجال. فقد أفصح عن رجعيته في نفس العدد من مجلة « حوتام » حين قال انه يعارض منح النساء حق الانتخاب ويؤيد حصر حق الانتخاب على « المثقفات فقط » ... « لاننا نعرف نساءنا ، فالاكثرية الساحقة منهن لا يعرفن لمن يدلين بأصواتهن » . والحقيقة ان الاكثرية الساحقة من جماهير الضفة الغربية رجالا ونساء باستثناء حمدي كنعان والزعامة التقليدية و« الزعامة الشابة » لا يعرفون لمن يدلون بأصواتهم ، في انتخابات تفرض في ظل الاحتلال ولمرشحين يتعاونون مع العدو ، ليس ذلك عن « جهل » كما يحلو للسيد كنعان ان يتفوه اثناء حديثه مع الصحفيين الاسرائيليين تجاه المرأة العربية، بل عن وعي الحقائق الموضوعية لانتخابات تجري في ظل الاحتلال ، فانتخابات كهذه بمثابة مبايعة للاحتلال وبالتالي فانها ستساعد على تكريسه واستدامته واضفاء صفة الشرعية عليه .

وساطة انور نسيبة : وسط الاستعدادات لاجراء الانتخابات البلدية في الضفة الغربية بفرض تكريس الاحتلال ، برزت على سطح الاحداث قضية وساطة لايجاد تسوية بين النظام الاردني واسرائيل ، بطلها وزير الدفاع الاردني الاسبق انور نسيبة من سكان القدس واحد اركان النظام الاردني في الضفة الغربية ، فقد كشفت الصحف الاسرائيلية النقاب عن ان انور نسيبة قام بسلسلة من الاجتماعات السرية مع عدد من الشخصيات الاسرائيلية وعلى راسهم رئيسة الحكومة غولدا مئير ، ووزير الدفاع موشيه ديان ، ووزير الشرطة شلومو هليل ، كما واجتمع في نفس الوقت مع الملك حسين ورئيس وزرائه اللوزي. وقد اتضح للمسؤولين الاسرائيليين من خلال الاجتماعات مع نسيبة « ان هنالك ثمة اتجاه قائم في الاردن لفحص امكانية تسوية مع اسرائيل » (معاريف ٧٢/٢/١٠) .

لم ينكر نسيبة اجراء الاتصالات مع الشخصيات الاسرائيلية ، بيد انه ذكر انها مجرد مجاملة. ولكن وزير الخارجية ابا ايبن ذكر ان هذه اللقاءات لا تقتصر على المجاملة حين قال ردا على استجواب قدمه احد الوزراء في جلسة عقدتها الحكومة الاسرائيلية « لقد اجرى زعماء اسرائيليون اتصالات مع انور نسيبة ، وقد جرت عشرات اللقاءات معه منذ حرب الايام الستة ، لم تسفر اللقاءات الاخيرة عن تقدم لايجاد تسوية مع الاردن ، الا انها ربما تشير الى مدى العصبية في عمان الناجمة عن التخوف من تسوية اسرائيلية مصرية لفتح القنال » (هآرتس ٧٢/٢/١٤) .

ومن ناحية اخرى اكدت الدوائر الاسرائيلية في القدس ان اهمية الاتصالات الاخيرة قد « تجاوزت اطار تبادل الآراء » . وقد وردت تلميحات في تصريحات الزعماء الاسرائيليين بشأن اجراء وساطة بين النظام الاردني والسلطات الاسرائيلية ، من بينها تلميحات ديان اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة الاميركية حول « صمود العرب والميل المتزايد بين صفوفهم لاعتبار اسرائيل واقعا ينبغي الاعتراف به » وكذلك تلميحات غولدا مئير اثناء مناقشة الازمة مع الحزب الوطني المتدين والتي

هددت بخروج الحزب من الحكومة ، حين قالت : « ماذا سيحدث مثلا ، لو ان حسين كان يريد التحدث معنا حول تسوية سلام ... من اجل ذلك نحن بحاجة الى حكومة ثابتة » (معاريف ٢/١٠/ ٧٢) .

ويبدو ان وساطة نسيبة قد قطعت شوطا معينا في طريق التسوية بين السلطتين الاردنية والاسرائيلية، فقد ساعدت في التوصل الى « تسوية عملية » بسيطة تتمثل في تسهيلات وافق الطرفان عليها ومن بينها السماح لباصات كلا الجانبين بالمرور على الجسور في الاتجاهين اي اصبح بامكان الباصات القادمة من القدس والضفة اجتياز الحدود حتى الجمرك الاردني ، كما واصبح بامكان الباصات الاردنية اجتياز الجسر حتى الجمرك الاسرائيلي . وكذلك السماح « للزوار من الدول العربية » بزيارة الضفة الغربية طيلة ايام السنة وليس في فصل الصيف كما كان متبعا من قبل . ومن بين الامور الخطرة التي تم الاتفاق عليها بين السلطتين الاسرائيلية والاردنية السماح للسياح الاجانب بالتنقل بواسطة شركات السفر في القدس في خط مباشر من القدس الى عمان وبالعكس . وقد رحب وزير السياحة الاسرائيلي بهذه الخطوة وتمنى « ان يكون لبنان الدولة العربية الثانية التي تحذو حذو الاردن » !! (الاذاعة العبرية ٧٢/٣/١١) . الا ان اخطر ما تكشفت عنه وساطة نسيبة تتمثل في الحديث عن رفع العلم الاردني فوق المسجد الاقصى، وهذا يعبر تعبيرا حادا عن المهمة التي يقوم بها انور نسيبة . ان رفع العلم الاردني فوق الاقصى لا يشير الى سيادة النظام الاردني بقدر ما يشير الى التسوية التي تفرض على شعبنا ، والتي يتقاسم فيها الخائن والعدو ارضنا وشعبنا .

لقد اثارت انباء الوساطة التي قام بها انور نسيبه استياء وسخط العناصر الوطنية في الضفة الغربية، واحدثت « ضجة » بين اوساط العناصر الموالية للاحتلال الاسرائيلي ، وخاصة عناصر « ورقة الضغط » التي تستخدمها السلطات الاسرائيلية ضد النظام الاردني لحثه على الاسراع في عقد تسوية منفردة مع اسرائيل. فقد بعثت مجموعة السياسيين الشبان التي يتزعمها محمد ابو شلباية وجميل حمد ببرقية الى رئيسة الوزراء ووزير الدفاع ووزير الشرطة والى قناصل الدول الاجنبية في القدس جاء فيها « ان الاتصالات التي تجري من وراء الكواليس لا تتفق وأماني وحقوق الشعب الفلسطيني الذي عانى الكثير من الويلات والنكبات . ان اية تسوية تتجاهل حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره تعتبر في رأينا تمهيدا لمزيد من الكراهية وتعميق جذور الخلافات بين الشعبين الفلسطيني واليهودي ، لذا فاننا نطالب بوقف هذه المحاولات المستترة التي يغيب الشعب من خلالها ، ونؤكد بأن التوصل الى السلام العادل وتحقيق الاستقرار في المنطقة لن يتحقق الا من خلال ارادة الشعب الفلسطيني الحرة التي لن تبرز الا باعطائه الفرصة لاختيار ممثليه » (الانباء ٢/١٣/ ٧٢) .

ويمكن لنا ان ندرك مدى تأثير « ورقة الضغط » التي تستخدمها السلطات الاسرائيلية ضد النظام الاردني ، في الرسالة المفتوحة التي بعث بها محمد ابو شلباية الى رئيسة الوزراء التي كانت قد اجرت اتصالات مع الملك عبدالله « ... لقد جربت انت ، يا رئيسة الوزراء وجرب اسلافك مثل السيد بن غوريون الاتصالات بالحكام من امثال الملك عبدالله والملك فاروق ، والجميع يعرفون انك نفسك وصلت الى قصور الملك عبدالله وراء النهر ، واجريت معه الاحاديث وعقدت معه الاتفاقيات ، فماذا كانت النتيجة ؟ » (الانباء ٧٢/٢/١٥) .

اتصالات الملك حسين مع الاسرائيليين : في غمرة الحديث عن وساطة نسيبة بين النظام الاردني واسرائيل ، اخذت الصحافة الاسرائيلية تتحدث بعناوين بارزة عن اتصالات أخرى جرت عدة مرات، وجها لوجه ، وبسرية تامة بين الملك حسين وكبار المسؤولين الاسرائيليين ، امثال « يجال آلون وابا ايبن والدكتور يعقوب هرتسوغ ومندوبين اسرائيليين آخرين » . ووفقا للتقارير الصحفية الاسرائيلية التي اعتمدت على المصادر الاجنبية و« مصادر وثيقة الاطلاع » كانت ساحة الاجتماعات السرية في لندن وفي خليج العقبة . في مباحثات لندن السرية التي جرت في خريف عام ١٩٦٨ اقترح على الملك « قبول مشروع الون الداعي الى مرابطة القوات الاسرائيلية على امتداد نهر الاردن ، واجراء تعديلات على حدود معينة ، واعادة بقية المناطق الى حكم الملك حسين ، شريطة ان لا تدخلها قوات اردنية ، مع ضمان حرية الوصول الى الاماكن المقدسة للمسلمين في القدس » .

وحسب ما جاء في الصحافة الاسرائيلية فان الملك

لم يرفض المشروع الاسرائيلي برمته ، بل اقترح « ان تشرف قوات الامم المتحدة على نزع السلاح في الضفة الغربية بدل الجيش الاسرائيلي ، كما وطلب ترتيبات مريحة في القدس » بيد ان المفاوض الاسرائيلي رفض طلب الملك .

لم تنسف « المباحثات السرية » بسبب الخلاف في وجهات النظر ، بل نسفت كما تقول الصحف الاسرائيلية بسبب « تأكيد الملك بأنه لا يستطيع ان يسمح لنفسه بأن يكون الزعيم العربي الاول الذي يدخل في تسويات مع اسرائيل » .

اما سلسلة المباحثات السرية الثانية فانها قد جرت في خليج العقبة بين الملك حسين ويجال الون في عام ١٩٧٠ تطرق الحديث خلالها حول مسألتين : الحل السياسي للازمة ، وقضايا الامن « نشاط المنظمات الفدائية التي تقوم من خلال قواعدها في الاردن بأعمال تخريبية داخل الاراضي الاسرائيلية». لم تقتصر الاتصالات بين الجانبين على لندن والعقبة فقط ، بل تجري في بعض الاحيان مباشرة بين عمان والقدس بواسطة خطوط الاتصال « فعندما قاتلت وحدات الجيش الاسرائيلي الفدائيين في الكرامة ، ودخلت في معركة مع وحدات الجيش الاردني ، اجرى الملك حسين ، اتصالا مع السلطات الاسرائيلية بواسطة السفير الاميركي في عمان واجهزة الاتصال الخاصة به » .

ان اخطر ما كشفت عنه الصحافة الاسرائيلية ، لا يتمثل في الاتصالات السرية التي اجراها الملك حسين مع العدو الاسرائيلي ، والتي يستكملها انور نسيبه فحسب ، بل كذلك في الصمت العربي تجاه هذه الاتصالات . تقول صحيفة معاريف (٧١/٢/١٨) : « تحمل اللقاءات بين اسرائيل والملك حسين طابعا فريدا من نوعه ، ويبدو ان الملك ، حسب ما نشر ، الشخصية العربية الكبيرة التي اجرت اتصالات شخصية سرية متتالية مع اسرائيل ، ولم يوقفها بالرغم من نشرها. وقد ابتلع العالم العربي ذلك » . **والسؤال الذي يطرح نفسه هل سيبقى العالم العربي « يبتلع » بصمت ام سيتقيأ بعنف ليخرج من جوفه كل اسباب التخلف والهزائم ؟**

تغيرات ادارية في القطاع : في غمرة الاحداث الجارية في الضفة الغربية لتكريس الاحتلال الاسرائيلي واضفاء الصبغة الشرعية عليه ، وفي اعقاب حملات الهدم والتشريد والتهجير التي قامت بها قوات الاحتلال ضد سكان القطاع في النصف الاخير من شهر تموز في العام الماضي ، وفي جو محاولات التصفية الخطيرة التي تقوم بها قوات الاحتلال ضد ثورة الجماهير هناك ، اقدمت سلطات الاحتلال عند مطلع شهر آذار باحداث تغييرات ادارية في القطاع ، نقل بموجبها قطاع غزة من ادارة قيادة المنطقة الجنوبية التي يتزعمها الزعيم اريك شارون الى قيادة المنطقة الوسطى التي يتزعمها الزعيم رحبعام زئيفي . وبذلك اصبح قطاع غزة والضفة الغربية لاول مرة تحت ادارة قيادة واحدة !

وقد اوعزت المصادر الاسرائيلية اسباب التغييرات الادارية الى عدة امور من بينها : ١ — الرغبة في تركيز جهد قيادة المنطقة الجنوبية على الجبهة المصرية ، بعد ان كان تركيزها منصبا على جبهة القطاع بسبب وقف اطلاق النار على امتداد القنال . ٢ — العمل على احداث توازن افضل في العمل بين القيادات الاسرائيلية ، ففي الفترة التي سبقت مجزرة ايلول كانت قيادة المنطقة الوسطى منهمكة بالتصدي لهجمات رجال المقاومة الفلسطينية ، اما في الفترة التي اعقبتها فقد غدت قيادة المنطقة الوسطى تنعم بالاستقرار الامني ، ولا يتناسب الجهد الذي تبذله وجهد القيادتين الاخريين ، قيادة المنطقة الجنوبية وقيادة المنطقة الشمالية .

الا ان اخطر ما في الامر ، يتمثل في توقيت هذه التغييرات الادارية ، فبالرغم من انكار المسؤولين الاسرائيليين ان تكون هنالك معان سياسية وراء التغيير ، ذكرت صحيفة معاريف (معاريف ٧٢/٣/١) ان هنالك هدفا آخر من وراء ذلك يكمن « في اتخاذ سياسة موحدة بواسطة قائد واحد تجاه منطقتين يتركز فيهما سكان المناطق المحتلة» فاذا اخذنا بعين الاعتبار هذه التغييرات التي تجيء مع الاحداث المتلاحقة في الضفة الغربية ، ندرك القصد من ورائها .

عبدالحفيظ محارب

مذكرة تحليلية
حول مشروع الملك حسين

خالد الحسن

بتاريخ ١٩٧٢/٣/١٥ ، القى الملك حسين خطابه الذي اعلن فيه مشروعا اسماه مشروع المملكة العربية المتحدة ، وقد انقسم الخطاب الى شقين، مقدمة تاريخية ، ومشروع « المملكة العربية المتحدة » .

اولا ــ المقدمة

١. ــ لقد تضمنت مقدمة المشروع سردا مقلوبا وكاذبا لحقائق تاريخية اصبحت معروفة لدى الكافة من اجهزة رسمية وشعبية ، وحتى لدى المواطن العادي في طول البلاد وعرضها . وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد النقاط التالية :

أ. لقد قال الملك حسين ان انشاء امارة شرقي الاردن كانت انقاذا لارض هذه الامارة من وعد بلفور ، بينما الحقائق والوثائق التاريخية تثبت ، ان انشاء الامارة وتعيين عبد الله اميرا عليها ، كان بعد الموافقة التي ابلغها عبد الله الى تشرشل على السياسة البريطانية والفرنسية والصهيونية في المنطقة اي على قيام دولة اسرائيل .

ب ــ كما قال ، ان الجيش العربي الاردني انقذ ما عرف بالضفة الغربية من الاحتلال الصهيوني ، والكل يعرف كيف سلم عبد الله منطقة اللد والرملة الى الصهاينة ، وكيف تنازل عن منطقة المثلث في مفاوضات رودس الى الصهاينة وفق مفاوضات مسبقة مباشرة وشخصية مع زعماء الصهاينة اشار الى وقائعها ووثائقها المقدم عبد الله التل في مذكراته المشهورة عن خيانة الملك عبد الله وتواطئه مع الصهاينة والبريطانيين .

ج ــ كما قال الملك حسين ، بان الجيش الاردني انقذ القدس التي عرفت فيما بعد بالقدس العربية، والكل يعرف ان الجيش لم يتحرك للاشتراك في معركة القدس الا بعد ان قام المرحومان رياض الصلح وجميل مردم بزيارة الامير عبدالله بعد منتصف الليل وهدداه بفضح موقفه علنا اذا لم يتحرك الجيش الاردني الى القدس ثم يأتي المقدم عبد الله التل ، قائد منطقة القدس في تلك الفترة ليفضح التواطؤ الذي كان قائما على القدس ، والطريقة التي تخطى فيها هذا التواطؤ ، عندما استغل الامر الشكلي للامير عبد الله وتمكن بمساعدة القوات الفلسطينية والعربية المتطوعة من انقاذ المدينة القديمة ، وكان بالامكان تحرير القدس كلها لولا صدور اوامر الامير عبد الله بايقاف المعركة والاكتفاء بالقدس القديمة .

د ــ ثم تحدث الملك حسين عن الاجراءات التي تمت لتوحيد الضفة الغربية مع الضفة الشرقية بينما الجميع يعرف : ١ ــ ان الزعماء الفلسطينيين الذين زاروا الامير عبد الله في قصره جعلوا شرط الوحدة ان يتعهد الامير بالعمل لتحرير ما احتله الاسرائيليون من فلسطين ، ولكنه رفض اعطاء هذا التعهد فغادروا قصر عبد الله دون ان يبايعوه اميرا عليهم . ٢ ــ ان ضم الضفة الغربية الى امارة شرق الاردن ، كان تآمرا على القضية الفلسطينية ، الامر الذي دفع الجامعة العربية ، في اجتماع خاص عقد لهذا الموضوع ، الى اصدار قرار بعدم الاعتراف بهذا الضم واعتبار الضفة الغربية وقطاع غزة ، والحمة امانة لدى الدول العربية الثلاث (سوريا ، مصر ، شرقي الاردن) وهذا القرار لا يزال قائما حتى الان .

هـ ــ ثم تحدث الملك حسين عن المساواة في الحقوق والواجبات بين ابن فلسطين وابن شرق الاردن ، والكل يعرف الحقائق التالية : ١ ــ ان ابن فلسطين كان ولا يزال مواطنا من الدرجة الثانية فيما عرف بالمملكة الاردنية الهاشمية ، في مجال الوظائف والممارسة الفعلية لتطبيق القانون ، واصبح من التكرار القول بان الممارسة العملية كانت بسيطرة اقلية حول الملك حسين وعائلته ، على اغلبية سكان المملكة الاردنية الهاشمية .

٢ ــ ان الاضطهاد الذي وقع على ابناء فلسطين في هذه المملكة وصل الى حد جر ابناء نابلس وراء الخيول الى الزرقاء وموت العديد منهم على الطريق.

٣ ــ ان التخطيط الصناعي والاقتصادي كان مقصورا على الضفة الشرقية ومنع قيام اي مشروع تزيد تكاليفه عن عشرة الاف دينار في الضفة الغربية .

و ــ اما ما حاول الملك حسين ان يظهره من حرص على القضية الفلسطينية ، وتحرير فلسطين فانه امر يدعو الى السخرية ، ان يصدر هذا الكلام عن مسؤول لا تزال يديه ملطخة بدماء الشعب الفلسطيني ، ليس من خلال مذابح ايلول وجرش وعجلون فحسب ، وانما عبر تاريخ علاقة هذه العائلة بالشعب الفلسطيني وبالنضال الفلسطيني منذ عام ١٩٢١ حتى الان مرورا بمسرحية حرب حزيران التي اعلن فيها حسين نفسه بانه خسر ٢٥ الف جندي ليتبين بعد ذلك ان عدد شهداء هذا الجيش لم يتجاوز العشرات بسبب تخطيط القيادات التي ارادت ابعاده عن القتال .

ز ــ هذا فضلا عن ان الهدف الاساسي من انشاء امارة شرقي الاردن وضم الضفة الغربية اليها ، وتحويلها الى مملكة ، كما اثبتته الوقائع والوثائق والاتصالات الاسرائيلية مع الامير عبد الله منذ ١٩٣٠ ومع الملك حسين قبل وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ كانت تهدف الى : ا ــ اذابة الشخصية الفلسطينية النضالية . ب ــ انهاء وجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني واعطائه اسما اخر . ج ــ الاسهام الفعال في تنفيذ مشاريع امريكا والعدو الصهيوني في توطين الفلسطينيين لانهاء مشكلة الشعب الفلسطيني خارج وطنه . د ــ دفع العناصر المتمردة علنا على هذه السياسة الى مغادرة المملكة الاردنية بوسائل الارهاب المخططة المشهورة التي مارسها ويمارسها الملك حسين وقبله الملك عبد الله على ابناء فلسطين .

٢ ــ وخلاصة القول حول هذا الموضوع ان علاقة الملك عبد الله والملك حسين وعائلته باسرائيل وبالاستعمار كانت علاقة تنطلق من محور التآمر على القضية الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني في سبيل البقاء ملاكا على عرش ملكي قائم على جماجم ابناء فلسطين ، وفي مملكة يبنيها من المساعدات الاستعمارية السخية التي تعطي له ثمنا لهذا التآمر الذي لا يختلف عليه اثنان في الامة العربية .

٣ ــ ومن هنا فان اي تحرك عملي او لفظي للملك حسين وبطانته لا يمكن ان ينظر اليه الا بمنظار الشك والريبة ، فضلا عن الخيانة والتآمر ، خصوصا اذا كان هذا التحرك يتصل بالشعب الفلسطيني وبالقضية الفلسطينية .

ثانيا ــ مشروع « المملكة العربية المتحدة »

ا ــ لا نريد الخوض في مناقشة تفاصيل مواد المشروع الاثنتي عشرة ، لان مثل هذه المناقشة لا يمكن ان تجري الا اذا توفرت شروط عدة اهمها :

ا ــ ظروف طبيعية اهمها الجو الديمقراطي الحر البعيدة عن ظروف الاحتلال والارهاب . ٢ ــ توفر حسن النية لدى مقدمي المشروع . ٣ ــ توفر الثقة التامة بين الاطراف المعنية .

ب ــ وهذه الشروط غير متوفرة اطلاقا ، ومن هنا كان لا بد من حصر البحث في اهداف هذا المشروع ونتائجه ، ولاجراء بحث هادىء وموضوعي لهذه الاهداف والنتائج كان لا بد من التطرق الى :

ا ــ الظروف والتحركات المتصلة بتوقيت اعلان المشروع . ٢ ــ نتائج المشروع في المجال العربي.

٣ ــ نتائج المشروع في المجال الفلسطيني .

٤ ــ نتائج المشروع على الوحدة الوطنية الاردنية الفلسطينية .

ج ــ الظروف والتحركات المتصلة بتوقيت المشروع:

ا ــ على الساحة الاردنية :

ا ــ بعد كارثة حزيران ١٩٦٧ ، لم يكن بامكان نظام الملك حسين في الاردن ان يستمر في ضرب الثورة الفلسطينية بنفس الاسلوب الذي اتبعه لضربها منذ ١٩٦٥/١/١ ، فقد تفككت ادوات قمع الدولة واصيبت الجماهير الاردنية بذهول من هول

الكارثة ، انقذتهم منها الثورة الفلسطينية ، التي استمرت وحدها في كفاحها المسلح ضد العدو الصهيوني ، الامر الذي دفع بالجماهير الاردنية الى حماية واحتضان الثورة الفلسطينية جنبا الى جنب مع الجماهير الفلسطينية فشكلت سدا قويا ضد رغبة الملك حسين في ضرب الثورة الفلسطينية (قبل معركة الكرامة) اما بعد معركة الكرامة ، فقد انضم الجيش الاردني الى صفوف الجماهير يحمي الثورة الفلسطينية ويساعدها ويساندها رغم اوامر القادة الكبار لهذا الجيش واوامر الملك نفسه .

ب — ولمواجهة هذا الموقف انشأ الملك جهازا خاصا اسمه (الشعبة الخاصة) تقوم بالتنسيق عبر الملك شخصيا مع اجهزة المخابرات الملكية والاميركية بما يلي : ١ — شق جماهير الضفة الشرقية وجذب اكبر قدر ممكن منها الى جانب الملك ضد الثورة الفلسطينية . ٢ — شق الجيش الاردني وجذب اكبر قدر ممكن منه الى جانب الملك ضد الثورة الفلسطينية ودفعه الى المطالبة بضرب الثورة . ٣ — وعندما نجح في ذلك ، مستغلا اخطاء بعض فصائل المقاومة وقيام اجهزته بممارسة مشينة باسم العمل الفدائي ، خطط لمذبحة ايلول ١٩٧٠ التي سقط فيها حوالي خمسة الاف شهيد واكثر من خمسة عشر الف جريح . ٤ — وبذلك حقق انفصالا قائما على الحقد والثأر بين الفلسطينيين والاردنيين زاد في تكثيفه وتوسيع شقته بمذابح جرش الاولى ثم مذابح جرش وعجلون في شهر يوليو/تموز ١٩٧١، ثم في عمليات الارهاب والسجن والاعتقال والتعذيب والقتل غير المعلن واصدار احكام الاعدام العفوية لكل من تعاطف مع الثورة الفلسطينية في الضفة الشرقية . ٥ — كما صاحب ذلك عجز عربي كامل في ردع الملك حسين وبطانته من ممارسة هذه المذابح بالاضافة الى اعلام بذيء وحاقد مارسته اذاعة عمان ضد الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية، الامر الذي خلق جوا نفسيا فلسطينيا عفويا بالغ الالم يكاد يصل بهم الى اليأس من الموقف العربي تجاههم ، والى النحول باتجاه تفكير ذاتي لحماية انفسهم وحل مشاكلهم بمعزل عن الجهد العربي والتعامل العربي .

ج — في هذا الجو اخذت اجهزة المخابرات الاردنية والاميركية تطرح فكرة (الدولة الفلسطينية) كمخرج يتجاوب مع الواقع النفسي الفلسطيني العفوي البالغ الالم ليوهم الفلسطينيين بان هذه الدولة هي المخرج من واقعهم والملجأ من ظالميهم ، اما اجهزة الاعلام الاردنية العلنية فاخذت تتهم الفلسطينيين والثورة الفلسطينية بانها تريد الدولة الفلسطينية وفصل وحدة الشعبين الاردني والفلسطيني ، لخلق ردة فعل مضادة تغذي الاقليمية الفلسطينية وتزيد في اليأس الفلسطيني ، يساعد على ذلك الهجمات الاسرائيلية المتوالية على قواعد العمل الفدائي في سوريا ولبنان ، والعجز العربي في مواجهة ذلك كله ، بعد ان فرضت ضربة الملك حسين للثورة الفلسطينية الاتجاه الى اعادة بناء ذاتها فظهرت وكأنها ساكنة عن الحركة الثورية ضد العدو الصهيوني هذه الحركة النضالية المسلحة التي اعتادتها الجماهير في الارض المحتلة قبل مذابح ايلول الاحمر .

د — في هذا الجو النفسي الذي استغرق التخطيط له وممارسته ست سنوات كاملة ظهر الملك حسين فجأة بمشروعه ليوهم الفلسطينيين بانه يتجاوب مع مشاكلهم ورغباتهم العفوية من خلال حكم ذاتي تحت سيطرته وليبرر لعملائه المرتزقين على موائده خيانتهم الجديدة تحت ستار ما يسمى بالحكم الذاتي ، وليضع الشعب الفلسطيني في مصيدة الخيانة كما سيظهر ذلك في جزء اخر من هذه المذكرة ، تماما كالجلاد الذي يعطي المجلود قليلا من الماء ليتمكن من جلده اكثر واكثر .

هـ — وهنا لا يمكن ان نفصل توقيت اعلان المشروع عن الانتخابات البلدية التي يجريها العدو الصهيوني المحتل في الضفة الغربية — حيث نلاحظ الحوادث والنتائج التالية :

١ — اعلنت سلطات احتلال العدو الصهيوني عن عزمها لاجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية .

٢ — باشر الاعلام الاردني موقفا مضادا من هذه الانتخابات فاحجم عملاء الملك حسين في الضفة الغربية عن التجاوب مع الانتخابات الى جانب الموقف الوطني الحقيقي الذي وقفته جماهير الضفة الغربية .

٣ — كان هذا الرفض الملكي بداية مرحلة من المفاوضات بين الملك حسين وبين سلطات الاحتلال الصهيوني مباشرة ثم عن طريق عملاء الملك في الضفة الغربية (انور نسيبه وغيره) انتهت بموافقة الملك حسين على اجراء الانتخابات البلدية في الضفة الغربية فصمتت وسائل الاعلام الاردنية العلنية

عن مهاجمة الانتخابات . هذا وقد كانت مواقف الملك حسين وسلطات الاحتلال اثناء المفاوضات كما يلي : أ — موافقة الملك على التفاوض المباشر مع سلطات العدو الصهيوني لحل قضية الشرق الاوسط على ان يسبق ذلك قيام الجانب الصهيوني بتقديم خارطة تبين الاجزاء التي ستعود من الضفة الغربية عند تنفيذ الحل المزعوم لتسهيل عملية التنفيذ ، وقد قدمت للملك حسين بالفعل خارطة حدد عليها مشروع ايجال الون وقد وافق الملك على هذه الخارطة . ب — وافق الملك على المشروع الاسرائيلي الخاص بالقدس على ان يؤجل اعلان ذلك لوقت اخر . ج — اصرار سلطات الاحتلال الصهيوني على وجود طرف فلسطيني يوافق على مشروع الملك وموقف عربي موافق ايضا على مشروع الملك المبني على مشروع ايجال الون (وهذا يفسر تحرك الملك في الساحة العربية) . د — ان يطرح الملك مشروعه في الوقت المناسب (بعد انتهاء الانتخابات البلدية) والخروج منها بصيغة تمثيلية تمكن من ايجاد الطرف الفلسطيني الذي يقبل بمشروع الملك القائم على اساس مشروع ايجال الون بعد ان يكون قد تم ضرب الثورة الفلسطينية نهائيا .

٤ — قام الملك بطرح مشروعه ليكون البرنامج الانتخابي العلني لعملائه في الانتخابات البلدية وطرحه قبل انتهاء عملية الانتخابات من باب التمويه حتى لا يكون الربط بين المشروع وبين مؤامرة الانتخابات البلدية اكثر وضوحا ومن هنا نستطيع ان نفهم معنى تصريح انور نسيبه (بعد اعلان المشروع) عندما قال بانه لم يفاجأ بالمشروع ولكنه فوجيء بتوقيت اعلانه .

٢ — الساحة الدولية (الولايات المتحدة الاميركية)

١ — منذ مدة ، والرسميون الاميركيون يعلنون ان تحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط لا يتم الا برضاء الفلسطينيين ، وهذا يعني ضرب ارادة النضال الفلسطينية بضرب العمل الفدائي الفلسطيني ، وقيام صيغة فلسطينية تكون طرفا في التسوية (مشاريع فيشر الامريكي ، الذي يمثل مشروع الملك حسين احداها) .

٢ — اشار الرئيس نيكسون في تقريره الى الكونغرس الاميركي الى الشعب الفلسطيني بطريقة جديدة عندما قال :

« ولا يزال الشعب الفلسطيني مشتتا في كل انحاء العالم العربي ، يضغط بكفاحه ، من اجل الحصول على وطن ، وعلى ضمائر وسياسات الحكومات العربية ، مما يزيد التوترات تفاقما داخل الدول العربية ، وبينها (اسرائيل) . ان الحكومات المستقرة والمعتدلة مهددة من قبل حركات هدامة ، بعضها يلقى العون والمساعدة من الخارج » .

وهذا يعني : أ — ان نيكسون يريد ان يؤمن وطنا ما للشعب الفلسطيني . ب — انه يريد ان ينهي حالة الضغط التي يمارسها النضال الفلسطيني على ضمير الامة العربية وحكوماتها . ج — انه بذلك يلغي حالة التوتر في المنطقة ، ويساعد الحكومات المعتدلة على الاستقرار بعد انهاء الحركات الهدامة (الثورة الفلسطينية) التي هي السبب في ذلك كله ، والتي يجب انهاؤها (عن طريق الملك حسين والعدو الصهيوني) .

٣ — ابدى روجرز ارتياحه لنتائج الضرب المتواصل للثورة الفلسطينية .

٤ — اعلن حسين عن مشروعه .

٥ — ارسل الملك حسين وفودا الى الدول العربية لشرح المشروع واخذ الموافقة .

٦ — اعلن الملك حسين عن رحلته القريبة الى الولايات المتحدة حاملا معه كما يأمل : أ — موافقة بعض الدول العربية على المشروع . ب — نجاح مرشحيه في الانتخابات البلدية في الضفة الغربية كضمان لتمثيله للفلسطينيين عبر مشروعه . ج — موافقة العدو الصهيوني على اساس نتائج المفاوضات التي تمت بين الملك حسين وبين سلطات العدو الصهيوني والتي اصبحت مكشوفة بشكل ظاهر لكل عين .

٧ — سيقوم نيكسون بزيارته للاتحاد السوفياتي ، وقد اصبحت المشكلة الفلسطينية مطوقة ومعه مشروع للتنفيذ ، وبذلك تسهل مهمة نيكسون في موسكو ويتم الاتفاق على حل مشكلة الشرق الاوسط بما ينهي القضية الفلسطينية نضاليا ، ووفق الرغبة الاميركية الاسرائيلية ، ويكون خلال ذلك قد تم انجاز الاهداف الاساسية الصهيونية التالية : أ — ضرب الثورة الفلسطينية في الاردن عن طريق الملك حسين (وقد تم) . ب — ضرب الثورة الفلسطينية في لبنان عن طريق الاعتداءات الاسرائيلية ، ولا تزال هذه

المهمة تحت التنفيذ . ج ــ حل المشكلة الفلسطينية بوطن **ما** ، وهو مشروع الملك حسين . د ــ اجهاض الحالة النفسية النضالية للشعب الفلسطيني كنتيجة لكل ذلك او بمعنى اخر تصفية الارادة الشعبية الفلسطينية .

٨ ــ عشية اعلان الملك حسين لمشروعه : ــ أ ــ قال جوزيف سيسكو بان احتمالات السلام في الشرق الاوسط لا تزال بعيدة ولكن في استطاعة المرء ان يتوقع نوعا من التحرك فيما يتعلق بالاردن. ب ــ وقال روجرز : انه **مطلع** على تطورات الشرق الاوسط المتعلقة **بالملك حسين** . وقال : هناك تطورات فورية ستوضح القضية .

٩ ــ فور اعلان الملك حسين لمشروعه اعلن روجرز بان امريكا لم تفاجأ بالمشروع وانها ستقوم بتقديم **رد موزون عليه** في الوقت **المناسب** (قبيل او بعد رحلة نيكسون الى موسكو) .

١٠ ــ وقال المعلقون السياسيون الاسرائيليون في تل ابيب ان سيسكو ــ مساعد وزير الخارجية الاميركي ــ قام هو ايضا بدور اساسي في الاتصالات بين الاردن واسرائيل وفي بلورة الافكار التي اشتمل عليها مشروع الملك . واضافوا : ان هذا المشروع ، من اهدافه ، الضغط على مصر من اجل التوصل الى حل جزئي لفتح قناة السويس .

١١ ــ اما الدوائر الاميركية ، فقد وصفت مشروع الملك حسين بانه خطوة جريئة نحو السلام (الاميركي طبعا) وقالت رويتر ، ان الرسميين الاميركيين حرصوا كل الحرص على عدم التعليق على المشروع حتى لا تثور الشكوك حول الملك حسين .

١٢ ــ اما رونالد زيجلر ، المتحدث باسم البيت الابيض الاميركي ، فقد قال ان زيارة الملك حسين القادمة لواشنطن ستشمل محادثات مفصلة حول الخطوة التالية (لاعلان المشروع) .

١٣ ــ اما النيويورك تايمس الوثيقة الصلة بوزارة الخارجية الاميركية ، فقد قالت « ان مشروع الملك حسين يستحق بالتاكيد الاهتمام به باعتباره امكانية متاحة من اجل التوصل الى السلام في الشرق الاوسط . وقالت ايضا : ان الفلسطينيين بفضل مكانتهم في المملكة العربية المتحدة ، قد يحصلون على صوت قوى في مفاوضات السلام التي **لا ترى اسرائيل انها ممكنة الا مع عمان فحسب** » .

وقالت ايضا : « ان بعض الزعماء الفلسطينيين المتطرفين (الثورة الفلسطينية) استنكروا مشروع الملك حسين باعتباره مؤامرة تستهدف خنق حركة المقاومة وتصفية القضية الفلسطينية ، وهذه هي في الواقع اكبر ميزة في المشروع لانها تزيل العوائق التي اعترضت طريق السلام لمدة تزيد عن عشرين عاما » .

١٤ ــ من كل ما سبق ، ومما سيظهر تباعا من المواقف الاميركية والاسرائيلية والبريطانية يتضح تماما التخطيط الاميركي الاسرائيلي في مشروع الملك حسين واهداف هذا المشروع التآمرية لضرب واجهاض وقتل : ــ ١ ــ الارادة النضالية العربية من اجل التحرير . ٢ ــ ارادة الثورة الفلسطينية وارادة الشعب الفلسطيني النضالية المسلحة وتصفية القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني الامر الذي يفرض على كل مواطن ومسؤول رفض مشروع الملك حسين واحباطه ومواجهته بكل قوة.

ثالثا ــ موقف سلطات العدو الصهيوني

١ ــ قبل اعلان الملك لمشروعه باسبوع فصلت سلطة الاحتلال الصهيوني غزة عن قيادة شمال سيناء ، والحقت بالضفة الغربية ، وفي هذا تمهيد للاشارة غير المباشرة التي وردت في مشروع الملك حسين عن غزة .

ب ــ بعد اعلان المشروع ، ظهرت ردود فعل اسرائيلية رسمية معارضة بعنف من حيث اللفظ ، وبليونة من حيث المضمون لمشروع حسين :

١ ــ فقد انصب اعتراض جولدا مائير مثلا على ان المشروع لا يمكن تنفيذه ، الا بموافقة (اسرائيل) وبمفاوضات مباشرة معها، وكجزء من خطة السلام. ٢ ــ اما رئيس لجنة الامن والشؤون الخارجية في الكنيست وعضو حزب المابام فقد اعترض على المشروع لانه ذكر القدس عاصمة للضفة الغربية ، وان لفظ الضفة الغربية اتى شاملا بينما العدو لن يتنازل عن كل اراضي الضفة الغربية . ٣ ــ اما يوري افنيري ، فقد قال انه يوافق على اي حل على اساس استفتاء الشعب الفلسطيني (انتخابات الضفة الغربية) وقال ايضا بان مشروع الملك حسين هو مشروع ايجال الون، وفي اليوم التالي نشر في صحيفته هاعولام هازيه خارطة توضيحية لمشروع آلون . ٤ ــ اما ايجال آلون نفسه ، فقد قدم مشروعه الى الكنيست لاخذ الموافقة عليه معلنا ان

هذا هو انسب وقت لتنفيذ مشروعه ، وبالتالي تتم موافقة العدو الصهيوني على مشروع الملك حسين تحت ستار الرفض التكتيكي الاسرائيلي كما حصل بالنسبة لمشروع روجرز تماما .

ج — فاذا ربطنا ذلك كله باللقاءات الاسرائيلية مع الملك حسين ، وبالموقف الامريكي وبالانتخابات البلدية في الضفة الغربية وموقف الملك حسين منها بعد المفاوضات التي تمت مع العدو الصهيوني بشأنها ، امكننا الوصول الى قناعة لا تقبل الشك بان مشروع الملك حسين هو مشروع اسرائيلي امريكي ينفذه الملك حسين لصالح الوجود الاسرائيلي والاستعمار الامريكي .

د — كما امكننا ان نقول ان ثمنا ما سيدفع الى الملك حسين قد يكون في اعادة فتح ملف مشروع مبتور للهلال الخصيب ، ولكن هذه المرة لصالح قصر الملك حسين في عمان بدلا من قصر الملك فيصل الثاني في بغداد ، خصوصا اذا اردنا ان نفهم سر الكرم الامريكي في تسليح جيش الملك حسين لدرجة ان مدى سلاح الدبابات (م ٦٠) التي سلح بها الجيش الاردني يفوق مدى سلاح الدبابات في العالم العربي وخاصة سوريا والعراق بنسبة ثلاثة اضعاف ، واذا اردنا ان نفهم ايضا المهام التي قام بها الملك عبد الله بضرب كل الحركات المضادة للاستعمار ، البريطاني في العراق والمحاولة التي قام بها الملك حسين لضرب سوريا بعد هزيمة حزيران ، آخذين بعين الاعتبار التطور الذي طرأ على اولويات مهام الجيش الاردني كما نشرته مجلة الجيش الامريكي نقلا عن قيادة الجيش الاردني العليا كما يلي : « قبل عام ١٩٦٧ كانت الاولويات هي اسرائيل (!) سوريا والعراق الامن الداخلي وبعد عام ١٩٦٧ حتى ايلول اصبحت الاولويات هي الامن الداخلي اسرائيل (!) سوريا والعراق ، بعد مذابح ايلول وجرش وعجلون اصبحت الاولويات هي سوريا والعراق ، الامن الداخلي ، اسرائيل (!)

رابعا — نتائج تنفيذ مشروع الملك حسين في المجال العربي :

ان نجاح مشروع الملك حسين ، او حتى عدم تراجع الملك حسين عن مشروعه سيؤدي الى النتائج التالية في المجال العربي :

١ — تشجيع بادرة الانفراد في القضايا القومية المصيرية .

٢ — ضرب الموقف العربي الموحد الذي هو اكثر ما يكون ضرورة للامة العربية في ظروفها الراهنة وهي تواجه الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية في معركة تقرير المصير العربي كله وذلك اذا ما وافقت بعض الدول العربية على مشروع الملك حسين .

٣ — ان قضية فلسطين شعبا ووطنا ، هي القضية المفجرة والموحدة للنضال العربي في صراعه مع الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي .

ان مشروع الملك حسين يهدف الى عزل هذه القضية عن المسرح العربي تمهيدا لاعطائها حقنة الموت وبذلك فان هذا المشروع اذا نجح ، يفرغ وحدة النضال العربي المتفجر من مضمونه الاساسي ، ويثبت الوجود الاسرائيلي في فلسطين ويحول العلاقة المصرية السورية بالوجود الاسرائيلي الى مشكلة حدود محلية تفقد حتى زخمها العالمي في معركة الصراع ضد الاستعمار العالمي ، وبذلك يكون مشروع الملك حسين اذا نجح قد حقق للاستعمار ما فشل في تحقيقه مشروع تمبلر وحلف بغداد ومشروع ايزنهاور ومشروع حلف شرق البحر المتوسط ، وغيره من المؤامرات الاستعمارية على الامة العربية .

٤ — ان عزل القضية الفلسطينية عن المسرح العربي ، مع ترسيخ الوجود الاسرائيلي وتسهيل امتداداته السرطانية في الامة العربية ، من خلال مشروع الملك حسين سيؤدي الى عزل مصر عن النضال العربي ، وفرض سياسات اقليمية متنافرة في الواقع العربي ، وبذلك يتم اجهاض المسيرة التحررية العربية في المرحلة الراهنة على الاقل ، آخذين بعين الاعتبار قيام العدو الصهيوني بمصادرة اراضي رفح لاقامة حزام امني مكمل لمشروع آلون ينفصل به فلسطين عن سيناء .

٥ — ان نجاح هذا المشروع يعني بالضرورة انعزال مصر وسوريا والعراق عن الاردن بسبب الموقف الخائن للملك حسين وهذا يعني انهاء اي امل في شيء اسمه الجبهة الشرقية او التعاون العسكري العراقي السوري الاردني .

٦ — وهذا بدوره سيولد صراعا محليا عربيا يحول الجهد العربي عن المعركة الاساسية مع العدو الصهيوني ويفرض واقع الاستسلام العربي على

ارادة النضال والتحرر العربية .

٧ ــ ان الدول العربية الوطنية التي قبلت بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كانت تقرن موافقتها على هذا القرار بتمسكها بحقوق الشعب الفلسطيني في وطنه وبحقه في تقرير مصيره وبحقه في النضال المستمر حتى التحرير .

ان نجاح مشروع الملك حسين وعدم تصدي الدول العربية له سيؤدي بالطبع الى تخلي هذه الدول ايضا عن التزاماتها تجاه الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية الامر الذي يضع كل من يوافق على هذا المشروع في موقف الخيانة للشعب الفلسطيني والتآمر على حقوقه .

٨ ــ ان مشروع الملك حسين (اذا نجح) يمثل تنفيذا لمشروع ايجال آلون ، اي تنفيذ قرار مجلس الامن بالمفهوم الاسرائيلي ، اي الاستسلام للارادة الاسرائيلية في المنطقة ، اي خيانة الامة العربية، فضلا عن خيانة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

٩ ــ ومن هنا ، كان لا بد للدول العربية ان ترفض مشروع الملك حسين وتفرض عليه سحبه او تتخذ الاجراءات اللازمة ضده ، والا فان من يوافق على المشروع ، ومن لا يعمل لافشال المشروع ، يقف الى جانب حسين واسرائيل ضد مصالح الامة العربية والشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية.

١٠ ــ ان الملك حسين انما يستغل العجز العربي عندما قدم مشروعه ، وعندما يعمل الى انجاح هذا المشروع ، والموقف العربي مطالب بأثبات العكس .

خامسا ــ نتائج تنفيذ المشروع في المجال الفلسطيني

اما نجاح مشروع الملك حسين ، او حتى عدم تراجعه عنه ، سيؤدي الى النتائج التالية بالنسبة للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

١ ــ ان الملك حسين يحاول بمشروعه تنظيم العلاقة الدستورية بين الشعب الفلسطيني والشعب الاردني في ظل عرشه ، وهو بذلك يقوم بحركة التفاف كبيرة ، حول حقيقة الصراع بين الشعب الفلسطيني والملك حسين ونظامه فيحوله من صراع حول حق الشعب الفلسطيني في النضال المسلح ضد العدو الصهيوني ، الى صراع بين فلسطيني واردني ، والى مناقشة في اوضاع دستورية ، بينما الواقع يتطلب العمل النضالي من اجل التحرير . وهذا يعني الهاء مقصود للشعب الفلسطيني عن قضيته ونضاله ، وتحويل انظاره الى شكل علاقات دستورية لا صلة لها بالمرحلة النضالية .

٢ ــ ان انشاء قطر فلسطيني له حكومة ، واخر اردني له حكومة ، ثم حكومة مركزية اردنية فلسطينية ، انما يهدف الى ان يشترك الفلسطينيون بشكل رسمي من خلال (حكومتهم !!) بالمفاوضات المباشرة او غير المباشرة مع العدو الصهيوني إلتنفيذ قرار مجلس الامن او غيره من القرارات التي تهدف كلها الى الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلي في قضية فلسطين وهذا يعني : ــ

ا ــ ان يشترك الفلسطينيون رسميا في خيانة وطنية ، يخطط لها الملك حسين ، ويخرج منها بريئا ، لان الفلسطينيين قد وافقوا على التسوية من خلال (حكومتهم !!) . ب ــ ان الوجود الصهيوني في اسرائيل ، يهدف بوضوح الى الحصول على سلم اسرائيلي مدعوم بشرعيةالوجود والبقاء المعترف بهما عربيا وفلسطينيا ، والعدو الصهيوني يدرك ان الشرعية الحقيقية التي تمكنه من الوجود السلمي والبقاء السلمي ، هي الاعتراف الفلسطيني به ، وهذا الاعتراف الفلسطيني بشرعية الوجود والبقاء يتم وفق خطة الملك حسين عن طريق الحكومة المركزية الممثلة للحكومة القطرية الفلسطينية التي خطط لها مشروع الملك حسين .

٣ ــ ان نجاح هذا المشروع ، الذي يحتاج الى قتل الثورة الفلسطينية والموافقة العربية ، يفرغ كل النضال العربي والفلسطيني منذ عام ١٩٢٠ حتى الان منمضمونه ويحول كل الشهداء والضحايا والتضحيات البشرية والمادية التي بذلت لمحاربة الخطط الاستعمارية للمنطقة والوجود الصهيوني فيها الى كم مهمل ، وكاننا نقدم الضحايا لنمارس الخيانة .

٤ ــ كما ان نجاح هذا المشروع ، وبالتالي نجاح حسين والعدو الصهيوني في أخذ الاعتراف الفلسطيني بشرعية الوجود الصهيوني ، يفقد الشعب الفلسطيني باجياله الحاضرة واللاحقة حقها الدولي في النضال من اجل تحرير الوطن ، ويصبح مثل هذا النضال اعتداء على شرعية دولة صهيونية اخذت الاعتراف بها دوليا وعربيا ثم فلسطينيا ، اي سقوط الحق العربي الفلسطيني في فلسطين

بارادة فلسطينية واجهاض الثورة الفلسطينية بارادة عربية واداة فلسطينية .

٥ ــ ان انشاء حكومة قطرية فلسطينية ، هو في الحقيقة انشاء سلطة فلسطينية رسمية تقليدية عميلة في موقف مضاد لسلطة الشعب الفلسطيني الثورية الممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالتالي فان نجاح مشروع الملك حسين يؤدي الى : ــ ا ــ ازدواجية التمثيل الفلسطيني . ب ــ استمرار ممارسة الملك حسين تمثيله لابناء فلسطين في المجتمع الدولي وخيانتهم باسمهم . ج ــ خلق حالة تناقض بين وجود حكومة قطرية فلسطينية وبين كون (فلسطين) عضوا في جامعة الدول العربية من خلال منظمة التحرير وقرارات الجامعة العربية ومؤتمر القمة العربي الثاني الذي اعتبر منظمة التحرير هي الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني . ان بداية الصراع حول هذا الموضوع ، تعني بداية صراع فلسطيني عميق بضرب ابناء فلسطين بعضهم ببعض من خلال التسلط الملكي فيصرف بذلك ابناء فلسطين عن واجبهم الحقيقي في النضال ضد العدو الصهيوني .

٦ ــ ان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني امر اقرته : ــ ا ــ ارادة الشعب الفلسطيني ونضاله وضحاياه وشهداؤه . ب ــ قرار هيئة الامم المتحدة في دورتها عام ١٩٧٠ التي اقرت ايضا شرعية نضال هذا الشعب حتى يحقق حقوقه الوطنية . ج ــ قرارات الجامعة العربية وبروتوكولها الخاص بفلسطين . د ــ قرارات مؤتمر القمة الاسلامي ووزراء خارجيته وميثاق التضامن الاسلامي الذي ضم (٣٣) دولة . هـ ــ اعتراف عدد كبير من الدول الصديقة بمنظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني وفي طليعتها الصين .

٧ ــ ان مشروع الملك حسين هو عدوان صارخ على الشعب الفلسطيني وعلى حق هذا الشعب في تقرير مصيره ، لان تقرير المصير لا يتم بارادة ملكية سامية (!!) وانما يتم على الارض الفلسطينية المحررة التي يمارس عليها شعب فلسطين سيادته بحرية .

ومشروع الملك حسين بالتالي ، هو محاولة واضحة، لسحب الاعتراف الدولي والعربي وغير العربي من الثورة الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني ، هذا الاعتراف الذي حققه شعب فلسطين بنضاله وشهدائه وضحاياه .

٨ ــ ان مشروع الملك حسين اذا نجح ، سيحول القطر الفلسطيني الى جسر عبور اسرائيلي الى شرق الاردن ومنها الى العالم العربي في المجالات الاقتصادية والسياسية ، ومن هنا ، فان مشروع الملك حسين (اذا نجح) لا يضع الشعب الفلسطيني في موقع الخيانة مع نفسه فحسب ، وانما يجعله اداة لخيانة الامة العربية ، وهذا ما لا يمكن للشعب الفلسطيني ان يرضاه او يقبل به .

٩ ــ ان الملك حسين بمشروعه ، انما اراد ان يثبت انه المتحدث الرسمي باسم الشعب الفلسطيني باعتباره ملكا لما سمي بالمملكة العربية المتحدة ، التي تحكم بحكومة مركزية ، فيها حكومة اسمها حكومة القطر الفلسطيني .

ان هذا امر مرفوض ، فلا احد يتكلم باسم الشعب الفلسطيني الا قيادته الثورية .

١٠ ــ ان مشروع الملك حسين يؤدي الى اشتراك الشعب الفلسطيني في قرار مجلس الامن ، كما يؤدي الى استيطان الفلسطينيين في الاماكن المقيمين بها ، وبذلك يسهم الملك حسين في انجاح مشاريع الاستيطان التي ارادتها ويريدها العدو الصهيوني والاستعمار العالمي ، ولكن هذه المرة بمال فلسطيني وارادة فلسطينية .

١١ ــ ان مشروع الملك حسين يضع الملك حسين في موقع متقدم على (اسرائيل) والاستعمار الاميركي في خيانة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية ويعطي المبررات كلها لتحويل النضال ضد هذا الملك من خلال النضال ضد مشروعه ، في وقت يجب فيه تحويل كل البنادق العربية والفلسطينية الى العدو الصهيوني .

١٢ ــ ان مشروع الملك حسين ، اذ يعترف شكليا بالشعب الفلسطيني ، لكنه يصادر ارادة هذا الشعب من خلال مشروعه الذي نصب فيه من نفسه ملكا على الشعب الفلسطيني ، خصوصا عندما الح الى ان قطاع غزة سيكون جزءا من المشروع، وان حكومة القطر الفلسطيني ، هي حكومة الفلسطينيين في مشارق الارض ومغاربها .

١٣ ــ والملك حسين بمشروعه هذا ، ومصادرته

هذه الارادة الفلسطينية ، انما يقوم بحركة اجهاض والتفاف خائنة ، ضد الحق التاريخي للشعب الفلسطيني في وطنه وحقه الوطني في الاستمرار في النضال المسلح من اجل تحرير هذا الوطن .

١٤ ــ ان طرح الملك حسين لمشروعه في هذا الوقت هو بالاضافة الى الخيانة الكامنة فيه ، انما يهدف الى خلق بلبلة فلسطينية وعربية في مناقشة الموضوع من زاوية دستورية بدلا عن الزاوية النضالية ، مستهدفا بذلك تحويل التفكير الفلسطيني والعربي من دعم الثورة الفلسطينية والتفاعل معها الى جدل بيزنطي دستوري لا علاقة له بالمرحلة النضالية الراهنة .

سادسا ــ آثار المشروع على الوحدة الفلسطينية الاردنية

لقد مارس الملك حسين عملية شق الوحدة الفلسطينية الاردنية الجماهيرية (من خلال المذابح التي قام بها ضد الشعب الفلسطيني في الاردن) تحت شعار وحدة الشعبين .

لقد انشأ الملك حسين بمشروعه حكومة فلسطينية واخرى اردنية تحت شعار وحدة الشعبين ، في الوقت الذي كانت تهتف فيه الجماهير الفلسطينية المذبوحة في عمان ومخيمات اللاجئين حول عمان بهتاف شعب واحد لا شعبين تعبيرا عن ايمانها الصادق بالوحدة الحقيقية ، وليس بالوحدة الانقسامية التي يريدها الملك حسين .

ان مشروع الملك حسين يكرس الانقسام بين الشعبين ويكرس الحقد والكراهية ويتناقض مع ارادة الجماهير الفلسطينية والاردنية التي تريد تنظيم علاقاتها مرحليا وفق الشكل التالي : ــ

١ ــ وحدة النضال الى ان يتم التحرير .

٢ ــ بعد التحرير يتم تحديد العلاقات الدستورية بين ابناء فلسطين وابناء شرقي الاردن وفق الاسس التالية : ــ أ ــ وحدة الضفتين على اساس وطني ديمقراطي . ب ــ عدم المساس بالحقوق الوطنية التاريخية لشعب فلسطين في كامل التراب الفلسطيني . ج ــ عدم المساس بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين الخاصة بكفاحه المسلح حتى تحرير كل الوطن الفلسطيني . د ــ المساواة الحقيقية في الحقوق والواجبات بين مواطني الضفة الشرقية والضفة الغربية على اساس حكم وطني ديمقراطي دستوري . هـ ــ ان يتم ذلك كله ومن خلال استفتاء جماهيري حر بمؤسسات ديمقراطية حرة .

من كل هذا نخلص الى ان مشروع الملك حسين ، مشروع تآمري تصفوي لا يستهدف الشعب الفلسطيني وحده ، وانما يستهدف الامة العربية وتطلعاتها فتكون (المملكة العربية المتحدة) قاعدة للاستعمار الاميركي وجسرا للصهيونية مع كل ما تمثله من عنصرية وتوسع ، وهذا يحتم على الامة العربية انظمة وجماهير ان تتصدى لهذا المشروع وان تنهي تآمر الملك حسين على الامة العربية والشعب الفلسطيني .

صدر عن مركز الابحاث

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة ايلول

بقلم

خليل هندي وفؤاد بوارشي وشحادة موسى

باشراف

الدكتور نبيل علي شعث

٤١٣ صفحة ٥ ل.ل.

منشورات

مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

ثقافـــة فلسطينية كاملة

اطلب قائمة المنشورات

مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

(قسم التوزيع)

ص.ب ١٦٩١ بيروت ــ لبنان

اليوميات الفلسطينية

أول وأضخم وأدق سجل علمي شـــامل

للقضية الفلســـطينية

في تطوراتهـــا واحداثهـــا واخبارها

مدة ست سنوات كاملة

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧٠/١٢/٣١)

اثنا عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عام

٦٣٠٠ صفحة من القطع الكبير

ســـعر المجموعة ١٣٠ ل.ل.

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث في م. ت. ف.

ص. ب ١٦٩١ بيروت ــ لبنان

الخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

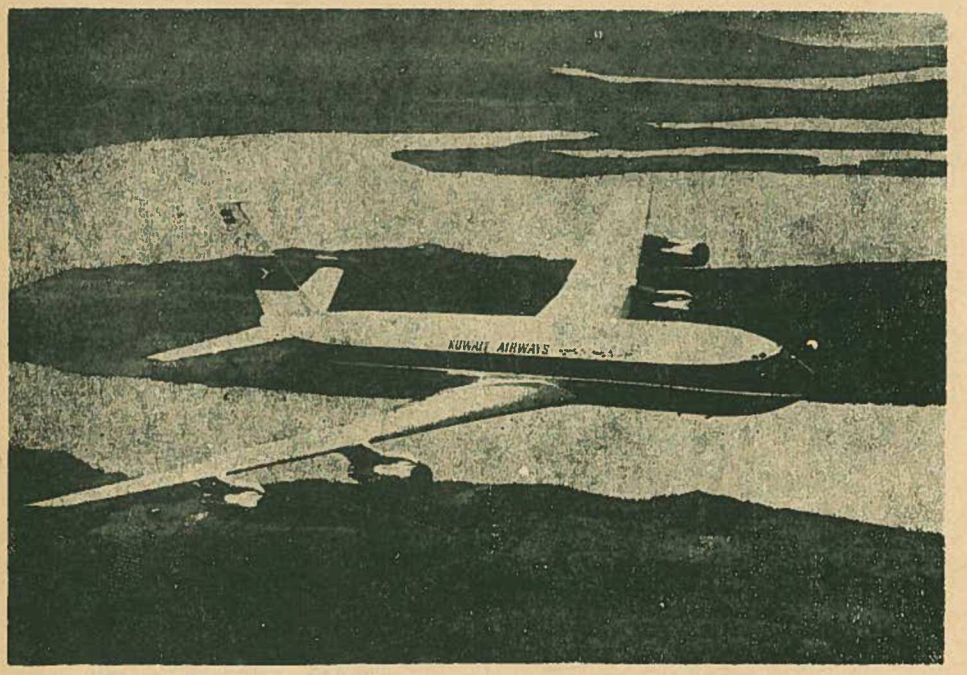

مكاتب رئيسية في كل من :

الكويت ـ البحرين ـ الدوحة ـ دبي ـ الظهران ـ عدن ـ عمان ـ دمشق ـ بيروت ـ القاهرة
طهران ـ عبدان ـ اثينا ـ جنيف ـ فرانكفورت ـ باريس ـ روما ـ لندن ـ نيويورك ـ هيوستون
شيكاغو ـ ديترويت ـ تورونتو .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

شارع كليمنصو ــ بناية جفينور ــ الطابق السادس (شقة ٦٠٣ ب)

ص. ب. ٥٤٦٠ ــ بيروت

تلفون ٣٤٤٠٨٥ ــ برقيا : موكيالي

صدر حديثا :

ــ تاريخ الثورة الروسية (في جزئين)	ليون تروتسكي
ــ معركة المصير الواحد (طبعة جديدة منقحة ومزيدة)	الاستاذ ميشيل عفلق
ــ جبران خليل جبران (بالانكليزية)	الدكتور خليل حاوي
ــ سد اسوان العالي (بالانكليزية)	الدكتور يوسف شبل
ــ محاكمة طه حسين	تحقيق وتعليق خيري شلبي
ــ النضال الفلسطيني : دروس وعبر	الدكتور عبد الوهاب الكيالي
ــ معركة الخامس من حزيران	صابر ابو نضال
ــ الثورة والحرية الناقصة	عزيز السيد جاسم
ــ موسوعة العناية بالطفل	الدكتور بنجامين سبوك

يصدر قريبا :

ــ اليمين واليسار في الاسلام	احمد عباس صالح
ــ الاسلام واصول الحكم: لعلي عبد الرزاق	وثائق ودراسة بقلم محمد عماره
ــ معارك العرب ضد الغزاة (١١٨٧ ــ ١٨٠٧)	محمد عماره
ــ وحدة تاريخ مصر	محمد العزب موسى
ــ الثورة العرابية	صلاح عيسى
ــ صلاح الدين الايوبي (بالانكليزية)	البروفسور هاملتون غيب

السياسة الدولية

مجلة دورية تصدر عن
مؤسسة الاهرام
كل ثلاثة اشهر

دراسة القضايا الدولية المعاصرة
بأسلوب علمي ونظرة موضوعية

- قضايا المجتمع الدولي ... بصراعاته واتجاهاته الجديدة
- قضايا العالم الثالث ... على طريق التنمية والتقدم
- قضايا الوطن العربي ... في أحسم سنوات مصيره

رئيس التحرير : د. بطرس بطرس غالي

بخصوص الاشتراك السنوي وطلب الاعداد السابقة والمجلدات السنوية
يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام ، شارع الجلاء ،
القاهرة ـ جمهورية مصر العربية .

طبع في مؤسسة منطورة للطباعة
تلفون : ٢٤١٤٧٠

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.